المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
الجمعية العلمية السعودية
لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب







مجلة الدراسات العقدية

مجلّةٌ عِلْميّةٌ محكّمَة مُتخصِّصَة

العدد ٢٠ - السَّنة العاشرة - محرم ١٤٣٩هـ

ردمد: ١٦٥٨-٥١٦X

رقم الإيداع: ٧٦١٧ / ١٤٣٠


بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم مدير التحرير

جوال: ٠٥٥٢٥٣٤٢٨٢

هاتـف: ٠١٤٨٤٧١١٥٥

فاكس: ٠١٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الالكتروني

aqeedaamm@gmail.com

تعريف بالمجلّة

مجلة الدراسات العقدية: مجلّة علمية محكّمة تصدر عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، بإشراف الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، تختصّ بنشر البحوث والدراسات العلمية المتخصِّصة في حقل علوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب الفكرية؛ يتولّى تحريرها هيئة علميّة مختصّة مكونةٌ من عددٍ من أساتذةٍ جامعيّين، تجيز نشر البحث بموافقة اثنين من المختصّين، صدر أوّل عدد من المجلة في محرّم ١٤٣٠هـ، وتصدر دوريًّا بواقع عددين سنويًّا.

قواعد النشر في مجلة الدراسات العقدية

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

١ - أن لا تكون منشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.

٢ - أن تكون خاصة بالمجلة.

٣ - أن تكون أصيلة من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

٤ - أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.

٥ - أن تكون في مجال تخصص الجمعية.

٦ - أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).

٧ - أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.

٨ - أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.

٩ - أن تصدّر بنبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتعريف بها.

١٠ - أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبيّن عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.

١١ - أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

١٢- تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج: الوورد *xp* أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: *Lotus Linotype* .

جـ- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

د- مقاس الصفحة الكلي: ١٢سم × ٢٠سم = (إعداد الصفحة: ٥أعلى، ٤.٧٥ أسفل، ٤.٥ أيسر وأيمن).

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود.

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢غير مسود.

ز- رأس الصفحة: ١٢أسود.

ح- العنوان الرئيسي: ١٨ أسود.

ط- العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاث نسخ، منها نسختان قرصان مستقلان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحثه +١٥ مستلّةً منه.

مجلة الدراسات العقدية

المواد المنشورة

في المجلة

تعبّر عن آراء أصحابها

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة



دراسة المسائل العقدية الواردة في حديث: «لا تزال جهنم يُلقى فيها وهِي تقول: هَل من مزيد؟»

د. صفية بنت سليمان التويجري

أكاديمية سعودية، أستاذ مساعد، بقسم العقيدة، بجامعة القصيم

ملخص البحث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

١- اشتمال الحديث على مسائل عقدية مهمة.

٢- أن الحديث تعرض لمسائل إيمانية عظيمة كالأسماء والصفات واليوم الآخر وغيرها.

٣- الرغبة في الرد على بعض الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في بعض المسائل العقدية الواردة في الحديث.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وخمسة مطالب وخاتمة.

المطلب الأول: تخريج الحديث وشرحه.

المطلب الثاني: معنى قوله ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ وحقيقة القائل.

المطلب الثالث: صفة القدم والرجل لله تعالى.

المطلب الرابع: صفة جهنم والعياذ بالله وكيفية دخول أهلها فيها وما يتعلق بذلك.

المطلب الخامس: إخراج الموحدين من النار.

ثم الخاتمة واشتملت على أهم النتائج ومنها:

١- صحّة حديث: «لا تزال جهنم يلقى فيها» وقد تلقته الأمة بالقبول،

والإيمان بما يشمل عليه من مسائل عقدية.

٢- إثبات صفة القدم والرجل لله تعالى حسب ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه.

٣- إيمان أهل السنة والجماعة بصفة القدم والرجل لله تعالى كما وردت في هذا الحديث من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي صالحاً ولوجهه خالصاً، وأن ينفع به، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. صفية بنت سليمان التويجري

sa.twa@hotmail.com



Studying the Creedal Issues in the Hadith: "It will continue to be thrown into Hellfire and it will say: "Will there be any one more?"

Dr. Safiyyah bint Sulayman at-Tuwayjari

Saudi academic, assistant professor, at the Department of Creed, in the Qassim University

Abstract

In the Name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful.

All praise is due to Allah, and may Allah esteem and send peace to the last prophet.

To proceed:

The importance of this subject is shown in the following points:

- The *hadith* contained many important creedal issues.
- The *hadith* dealt with great issues of belief like the belief in Allah's Names and Attributes, the Last Day and so on.
- The aspiration to refute some of the sects that opposed the methodology of *Ahl as-Sunnah wal-Jama'ah* in some creedal issues mentioned in the *hadith*.

I divided the research into a preface, five chapters and an epilogue:

The first chapter: *Takhrij* of the *hadith* and an explanation of it.

The second chapter: The meaning of the saying in the *hadith*: "Will there be any one more?", and who is it who said it.

The third chapter: Allah's attributes: the foot and leg.

The fourth: The attributes of Hellfire (may Allah protect us) and the way that it is people enter it and other issues related to it.

The fifth: The monotheists will be taken out of Hellfire.

The epilogue contained the most important results, from them:

1- The *hadith* (people will be thrown into the Hellfire continuously) is authentic and the *Ummah* has accepted it and believes in the creedal issues mentioned in it.

2- Affirming that from Allah's attribute are His foot and leg that is suiting for His majesty and enormous might.

3- The belief of *Ahl us-Sunnah* that from Allah's attributes are His foot and leg like it has been affirmed in the hadith without distorting its meaning, denying it, asking how it is or saying that it is like the creations attributes.

I ask Allah to make my actions righteous and sincere for Him and that Allah makes it beneficial. May Allah esteem our prophet Muhammad and all of His family and companions.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أمّا بعد؛ فإنّ الله تعالى بعث نبيّه بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله، وأوحى إلى رسوله ﷺ الكتاب والسنة فدعا النبي ﷺ الناس إلى توحيد الله تعالى، ونهاهم عن الشِّرك وكل ما يقرب إليه، ورغبهم بعمل الصالحات لدخول الجنة، ونهاهُم عن المحرَّمات وحذرهم من النار، وأخبر الله تعالى في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ أن النار حق والجنة حق، وأن لها أهلين، فبشر وأنذر، قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: ٣١-٣٧]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال أيضًا: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣]، وغيرها من الآيات، والأحاديث، ومن الأحاديث التي وصف النبي ﷺ فيها الجنةَ وبيّن طريقةَ دخول أهلها، والنارَ وطريقةَ دخول

أهلها فيها والعياذ بالله قوله ﷺ: «**لا تزالُ جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع ربّ العزّة فيها قدمه فتقول: قط قط، وعزّتك، ويزوي بعضها إلى بعض**»(١).

ففي هذا الحديث العظيم الثابت عن النبي ﷺ بيان طلب النار الاستزادةَ من وَقودِها، الناسِ والحجارةِ -أجارنا الله منها- حتى يضع رب العالمين عليها قدمه، ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

وقد رأيت أن هذا الحديث العظيم بحاجة إلى بحث من الناحية العقدية؛ وذلك لأمور:

١- اشتمال الحديث على مسائل عقدية مهمة.

٢- أن الحديث تعرض لمسائل إيمانية عظيمة كالأسماء والصفات واليوم الآخر وغيرها.

٣- الرغبة في الرد على بعض الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في بعض المسائل العقدية الواردة في الحديث.

٤- صحة الحديث ووروده في صحيح البخاري ومسلم، لذا فهو مما لا مجال للشك في صحته وما يتعلق به.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٦٦١) و(٤٨٥٥٠) ومسلم برقم (٤٨٤٨، ٣٧)، وسيأتي تفصيل ذلك.

وقسمته إلى مقدمة وخمسة مطالب وخاتمة.

المطلب الأول: تخريج الحديث وشرحه.

المطلب الثاني: معنى قوله ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾ وحقيقة القائل.

المطلب الثالث: صفة القدم والرجل لله تعالى.

المطلب الرابع: صفة جهنم والعياذ بالله وكيفية دخول أهلها فيها وما يتعلق بذلك.

المطلب الخامس: إخراج الموحدين من النار.

ثم الخاتمة واشتملت على أهم النتائج.

۞ منهج البحث:

١-سأتبع في هذا البحث -بإذن الله- المنهج الوصفي التحليلي. حيث أدرس فيه المسائل العقدية الواردة في الحديث حسب معتقد أهل السنة والجماعة.

٢-أعزو الآيات إلى مواضعها في السور.

٣-أخرج الأحاديث الواردة من كتب السنة بطريقة التخريج المتوسط حسب المنهج التالي:

أ-إن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بذكر اسم

المصدر واسم الكتاب والباب ورقم الحديث.

ب-إذا لم يوجد الحديث فيهما أو في أحدهما فإني أكتفي بتخريجه من السنن الأربع، مع بيان الحكم على الحديث.

ج_ إذا لم يوجد الحديث في المصادر السابقة فإني أخرجه من بقية كتب السنة المشهورة، كمسند الإمام أحمد، أو موطأ الإمام مالك، أو غيرهما مع بيان الحكم عليه.

٤-الترجمة للأعلام غير المعروفين.

٥-عند العزو للمصادر والمراجع أكتفي بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف عند أول ذكر له، مع الجزء والصفحة، وأترك بقية المعلومات لكشاف المصادر والمراجع.

٦-إذا ذكرت تاريخًا فالمراد به التاريخ الهجري مالم أعقبه بحرف (م) فالمراد به التاريخ الميلادي.

٧-أعقبت البحث بكشاف المصادر والمراجع ثم كشاف الموضوعات.

أسأل الله التوفيق والسداد، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده فله الحمد والمنّة، وما كان فيه من خطأ فمن الشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المطلب الأول

تخريج الحديث وشرحه

۞ أولاً: تخريج الحديث:

أخرج البخاري ومسلم حديث البحث، فقد روى البخاري قال: حدثنا آدم حدثنا شيبان حدثنا قتادة عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ: (**لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض**)[(١)].

وفي رواية أخرى عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (**يلقى في النار وتقول هل من مزيد، حتى يضع قدمه فتقول قط، قط**)[(٢)].

وفي رواية عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: (**فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ، ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عَزَّ وَجَلَّ من خلقه أحدًا، وأما الجنة فإن الله عَزَّ وَجَلَّ ينشئ لها خلقًا**)[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلامه، برقم (٦٦٦١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب «التفسير» باب قوله (وتقول هل من مزيد) برقم (٤٨٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب «التفسير» باب قوله (وتقول هل من مزيد) برقم (٤٨٥٠).

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ (.... **فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدًا، وإنه ينشيء للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول: هل من مزيد؟ ثلاثًا، حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ، ويرد بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط قط**)(١).

وأخرجه مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نبي الله ﷺ قال: (**لا تزال جهنم تقول هل من مزيد، حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه، فتقول: قط قط وعزتك، ويزوي بعضها إلى بعض**(٢).

وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فيزوى بعضها إلى بعض وتقول: قط قط بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنة**»(٣).

۞ ثانيًا: شرح الحديث:

الحديث قد ورد كما تقدم في صحيح البخاري ومسلم، لذا فهو مما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب «التوحيد» باب ما جاء في قوله الله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) برقم (٧٤٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب «الجنة» باب «النار يدخلها الجبارون» برقم (٤٨٤٨، ٣٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب «الجنة» باب النار يدخلها الجبارون برقم (٤٨٤٨، ٣٨).

أتفقت الأمة على قبوله وعدم التشكيك فيه، ويعتبر من الأحاديث العظيمة التي أخبر فيها النبي ﷺ بما سيقع بعد دخول أهل الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ، وتبيّن فضل الله ورحمته في إقفاله النارَ بقوله: «**حتى يضع رب العالمين فيها رجله فيزوى بعضها إلى بعض**» أي فتغلق.

وفي قوله: «**لا تزال**» أي الاستمرار في الإلقاء فيها من الوقود، ﴿**وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ**﴾ [البقرة: ٢٤].

فيلقى فيها -أي: في جهنم- من الناس من يستحقها وهي تطلب المزيد (وتقول هل من مزيد)، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠]، حتى يأذن ملك الملوك بامتلائها فتقفل، «**فيزوى بعضها إلى بعض**»؛ أي: ينضم بعضها إلى بعضها وتقترب من الإقفال وتتضايق على من فيها، فلا يبقى فيها متّسع لغير من فيها، وكانت قد طلبت الزيادة من الله تعالى -والله اعلم- لأن الله تعالى قد وعدها بالامتلاء، قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ فطلبها الزيادةَ ظاهره الاستفهام على قول، بناءً على وعد الله تعالى إياها، أو على وجه الطلب للاستزادة فتقول: هل لي بشيء يزيدني، كما سيأتي[١].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨١) وفتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر(٨/ ٥٩٥-٥٩٧) و(١٣/ ٤٣٧) وعمدة القاري شرح صحيح البخاري،للعيني (١٩/ ١٨٧-١٨٩) وشرح النووي لصحيح مسلم (١٧/ ١٨٢-١٨٤).

المطلب الثاني

معنى قوله: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾، وحقيقة القائل

دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن النار عندما يلقى فيها أهلها تقول: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ ولكنهم اختلفوا في معناها، فمنهم من ذهب إلى أن مرادها بطلب الزيادة النفي، أي ليس فيَّ زيادة، وإنما يقول الله تعالى لها جل شأنه هل امتلأت بعد أن يضع قدمه فيها، فيزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط؛ من تضايقها، فإذا قال لها وقد صارت كذلك: هل امتلأت؟ قالت حينئذ: هل من مزيد؟ أي ما من مزيد؛ لشدة امتلائها، وتضايق بعضها إلى بعض[1]، وقد رجح بعض العلماء هذا القول ومنهم ابن حجر العسقلاني في «الفتح»[2].

القول الثاني: من ذهب إلى أن المراد طلب الاستزادة، قال ابن عباس: «إن الله الملك تبارك وتعالى وقد سبقت كلمته: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، فلما بعث الناس وأُحضروا وسيق أعداء الله إلى النار زمرًا، جعلوا يقتحمون في جهنم فوجًا فوجًا، لا يلقى في جهنم شيء إلا ذهب فيها، ولا يملؤها شيء. قالت: ألست قد أقسمت لتملأنّي من الجنة والناس أجمعين؟ فوضع قدمه، فقالت حين وضع قدمه فيها: قدِ قدِ، فإني قد امتلأت، فليس لي مزيد، ولم يكن يملَؤها شيء، حتى

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٦ / ٤٤٣).

(٢) انظر: فتح الباري: (١٣/ ٤٣٧).

وَجَدَتْ مسّ ما وُضع عليها، فتضايقت حين جعل عليها ما جعل، فامتلأت فما فيها موضع إبرة»، وقد رجح الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا القول[1].

ويصح أن يقال للمتلئ: استزاد واحتمل أكثر مما فيه، كما في الحديث: «**تملأ الأرض ظلمًا وجورًا ثم يخرج رجل من عترتى يملك سبعا أو تسعا فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا**»[2]، وفي الأرض سعة لأكثر من ذلك، فكذلك جهنم تمتلئ بما يلقي الله فيها من الجن والإنس، وتقول: هل من مزيد؟ لفضل فيها، حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول: «قط قط»، وفي رواية: «قدني قدني»، و«قطى قطي»؛ أي: حسبي حسبي، وفي رواية عند ابن حجر: «فيضعها عليها فتقطقط كما يقطقط السقاء إذا امتلأ)[3]، لكنها ضعيفة، وكل هذه الكلمات بمعنى الاكتفاء، والقائل هو جهنم.

وقد دلت النصوص على أن النار تتكلم حقيقة، فمن يقرأ النصوص التي تصف النار يجد أنها مخلوق يبصر ويتكلم ويشتكي، فأخبر سبحانه أن النار يُسمع لها أصوات مرعبة دالّة على غضبها وغيظها إذا رأت أهلها قادمين إليها، قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢]، وقال تعالى مبينًا أن لها حسًا وصوتًا: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢]؛ أي: حس النار

---

(١) تفسير الطبري (٢٦ / ٤٤٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١١٥٢٥).

(٣) فتح الباري (٨/ ٥٩٦).

وحركة لهبها، «والحسيس والحس: الحركة والصوت»[١].

وقد أخبر النبي ﷺ بأنها تتكلم صراحة فقال: (**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم**)[٢]، فالله تعالى يُنطقها بكلام مسموع كما ينطق الجوارح وغيرها، ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١]، فتمتلئ بوضع الله تعالى قدمَه عليها فيزوى بعضها إلى بعض.

وكلام النار –والعياذ بالله منها- على الحقيقة لا على المجاز، وليس من شرط الكلام عند أهل السنة والجماعة اللسان، وإنما يكفي فيه الحياة، قال تعالى: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧﴾ [المعارج: ١٥ - ١٧].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين**)[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ: (**اشتكت النار إلى ربها**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١١ / ٣٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب وتقول هل من مزيد برقم (٤٨٥٠) وبرقم (٧٤٤٩)، ومسلم برقم (٢٨٤٦).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٥٧٤)، وقال: «هذا حديث غريب صحيح»، وصححه الألباني.

فقالت: يا رب أكل بعضي بعض، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها وأشد ما تجدون من الحر من سمومها)[١].

أما الجنة فيبقى فيها فضل مساكن لم يصبها أحد، وذلك لعظم سعتها، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

المطلب الثالث

صفة القدم لله تعالى

أثبت الله تعالى لنفسه صفات عليا وأسماء حسنى أوردها في كتابه ووردت في سنة نبيه ﷺ، وأثبتها أهل السنة والجماعة على مراد الله تعالى وعلى مراد نبيه ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

والصفة في اللغة: الحِلْية.

واصطلاحًا: ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من أمور ذاتية أو معنوية أو فعلية.

وصفات الله تعالى: هي الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه وأثبتها له

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب «مواقيت الصلاة» باب الإبراد بالظهر من شدة الحر، برقم (٥٣٧) ومسلم برقم (٦١٧) واللفظ لمسلم.

رسوله في السنة الصحيحة.

والصفة إما أن تكون سلبية أو ثبوتية.

فالسلبية: هي كل صفة تضمنت نفي ما يضاد كمال الله المقدس؛ لإثبات ضده من الكمال الوجودي.

والثبوتية: هي ما تحمل معنى الكمال الموجود، الذي يقوم بالبارئ تعالى.

وتنقسم الصفات أيضًا إلى صفات الذات وصفات الفعل.

أما صفات الذات: فهي المعاني التي لا تتعلق بالمشيئة والإرادة، ولا يُتصوَّر في وقت من الأوقات كونُ البارئ جل شأنه غيرَ متصف بها، مثل السمع والبصر والمشيئة وغيرها.

وأما صفات الفعل: فهي المعاني التي تتعلق بالمشيئة والإرادة، فمتى شاء فعلها، ومتى شاء تركها، كالاستواء والضحك والنزول والمجيء وغيرها[١].

قال الإمام ابن القيم: «المثل الأعلى يتضمن ثبوت الصفات العليا لله سبحانه، ووجودها العلمي، والخبر عنها، وذكرها، وعبادة الرب سبحانه بها...»[٢].

وقد في النصوص الثابتة الإخبار عن صفات الله تعالى الذاتية، كاليد، قال

---

(١) انظر المدخل لدراسة العقيدة (١٠٧)، وموقع الدرر السنية، تعريف الأسماء والصفات وشرح مفرداته.

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم (٣/ ١٠٣٤)

تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، والقدم، قال ﷺ: **(حتى يضع عليها قدمه)**(١)، وفي رواية: **(حتى يضع رب العزة عليها رجله)**(٢)، والسمع والبصر، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والاستواء، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، والمجيء، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، والكلام، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وغيرها من الصفات آمن بها أهل السنة والجماعة إيمانًا كاملًا لا يخالطه تفويض ولا تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف، وكان هذا هو المذهب الحق الذي أمر به النبي ﷺ لأنه منهجه ومنهج أصحابه من بعده، قال ﷺ: **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور؛ فإن كلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة)**(٣).

وقد ورد في هذا الحديث -حديث البحث- صفة من صفات الله تعالى ألا وهي صفة (القدم) وفي الرواية الأخرى (الرِّجْل)، فقد أثبت الله تعالى لنفسه في هذا الحديث صفة القدم فقال عليه الصلاة والسلام: **(حتى يضع فيها رب العالمين قدمه)**، وقد ورد لفظ آخر يؤكد أن المراد بالقدم الرِّجل خلافًا لمن أولها، فقال عليه الصلاة والسلام **(حتى يضع رب العزة فيها**

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٣).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٨٩١)، وابن ماجه في المقدمة برقم (٤٤)، والإمام أحمد في مسنده برقم (١٧٦٠٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٦).

رجله) فورد صراحة اللفظ: «رجله»، مما دل على أنها رجل تليق بجلال الله تعالى وعظيم سلطانه لا نعلم كيفيتها ولا حقيقة صفتها، لكننا نؤمن بها إيمانًا جازمًا؛ لأنها وردت في السنة الصحيحة صراحة لا شبهة فيها ولا خلل[(١)].

أما الفرق المخالفة من المبتدعة، ممن أوّلوا الصفات حرفوها وأوّلوها، فمن تأويلاتهم:

١- من قال: إن المراد أن طائفة من عباد الله مستحقين لدخول النار، والرِّجل تأتي بمعنى: «طائفة»، وإضافتهم إليه إضافة اختصاص كما ورد في الحديث السابق[(٢)]. وهذا تحريف؛ لأنه في الحديث قال: (عليها).

٢- ومنهم من قال: قدمه بمعنى: مقدم؛ أي من يقدمهم إلى النار وهذا باطل، لأن أهل النار لا يقدمون، وإنما يدعون، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ ﴾ [الطور: ١٣].

٣- ومنهم من قال: إن المراد إذلال جهنم، فإنها إذا بالغت في الطغيان وطلَبِ المزيد أذلها الله فوضعها تحت القدم، وليس المراد حقيقة القدم،

---

(١) انظر: في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: اعتقادات أهل السنة لأبي بكر الإسماعيلي (٣٦)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٧٢) وما بعدها، ولمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة (٢٨) وما بعدها، وتقريب التدمرية لابن عثيمين (١٢٨)،وعقيدة التوحيد للفوزان (٧٩).

(٢) انظر: عارضة الأحوذي (١٢/ ١٦١) وإكمال المعلم للقاضي عياض (٨/ ١٣٨) وشرح النووي (٩/ ١٨١) وفتح الباري (٨/ ٥٩٦) وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ١٥٤).

والعرب تستعمل ألفاظ الأعضاء في ضرب الأمثال ولا تريد أعيانها، كقولهم: رغم أنفه، وسُقِط في يده[(١)].

٤- ومنهم من قال: إن المراد الفرط السابق، أي: يضع الله تعالى فيما قدمه لها من أهل العذاب. قال الإسماعيلي (ت٣٩٤): القَدَم قد يكون اسمًا لما قُدِّم، كما يسمى ما خُبِط من ورَقٍ: خبَطًا، فالمعنى ما قدموا من عمل[(٢)].

٥- أن المراد بالقدم: قدم بعض المخلوقين، فالضمير للمخلوق[(٣)].

٦- أن هناك مخلوقًا اسمه: قدم[(٤)].

٧- أن المراد بالقدم: الأخير، لأن القدم آخر الأعضاء فيكون المعنى: حتى يضع الله في النار آخر أهلها فيها، ويكون الضمير للمزيد[(٥)].

٨- قال ابن حبان (ت٣٥٤)، في «صحيحه» بعد إخراجه للحديث: «هذا

---

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٥٩٦) وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ١٥٤)، ومشكل الحديث وبيانه، لابن فورك (١٢٦).

(٢) دفع شبه التشبيه لابن الجوزي (١٦٩).

(٣) انظر مشكل الحديث (١٢٩) وفتح الباري (٨/ ٥٩٦) وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٥٤) والقول المختار في حديث تحاجت الجنة والنار، للبرزنجي (١٩).

(٤) انظر فتح الباري (٨/ ٥٩٧) وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٥٤)

(٥) فتح الباري (٨/ ٥٩٧) والقول المختار (١٩)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٥٤).

من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يلقى في النار من الأمم والأمكنة التي عصى الله فيها، فلا تزال تزيد حتى يضع الرب فيها موضعًا من الأمكنة المذكورة فتمتلئ، لأن العرب تطلق القدم على الموضع، قال تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢] يريد موضع صدق[١].

٩- أنّ المراد بالقدم: قدم صدق، وهو محمد عليه الصلاة والسلام، والإشارة بذلك إلى شفاعته، وهو المقام المحمود، فيخرج من النار من كان في قلبه شيء من الإيمان[٢]. وتُعقِّب بأن هذا منافٍ للنص، لأن فيه (**يضع قدمه**) بعد أن قالت النار (**هل من مزيد**)، وامقتضى هذا القول أنه ينقص منها، وصريح الخبر أنها تنزوي بما يجعل من فيها لا يخرج منها.

١٠- قال ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢): «ويحتمل أن يوجه بأن من يخرج منها يبدل عوضهم من أهل الكفر، كما حملوا عليه حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا كان يوم القيامة دفع الله عَزَّوَجَلَّ إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا، فيقول هذا فكاكك من النار**)[٣]. فإن بعض العلماء قال: المراد بذلك أنه يقع عند إخراج الموحدين، وأنه يجعل مكان كل واحد منهم واحدًا من الكفار بأن يعظم

(١) صحيح ابن حبان (١٦/ ٤٨٤).

(٢) فتح الباري (٨/ ٥٩٧) وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٥٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (٢٧٦٦).

حتى يسد مكانه، ومكان الذي خرج، وحينئذ فالقدم سبب للعظم المذكور، فإذا وقع العظم حصل الملء الذي يطلبه»[(١)].

١١- أن الرجل تستعمل في طلب الشيء على سبيل الجد، كما تقول: قام في هذا الأمر على رجل[(٢)].

وقد ذهب بعضهم إلى تأويلات بعيدة جدًا، منها:

١٢- المراد بالقدم: قدم إبليس، وأخذه من قوله: **(حتى يضع الجبار فيها قدمه)**، وإبليس أول من تكبر فاستحق أن يسمى متجبراً وجبارًا، وظهور بُعد هذا يغني عن تكلف الرد عليه[(٣)].

١٣- زعم ابن الجوزي (ت٥٩٧) أن الرواية التي جاءت بلفظ (رجل) تحريف من بعض الرواة بظنه أن المراد بالقدم الجارحة فرواها بالمعنى فأخطأ[(٤)].

١٤- بالغ ابن فورك (ت٥١٣) فجزم بأن الرواية بلفظ (الرجل) غير ثابتة عند أهل النقل[(٥)]. وهذا مردود لثبوتها في الصحيحين.

---

(١) فتح الباري (٨/ ٥٩٦).

(٢) انظر: المصدر السابق والموضع نفسه.

(٣) انظر مشكل الحديث (١٢٨) وإكمال المعلم، للقاضي عياض (٨/ ٣٧٩) وفتح الباري (٨/ ٥٩٦).

(٤) انظر دفع شبه التشبيه لابن الجوزي (١٧١).

(٥) انظر مشكل الحديث وبيانه (١٢٧) وفتح الباري (٨/ ٥٩٦).

١٥- قال أبو الوفاء ابن عقيل (ت٥١٣): «تعالى الله عن أنه لا يعمل أمره في النار حتى يستعين عليها بشيء من ذاته أو صفاته، وهو القائل للنار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ [الأنبياء: ٦٩] فمن يأمر نارًا أججها غيره أن تنقلب عن طبعها وهو الإحراق فتنقلب، كيف يحتاج في نار يؤججها هو إلى استعانة؟»[١].

ولا يخفى على سليم العقيدة ما في هذه التأويلات البعيدة عن صحة الدلالة من التعسف، فإن النبي ﷺ صرح في الحديث بأن الله تعالى يضع (رجله) وقال: **(حتى يضع رب العزة فيها رجله)** فأضافها إليه سبحانه.

وفي رواية **(حتى يضع فيها قدمه)** فجعل وضع القدم الغاية التي ينتهي إليها الإلقاء، ويكون عن ذلك الإنزواء، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣٠- ٣١]، فقوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣] لا يخالف هذه الآية، كما أنه لا يخالف قول الرسول ﷺ: **(حتى يضع رب العزة فيها رجله)**، وإذا كانت جهنم لا تضر خزنتها الذين يدخلونها ويسحبونها ويقومون عليها، فكيف يستنكر وضع رب العالمين عليها قدمه.

فهذا الكلام الواضح البين إذا سمعه سليم الفطرة والعقيدة يتبادر إلى ذهنه مباشرة ما دل عليه اللفظ، ولا يحتاج إلى فك رموز أو حل ألغاز تختبئ وراءه.

ولا يكون المتكلم بذلك قد أدى ما وجب عليه من البيان، وقد أخبر الله

---

(١) وفتح الباري (٨/ ٥٩٦).

تعالى أنه أنزل القرآن: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ ليفهمه كل أحد، ويعقله كل متعقل، ويؤمن به كل من أراد الإيمان، وقد عُلم أن المتكلم بهذا الحديث أفصح الناس كلامًا وأعلمهم بيانًا، وأنصحهم لأمته، وأحرصهم على إيصال الحق للخلق، فيستحيل أن يكون ظاهر كلامه باطلًا أو يوهم التحريف والتأويل[١].

فعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: (**الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله**)[٢] فدل ذلك على أن للرب تعالى قدمين تليقان بجلال وجهه وعظيم سلطانه، خلافًا لما ذهب إليه المعطلة من نفي هذه الصفة عن الله تعالى.

قال ابن خزيمة رَحِمَهُٱللَّهُ (ت٣١١): «باب ذكر إثبات الرجل لله عَزَّوَجَلَّ، وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا عَزَّوَجَلَّ التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ، قال الله تعالى يذكر ما يدعو بعض الكفار: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، فأعلَمَنا ربُّنا جلَّ وعَلا أنَّ من لا رِجل له ولا يدَ ولا عينَ ولا سمع فهو كالأنعام بل هو أضل»[٣].

---

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ١٥٦).

(٢) أخرجه أبو سعيد الدارمي في «الرد على المريسي» (٤٢٥) والحاكم في المستدرك وقال، صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي (٢/ ٢٨٢).

(٣) كتاب التوحيد وإثبات صفات الله عز وجل (١/ ٢٠٢).

المطلب الرابع
صفة جهنم والعياذ بالله وكيفية دخول أهلها فيها
وما يتعلق بذلك

أولاً: صفة جهنم والعياذ بالله:

ذكر الله تعالى النار في كتابه ووصفها على لسان رسوله ﷺ، فقال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعارج: ١٥- ١٦]، وقال ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ۝٢٩﴾ [المدثر: ٢٧-٢٩]، وقال سبحانه: ﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥﴾ [الهمزة: ٤-٦].

فوصفها سبحانه بأنها تنزع الشّواة -وهي جلدة الرأس- من شدة حرارتها -والعياذ بالله-، وأنها لواحة للبشر؛ أي مغيّرة لهم من حرارة لهيبها واحتمائها، ووصفها بأوصاف أخرى كلها تدل على شدة حرارتها وقوة عذابها حتى لا يطيقه أي أحد، وتوعد بها العصاة والكافرين، ردعًا لهم ونهيًا عن ارتكاب معاصيه والكفر به سبحانه، فأوعد الكافرين وخوّف الطغاة والمتمردين والعصاة، فقال سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

وأما من السنة فقد روى الترمذي (ت٢٧٩) بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت، ثم أوقد**

عليها ألف سنة حتى أبيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة)(١).

وروى مسلم (ت٢٦١) بسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **(ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من حر جهنم)، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: (فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا، كلها مثل حرها)**(٢).

وروى أيضًا بسنده عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبةً فقال النبي ﷺ: **(تدرون ما هذا؟)** قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **(هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها)**(٣).

۞ ثانيًا: كيفية دخول أهل النار النار:

أما دخول أهل النار النار، فقد أخبر الله تعالى في كتابه وفي سنة رسوله كيفية ذلك، فإن أهل النار إذا فرغوا من الحساب تتلقاهم الملائكة بسلاسل

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٥٩١) وقد صحح الترمذي وقفه وقال «حديث أبي هريرة في هذا الباب موقوف أصح، ولا أعلم أحدًا رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن أبي شريك».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، برقم (٢٨٤٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب «الجنة» باب «في شدة حر نار جهنم» برقم (٢٨٤٤).

من نار فتسحبهم إلى جهنم، قال تعالى: ﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ﴾ [غافر: ٧١-٧٢]؛ أي تغل أيديهم إلى أعناقهم.

قال التيمي (ت١٤٣): «لو أن غلًا من أغلال جهنم وضع على جبل لوهصه»[١]؛ أي أذابه.

وذكر أبو نعيم (ت٤٣٠) عن أبي عمران الجوني (ت١٢٨) قال: «بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس من شره في الدنيا فيوثقون بالحديد، ثم أمر بهم إلى النار»[٢].

ومنهم من يدخل النار مشيًا على وجهه، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا ﴾ [الفرقان: ٣٤].

ومنهم من يدفع إلى النار دفعًا، قال تعالى ﴿ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩ ﴾ [فصلت: ١٩].

ومنهم من يؤخذ بالنواصي والأقدام، قال تعالى: ﴿ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ٤١ ﴾ [الرحمن: ٤١] قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ في تفسير هذه الآية: يجمع بين رأسه ورجليه ثم يقصف -أي يكسر- كما يقصف الحطب»[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ٣٣٢).

(٢) التذكرة لابن نعيم (٥٠٥).

(٣) الترغيب والترهيب (٤/ ٤٨٨، ٤٨٩)

ومنهم من تأخذه الملائكة الزبانية لمقامع من حديد، قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١﴾ [الحج: ٢١].

وإن أهل النار يدخلون أفواجًا أفواجًا، قال تعالى ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١]، الزمر: جماعات، واحدتها: زمرة، وزمرًا متفرقة بعضها إثر بعض، وقيل: رفعًا وزجرًا[١].

وقال تعالى ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ [ص: ٥٩] قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هو أن القادة إذا دخلوا ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للقادة: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ﴾ يعني الأتباع، والفوج: الجماعة، ﴿مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ﴾ أي داخل النار معكم، قالت السادة: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡ﴾ أي لا اتسعت منازلهم في النار»[٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

۞ ثالثًا: دخول بعض العصاة النار:

العصاة من أمة محمد ﷺ يدخلون النار إذا ماتوا ولم يتوبوا، فيدخلونها إلى حينٍ ثم يخرجون، ويعذبون بقدر ذنوبهم التي اقترفوها في الدنيا، ثم إذا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٨٣).

(٢) المصدر السابق، (١٥/ ٢٢٣).

أُنقوا أخرجوا منها إلى الجنة.

قال عليه الصلاة والسلام: (**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**)[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (**يدخل أهل الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودّوا فيلقون في نهر الحياء –أو الحياة– شك مالك، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية؟**)[(٢)].

۞ رابعًا: المُلقَون في نار جهنم:

توعّد الله كلّ مشركٍ وكافرٍ وعاصٍ بدخول النار إن كان من الإنس أو الجن، فقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أن النار للثقلين وليس للإنس فقط، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، برقم (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، برقم (٢٢).

يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦].

وذكر الجن في آية أخرى فقال: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن: ١٥] والقاسطون هم الكفرة من الجن.

وقد دلت الآيات الكريمات أن وقود النار هم الإنس والجن والحجارة، والحجارة في قوله تعالى: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤] قيل المراد بها: الأصنام التي كانت تُعبد لقوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. قال ابن مسعود (ت٣٢) ومجاهد (ت١٠٤) وأبو جعفر الباقر (ت١١٤) والسُّدّي (ت١٢٧): «هي حجارة من كبريت، زاد مجاهد، أنتن من الجيفة»[١].

۞ خامسًا: خلود أهل النار فيها:

بعد أن يخرج الله تعالى الموحدين من النار يخلو الدرك الأعلى منها ويبقى أهلها فيها ماكثين أحقابًا ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النبأ: ٢١-٢٣]؛ أي ماكثين في النار مادامت الأحقاب، وهي لا تنقطع، فكلما مضى حقب جاء حقب، والحُقُب بضمتين: الدهر، والأحقاب: الدهور وهي ثمانون سنة، وقيل أكثر من ذلك وأقل. والمعنى (لابثين فيها أحقابًا): الآخرة التي لا نهاية لها[٢].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، بتصريف يسير (٨/ ١٦٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٧٨).

وقال تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [هود: ١٠٧]؛ «أي مدة دوامها، وهذا عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع»[١].

وقال تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٤-٣٥]؛ أي اليوم نترككم في عذاب النار لقاء يومكم هذا؛ أي لقاء ترككم العمل له، والنار مسكنكم ومستقركم، ومالكم من ينصركم، ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله يعني القرآن، هزوًا: أي لعبًا، وخدعتكم الحياة الدنيا بأباطيلها وزخارفها، فظننتم أن ثَمّ ليس غيرها وأنكم لا تبعثون، فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يسترضون[٢].

۞ سادسًا: أصحاب الأعراف:

لما بيّن الله تعالى مكان أهل الجنة وأهل النار ذكر أن هناك حجابًا أو سورًا، وهو الحاجز الذي يمنع من وصول أهل النار إلى الجنة، قال تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ ﴾ [الأعراف: ٤٦]، قال ابن عباس وغيره: «الأعراف سور بين الجنة والنار، وعليه رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار»[٣]. وهو السور الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد: ١٣]، قال ابن

(١) روح المعاني (١٢/ ١٤٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٧٧، ١٧٨) بتصريف يسير.

(٣) الفتن والملاحم، لابن كثير (٤٢٠).

جرير الطبري (ت٣١٠): «والأعراف جمع عرف، وهوَ كل عالٍ مرتفع؛ لأنّه بظهوره أعرف من المنخفض، وإنما قيل لعرف الديك عرفًا لارتفاعه»[(١)].

واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف، وكلها قريبة إلى معنى واحد وهو: أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم[(٢)]، واختلف العلماء في تعيينهم على اثني عشر قولًا:

الأول: أنهم مساكين أهل الجنة.

الثاني: قوم صالحون فقهاء علماء، قاله مجاهد.

الثالث: الشهداء.

الرابع: فضلاء المؤمنين والشهداء.

الخامس: المستشهدون في سبيل الله، الذين خرجوا عصاة لآبائهم.

السادس: هم العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين.

السابع: هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم في كل أمّة.

الثامن: هم قوم أنبياء.

التاسع: هم قومٌ كانت لهم صغائر لم تكفر عنهم الآلام والمصائب في

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢١١).

(٢) انظر الفتن والملاحم (٤٢١)

الدنيا فوقفوا، وليست لهم كبائر، فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم فيقع في مقابلة صغائرهم[١].

العاشر: أصحاب الذّنوب العظام من أهل القبلة.

الحادي عشر: أنّهم أولاد الزنا.

الثاني عشر: أنّهم الملائكة موكلون بهذا السور يجيزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار[٢].

فإذا وقف أصحاب الأعراف على الصراط عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة سلّموا عليهم، وإذا صرفت أبصارهم إلى أهل النار: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٧] وتعوذوا بالله من منازلهم.

فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نورًا يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويعطى كل عبد مؤمن نورًا وكل أمة نورًا، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقه، وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع، فهنالك يقول الله تعالى: ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٦] فكان الطمع دخولًا[٣].

---

(١) المصدر السابق (٤٢٠) وانظر: نار الله الموقدة، لطارق مراد (٧٠، ٧١).

(٢) انظر: التذكرة (٣٧٢، ٣٧٤) بتصريف يسير.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٧، ٢٠٨) بتصريف يسير.

المطلب الخامس

إخراج الموحدين من النار

من رحمة الله تعالى بعباده أنه يغفر لهم ذنوبهم حتى وإن كانوا عصاة ما داموا موحدين، فقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تدل على إخراج الموحدين من النار بأسباب عدة، وقد آمن أهل السنة والجماعة بجميعها، لكن خالفت بعض الفرق في بعضها فأنكرها بعضهم وحرفها آخرون، لمخالفتها معتقدَهم في أهل الكبائر من الموحدين.

فيخرج الله تعالى من تمحصت ذنوبه ونال عقابه في النار منها برحمته سبحانه. فالله تعالى يمن على من تاب، ويدخل عباده الجنة برحمة منه، لا بأعمالهم، يقول النبي ﷺ: (**لن ينجي أحدا منكم عملُه، قال رجل: ولا إياك يارسول الله ؟ قال: ولا إياي إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، ولكن سددوا**)[(١)]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (**سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدَكم عملُه الجنة، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**)[(٢)].

ومعنى «**سدِّدوا**»: اقصدوا السداد، واطلبوه، واعملوا به في الأمور، وهو

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، برقم (٢٨١٦)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، برقم (٦٤٦٤).

القصد فيها دون التفريط ودون الغُلو[1]، فالسداد هو الاستقامة، وهو القصد في الأمر والعدل فيه[2].

قال ابن رجب (ت٧٩٥): «السداد: هو حقيقةُ الاستقامة، وهو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد، كالذي يرمي إلى غرضٍ، فيُصيبه»[3].

«وفي قوله ﷺ: (سدِّدوا) أمرٌ بالسداد؛ أي: ابْلُغوا بأعمالكم درجةَ السداد والصلاح، والأمر يفيد الوجوب[4]، ما لم يأتِ صارف، وما دام السدادُ في الأمور واجبًا، فهذا يفيد وجوبَ القصد والاعتدال فيما طلبه الشرعُ منَّا؛ أي: وجوب الاستقامة؛ كما قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢]، والمعنى: فاستقمْ كما أمرك ربُّك في كتابه، فاعتقِد الحقَّ، واعمل الصالح، واترُك الباطل، ولا تعمل الطالح أنت ومَن معك من المؤمنين؛ ليكونَ جزاؤُكم خيرَ جزاء يوم الحساب والجزاء»[5].

واكتفاءُ الشرع بالمقاربة دون السداد عند عدم القدرة على فعْل السداد =

---

(١) انظر مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (٢ / ٢١٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير(٢ / ٣٥٢).

(٣)«جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٥١٢).

(٤)«إرشاد الفحول» للشوكاني (١/ ٢٥٠).

(٥)«أيسر التفاسير»للجزائري (٢/ ٥٨٤).

دليلٌ على أن الشرع لا يريد من العبد إلا ما يُطيق ويستطيع ويتحمَّل، ولا يريد الشرعُ من العبد ما يشقُّ عليه مشقةً غير معتادة لا يستطيع تحمُّلها؛ إذ الشرع لا يقصِد بالتكليف المشقةَ، بل يقصد ما في التكليف من المصالح التي تعود على المكلَّف، فإذا اختلَف عليك طريقان للعبادة، فإن أيسرَهما أقربُهما إلى الله، وكون الإنسان يذهب إلى الأصعب مع إمكان الأسهل، هذا خلافُ الأفضل؛ فالأفضل اتِّباع الأسهل في كل شيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٢٨): «ومما ينبغي أن يُعرَف أن الله ليس رضاه أو محبتُه في مجرد عذاب النَّفس وحملِها على المشاقِّ، حتى يكون العملُ كلما كان أشقَّ كان أفضل، كما يحسب كثيرٌ من الجُهال أن الأجرَ على قدر المشقَّة في كل شيء، لا، ولكن الأجر على قدر منفعةِ العمل، ومصلحته، وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله، فأيُّ العملين كان أحسن، وصاحبه أطوع وأتبع = كان أفضلَ؛ فإن الأعمالَ لا تتفاضل بالكثرة، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل»[١].

وقول النبي ﷺ: (**فإنه لا يُدخِل أحدًا الجنةَ عملُه**)، ليس فيه نفي فائدةِ العمل الصالح كما توهَّم البعض، ولكن فيه أن العملَ الصالح لا يوجب دخولَ الجنة لذاته؛ ردًّا على المعتزلة القائلين: إن العملَ الصالح يوجب دخولَ الجنة لذاته، وصاحب العمل الصالح يستحق أن يُدخلَه اللهُ الجنةَ. ليس فيه نفي أن يكون العملُ سببًا لدخول الجنة، ولكن يفيد عدم الاعتماد

---

(١)«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٥/ ٢٨١، ٢٨٢).

والاتِّكال على العمل في دخول الجنة، ويفيد أن مجردَ السبب لا يوجب حصولَ المسبَّب.

وكون العمل الصالح لا يُدخِل الجنةَ، فهذا لا يستلزم ألا يكونَ العملُ الصالح سببًا لدخول الجنة. قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبَّب؛ فإن المطر إذا نزل وبُذِر الحب، لم يكن ذلك كافيًا في حصول النبات، بل لا بد من ريحٍ مُربية بإذن الله، ولا بدَّ من صرْف الانتفاءِ عنه؛ فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع، وكلُّ ذلك بقضاء الله وقدره، وكذلك الولد لا يولد بمجرد إنزالِ الماء في الفرج، بل كم مَن أنزل ولم يولَد له؛ بل لا بد من أن اللهَ شاء خَلْقه، فتَحْبَل المرأةُ وتُربيه في الرحم، وسائر ما يتم به خَلقه من الشروط وزوال الموانع»[1].

وقول النبي ﷺ: (**إلا أن يتغمدَني اللهُ بمغفرة ورحمة**)، يفيد تركَ الاعتماد على الأعمال، والرُّكونِ إليها، والطمع في عفوِ ورحمة ذي الجلال والإكرام.

ودخول الجنة -بعد رحمة الله- قد يكون بشفاعة الشافعين، إما أن يشفع النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء والرسل أو الملائكة أو صالح المؤمنين.

والمراد بالشفاعة:

في اللغة: «ضم شيء إلى شيء، به يصير الشيء زوجًا بعد أن كان

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٧٠).

منفردًا، فالواحد يسمى فردًا، والاثنان شفعًا، وسمى الشفيع شفعيًا؛ لأنه يضم صوته إلى صوت طالب الشفاعة فيكون اثنان، صوته وصوت طالب الشفاعة، فالشفع في اللغة معناه ضد الوتر، وهي أن يكون الشيء زوجًا بعد أن كان منفردًا»[١]

وفي **الاصطلاح**: مساعدة ذي الحاجة صاحب الحاجة عند من يطلب الحاجة[٢].

والشفاعة أنواع يوم القيامة، منها ما اتفق عليه المسلمون، ومنها ما خالف فيه بعض الفرق بين غلاة ونفاة.

وقد ذكر العلماء أنواع الشفاعة بناء على الأدلة من الكتاب والسنة.

فهناك شفاعة خاصة بالنبي ﷺ، وهناك شفاعة من الملائكة، وهناك شفاعة من صالحي المؤمنين.

أما الخاصة بالنبي ﷺ،فأربعة أنواع:

١-الشفاعة العظمى في أهل الموقف يوم القيامة، وهي المقام المحمود، وهي التي قال فيها الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وهي عامة للمؤمنين والكفار حتى يستريحوا من موقف

(١)«لسان العرب» لابن منظور (٨/ ١٨٣)

(٢) انظر «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير(٢/ ٤٨٥)، و«شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٢/ ١٦٨).

القيامة؛ وذلك أن الناس إذا بعثهم الله من قبورهم حفاة عراة غرلًا وقفوا بين يديه للحساب، وتدنو الشمس من الرؤوس، ويزاد في حرارتها، ويقف الناس هذا الموقف العظيم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويبلغ الناس من الشدة ما الله به عليم، فيأتون أولي العزم من الرسل فيعتذرون منها، حتى ينتهي بهم إلى نبينا محمد ﷺ، فيطلبون منه الشفاعة، فيقول: **(أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجدًا، فيقال: يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يارب، أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد.....)**[1].

٢- الشفاعة لأهل الجنة للإذن لهم في دخولها، وهي خاصة به عليه الصلاة والسلام.

٣- شفاعة خاصة لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، وهذه الشفاعات خاصة بنبينا ﷺ.

٤- الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة.

هذه الشفاعات الأربع ما أنكرها أحد، أقر بها أهل السنة وأهل البدعة، وهناك شفاعات أخرى أنكرها أهل البدع، وهي:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم (٧٥١٠).

٥- الشفاعة فيمن استحق النار من العصاة ألا يدخلها.

٦- والشفاعة فيمن دخل النار من العصاة أن يخرج منها.

٧- والشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة ولا يدخلوا النار.

هذه الشفاعات أنكرها أهل البدع من الجهمية المعتزلة والخوارج وغيرهم.

٨-شفاعة النبي ﷺلمن سكن المدينة النبوية(١).

والنصوص التي فيها الشفاعة في إخراج العصاة -عصاة الموحدين- من النار بلغت حد التواتر، وقد تواترت النصوص بأن نبينا ﷺ، يشفع أربع شفاعات في كل مرة يحد الله له حدًّا يشفعه الله فيمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وفي بعضها نصف مثقال ذرة وبعضها أدنى من مثقال ذرة، وفي بعضها أدنى أدنى أدنى من مثقال ذرة من حبة من إيمان.

وكذلك الأنبياء يشفعون والملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والصالحون يشفعون، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة، فيخرجهم رب العالمين برحمته.

فإن النصوص في إخراج العصاة الموحدين متواترة، الذي لا يخرج من النار الكفرةُ، أما المؤمن العاصي، المؤمن الذي مات على التوحيد، لكنه

---

(١) انظر: «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة (١/ ١٣٤).

مات على كبائر من غير توبة فقد تواترت الأخبار بأنه يدخل النار، لكن لا يخلد فيها.

فأهل الكبائر الموحدون لهم شفاعة، ولا يخلدون في النار، وهناك بقية لا تنالهم الشفاعة، فيخرجهم رب العالمين برحمته، فيقول: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين، فيخرج قوما من النار لم يعملوا خيرا قط -يعني زيادة على التوحيد والإيمان-.

أما الكفرة فلا حيلة فيهم، من مات على الكفر الأكبر، أو الشرك الأكبر، أو النفاق الأكبر، فهذا لا حيلة فيه، ولا يدفع عنه عذاب الله أحد، ولو افتدى بملء الأرض ذهبًا، ما ينفعه كما قال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧].

أدلة الشفاعة من القرآن الكريم:

استدل أهل السنة والجماعة على ثبوت الشفاعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما أدلتهم من القرآن فكثيرة أذكر منها:

قال النووي في شرح مسلم: «قال القاضي عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلًا ووجوبها سمعًا، بصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩]، وقوله تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ

مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وأمثالهما»[١].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا)**[٢].

والإيمان بالشفاعة واجب فيجب أن يعتقد المسلم أن الله تعالى يشفع لعباده الموحدين والنبي ﷺ يشفع، وسائر الرسل، والأنبياء، والملائكة، والصحابة، والشهداء، والصديقين، والأولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون، وبقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون لثبوت الأخبار بذلك، وترادف الآثار على ذلك، وهو أمر جائز غير مستحيل، فيجب تصديقه، والقول بموجبه لثبوت الدليل وصحته.



(١) شرح مسلم للنووي (٣/ ٣٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، برقم(١٩٩)، والبخاري بالقطعة الأولى برقم (٦٣٠٤).

الخاتمة

الحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا على إتمام هذا البحث وقد توصلت فيه إلى جملة من النتائج، ومنها:

١- اشتمال حديث (لا تزال جهنم يلقى فيها) على العديد من المسائل العقدية المهمة التي يجب على المسلم الإيمان بها، خاصة أن الحديث وارد في الصحيحين، وقد تلقته الأمة بالقبول.

٢- إثبات صفة القدم والرِّجل لله تعالى حسب ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه.

٣- إيمان أهل السنة والجماعة بصفة القدم والرِّجل لله تعالى كما وردت في هذا الحديث من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

٤- أن جهنم -أجارنا الله منها- تتكلم وتقول: **(هل من مزيد)** حتى تمتلئ بوقودها من الناس والحجارة.

٥- إخراج الله تعالى الموحدين من النار برحمته وبشفاعة الشافعين.

٦- أن الكفار والمشركين من جميع الأمم لا تنفعهم شفاعة الشافعين، فلا يخرجون بشفاعة النبي ﷺ ولا بشفاعة غيره.

۞ التوصيات:

١- البحث في المسائل العقدية الواردة في الأحاديث.

٢- دراسة الآيات والأحاديث العقدية، والوقوف على ما تضمنته من معانٍ عظيمة، وجعلها حجة على المخالف، خاصة إذا كان الحديث واردًا في الصحيحين أو أحدهما.

٣- وجود أحاديث عقدية كثيرة لم يوقَف عليها، ولم تُستخرَج معانيها، رغم اشتمالها على معانٍ عظيمة، فيُستشهد بها فقط دون دراستها.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي صالحًا ولوجهه خالصًا، وأن ينفع به، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس المصادر

- إرشاد الفحول للشوكاني، تحقيق: أحمد عناية، دارا لكتاب العربي، الطبعة الأولى، (١٤١٩-١٩٩٩م).

- اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي بكر الإسماعيلي، قرأه وعلق عليه د.جمال عزون، دار المنهاج، السعودية، الطبعة الأولى (١٤٣٠).

- إكمال المعلم بشرح مسلم للقاضي عياض، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ودار الرشيد، الرياض.

- أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري، (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م).

- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى مذهب الحق من أصول التوحيد لابن الوزير اليماني، دار الكتب العلمية، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الأخرة، للقرطبي، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، (١٤٣٤-٢٠١٣م).

- الترغيب والترهيب، للمنذري، مكتبة المعارف (١٤٢٤).

- تفسير ابن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٨-١٩٩٧م).

- تفسير الطبري، تحقيق التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الطبعة الأولى، (١٤٢٢- ٢٠٠١).

- تقريب التدمرية، للشيخ ابن عثيمين، مدار الوطن، طبعة عام

(١٤٣٢).

- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق التركي، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، (١٤٢٤- ٢٠٠٤م).

- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق حسن السقاف، دار الإمام الرواس، بيروت، لبنان.

- روح المعاني، للألوسي، تحقيق علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

- الرد على المريسي، للدرامي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية.

- سنن الترمذي، تحقيق بشار معروف، دار العرب الإسلامي (١٩٩٦م).

- شرح أصول الاعتقاد، لهبة الله اللالكائي،تحقيق د.أحمد سعد حمدان، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثامنة (١٤٢٣/ ٢٠٠٣م).

- شرح العقيدة السفارينية، للشيخ ابن عثيمين، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى (١٤٢٦).

- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق: عبدالله التركي،

وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، (١٤٢١-٢٠٠٠م).

- شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، المملكة العربية السعودية (١٤٢٤هـ).

- شرح صحيح مسلم للنووي، مؤسسة قرطبة، (١٤١٤-١٩٩٤م).

- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان، دار لينة، الطبعة الثالثة، (١٤١٩-١٩٩٨م).

- صحيح مسلم، دار الكتب.

- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٤-١٩٩٣م).

- صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

- عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، لابن العربي، دار العلم، سوريا.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقمه محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة السلفية.

- الفتن والملاحم، لابن كثير، دار ابن حزم (١٤٣٢-٢٠١١م) بيروت.

- الفقه الأكبر المنسوب لابي حنيفة، دار الكتب العلمية، بيروت.

- القول المختار في حديث (تحاجت الجنة والنار)، لمحمد البرزنجي، تحقيق العربي الدائز الفرياطي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٤-٢٠٠٣م)

- الكشاف، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٧هـ).

- لسان العرب، لابن منظور، دار الفكر، بيروت.

- لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، شرح ابن عثيمين، أضواء السلفاء، الطبعة الثالثة، (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).

- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابن محمد الطبعة الأولى، (١٣٩٨).

- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية،للدكتور إبراهيم البريكان، دار السنة، الخبر، السعودية، الطبعة الخامسة (١٤١٨-١٩٩٧).

- المستدرك للحاكم وبذيله، تلخيص المستدرك، للذهبي، دار الفكر بيروت، (١٣٩٨-١٩٧٨م).

- مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الخامسة، (١٤٠٥- ١٩٨٥م).

- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، المكتبة

العتيقية، تونس، (١٩٨٧م).

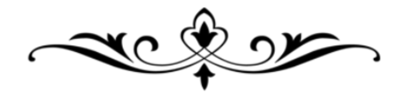
- مشكل الحديث وبيانه، ابن فورك، تحقيق موسى محمد علي، دار الكتب الحديثة، مصر.

- منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة القدرية، لابن تيمية، دار الفكر، الطبعة الثانية، (١٤١١- ١٩٩١).

- نار الله الموقدة، لطارق مراد، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٢٢-٢٠٠١م).

- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق: الزاوي، والطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

- **المواقع الإلكترونية**: موقع الدرر السنية.



فهرس الموضوعات






خوف السرّ
من غير اللّه تعالى
مفهومه - حكمه - أسبابه - علاجه

د. عبدالعزيز بن جليدان هاجد الظفيري

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة،
كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد.

فالبحث متعلّقٌ بمسألة مهمة حصل فيها خلل لدى كثير من الناس، وورد ذكرها في كتاب الله تعالى، وهي خوفهم من غير الله تعالى خوفَ السر، وقد دعا الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أقوامهم لأن يخلصوا هذه العبادة لله وحده، وفي هذا البحث تناولت ما يتعلق بالموضوع وفق خطة وضعتها في مقدمة البحث وهي على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم خوف السر وأسماؤه، ذكرت فيها أهم أسماء خوف السر ومفهومه، والفرق بين خوف السر وباقي أنواع الخوف.

وأما **المبحث الثاني**: ففي حكم خوف السر من غير الله تعالى وضرره، نقلت النصوص الدالة على كون هذا الخوف شرك بالله تعالى، وأهم الأضرار الناتجة عن هذا الخوف.

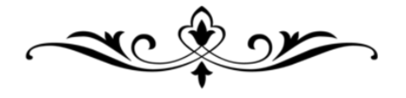
وأما **المبحث الثالث**: ففي أساب الخوف من غير الله تعالى، وقد ذكرت فيه أهم الأسباب المؤدية إلى الخوف من غير الله تعالى، وجعلتها في ثلاثة مطالب وهي: الشيطان. الكذب والحكايات الباطلة. عدم استشعار عظمة الله تعالى.

وأما **المبحث الرابع**: ففي علاج الخوف من غير الله تعالى، وقد ذكرت فيه أربعة مطالب: معرفة أسماء الله تعالى وصفاته. معرفة ما عليه المخلوق المربوب من الضعف والحاجة لخالقه. التوكل على الله تعالى. النظر في سيرة الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين.

الخاتمة، وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث.

د. عبدالعزيز بن جليدان الظفيري

al_samen@hotmail.com



Secret fear for others then Allah – its understanding, ruling, reasons and cure

Dr. Abdulaziz bin Julaydan adh-Dhafiri

Saudi academic, associate professor, at the Department of Creed in the Islamic University

Abstract

All praise is due to Allah and may Allah esteem and send peace to Allah's messenger.

To proceed:

This study deals with an important issue that many people make mistakes in and is mentioned in Allah's book and it is that they fear others then Allah with a secret fear. The prophets called their people to be sincere in their worship to Allah alone. I mentioned in this research issues related to this subject in accordance to the research plan that I mentioned in the preface, and it is as follows:

The first chapter: the understanding of secret fear and its names. I mentioned in this chapter the most important names of secret fear and its concept, as well as the difference between secret fear and the other categories of fear.

The second chapter: the ruling of secret fear of others then Allah and its harms. I mentioned texts proving that this kind of fear is *shirk* and the worst of its harms.

The third chapter: the reasons for fearing others then Allah. I mentioned the most important reasons that lead to fearing others then Allah. I divided this chapter into three subchapters, and they are: Shaytan, fabricated and false stories and not being consciences of Allah's greatness.

The fourth chapter: curing the fear of others then Allah. I divided this chapter into four subchapters: having knowledge of the Names and Attributes of Allah. Knowing the weakness of the creation and the need, it has for its Creator. To have trust to Allah. Looking in to the biographies of the prophets, messengers and the righteous slaves of Allah.

The prologue: and I mentioned in it the most important results that I concluded during the research.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن الله تعالى خلق الإنس والجن لعبادته وحده لا شريك له، ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأقام الحجج والبينات على من خالف أمره وارتكب نهيه، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وإن من جملة العبادات التي أمرنا الله تعالى بإخلاصها له هي عبادة الخوف منه جل وعلا، فإنها من العبادات القلبية العظيمة، حيث إنها «من أجلّ منازل الطريق وأنفعها للقلب وهي فرض على كل أحد»[(١)]، وهي «من أفضل مقامات الدين وأجلها وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى»[(٢)]، وقد تكاثرت الأدلة التي تدل على أهمية تلك العبادة، وتحريم صرفها لغير الله تعالى، وإقامة الحجج من قبل الأنبياء والمرسلين على أقوامهم في وجوب إخلاصها لله تعالى وحده، كما تناولها العلماء بالبيان

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٤٨).
(٢) فتح المجيد (ص/ ٣٣٢).

والإيضاح، وكذا الرد على المخالفين فيها، وأوضحوا للناس خطورة الخوف من غير الله تعالى.

وإن مما يؤسف له وقوع كثير من المنتسبين إلى الإسلام في مخالفة تلك النصوص الآمرة بالخوف من الله تعالى وحده -خوفَ السر-، وأصبحوا يخافون من غير الله تعالى خوفَ الضر الذي لا يملكه مخلوق، بل هو من خصائص الألوهية، متشبّهين بالمشركين عبدة الأصنام وكذا النصارى، فتجد قلوبهم معلقة بالقبور والصالحين والأولياء والسحرة والكهان، معتقدين أن بيدهم النفع والضر، وأنهم يصيبون بالضر كلَّ من لم يصدّق بهم ويسفّه معبوداتهم، أو من لم يتوجه إليهم بالعبادة والتقرب، ولذا كثر زوار المقابر والمشاهد مستنجدين بها، مستغيثين بها، يدْعونها من دون الله، تارة راغبين، وتارة راهبين، ومما يدلك على عظم الفتنة بها أنهم يفْدون مقدَّسيهم بأنفسهم وأهليهم وأموالهم، كل هذا خوفًا منها، وقد أغفلوا التوحيد الذي من أجله خلق الله تعالى الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وقد ساعد على نشر هذا الضلال: منحرفون يخوفون الناس من غير الله تعالى، مستخدمين وسائل شتى في تغرير الناس بهم، مع تزيين الشيطان لهم هذا.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: «وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور، فإنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون اللهَ، بل أشد»[1].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٥).

ولم يكتف هؤلاء الضُّلّال بالشرك في هذا الخوف؛ حتى خوّفوا عباد الله الصالحين من تلك المشاهد والأضرحة، وزعموا أنها تصيب منتقصها وسابَّها ومن أغفل الالتجاء إليها بالضر، وهذا التخويف من غير الله تعالى عين ما وُجد لدى الأمم السابقة كما ذكر الله تعالى عنهم في كتابه، وكذلك عند الكفار الذين خرج فيهم النبي ﷺ؛ فخوفوا الأنبياء والمرسلين من معبوداتهم وزعموا أنها تصيبهم بالضر؛ إرجافًا وردًّا للحق الذي جاء به الأنبياء والمرسلون عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

وأما أهل التوحيد والسنة فالتجأوا إلى ربهم وخالقهم فلم يصرفوا عبادة الخوف لغيره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، وهم متقيدون بما أمرهم الله به؛ حيث قال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقد أوضح الله تعالى أحقيته بهذه العبادة، وبين أن تلك المعبودات -التي خوفوا بها أنبياءه ورسله- لا تملك لنفسها النفع والضر، فكيف ينفعون أو يضرون غيرهم؟!

وأحببت أن أدرس تلك المسألة العظيمة؛ وهي: الخوف من غير الله تعالى -خوف السر-، نصحًا لله ولرسوله ولكتابه، وليكون تحذيرًا

للمسلمين من خطورة صرف هذه العبادة لغير الله تعالى، وتحذيرًا من الوسائل المؤدية إليها، وبيان السبل الشرعية والتي سار عليها الأنبياء والمرسلون لعلاج ما وقع فيه الكثير منهم.

وقد آثرت تسمية البحث بـ: (**خوف السر من غير الله تعالى: مفهومه – حكمه – أسبابه – علاجه**) لأن هذا الاسم -وهو خوف السر- أشهر الأسماء التي أطلقت عليه كما سيأتي بإذن الله تعالى، وأسأل الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، كما أسأله أن يرد المسلمين إليه ردًّا جميلًا وأن يقيَهم الشرك والبدع والمعاصي.

۞ خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فأشرت فيها إلى أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجي فيه.

وأما **التمهيد** ففي عبادة الخوف وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الخوف.

المبحث الثاني: أنواع الخوف.

وأما المباحث فهي على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم خوف السر وأسماؤه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم خوف السر.

المطلب الثاني: أسماؤه.

المبحث الثاني: حكم خوف السر من غير الله تعالى وضرره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم خوف السر من غير الله تعالى.

المطلب الثاني: ضرر خوف السر من غير الله تعالى.

المبحث الثالث: أساب الخوف من غير الله تعالى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشيطان.

المطلب الثاني: الكذب والحكايات الباطلة.

المطلب الثالث: عدم استشعار عظمة الله تعالى.

المبحث الرابع: علاج الخوف من غير الله تعالى، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معرفة أسماء الله تعالى وصفاته.

المطلب الثاني: معرفة ما عليه المخلوق المربوب من الضعف والحاجة إلى خالقه.

المطلب الثالث: التوكل على الله تعالى.

المطلب الرابع: النظر في سيرة الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين.

الخاتمة وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث.

۞ منهج البحث:

سرت في كتابة هذا البحث على وَفق المنهج الوصفي التحليلي، وقد قمت بما يلي:

١-عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب البحث.

٢-تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها من كتب السنة؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما، وإلا فإني أخرجه من مظانه من كتب السنة ناقلًا حكم بعض أهل العلم عليه.

٣-أذكر اسم الكتاب في الغالب مختصرًا أو باسم الشهرة.

٤-حيثما أطلقت الخوف فإني أريد به خوف السر، الذي هو شرك بالله تعالى، إذ إنه مقصود البحث.



التمهيد

عبادة الخوف

المبحث الأول

تعريف الخوف

الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع، يقال: خفتُ الشيء خوفًا وخيفة. والياء مبدلة من واو لمكان الكسرة[١].

قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخوف: الفزع، خافه يخافه خوفًا وخيفة ومخافة. قال الليث: خاف يخاف خوفًا، وإنما صارت الواو ألفًا في يخاف؛ لأنه على بناء عمِل يعمَل، فاستثقلوا الواو فألقوها، وفيها ثلاثة أشياء: الحرف والصرف والصوت، وربما ألقوا الحرف بصرفها وأبقوا منها الصوت، وقالوا: يخاف، وكان حدّه يَخْوَف بالواو منصوبة، فألقوا الواو واعتمد الصوت على صرف الواو، وقالوا: خاف، وكان حدّه خوِف بالواو مكسورة، فألقوا الواو بصرفها وأبقوا الصوت، واعتمد الصوت على فتحة الخاء فصار معها ألفًا لينة، ومنه التخويف والإخافة والتخوف، والنعت خائف وهو الفزع»[٢]، ومما قيل في تعريف الخوف: إنه «اضطراب القلب

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٠).

(٢) لسان العرب (٥/ ١٧٩).

وحركته من تذكر المخوف»[١]، وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريفه: «الخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقّع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضاد الخوف: الأمن»[٢].

وهناك ألفاظ مقاربة للخوف كالوجل والخشية والرهبة[٣].

والخوف عبادة من أجلّ العبادات، ولذلك سيأتي أن هذا النوع من الخوف يسمى بخوف العبادة، والأدلة التي تدل على أن الخوف عبادة كثيرة؛ منها:

١-قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وهذا الأمر للوجوب، وهو دليل على أن الخوف عبادة من العبادات، وتوحيد الله تعالى بهذه العبادة: توحيد، وإشراك غير الله تعالى معه في هذه العبادة شرك، ولذلك نهى عن إنزال عبادة الخوف بغيره[٤]، قال الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: «فأمر تعالى بإخلاص الخوف له، وأخبر أن ذلك شرط في الإيمان، فمن لم يأت به؛ لم يأت بالإيمان الواجب، ففيه أن إخلاص الخوف لله من الفرائض»[٥].

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٤٩).
(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص/ ٣٠٣).
(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٤٩).
(٤) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٧٠).
(٥) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٧).

٢-قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، وقد حصر الله تعالى عُمّار المساجد بصفات؛ منها أنهم لا يخشون إلا الله، وكان فيها حصرٌ من وجهين؛ الأول: النفي: في قوله: (ولم يخش)، والثاني: الإثبات: في قوله: (إلا الله)، والمعنى: أن خشيته انحصرت في الله عَزَّوَجَلَّ فلا يخشى غيره[1]، فهذا الحصر يدل على أن الخوف من الله تعالى عبادة، وإلا لم تكن من صفات عُمّار المساجد الذين يعمرونها حسًّا ومعنى.

٣-قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهذا كذلك نهي عن الخشية من الناس ووجوب الخشية منه وحده جل وعلا، فالخشية منه تعالى علامة على إيمان العبد، فهي من العبادات المحبوبة لله تعالى.

٤-قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وهذا أمر بإخلاص هذه العبادة لله جل وعلا.

إلى غير ذلك من النصوص، وسيأتي ذكر نصوص أخرى عند الحديث عن حكم الخوف من غير الله تعالى[2].

---

(١) انظر: القول المفيد (٢/ ١٧٠).

(٢) انظر: (ص/ ٢٠).

المبحث الثاني
أنواع الخوف

ينقسم الخوف عمومًا إلى أقسام، فمنه ما هو محمود، ومنه ما هو جائز، ومنه ما هو محرم، ومنه ما هو خروج من الملة[(١)]:

١- أما الخوف المحمود: فأهله هم المؤمنون الذين خافوا الخوف الشرعي، وهو الخوف من الله تعالى ووعيده الذي توعّد به العصاة، وهو خوف ينشأ عنه الانقياد للشرع بفعل الواجبات وترك المحرمات، وهو فرض على كل أحد[(٢)]، وقد جاء هذا كثيرًا في كتاب الله تعالى كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]، وقوله: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فوعد بنصر الدنيا وبثواب الآخرة لأهل الخوف، وذلك إنما يكون لأنهم أدوا الواجب، فدلّ على أن الخوف يستلزم فعل الواجب، ولهذا يقال للفاجر: لا يخاف الله»[(٣)]، وهذا

---

(١) انظر في أنواع الخوف: الجامع لشعب الإيمان (٢/ ٤٠٨، و٥٦٣)، والفروق للقرافي (٤/ ٤٠٠)، ومدارج السالكين (١/ ٥٥١)، ونكت القرآن (٢/ ٢٨٦ ، و٢٩٠)، وتيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٤)، وفتح المجيد (ص/ ٣٣٢)، وحاشية كتاب التوحيد (ص/ ٢٤٤)، والعذب النمير (٥/ ٣٣٣-٣٣٤)، والدر النضيد على أبواب التوحيد (ص/ ٢٦٨)، والقول المفيد (٢/ ١٦٦)، وإعانة المستفيد (٢/ ٦٥)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص/ ٨٤)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٦٦)، وشرح فتح المجيد للشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ٤٣٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٤٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢).

الخوف من أعلى مراتب الإيمان[١]، ومن أجلّ منازل الطريق وأنفعه للقلب[٢]، وهو خوف محمود ما لم يوصِل إلى القنوط واليأس من رحمة الله تعالى، قال شيخ الإسلام: «هذا الخوف ما حجزك عن معاصي الله، فما زاد على ذلك فهو غير محتاج إليه»[٣].

ومنه الخوف من عدم قبول الله تعالى للعبادة، وهذه المرتبة ممدوحة في الشرع كذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، **فعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَهُمُ الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يُقبَل منهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾** [المؤمنون: ٦١][٤].

٢- الخوف الجائز: وهو الخوف الذي لا يحاسب اللهُ تعالى به العبدَ، إذ إنه تعالى لا يكلف نفسًا إلا وُسعها، وهذا الخوف منه، ويسمى بالخوف الطبيعي، وهو خوف عادي، كالخوف من السبُع والخوف من الظالم الطاغي، ونحو ذلك، وقد يقع هذا من خيار عباد الله تعالى من الأنبياء

---

(١) انظر: حاشية كتاب التوحيد (ص/ ٢٤٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٤٨).

(٣) نقله عنه ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٤١٠)، وانظر: (١/ ٥٥١) منه.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه، ك: تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنين، (ص/ ٧١٨-٧١٩)، رقم (٣١٧٥)، وابن ماجه في سننه، ك: الزهد، باب: التوقي على العمل، (٢/ ١٤٠٤)، رقم (٤١٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٨٧).

والمرسلين ومن الصالحين، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخوف من الأعداء سنة الله في أنبيائه وأوليائه مع معرفتهم به وثقتهم»[١]، وهذا الخوف لا يحاسب الله تعالى الناس عليه، إذ إنه يكون بطبيعة الإنسان وبأسباب عادية، ومثال هذا في القرآن الكريم: قول الله تعالى في موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ١٨]، وقوله فيه أيضًا: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١].

٣- الخوف المحرم: وهو أن يخاف من مخلوق في امتثال واجب أو البعد عن المحرم، كأن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوفه من الناس، فيسعى لرضا المخلوق بما يجلب له سخط خالقه ومليكه، ويسميه بعض العلماء بـ(الخوف الدنيوي)[٢]، وقد يحكم عليه بعض العلماء بأنه من الشرك الأصغر[٣]، لأنه آثر رضا المخلوق على رضا الله تعالى وتقرب إليه بما يسخط الله[٤].

وهذا الخوف المذموم المحرم ليس فيه إكراهٌ للخائف، وإنما فيه أنه يخاف من إظهار الشعائر بسبب مخافة الذم أو السب، فيسعى لرضا المخلوق بسخط الخالق، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو هدده إنسان على فعل محرم

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٦٨).

(٢) العذب النمير (٥/ ٣٣٣-٣٣٤).

(٣) انظر: كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب (ص/ ٢٤)، وفتح المجيد (ص/ ٣٣٢)، والدر النضيد على كتاب التوحيد (ص/ ٢٧١)، وإعانة المستفيد (٢/ ٦٨)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص/ ٨٥)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٦٩).

(٤) انظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص/ ٢٧١).

فخافه وهو لا يستطيع أن ينفذ ما هدده به فهذا خوف محرم، لأنه يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر»(١)، وأما الخوف الذي يكون منشؤه الإكراه فإنما يكون من حي قادر على أذيته، وهو الذي يعفى عنه، والإكراه هو: إلزام الغير بما لا يريده(٢)، وذكر الحافظ ابن حجر أربعة شروط للإكراه، هي:

الأول: أن يكون فاعله قادرًا على إيقاع ما يهدد به، والمأمور عاجزًا عن الدفع ولو بالفرار. الثاني: أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك.

الثالث: أن يكون ما هدّده به فوريًّا، فلو قال: إنْ لم تفعل كذا؛ ضربتك غدًا، لا يعدّ مكرها، ويستثنى ما إذا ذكر زمنا قريبًا جدًّا، أو جرت العادة بأنه لا يُخلِف.

الرابع: أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره، كمن أكره على الزنا فأولج؛ وأمكنه أن ينزع، ويقول: أنزلت فيتمادى حتى ينزل، وكمن قيل له: طلق ثلاثا، فطلق واحدة، وكذا عكسه(٣).

٤- الخوف الشركي: وهو خوف السر، ويسمى بخوف العبادة، وهو أن يخاف من غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، **وهو مقصود هذا البحث كما تقدم في منهج البحث،** وسيأتي –بإذن الله– ذكر الضابط الذي يصير به الخوف شركًا.

---

(١) القول المفيد (٢/ ١٦٦).

(٢) انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٢٦).

(٣) فتح الباري (١٢/ ٣٢٦).

المبحث الأول

مفهوم خوف السر وأسماؤه

المطلب الأول

مفهوم خوف السر

تنوعت عبارات أهل العلم في التعريف بخوف السر، فمن ذلك:

قول الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف خوف السر: «أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال»[١]، وفي موضع آخر قال: «ومعنى خوف السر: هو أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره»[٢]، وعرفه الشيخ صالح الفوزان حفظه الله بقوله: «أن يخاف الإنسان من غير الله من الأصنام والأوثان وما عُبِد من دون الله من القبور والأضرحة، أو خاف الشياطين والجن وتقرب إليهم بما يحبون من أجل أن يسلم من شرهم»[٣].

وأرى من الواجب الإشارة هنا إلى ضابط مهم في التفريق بين خوف السر وبين بقية أنواع الخوف الأخرى، لاختلاف الحكم، ولرفع الإشكال الذي يقع

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله (ص/ ٤٨٤).

(٢) المرجع السابق (ص/ ٤٠).

(٣) إعانة المستفيد (٢/ ٦٥)، وانظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص/ ٨٤).

لدى كثير من الناس حول التفريق بين تلك الأنواع وبين خوف السر:

والفرق هو: أن خوف السر معه اعتقاد استقلالية الـمَخوف بالضر والنفع، بسبب غير ظاهر؛ أي ليس بحسي، أو مشاركته لله بهذا، أو إعطاء الله تعالى له هذا كرامةً، وتعلق القلب به، والتقرب إليه، بطاعة باطنة، ولذا يرجو ما عنده ويخافه، كما أن فيه تأليهًا لذلك المخوف، وتقربًا بخوفه إليه، وعند أهل هذا الخوف اعتقاد وجود سر بين هذا المخوف وبين الرب تبارك وتعالى، وهو السبب الخفي الذي من أجله حصل الخوف، ولذا سمي هذا الخوف بخوف السر.

أما غيره من الأنواع فليس فيه تعبّد لغير الله تعالى، ولا ينصرف ذهن الخائف إلى أن المخوف يستقل بالنفع أو الضر، ولا يتعلق قلبه به، فهو خوف من أمر ظاهر، وسبب عادي لا خفي، وليس هو كذاك خوف السر الخفي، فإنه خوف من أمر غير ظاهر، وليس هو بسبب عادي، وبذلك يكون الضابط هو النظر إلى متعلَّق الخوف وأسبابه.

وتأمل ما سبق في بيان الشيخ سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ للخوف الشركي بأنه اعتقاد ضرر المخوف للعبد بأن يصيبه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره.

وللشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام نفيس له يذكر فيه الفرق بين خوف السر وبين غيره من أنواع الخوف الأخرى؛ إذ قال: «اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة، وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته؛ فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك

الخوف إلى من يخافه، وكان يدعو إلى طاعة باطنة، وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه؛ كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لأنه أشرك في هذه العبادة -التي هي من أعظم واجبات القلب- غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه من الله.

وأيضا فمن خشي الله وحده على هذا الوجه فهو مخلص موحد، ومن خشي غيره فقد جعل لله ندًّا في الخشية، كمن جعل لله ندًّا في المحبة، وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروهًا، أو يغضب عليه فيسلبه نعمة أو نحو ذلك، مما هو واقع من عباد القبور.

وإن كان الخوف طبيعيًّا كمن يخشى من عدو أو سبُع أو حية أو نحو ذلك **مما يخشى ضرره الظاهري،** فهذا النوع ليس عبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافي الإيمان، وهذا إذا كان خوفًا محقّقًا قد انعقدت أسباب الخوف فليس بمذموم، وإن كان هذا خوفًا وهميًّا كالخوف الذي ليس له سبب أصلًا، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء»[1]، وذكر هذا كذلك الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بعض العلماء[2].

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد (٣/ ٣٤-٣٥- ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(٢) العذب النمير (٥/ ٣٣٣-٣٣٤) باختصار.

وبعد هذا يتضح حكم المسألة المشهورة بمسألة خوف الجن والشياطين والسحرة ونحوهم، فإن كان الخوف منهم من أجل استقلالهم بالنفع والضر واعتقاد إصابتهم للناس بمحض مشيئتهم بل بأمر غير حسي، أو اعتقادهم أن لهؤلاء كرامة مكنهم الله من النفع والضر بسببها، وهو الذي يسمى بالسبب الخفي؛ فإن هذا شرك أكبر -على ما يأتي حكمه بإذن الله-، أما إن كان خوفه منهم من أجل مجرد إضرارهم بما جعله الله تعالى لهم من أنواع الضرر ومما جعله الله تعالى من الأمر الكوني القدري؛ فإن هذا خوف طبيعي، يكون من طباع البشر، فإن النفس مجبولة على الخوف من المؤذيات(1)، من جنسِ خوف العدو والسبع والسلطان الظالم، وليس في هذا خوف الاعتقاد أو النفع والضر، وقد ذكر الله تعالى أن السحرة يضرون الناس لكن هذا لا يكون إلا بإرادته الكونية القدرية، فقال: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وذكر الله تعالى هذا الخوف عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال جل وعلا: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: ٦٦-٦٨]، وهذا الخوف طبيعي بسبب بشرية موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على ما قاله بعض أهل العلم، قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلفوا في هذا الخوف على

---

(١) انظر: نكت القرآن (٢/ ٢٩٠).

قولين؛ أحدهما: أنه خوف البشرية، والآخر: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر، فلا يؤمنوا»[١].

وإن ما عليه الكثير من عباد القبور من خوفهم من معبوداتهم دون الله تعالى لهو داخل في الشرك الأكبر المخرج من الملة، فتجدهم يخافون من معبودهم أكثر من خوفهم من الله تعالى حتى إنه ليحلف بالله كاذبًا ولا يجرؤ على الحلف بمعظَّمه إلا صادقًا، وذلك لأنه يخاف من معظمه أكثر من خوفه من خالقه جل وعلا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا كثير في زماننا حيث إنهم يخافون ممن يزعمون سيادته وصلاحه وإمامته ويظنون أنه يصيب كل من لم يقدره أو ممن لا يخافه أو ممن لا يتقرب إليه، ويسمون هذا في بعض البلدان اليوم: «سرًّا»، أو «تشويرًا»، أو «تزبيبًا»، ونحو ذلك، يزعمون أنه بسبب ما يستقل به من النفع والضر أو لما وهبه الله إياه من الكرامة؛ يصيب غيره -ممن لم يخضع له أو يتقرب إليه ويعبده- في نفسه أو يصيبه في ولده[٢]، فأرهبوا كثيرًا من الناس وأكلوا أموالهم بالباطل، فوقعوا في الشرك الأكبر حيث صرفوا تلك العبادة -وهي الخوف- لغير الله تبارك وتعالى.

---

(١) تفسير السمعاني (٣/ ٣٤٠-٣٤١)، وانظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٠١)، ومنهاج السنة (٨/ ٤٦٧)، نكت القرآن (٢/ ٢٨٧)، وفتح المجيد (ص/ ٣٣٣)، وتفسير السعدي (ص/ ٥٩٢).

(٢) انظر: إعانة المستفيد (٢/ ٦٧).

وظهر بما تقدم الفروق العظيمة بين الخوف المحرم والخوف الشركي، ويمكن إيجازه فيما يلي:

أولًا: الخوف المحرم هو ترك ما يجب على العبد من الأمور الواجبة أو ارتكاب المحرم بلا عذر إلا الخوف من الناس، وأما الخوف الشركي فليس بلازم أن يكون هناك ترك للواجبات وفعل للمحرمات، بل قد يغرّ الشيطان أتباعه لأداء الواجبات عند أصحاب القبور؛ فيقيمون الصلوات وأنواعًا من العبادات، ويرابطون عند القبور، يطلبون منها المدد والبركات، ويدعونها دون الله تعالى ويخافونها.

ثانيًا: أن الخوف المحرم يكون ممن قد يتحقق ظلمه وأذيته للناس، أو أن يكون هذا مظنونًا عنده، فهذا الخوف يكون من الحي القادر الموجود، أما الخوف الشركي فيكون من أموات عاجزين أو أحياء غير حاضرين، زعم أنهم يعلمون ويضرون وينفعون ويعطون ويمنعون، بل ولهم تصرف في الكون، كالخوف من الأصنام والأوثان والقبور والأضرحة، أو الخوف ممن يُعتقد فيه السيادة والكرامة من الأحياء الغائبين الذين يضرون مباشرة بأنفسهم أو بكرامتهم كما زعموا.

ثالثًا: أن صاحب الخوف المحرم لا يعتقد استقلال المخلوق الذي خاف منه بالنفع والضر، ولا مشاركته لله في شيء من التصرف، ولا اعتقد أن لهذا المخوف كرامة ينفع ويضر بها فيكون سببًا، وقد يحمله على هذا

الخوف محبة رضا المخلوق وعدم سخطه، في حين أن الخوف الشركي فيه اعتقاد إما استقلالية المخوف منه بالنفع والضر بقدرته ومشيئته، أو بما وهبه الله إياه من الكرامة والسر؛ كما تقدم قريبًا في ذكر ضابطه، ولذلك خافوا من الأموات والغائبين العاجزين، وادعوا فيهم الكرامات والحكايات الباطلة.

رابعًا: أن الخوف المحرم يكون الخوف فيه من أمر ظاهر وسبب حسي عادي، في حين أن الخوف الشركي يكون من أمر خفي وسبب غير ظاهر، وهو سر جعله الله تعالى –بزعمهم- لهذا المخوف منه لكرامته أو على سبيل الاستقلال، ولذلك اشتهر هذا الخوف بخوف السر.

خامسًا: الخوف المحرم لم يفعله تقربًا إلى المخلوق الذي خافه، ولا طرأ له على بال، ولذلك لا يتوجه بالعبادة إلى هذا المخلوق، ولا يعظمه، وأما خوف الشرك فإن أمره متعلق بالعبادة والتعظيم لمن يخافه، ولذلك يسمى بخوف الاعتقاد والعبادة والتأله والتقرب والتعبد والتعظيم كما سيأتي.

سادسًا: أن الخوف المحرم عده بعض العلماء من قبيل الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة، وتقدم أن سبب ذلك هو لأنه قدّم رضا المخلوق على رضا الله تعالى وتقرب إليه بما يسخط الله تعالى، أما الخوف الشركي فهو شرك أكبر مخرج من الملة، لأنه صرف خالص حق الله تعالى وهو خوف العبادة إلى غيره.

المطلب الثاني
أسماؤه

عرف هذا النوع من الخوف خاصة -وهو الخوف من غير الله تعالى- بعدة أسماء ذكرها أهل العلم، وكلها تعود إلى ما تقدم في تعريفه، لكن هذه الأسماء تتعدد بحسب متعلقها وحكمها، فمن تلكم الأسماء:

١- **خوف السر**: واشتهر هذا الاسم كثيرًا في إطلاقات أئمة الدعوة وشراح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب، واهتموا بذكره في مصنفاتهم وحذروا منه، -بسبب انتشاره في ذلك الزمان إلى هذا اليوم- لا سيما عند شرحهم لباب: قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥](١).

وسبب تسمية «خوف السر» بهذا الاسم يرجع إلى ثلاثة أمور:

١- ما لدى المخوف منه من قدرة على النفع والضر -بزعمهم-، ويكون هذا بسرٍّ بين هذا وبين الله تعالى، وهم بهذا يريدون ربط القلوب بهؤلاء لما لهم من مكانة عند الله تعالى وسبب لا يعرف بالحس، يخاف منه من أجلها، وهو بهذا يكون خوفه من أمر جعله الله تعالى لهذا المخوف منه بسبب كرامته وولايته ونحو ذلك كما يدّعون، ويزعمون أن لهذا الولي القدرة على

---

(١) انظر: الدرر السنية (١/ ٦٢ ، ٢٧٠)،حاشية كتاب التوحيد (ص/ ٢٤٤)، والدر النضيد على أبواب التوحيد (ص/٢٦٨)، والقول المفيد (٢/١٦٦)، وإعانة المستفيد (٢/ ٦٥)، وشرح فتح المجيد للشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ٤٣٢)،

التصرف في الكون، فخوف السر إذن يكون بخوف الإنسان من المخوف منه «من أجل قدرة خاصة سرية، ليست حسب الحس، ولذلك يعتقد عباد القبور أن بعض الناس له القدرة على التصرف في الكون مع الله جل وعلا، ويعتقدون ذلك أيضًا في الأصنام والجن وغيرها، وهذا هو الشرك الأكبر، ويعتقد فيهم أيضًا أن لهم القدرة على العطاء والمنع، وزيغ القلوب، وموت النفوس دون أسباب حسية»[1]، وذكر الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصة أحد التجار -تبين المراد بالسر- إذ أخذ أموالًا عظيمة أيام موسم الحج، ثم بعد أيام أظهر الإفلاس، فقام عليه أهل الأموال، فالتجأ إلى قبر في جدَّة يقال له: المظلوم، فما تعرض له أحد بمكروه خوفًا من سر المظلوم![2].

ومن قال إن بينه وبين الله تعالى سرًا فقد أعظم الفرية وقال قولًا عظيمًا، وقد كفره أهل العلم، قال أبو يعلى ابن الفراء: «من قال إن بينه وبين الله سرًا فقد كفر، وأي وصلة بينه وبين الإله؟ وإنما ثَمَّ ظواهر الشرع، فإنْ عنى بالسر ظاهر الشرع فقد كذب؛ لأنه ليس بسر، وإن عنى شيئًا وراء ذلك فقد كفر»، وقال في قول المتوسلين بالميت: «اللهم إني أسألك بالسر الذي بينك وبين فلان» قال: «أيُ سر بين العبد وبين ربه لولا حماقة هذا القائل؟»[3].

٢- وقد يكون المراد من خوف السر كذلك أن المخوف منه قد يصيب

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن باز (ص/ ٥١).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٧).

(٣) بدائع الفوائد (٤/ ٥٤) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن الجوزي في آخر منتخب الفنون مما بلغه عن ابن عقيل من غير الفنون قال: سمعت أبا يعلى بن الفراء يقول) ثم ذكره.

العبدَ سرًّا بالضر[١].

٣- وقد يقال: بأن المقصود من خوف السر كذلك أنه خوفٌ من أمرٍ غيرِ ظاهرٍ سببه -ممن لا يملك النفع والضر- في سره وفي نفسه وداخل قلبه مما لا يطلع عليه الناس، فهو خوف باطني لا يطلع عليه أحد من الخلق.

وعلى كل؛ فإن عقيدة المشركين السابقين واللاحقين شاهدة على هذا، حيث غلوا في معظَّميهم ووصفوهم بصفات الرب تبارك وتعالى من الإحياء والإماتة، والضرر والنفع، والمنع والعطاء، وعلم الغيب، وشفاء الأمراض، وغير ذلك من أنواع التصرف في الكون، زاعمين أنهم بهذا قد وُهبوا سرًّا من الأسرار، به يفعلون، فاتخذوا هذا سوطًا على رقاب الناس وأرهبوهم، وقابلوا من لم يؤمن بهذا الولي المعبود بالتخويف من سره، فوقع الخوف في قلوب أتباعهم، وأكلوا أموالهم بالباطل، مع ما يوردونه من قصص وحكايات مكذوبة ضل بسببها الكثير من الناس -كما يأتي- ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢- **خوف التعظيم والتذلل والخضوع**[٢]: وهذه لازمة لكل من خاف من معبوداته، فهو يعظمها ويتذلل ويخضع لها، وهذه لا تجوز إلا لله تعالى.

٣- **خوف التأله والتعبد والتقرب**[٣]: ويقصد من هذا الإطلاق أن هذا الخوف فيه التفات إلى غير الله تعالى واعتقاد استحقاق المعبود المخوف

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٦٩)، وشرح فتح المجيد (٢/ ٤٣٢).

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧٧)، والقول المفيد (٢/ ١٦٦).

(٣) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد (٣/ ٣٤- ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

منه للعبادة، وهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله تعالى أصلًا، لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله ندًّا يخافه هذا الخوف فهو مشرك[١].

٤- **خوف العبادة**[٢]: ونسب إلى العبادة من أجل بيان أن الخوف عبادة من العبادات التي أوجبها الله تعالى ويجب إفراده جل وعلا بها[٣]، وهو يتعبد له بهذه العبادة وهي الخوف[٤]، ولأن الخائف يتقرب إلى المخوف منه بأنواع من العبادات، وحتى يميّز بينها وبين الخوف الطبيعي الذي لا عبادة فيه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالخوف عبودية القلب فلا تصلح إلا لله، كالذل والمحبة والإنابة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب»[٥].

٥- **الخوف الشركي**[٦]: وهذه نسبة إلى حكم هذا الخوف، أو ما يفعله المشركون من تسوية الله تعالى بالمعبودات في عبادة الخوف، حيث أشركوا غير الله في هذه العبادة، فمن صرف هذا الخوف لغير الله فقد أشرك، كما لو صرف العبادة لغير الله تعالى كالدعاء والاستغاثة والنذر وغيرها، كما قال الخليل

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٤).

(٢) انظر: القول المفيد (٢/ ١٦٦)، وشرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص/ ٥٧)، وإعانة المستفيد (٢/ ٦٦).

(٣) انظر: شرح فتح المجيد للشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ٤٣١).

(٤) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص/ ٥٧).

(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص/ ٢٧٨)

(٦) انظر: فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٥٣)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٦٩)، وشرح فتح المجيد للشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ٤٣٢).

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾[الأنعام: ٨٠].

٦- **الخوف مع الله تعالى**: بمعنى أنك تخاف من غيره مثل خوفه أو أشد كما ذكر الله في شأن المنافقين، إذ هم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، وهذا الخوف هو الخوف الشركي المنهي عنه الذي صاحبه يخلد في النار[١].

هذه بعض الأسماء التي أطلقها العلماء على هذا النوع من الخوف، وهي وإن اختلفت في الاسم إلا أنها مطابقة في المدلول والمعنى كما هو ظاهر.

المبحث الثاني
حكم خوف السر من غير الله تعالى وضرره

المطلب الأول
حكم خوف السر من غير الله تعالى

تقوم العبادات القلبية على ثلاثة أمور هي ركائزه: المحبة والخوف والرجاء، وهي محركات القلوب إلى الله تعالى[٢]، وهذه العبادات حق خالص لله تعالى.

والخوف عبادة من العبادات، وتوحيد واجب، وحق من حقوق الله تعالى، أوجب الخوف منه، وحذر من أن يخاف من غيره، لأنه لا استحقاق

---

(١) انظر: فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٥٣).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩٥).

لأحد لهذه العبادة، وأوضح أن من سبيل الكفار هو تخويف العباد من غيره، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال جل وعز: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

وخوف السر من غير الله تعالى شرك أكبر بالله تعالى يخرج به العبد من الإسلام، إذ إن الخوف الذي هو خوف التعظيم والتذلل والخضوع: عبادة، وصرف هذه العبادة لغير الله تعالى شرك أكبر[١]، حيث ساوى غير الله بالله فيما هو من حقه جل وعلا، ومن أطلق من أهل العلم أن الخوف من غير الله تعالى شرك؛ فإنه يريد هذا النوع من الخوف، ولذا كان من أسمائه كما تقدم: الخوف الشركي، أي أن صرفه لغير تعالى شرك.

قال المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] في قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨ ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]: «فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يُحِبُّ اللهَ ويخافه ويرجوه؛ هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، فكيف بمن كان غير الله آثر عنده منه وأحب إليه وأخوف عنده وهو في مرضاته أشد سعيا منه في مرضاة الله؟»[٣]، وقال الشيخ

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩١)، والدرر السنية (٢/ ٣١١)، والقول المفيد (٢/ ١٦٦).

(٢) هو تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي الحنفي البعلي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، الإمام العالم البارع، وكان حنفيا ثم تحول إلى المذهب الشافعي، وولي حسبة القاهرة غير مرة، من مؤلفاته: الخبر عن البشر، إمتاع الأسماع فيما للنبي ﷺ من الحفدة والمتاع، توفي سنة خمس وأربعين وثمانمائة. انظر: شذرات الذهب (٧/ ٢٤٥).

(٣) تجريد التوحيد المفيد (ص/ ٤٧).

سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الخوف لا يكون العبد مسلمًا إلا بإخلاصه لله تعالى وإفراده بذلك دون من سواه»، وقال: «فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلا لأن هذا من لوازم الإلهية فمن اتخذ مع الله ندًّا يخافه هذا الخوف فهو مشرك، وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن»[١].

وليعلم أن هذا الخوف قد يصل بصاحبه إلى الشرك في الربوبية كما هو شأن كثير من عباد القبور من المتصوفة والرافضة وغيرهم؛ الذين اعتقدوا في معبوداتهم التصرف في الكون، فخافوا منهم من أجل ذلك، وهو الذي تقدم أنه أحد مظاهر الخوف الشركي المنتشرة لدى هؤلاء؛ حيث اعتقدوا فيهم الاستقلالية في النفع والضر، ولذا؛ كانوا أعظم شركًا من مشركي قريش الذين خافوا من تلك المعبودات وخوفوا بها الأنبياء والصالحين، مع أنهم لا يعتقدون استقلالية تلك المعبودات في النفع والضر، فضلًا عن الخلق والملك؛ بل يعتقدون أنها وسائط توصلهم إلى ربهم وخالقهم تبارك وتعالى، وأن الله عَزَّوَجَلَّ أكرم تلك المعبودات بالنفع والضر لعابديها، لذا كانوا يقولون في تلبيتهم في الحج: «لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك»[٢].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٤).

(٢) انظر: صحيح مسلم، ك: الحج، باب: التلبية وصفتها ووقتها، (ص/ ٤٨٩)، رقم (٢٨١٥).

وقد كان من عادة عبدة الأوثان -لعنهم الله- أنهم يخوفون الرسل بالأوثان ويزعمون أنها ستضرهم وتصل إليهم بالسوء، ومعلوم أن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام لا يخافون غير الله من الأصنام والأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع[١]، فبين الله تعالى بطلان هذا المعتقد بصور كثيرة، كلها تدل على عجز تلك المعبودات وأنها لا تملك النفع والضر.

وكل نص شرعي يحذر من الشرك فإنه يدخل فيه ضمنا خوفُ السر كما يدخل فيه غيره من أنواع العبادات الأخرى إن صرفت لغير الله تعالى.

وبالإضافة إلى تلك النصوص؛ جاءت نصوص أخرى في خوف السر خاصة، فمن تلكم النصوص:

١- قوله تعالى عن إبراهيم الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ [الأنعام: ٨٠-٨٢].

جاءت هذه الآيات وما قبلها في سياق تقرير إبراهيم الخليل للتوحيد، وإقامته الحجج المختلفة عليه، فناظره قومه بشبه واهية، أبطلها في هذه

---

(١) انظر: أضواء البيان (٧/ ٣٦).

الآيات، وقد جاءت هذه الحجج من إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «في صورة كلام خبري يشتمل على مبادئ الحِجاج ومقاطعه، مشيرًا إلى مقدمات الدليل ونتائجه، بأوضح عبارة وأفصحها وأقربها تناولًا»(١).

وهذه الآيات فيها إنكار من نبي الله وخليله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه الذين توجهوا بالخوف والتذلل لغير الله تعالى من المعبودات، ولم يكتفوا بذلك حتى خوفوه منها، فقال: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ لأنهم خوفوه بالأصنام، وكانوا يقولون: احذر الأصنام أن تصيبك بالخبل والجنون وغير ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره هذه الآية: «ولا أرهبُ من آلهتكم التي تدْعونها من دونه شيئًا ينالني به في نفسي من سوء ومكروه، وذلك أنهم قالوا له: إنا نخاف أن تمسّكَ آلهتُنا بسوء من برص أو خبل؛ لذِكْرك إياها بسوء، فقال لهم إبراهيم: لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالني بضر ولا مكروه لأنها لا تنفع ولا تضر»(٢).

ثم قال متعجبًا من قبيح فعالهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ﴾، والإشراك هو الجمع بين شيئين في معنى، وهو أن يجمع مع الله غير الله فيما لا يجوز إلا لله تعالى، فهو ينكر عليهم شركهم هذا؛ ويقول: وكيف أخاف الأصنام وما أشركتم، وأنتم أحق بالخوف مني، حيث أشركتم بالله تعالى، ولا تخافون الله

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٨٥).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ٢٤٨).

بشركهم، أو فعلكم الذي لم ينزل به الله حجة وسلطانا[١]، ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة لا تملك النفع والضر، ولا تؤثر شيئًا فلا تستحق الخوف الذي هو عبادة خاصة بالله[٢]، وكيف تخافون من هذه الأصنام وقد رأيتم أنها لم تملك لنفسها النفع والضر فلم تدفع عن نفسها حين كسرها إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؟[٣]، وهو بهذا قد قلب الحجة عليهم، لأنهم دعوه إلى أن يخاف بأس الآلهة فأنكر هو عليهم ذلك إذ لم يخافوا الله حين أشركوا به غيره بدون دليل نصبه لهم[٤]، فقرر التوحيد وأبطل الشرك بأتم عبارة وأكمل حجة.

واعلم أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ﴾ ليس هو استثناء من الأول بل هو استثناء منقطع، معناه: أي إلا أن يشاء ربي أن يصيبني بشيء، وليس معناه أن هذه الأصنام تصيبه بشيء، إذ إنها عاجزة لا تملك النفع والضر، بل الله تعالى بيده كل شيء، وهذا عليه عامة أهل العلم[٥]، وهذا هو التوحيد الذي أمر الله تعالى به، قال

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ١٢١)، وتفسير البغوي (٢/ ٩٢)، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٠١).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٩٢)، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٠١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٤٩).

(٤) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٣)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣٣٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢)، وتفسير السمعاني (٢/ ١٢١)، وتفسير البغوي (٢/ ٩٢)، وتفسير القرطبي (٨/ ٤٤٣-٤٤٤)، تفسير ابن عطية (٣/ ٤٠٦)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣٢٨).

السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس باستثناء عن الأول، إذ لا يجوز أن يشاء الله أن يصيبه شيء من الأصنام وما يشركون به، وإنما هذا استثناء منقطع ومعناه: لكن إن شاء ربي أن يأخذني بشيء أو يعذبني بجرمي فله ذلك»[1]، وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: أن الله تعالى لا يشاء أن أخافهم»[2]، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استثناء منقطع، أي: لا يضر ولا ينفع إلا الله عَزَّوَجَلَّ»[3]، ويقوي هذا قوله تعالى هنا: {شيئًا}، لو كان استثناء من الأول لما احتيج أن يقول: {شيئًا} بل يكفي قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى﴾، دون قوله: {شيئًا}، والله أعلم.

ثم قال تعالى بعد هذا[4] مبينا الحكم الأخروي لشركهم بالله تعالى في مقابل أهل التوحيد: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يعني: من هم الأحق بالأمن من عذاب الله تعالى؛ هل هم المشركون بالله أم الموحدون؟[5] هل هم الذين يعتقدون أن النفع والضر بيد الله وحده أو الذين عبدوا غير الله تعالى ممن لا يضر ولا ينفع بلا دليل؟[6] هل هم من

(١) تفسير السمعاني (٢/ ١٢١).

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ٤٤٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٠).

(٤) انظر الخلاف في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ هل من قول الله تعالى أم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في: تفسير الطبري (٥/ ٢٥٠)، و تفسير السمعاني (٢/ ١٢١)، وتفسير القرطبي (٨/ ٤٤٤).

(٥) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ١٢١)، وتفسير القرطبي (٨/ ٤٤٤).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٠١).

خاف الله ولم يخف من غيره أم من خاف غير الله ولم يخفه؟[١] فإن الأمن يوم القيامة والاهتداء في الدينا والآخرة لا يكون إلا لمن أخلص لله تعالى في العبادة، قال ابن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «أمّن خاف غير الله ولم يخفه؟ أم من خاف الله ولم يخف غيره؟»[٢].

وقد امتدح الله حجج إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي آتاه إياها، فقال جل وعلا: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقد اختلف العلماء هل المقصود جميع الحجج، أم هي خاصة بحجته على قومه لما خوّفوه من آلهتهم بأن تصيبه بالضر فبرهن على ضرها بتلك الحجة السابقة؟[٣] ولعل الصواب والله أعلم جميع ما سبق من الحجج، ومن ضمنها حجته عليهم عند تخويفهم له[٤].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأنكر –أي الخليل– أن نخاف ما أشركوهم بالله من جميع المخلوقات العلويات والسفليات، وعدم خوفهم من إشراكهم بالله شريكًا لم ينزل الله به سلطانا، وبين أن القسم الذي لم يشرك هو الآمن المهتدي»[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٥٠).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٥٠).
(٣) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٤٤٥).
(٤) انظر: أضواء البيان (٢/ ١٥٤).
(٥) مجموع الفتاوى (١/ ٩٧).

٢- ومن ذلك ما حصل من قوم هود عندما زعموا إصابة آلهتهم له بالجنون ونحوه، بسبب حطِّه عليها، ودعوته لهم بإخلاص العبادة لله تعالى؛ ناهيًا لهم عن عبادة غيره من الأوثان، فقالوا له -كما ذكر الله تعالى-: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: ٥٤-٥٥].

ومعنى (اعتراك) أي: أصابك[١]، و(بسوء): أي: أصابتك الأوثان بجنون، بسبب سبِّك إياها وعيبها،كما قاله بعض السلف كابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهما[٢]، أو يكون المراد العموم، أي: أصابتك بشرٍّ وسوء كما جاء عن بعض السلف أيضا كمجاهد في رواية أخرى وقتادة وعبدالله بن كثير رحمهم الله[٣]، وعلى كل؛ فإن مقصدهم بهذا هو أنه بسبب سبِّك لآلهتنا فقد انتقمتْ منك بما ذُكر، أو يكون المراد: أن سبك إياها والطعن بها إنما هو لما لحق عقلك من التغير[٤]، وفي هذا حجة بينة على نسبتهم الضر إلى هذه الآلهة حيث خوفوا هودًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بها، وزعموا أنها أصابته بشرّ، وسمى ما عليه قومه شركًا بالله تعالى، فتبرأ منهم بأن أشهدَ اللهَ

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٤٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ٥٩)، وهذا لفظ مجاهد.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٥٩).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤٣٦)، والتفسير البسيط للواحدي (١١/ ٤٤٦)، تفسير الشوكاني (٢/ ٥٧٣).

على نفسه وأشهدَهم أيضًا أنه بريء من شركهم بالله تعالى تلك الأوثان والأصنام(١).

ومن تمام حجته عليهم؛ أن أظهر لهم عجز آلهتهم وعجزهم هم أنفسهم مع كثرتهم عن أن يكيدوه، فهو لا يخافهم، وهذا أعظم دليل على أنها لا تملك النفع والضر، وإنما هو بيد الله جل وعلا الذي خلقهم، فقال: ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾، ثم ذكر لهم كمال ثقته بربه تعالى وأنهم لا يمكنهم أن يضروه بشيء؛ إذ إن الأمر كله بيده تعالى، فقال: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾ [هود: ٥٦].

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقال هود لهم: ﴿إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ على نفسي وأشهدكم أيضًا أيها القوم ﴿أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ في عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم ﴿ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ﴾ يقول: فاحتالوا أنتم جميعًا وآلهتكم في ضري ومكروهي، ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ يقول: ثم لا تؤخروا ذلك، فانظروا هل تنالونني أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتني به من السوء؟»(٢)، ويقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام، التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر، ولا توالي ولا تعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له؛ الذي بيده الملك وله التصرف، وما من شيء

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٤٨).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٨).

إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا هو ولا رب سواه»[1].

فظهر بهذا أن الخوف لا يكون إلا من الله تعالى الذي بيده النفع والضر، وأن هذه الأوثان لا تضر ولا تنفع، وأن اعتقاد النفع والضر بها هو من سبيل المشركين المحاربين للأنبياء والمرسلين المهددين إياهم بضرر معبوداتهم عليهم، فهو شرك أكبر حاربه الأنبياء والمرسلون، إذن هذه عبادة لا حق فيها لأحد من البشر بحال[2].

٣- وكما أن الأمم السابقة خوّفت أنبياءها من آلهتهم؛ فكذلك الحال عند كفار قريش، الذين أرادوا تخويف النبي ﷺ منها، لئلا تصيبه بضر؛ فعلوا هذا بعد أن حذرهم من تلك المعبودات، وأمرهم بالإخلاص لله وحده، فقال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٨].

وهذا التخويف من كفار قريش للنبي ﷺ وصَفَه الله بالضلال والبعد عن التوحيد، وبين الله تعالى أنه كاف نبيه.

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٤٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩٨).

وجاء في قراءة: (أليس الله بكاف عِبادَه) على الجمع، ويقصد بها إما محمدًا ﷺ ومن قبله من الأنبياء الذين خوفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء على قول[١]، أو يكون المقصود بها الرسول ﷺ وأتباعه[٢]، أو يكون المقصود بها كل عباده المؤمنين المتوكلين عليه[٣]، ولعل الراجح والله أعلم أنها تشمل الأنبياء والمؤمنين بهم[٤]، وقد تكون القراءة الأولى راجعة إلى الثانية إذا قلنا بأن (عبده) اسم جنس[٥]، وهذه القراءة ثابتة مشهورة، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، لصحة معنييها واستفاضة القراءة بهما في قراءة الأمصار»[٦]، ويكون المعنى أنه كما كفى الأنبياء قبلك يكفيك[٧].

وفي قوله: ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ دليل على شركهم به جل وعلا من لا يملك لنفسه النفع والضر، فهي دون الله تعالى لا تستحق العبادة، وفي هذا

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٧)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٤٢٠)، وتفسير البغوي (٤/ ٦٩).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٦/ ٥٠٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٢/ ١٣١)، وتفسير ابن عطية (٧/ ٣٩٦).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٨٠)، وأضواء البيان (٧/ ٣٤).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٨٠).

(٦) تفسير الطبري (١١/ ٧).

(٧) انظر: زاد المسير (٤/ ١٩).

تهكّم بهم لأنهم خوفوه بما لا يقدر على نفع ولا ضرر(١).

والشاهد من هذا: هو اعتقاد الكفار الذين خوفوا النبي ﷺ بتلك الآلهة، ووصفهم بالضلال، وهددهم بسبب شركهم.

ولتمام ثقة النبي ﷺ بربه وتوكله عليه وعدم التفاته إلى ما خوف به؛ حفظه الله تعالى وكفاه من كل شر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ويخوفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء ببراءتك منها، وعيبك لها، والله كافيك ذلك»(٢)، وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذلك أنهم خوفوا النبي ﷺ مضرَّةَ الأوثان، فقالوا: أتسبُّ آلهتنا؟ لئن لم تكفَّ عن ذِكرها لتخبلنَّك، أو تصيبنَّك بسوء»(٣).

٤- قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وهذه الآية بين الله تعالى فيها ما يزينه الشيطان من تخويف الناس بأوليائه، فنهى عن الخوف منهم وأمر بأن يتوجه بالخوف له وحده جل وعلا، إذ إنه عبادة، فيكون صرفها لغير الله تعالى شركًا، فقوله: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾ نهي عن إنزال عبادة الخوف بغيره، وهذا يدل

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير (٩/ ٢٠٥).
(٢) تفسير الطبري (١١/ ٧).
(٣) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٨١).

على أنه نهيٌ عن أحد أفراد الشرك، ثم أمر بأن يخاف منه وحده فدل هذا على أنها عبادة من العبادات[(١)].

وهناك وجه آخر من الآية الكريمة يدل على ما تقدم، وهو قوله: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فجعل من شرط الإيمان الخوف منه وحده جل وعلا، فإذا لم يخف منه تعالى لم يتحقق الشرط، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فجعل الخوف منه شرطًا في تحقق الإيمان، وإن كان الشرط داخلا في الصيغة على الإيمان فهو المشروط في المعنى، والخوف شرط في حصوله وتحققه، وذلك لأن الإيمان سبب الخوف الحاصل عليه، وحصول المسبب شرط في تحقق السبب، كما أن حصول السبب موجب لحصول مسببه، فانتفاء الإيمان عند انتفاء الخوف انتفاءٌ للمشروط عند انتفاءِ شرطه، وانتفاءُ الخوف عند انتفاءِ الإيمان انتفاءٌ للمعلول عند انتفاءِ علته، فتدبره. والمعنى: إن كنتم مؤمنين فخافوني»[(٢)].

وقد صدّر الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد هذه الآية في الباب المتعلق بالخوف، فقال: باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ليبين أن الخوف من الله عبادة واجبة، وصرفها لغير الله تعالى شرك.

فالخوف عبادة، وصرفها لغير الله تعالى من أشنع الشرك، قال الشيخ

---

(١) انظر: التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٧٠).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص/ ٢٦٨).

الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعلوم أن الخوف من تلك الأصنام من أشنع أنواع الكفر والإشراك بالله»[١].

وسبب كون الخوف من أشنع أنواع الكفر والإشراك بالله؛ أنه بسبب هذا الخوف تنوعت العبادات التي أدوها لها، فاتجه المشركون لمعبوداتهم ومن يدّعون فيهم الولاية، فطلبوا منهم الدعاء، واستغاثوا بهم، وطلبوا منهم الشفاعة، ونذروا لهم، وقدموا القرابين، وحلفوا بهم، وتعلقت قلوبهم بهم، مع عدم ملكها للنفع والضر، وأهملوا التوحيد الذي خلقهم الله من أجله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ما أشنع الخوف من غيره.

وقد ورث هذا الخوف الشركي عن أولئك الكفار طوائف من القبوريين والرافضة وغيرهم، خافوا ممن زعموا فيهم الولاية من الأموات والأحياء أشد من خوفهم من الله تبارك وتعالى، واعتقدوا فيهم الضر والنفع، ومِثل ما حصل من السابقين: خوفوا عباد الله الصالحين الذين ينكرون عليهم شركهم، فهددوهم بسر الأموات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهؤلاء الذين يعتقدون أن القبور تنفعهم وتدفع البلاء عنهم؛ قد اتخذوها أوثانًا من دون الله، وصاروا يظنون فيها ما يظنه أهل الأوثان في أوثانهم، فإنهم كانوا يرجونها ويخافونها ويظنون أنها تنفع وتضر، ولهذا قالوا لهود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾، فقال هود: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾ إلى قوله:

(١) أضواء البيان (٧/ ٣٧).

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الزمر: ٥٤-٥٦]، وقد قال الله تعالى في قصة الخليل: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ إلى قوله: ﴿مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠ - ٨٢]، وقال الله تعالى لخاتم الرسل ﷺ بعد أن خاطب المشركين؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥]، وقال: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ إلى قوله: ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٨]»[(١)].

وتجد هذا العابد للقبور والمشاهد والأضرحة لا يحلف بغير الله تعالى من الصالحين والأولياء والطواغيت كاذبًا، وفي مقابل هذا؛ يتجرأ على ذلك عند حلفه بالله تعالى، وما ذلك إلا لخوفه من مقدَّسه خوفًا أعظم من خوفه من خالقه، ويحدثنا الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا المظهر الخطير والمنتشر لدى كثير من الناس في هذا الزمان؛ فيقول بعد أن ذكر أن من أقسام الخوف من غير الله تعالى خوف السر: «وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور، فإنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون اللهَ بل أشد، ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذبًا أو صادقًا، فإن كان اليمين بصاحب التربة لم يُقْدم على اليمين إن كان كاذبًا، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله، ولا ريب أن هذا ما

(١) الإخنائية أو الرد على الإخنائي (ص/ ١٩٥-١٩٦).

بلغ إليه شرك الأولين، بل جهد أيمانهم اليمين بالله تعالى، وكذلك لو أصاب أحدًا منهم ظلم لم يطلب كشفه إلا من المدفونين في التراب، وإذا أراد أن يظلم أحدًا فاستعاذ بالله أو ببيته لم يعذه، ولو استعاذ بصاحب التربة أو بتربته لم يقدم عليه أحدًا، ولم يتعرض له بالأذى.. وهذا الخوف لا يكون العبد مسلمًا إلا بإخلاصه لله تعالى وإفراده بذلك دون من سواه»[١].

ونظير هذا خوف اليهود والمنافقين من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]، والرهبة: هي الخوف والخشية[٢]، إلا أن الرهبة معها مخافة مع احتراز واضطراب[٣]، وقد قيل: إن هذه الآية في بني النضير، وقيل في اليهود، وقيل في الفريقين كليهما[٤]، فهم خافوا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أشد من خوفهم من الله تعالى، وهذا لعدم فقههم بقدر الله تعالى، فقدموا مخافة المخلوق الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرًّا على مخافة الخالق الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع[٥]، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ ولو كان لهم فقه لخافوا من الله تعالى أشد من خوفكم، فهو الأحق بالرهبة والخوف.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٥).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٧٦).
(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص/ ٣٦٦).
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣١)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٧٦-٣٧٧).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣١).

فأين موقع لا إله إلا الله من قلوب هؤلاء؟ فإن هذه الكلمة تقتضي ألا يخاف من غير الله تعالى خوف عبادة، لأن هذا لا يصلح إلا لله جل وعلا، وهي من خصائص الإلهية، فمن خاف غير الله تعالى خوف عبادة فقد قدح في إخلاصه في قول لا إله إلا الله، ولم يحقق التوحيد، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا من فروع الشرك بالله تعالى(١).

هذا ما يتعلق بحكم خوف السر، وهو كما ترى ظاهر في هذه الآيات وفي غيرها، وكلها تدل على أن من خاف غير الله تعالى أو خوّف بها الناس فهو مشرك، متبع لأعداء الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

المطلب الثاني
ضرر خوف السرّ من غير الله تعالى

لا يوجد ضرر أعظم من ضرر الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ومنه الخوف من غير الله تعالى خوف السر، فإن من أعظم مضرته حبوط الأعمال والخروج عن دائرة الإسلام إلى الكفر، وما يلاقيه يوم القيامة من الخلود في نار جهنم إلى أبد الآبدين.

والمقصد من عقد هذا المطلب هو بيان أضرار الخوف من غير الله تعالى لأولئك الذين تعلقت قلوبهم بغير الله تعالى، فخافوا من غيره راهبين من معبوداتهم أن تصيبهم بسوء، **ألا وإن من أعظم أضرار الخوف من غير الله تعالى:**

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب (ص/ ٢٣-٢٤).

١-أن من تعلق شيئا وكل إليه، بنص حديث رسول الله ﷺ حيث قال: (**من تعلق شيئًا وكل إليه**)[١]، وهذه من أشد العقوبات الدنيوية التي تلحق الخائف من غير الله تعالى، فإن الله تعالى إذا ترك العبد فقد أهلكه[٢]، فمن تعلق بالأولياء والصالحين من أصحاب القبور وغيرهم -وهو أساس الشرك وقاعدته -؛ فإن الله تعالى يكِلُه إليهم، وهذا أعظم الخذلان له، وهو كاف لمن كان له عقل في أن يعتبر في دينه ودنياه، بخلاف من تعلق قلبه بالله تعالى فلا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا منه فإن الله تعالى كافيه.

وهذه حال المشركين عمومًا، حيث خذلهم الله تعالى، فلم يجدوا نصيرًا دونه، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(فتقعد مذمومًا) على إشراكك، (مخذولًا)؛ لأن الرب تعالى لا ينصرك، بل يكلك إلى الذي عبدت معه، وهو لا يملك لك ضرًّا ولا نفعًا؛ لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له»[٣].

فأعظم الناس خذلانًا من تعلق بغير الله، فإنّ ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرَّض للزوال والفوات، ومَثَل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت؛

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣١/ ٧٧-٧٨)، والترمذي في جامعه، ك: الطب، باب: ما جاء في كراهية التعليق (ص/ ٤٧٦)، رقم (٢٠٧٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤١)، رقم (٢٤١)، وحسنه الألباني في غاية المرام (ص/ ١٤٦-١٤٧).

(٢) تفسير السمعاني (٣/ ٢٣١).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٥).

أوهن البيوت...»[١]، وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن تعلق شيئًا بقلبه وفعله وكل إليه، أي: وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه، فمن تعلقت نفسه بالله وأنزل حوائجه بالله والتجأ إليه وفوض أمره كله إليه؛ كفاه كل مؤونة، وقرب إليه كل بعيد، ويسّر له كل عسير، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى علمه وعقله ودوائه وتمائمه واعتمد على حوله وقوته؛ وكله الله إلى ذلك وخذله، وهذا معروف بالنصوص والتجارب، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]»[٢].

وتأمل قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا معروف بالنصوص والتجارب»؛ فإنك لا تجد من خاف من غير الله تعالى خوف سر؛ إلا وكله الله تعالى إلى ما يخافه، فخذل من هذا الجانب، فمن خاف من القبور وأصحابها تجده مخذولًا لم يحصل ما يريد، بل لا يحصل إلا الآلام والعقوبات والنكال والفقر[٣]، ومن يخافه لا يستطيع دفع الشر عنه ولا تحويله ولا يستطيع نفعه، «والمخذول: هو الذي لا ينصره من كان يؤمل منه النصر»[٤]، والتعلق من هؤلاء قد يكون بقلوبهم أو بأفعالهم أو بهما معا[٥].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٩٢).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/ ١٦٩-١٧٠).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٢٤١).

(٤) أضواء البيان (٣/ ٨٥).

(٥) انظر: فتح المجيد (ص/ ١٢٤).

وكما أن من جعل مع الله إلهًا آخر يخافه ويرجوه مخذول غير منصور؛ فإن الموحد الذي أفرد ربه بالخوف وسائر أنواع العبادة فإنه محمود معان في جميع أحواله[(١)].

٢- عدم حصول الأمن والاهتداء لمن خاف غير الله تعالى، وقد تقدم هذا في قصة الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قال: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢]، فإن من حقق التوحيد ولم يخف من غيره له الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة، وأما من أشرك به فخاف من غيره؛ فلا أمنَ له ولا اهتداء، فهو التجأ إلى ذلك المعبود وطلب الأمن، لكنه لم يحصله، وهذا واقع في كل من عبد غير الله تعالى، فإنه لم يحصل لهم شيء مما رغبوا فيه، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فحكم سبحانه للموحدين بالهدى والأمن، وللمشركين بضد ذلك، وهو الضلال والخوف»[(٢)].

ولذلك يحصل الاضطراب والخوف، والظلمة والوحشة للخائف، فإنه وإن فرّ إلى من يعتقد فيه النفع والضر إلا أنه غير مستقر بهذا، ولا مطمئن إليه تمام الاطمئنان، بل دائم المراقبة والتطلع والتشوف للضرر، فيحصل له به الهلاك والمضرة والاضطراب، وهذا من عظيم ضرر الخوف من غيره

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص/ ٥٢٩-٥٣٠).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٤).

تعالى، فلم تغنه تلك المعبودات من دون الله تعالى، فهو دائم التفكر فيها والخوف من ضررها ومن ظُلمها له، بخلاف الموحد الذي وحد الله تعالى فإنه لما خافه جل وعلا التجأ إليه فآمن وحصلت له الطمأنينة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ عن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ وفسر النبي ﷺ الظلم هنا بالشرك، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه:** ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣][١].

فمنعوا من الأمن والاهتداء، واختص الموحدون بهما، فإن من سنة الله تعالى الكونية أن في الشرك الخوف والاضطراب، وفي التوحيد الأمن والاطمئنان، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والخوف دائمًا مع الشرك، والأمن دائما مع التوحيد»[٢]، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالتوحيد من أسباب الأمن من المخاوف، والشرك من أعظم أسباب حصول المخاوف، ولذلك من خاف شيئًا غير الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: ما جاء في المتأولين، (ص/ ١١٩٥)، رقم (٦٩٣٧)، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه، (ص/ ٦٦)، رقم (٣٢٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٨٧).

سُلِّط عليه، وكان خوفه منه سب تسليطه عليه، ولو خاف اللهَ دونه ولم يخفه لكان عدم خوفه منه وتوكله على الله من أعظم أسباب نجاته منه»[١]، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمخلوق كلما خِفْتَه استوحشتَ منه وهربتَ منه، والله سبحانه كلما خفته أنستَ به وفررتَ إليه، والمخلوق يُخاف ظلمه وعدوانه، والله سبحانه إنما يُخاف عدله وقسطه»[٢].

وقال تعالى في حال المشركين الذين يخافون الجن فيستعيذون بسيدهم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي فزادهم إثما»[٣]، وقيل: بل زادوهم فرَقًا وخوفًا[٤]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان الإنس يعبدون الجن ويستعيذون بهم عند المخاوف والأفزاع، .. ويحتمل أن الضمير في (زادوهم) يرجع إلى الجن ضمير الواو، أي: زاد الجن الإنس ذعرًا وتخويفًا لما رأوهم يستعيذون بهم، فكان الإنسي إذا نزل بواد مخوف قال: (أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه)»[٥].

فانظر كيف ألجأهم الخوف إلى الشرك بالله والاستعاذة بغيره، فلم

---

(١) مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٨٧).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٠٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٦٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٦٣-٢٦٤).

(٥) تفسير السعدي (ص/ ١٠٥١).

يحصلوا إلا زيادة في الخوف واضطرابا، وهذه من أعظم العقوبات.

٣-عدم حصول مطلوبه، حيث يخذله الله جل وعلا، وهذا لأن تلك المعبودات لا تملك لنفسها النفع والضر فضلًا عن غيرها، فالله تعالى وحده هو الذي يكشف الكرب ويجيب من دعاه، وأما هؤلاء فعباد ضعفاء، وقد كثر ورود هذا في كتاب الله تعالى[١]، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن اعتماده على المخلوق، وتوكله عليه يوجب الضرر من جهته، فإنه يخذل من تلك الجهة، وهو أيضا معلوم بالاعتبار والاستقراء؛ ما علق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خذل، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ [مريم: ٨١-٨٢]»[٢]، وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بل خوف المخلوق ورجاؤه أحد أسباب الحرمان ونزول المكروه بمن يرجوه ويخافه؛ فإنه على قدر خوفك من غير الله يسلط الله عليك، وعلى قدر رجائك لغيره يكون الحرمان»[٣].

وهذا والله حال عباد القبور، الذين يلتجئون إلى معبوداتهم ويخافون منها، فإنهم مخذولون محرومون لم يحصلوا مطلوبهم، ولم تنفس كربهم، وقد ازدادوا بعملهم هذا ضعفًا إلى ضعف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٩).

(٣) الفوائد لابن القيم (ص/ ١٣١-١٣٢).

المبحث الثالث

أسباب الخوف من غير الله تعالى

ذكر العلماء عدة أسباب للشرك(١)، كلها تصلح أن تكون أسبابا للشرك بالله تعالى في عبادة الخوف، وسأذكر هنا أهم ما يتعلق بالخوف من الأسباب التي وردت في النصوص الشرعية بخصوص الخوف من غيره جل وعلا، فمن أبرز أسباب خوف السر من غير الله تعالى:

المطلب الأول

الشيطان

توعد الشيطانُ بني آدم بحرفهم عن التوحيد الذي خلقهم الله من أجله، فقال تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: ١١٩-١٢٠].

وإن الشيطان من أسباب انحراف الناس عن هذه العبادة، فهو قد خوّف الناس من غير الله تعالى؛ من الأولياء والصالحين بزعمهم، وعظّمهم في قلوبهم، وزين لهم ذلك، قال تعالى مبينًا هذا، وناهيًا عن الخوف منهم، وموجبًا للخوف منه وحده: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ

---

(١) انظر مثلًا: إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أجرى الله عادة الشياطين أنهم يخوفون الناس من أولياء الشياطين كما تقدم إيضاحه في تفسير قوله: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ ، الأصل: يخوفكم أولياءَه ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وأنواع تخويف الشيطان الناسَ من أوليائه مختلفةٌ كما هو معروف»[(١)].

ومن ناحية أخرى فإن الشيطان حرَص أشد الحرص على الإغواء بتمثله في المعبودات من دون الله تعالى، حتى يغتر بها من يغتر من أهل الضلال، فيعتقدون فيها ويخافونها دون الله تعالى، بل إنه يتمثل بالأولياء والصالحين وبالطواغيت حتى يخافهم الناس، ولهم في ذلك حكايات، ومثل هذا تمامًا ما كان يحصل للمشركين من سماعِ كلامٍ وخطابٍ عند من يشرك به، إما الصنم وإما القبر وإما التمثال[(٢)]، بل منهم من يرى صورة إنسان أو غير إنسان، وهذه الأمور من الشياطين وهي من جنس السحر والكهانة، ذكر هذا شيخ الإسلام[(٣)]، وذكر طرفًا من تلك الحكايات في بعض كتبه، وذكر أن المستفيض في بلاد الهند أن الميت يأتي بعد موته فيحدثهم ويرد الودائع

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/ ٤٢٩)

(٢) انظر: كتاب الأصنام للكلبي (ص/ ١٢)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص/ ٣٢٧)، وإغاثة اللهفان (٢/ ٢٤٠).

(٣) انظر: قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص/ ١٥٢)، واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٧٤٨)، وتلخيص كتاب الاستغاثة (٢/ ٦٧٨).

ويقضي ديونًا، ثم يذهب، وهو شيطان جاء في صورته، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشيطان يُضل كثيرًا من الناس بمثل هذا، حتى إنه يقول لقرينه: أنت بعد الموت تغسل نفسك، أو: أنت تغيث من يأتي إلى قبرك، فيقول الشيخ لأصحابه: لا يغسلني أحد، أنا أغسل نفسي، ويرون بعد الموت أنه قد جاء في صورته وغسل نفسه، فيظنون أنه هو، وإنما هو الشيطان جاء في صورته، وكذلك قد يجيئون إلى قبره، فيجدون دراهم، أو غير ذلك، فيظنونه منه، وإنما هو من الشيطان»[١].

وعندئذ يكبُر هذا الأمر في قلب المشرك، ويظن أنه صاحب ولاية، فيخاف منه، ومن ثم يلتجئ إليه ليدرأ عنه الشر ويجلب له الخير.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها -كما يفعل أهل دعوة الكواكب-، فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور، ويسمون ذلك روحانية الكواكب، وهو شيطان، والشيطان وإن أعان الإنسان على بعض مقاصده، فإنه يضره أضعاف ما ينفعه، وعاقبة من أطاعه إلى شر، إلا أن يتوب الله عليه»[٢].

---

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص/ ١٥٦)، وانظر: (ص/ ١٥٤).

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص/ ٣٣٧-٣٣٨).

المطلب الثاني
الكذب والحكايات الباطلة

وهذا الباب ولج منه أهل الضلال لتخويف الناس من غير الله تعالى، حيث إن قلوب كثير من الناس تعلقت بمثل تلك القصص والحكايات وصدَّقَتْها، فيقولون لهم: إن صاحب القبر الفلاني يضر من لم يتقرب إليه ومن لم يدعه دون الله تعالى، ويأتون بقصص مكذوبة، مفادها أنه وقع فلان في مصيبة إذ لم يتقرب لهذا المقبور ونحو ذلك، وأن صاحب القبر الفلاني هو الترياق المجرّب، وبعضها قد يقع كما هو، وهو من تزيين الشيطان كما تقدم.

وإذا كان المنقول حديثًا عن النبي ﷺ فإنه لا يجوز التمسك به حتى يثبت عنه، فكيف بأمثال تلك الحكايات المظلمة المنقولة عن المجاهيل وعباد القبور؟!

ومن أمثلة هذا في العصر الحديث ما يروجه أهل الضلال -ليشككوا الناس في عقيدتهم ويربطوا قلوبهم بغير الله تعالى- من قصص مكذوبة ملفقة، مرهبين الناسَ من إهمالها؛ من أشهرها قصة أحمد خادم الحرم النبوي الشريف، أو خادم الحجرة النبوية، أو حامل مفاتيح الحجرة، والتي تنتشر بين أوساط المسلمين في نشرات مختلفة بعض الشيء في ألفاظها، وراجت على كثير من الناس. وليصدقهم الناس؛ ذكروا أن من يهمل هذه الوصية ولا يأخذ بها لا ينال الشفاعة، وسيسوّد وجهه في الدنيا والآخرة،

وبأنه كفر، وسيصيبه كذا وكذا، ومن اهتم بها وكتبها ونشرها حصل له الرزق والسعادة، وذكروا أمورًا عديدة لا تحصل لكاتب القرآن الكريم فضلًا عن كلام مزيف، يدَّعي صاحبه تشريعًا غير تشريع الله، وثوابًا لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ(١).

وهذا مزلق خطِر للغاية، حيث أرهبوا الناس بذكر قصص باطلة عن مجهولين لا يعرفون بعدالة ولا أمانة، وهاهم أمم كثيرة من الناس لم يكتبوا هذه الرسالة، ولم ينشروها، ولم يحصل لهم ما ذكر فيها من التخويف، بل ومزقوها وحذروا منها، فلم يصبهم بحمد الله شيء، وفي المقابل كتبها كثير من الناس، ونشروها، ولم يحصل لهم الخير المزعوم فيها.

ولسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة خاصة في هذه النشرة قال في مقدمتها مبينًا سبب كتابته للرسالة: «ولقد نبهت عليها في السنوات الماضية، وبينت للناس أنها من أوضح الكذب، وأبين الباطل، فلما اطلعت على هذه النشرة الأخيرة ترددت في الكتابة عنها، لظهور بطلانها، وعظم جراءة مفتريها على الكذب، وما كنت أظن أن بطلانها يروج على من له أدنى بصيرة، أو فطرة سليمة، ولكن أخبرني كثير من الإخوان أنها قد راجت على كثير من الناس، وتداولوها بينهم، وصدَّقها بعضهم»(٢).

---

(١) انظر: تنبيه هام على كذب الوصية المنسوبة للشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف للشيخ ابن باز (ص/ ٢٩ – ضمن أربع رسائل في التحذير من البدع).

(٢) المرجع السابق (ص/ ٢٣-٢٤ – ضمن أربع رسائل في التحذير من البدع).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من الأمور الدالة على أن هذه الوصية من أبطل الباطل وأوضح الكذب قوله فيها: (ومن يصدق بها ينجو من عذاب النار، ومن كذب بها كفر) وهذا أيضًا من أعظم الجرأة على الكذب ومن أقبح الباطل، يدعو هذا المفتري جميع الناس إلى أن يصدقوا بفريته، ويزعم أنهم بذلك ينجون من عذاب النار، وأن من كذب بها يكفر، لقد أعظم والله هذا الكذاب الفرية، وقال والله غير الحق، إن من صدق بها هو الذي يستحق أن يكون كافرًا لا من كذب بها..»(١)، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونحن نحاربها من عشرات السنين، ولم نر إلا خيرًا، كل هذا شيء باطل، لا ينبغي التعلق به»(٢).

ولا زالت تلك الوصية تنتشر بين فينة وأخرى إلى اليوم، يرهبون بها عباد الله ويطلبون منهم نشرها عبر المواقع الالكترونية، مع قصص أخر مشابهة لها، كانت من أسباب انحراف الناس في هذا الباب الخطير، وفرارهم إلى من يزعمون فيه الولاية، مصدّقين ما يزعمونه كرامات، يخافون من إنكارها حتى لا يصبهم شيء من أسرار هذا الولي، وأنكروا على أهل السنة كفرهم بهم وبما يزعمونه في حقهم، مهددين بحصول الضرر والفساد لهم.

وهذا بعينه هو فعل المشركين الذين تقدم قولهم وتهديدهم وتخويفهم لأنبيائهم بإصابة معبوداتهم إياهم، فاستعانوا بالله وتوكلوا عليه، وحاربوا كل ما عبد من دون الله، فلم يصبهم شيء.

---

(١) المرجع السابق (ص/ ٢٩-٣٠ ضمن أربع رسائل في التحذير من البدع).

(٢) فتاوى نور على الدرب (٣/ ٢٥٨).

المطلب الثالث
عدم استشعار عظمة الله تعالى

وهذا الأمر واضح لدى الخائفين من غير الله تعالى -خوف السر-، فإن خوفهم من المخلوق ورهبتهم منه، أعظم من خوفهم من الله جل وعلا، وقد تقدم من صور هذا أن يحلف الواحد منهم بالله كاذبًا ولا يستطيع أن يحلف بمن يخاف منه من المخلوقين إلا صادقًا، بل منهم من يرى أن دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة بالله تعالى ودعائه، ومنهم من يقصد القبر ويعظمه ويبكي عنده ويخضع ويتضرع ويدعو ويحصل له من حضور القلب ما لا يحصل مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن، ومنهم من يحكي أن بعض المريدين استغاث بالله تعالى فلم يغثه، فاستغاث بشيخه فأغاثه[1].

وقد ذكر هذا إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما تقدم، فقد قال لقومه لما خوفوه بمعبوداتهم: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾، فهم لم يخافوا من الله تعالى وأرادوا تخويفه من تلك المعبودات، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان المشركون يخوّفون المؤمنين بآلهتهم، ويقولون: إنكم إذا لم تتخذوها شركاء وشفعاء فإنها تضركم، فأنكر

---

(١) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة (٢/ ٦٧٤-٦٧٧).

الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾، أي: كيف أخاف ما تدْعونه من دون الله وهو لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله، وأنتم لا تخافون الله حيث أشركتم به، فجعلتم له أندادًا، فأعدلتموهم به، تدعون من دونه؟»(١)، ويقول كذلك: «ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بشيخه وإمامه فيصدق ولا يكذب، فيكون شيخه عنده أعظم في صدره من الله تعالى، وقد قال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [هود: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[الحشر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ١٦٥]»(٢).

ويقول الشيخ عبدالله ابن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ مقارنًا بين عمار بيوت الله وعمار المشاهد والمقابر: «فَعُمّار مساجد الله لا يخشون إلا الله، وعُمّار مشاهد المقابر يخشون غير الله، حتى إن طائفة من أرباب الكبائر الذين لا يخشون الله فيما يفعلونه من القبائح؛ كان أحدهم إذا رأى قبة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة يخشى من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك هذا هلال القبة، فيخشون المدفون تحت الهلال، ولا يخشون

---

(١) جامع المسائل (٤/ ٣٧).

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة (٢/ ٦٧٨-٦٧٩).

الذي خلق السموات والأرض وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج، وهؤلاء إذا نوظروا خوَّفوا مناظَرهم كما صنع المشركون بإبراهيم»[١].

وقد ذكر الله تعالى هذا عن اليهود والمنافقين كذلك الذين لم يستشعروا الخوف من الله تعالى، بل كان خوفهم من المخلوقين أعظم من خوفهم من الله تعالى، فقال جلا وعلا: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]، فتركوا الخوف من الله تعالى الذي هو الأحق بهذه العبادة، وخافوا من المخلوق الضعيف، وهذا دليل على نقصان عقلهم، حيث لم يقدروا الله حق قدره، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ دليل على عدم استشعارهم الخوفَ من الله تعالى وعلى تنزيلهم المخلوقَ منزلة الخالق في هذه العبادة حتى كانوا يرهبون من الصاحبة أكثر من الله تعالى، ولو كان عندهم فقه لخافوا من الخالق أكثر من خوف المخلوق، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: هذه الرهبة التي لكم في صدور هؤلاء اليهود التي هي أشد من رهبتهم من الله من أجل أنهم قوم لا يفقهون قدر عظمة الله فهم لذلك يستخفّون بمعاصيه ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم»[٢]، وقال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا يعلمون عظمة الله وقدرته فيخافون منه»[٣].

---

(١) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة (ص/ ٣٥٨).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٤٥).

(٣) تفسير السمعاني (٥/ ٤٠٥)

المبحث الرابع

علاج الخوف من غير الله تعالى

وهذه المسألة من أهم مسائل هذا البحث، وأرى أن على الدعاة إلى الله أن يهتموا بهذا العلاج القرآني الآتي ذكره، حتى يجتثوا الشرك من قلوب الناس، وينزعوا الرهبة التي جعلها أعداء الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في صدورهم.

إن مما يساعد على الخوف من الله تعالى، وعدم الخوف من غيره عدة أمور ذكرها الله تعالى في كتابه وذكرها النبي ﷺ، وسأعرض هنا أهم تلك الأمور التي ذكرت في الكتاب والسنة:

المطلب الأول

معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله تعالى له الأسماء والحسنى والصفات العلا، وهم يثبتون تلك الصفات على الوجه اللائق بجلاله تبارك وتعالى، كما يعتقدون بآثارها.

وقد حث النبي ﷺ على تعلم تلك الأسماء الحسنى وإحصائها فقال: **(إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة)**[1]، ألا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط والثنايا في الإقرار.. (ص/ ٤٥١)، رقم (٢٧٣٦)، ومسلم في صحيحه، ك: الذكر والدعاء، باب: في أسماء الله الحسنى وفضل من أحصاها، (ص/ ١١٦٧)، رقم (٦٨١٠).

وإن من عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته فإنه لا بد أن يؤثر هذا على قلبه، فيخاف الرب تبارك وتعالى وحده ويخشاه، ولا يشرك في هذه العبادة أحدًا من خلقه، وتنقطع علائق خوفه من غيره جل وعلا، فكلما كان العبد أعرف بالله تعالى؛ كان أكمل في الخوف منه من غيره، وبذا تميز أهل العلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، قال طائفة من السلف: أي: العلماء به تبارك وتعالى[١]، وهذا أحد الأقوال في الفرق بين الخوف والخشية؛ فإن الخوف لعامة المؤمنين، وأما الخشية فللعلماء العارفين[٢]، فالخشية نوع من الخوف لكنه أخص منه، وذكر بعض العلماء نحو هذا في الفرق بين الخوف والخشية من وجهين؛ الأول: أن الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله، والخوف قد يكون من الجاهل. الوجه الآخر: أن الخشية تكون بسبب عظمة المخشي بخلاف الخوف فقد يكون من ضعف الخائف لا من قوة المخوف[٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى = كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل؛

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٠٩)، وتفسير السمعاني (٤/ ٣٥٧)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٨٢).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٥٠).

(٣) انظر: القول المفيد (٢/ ١٧٠-١٧١).

كانت الخشية له أعظم وأكثر»[١]، وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل من كان بالله أعلم؛ كان أكثر له خشية»[٢].

لذا كان خوف الملائكة والأنبياء المرسلين أعظم من خوف آحاد الناس، فإنه متى كان العبد أقرب إلى الله كان خوفه منه أشد، وضرب ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثلًا مشاهَدًا بهذا، وهو أن الماثل بين يدى أحد الملوك المشاهِد له؛ أشد خوفًا منه من البعيد عنه، بحسب قربه منه، ومنزلته عنده، ومعرفته به وبحقوقه، وأنه يطالب من حقوق الخدمة وأدائها بما لا يطالب به غيره، فهو أحق بالخوف من البعيد[٣].

ونبينا محمد ﷺ يقول: (**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**)[٤]، وفي رواية: (**والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي**)[٥]، وذلك لكمال معرفته بربه تبارك وتعالى.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما زاد علمه بالله لمعنيين: أحدهما: زيادة معرفته بتفاصيل أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وعظمته وكبريائه وما

---

(١) تفسير ابن كثير (١١/ ٣١٩-٣٢٠).

(٢) تفسير السعدي (ص/ ٨٠٩).

(٣) طريق الهجرتين (ص/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: (أنا أعلمكم بالله)، (ص/ ٦)، رقم (٢٠).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الصيام، باب: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب (ص/ ٤٥٣) رقم (٢٥٩٣).

يستحقه من الجلال والإكرام والإعظام. والثاني: أن علمه بالله مستند إلى عين اليقين، فإنه رآه إما بعين بصره أو بعين بصيرته»[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض حديثه عن الخوف: «فكلما كان العبد بالله أعلم؛ كان له أخوف، قال ابن مسعود: (وكفى بخشية الله علمًا)، ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به، فأعرف الناس أخشاهم لله، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه له وحبه له، وكلما ازداد معرفة ازداد حياء وخوفًا وحبًا، فالخوف من أجل منازل الطريق، وخوف الخاصة أعظم من خوف العامة، وهم إليه أحوج، وهو بهم أليق، ولهم ألزم»[2].

وإن من أعظم الظلم أن لا يخاف العبد من ربه الذي خلقه المتصف بالصفات العلا، ويخاف من المخلوق الضعيف المحتاج إلى غيره –خوفَ السر–، ولو أنه تفكر في أسماء الرب تبارك وتعالى وعرف معانيها وما تدل عليه؛ لم يشرك به غيرَه طرفة عين.

والمتأمل في قصص الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ مع أقوامهم عند تخويفهم إياهم بمعبوداتهم؛ يجد أنهم يذكرون الله تعالى بأوصافه التي تقتضي أن يكون خوف السر منه وحده دون ما سواه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما علم نبي الله هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن ربه على صراط مستقيم في خَلقه وأمْره ونهيه، وثوابه وعقابه، وقضائه وقدره، ومنْعه

---

(١) فتح الباري (١/ ٨٩).

(٢) طريق الهجرتين (ص/ ٢٦٩).

وعطائه، وعافيته وبلائه، وتوفيقه وخذلانه، لا يخرج في ذلك عن موجب كماله المقدس، الذي تقتضيه أسماؤه وصفاته، من العدل والحكمة والرحمة والإحسان والفضل، ووضع الثواب موضعه، والعقوبة في موضعها اللائق بها، ووضع التوفيق والخذلان والعطاء والمنع والهداية والإضلال، كل ذلك في أماكنه ومحاله اللائقة به، بحيث يستحق على ذلك كمال الحمد والثناء؛ أوجب له ذلك العلم والعرفان، إذ نادى على رؤوس الملأ من قومه بجنان ثابت وقلب غير خائف بل متجرد لله: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٤-٥٦]، ثم أخبر عن عموم قدرته وقهره لكل ما سواه، وذل كل شيء لعظمته، فقال: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ ، فكيف أخاف مَن ناصيتُه بِيَد غيره، وهو في قهره وقبضته وتحت قهره، وسلطانه دونه؟ وهل هذا إلا من أجهل الجهل، وأقبح الظلم؟»[(١)].

وقال: «فقال إبراهيم: إن أصابني مكروه فليس ذلك من قبل هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله، وهي أقل من ذلك، فإنها ليست مما يُرجى ويُخاف، بل يكون ذلك الذي أصابني من قبل الحي الفعال، الذي يفعل ما يشاء، الذي بيده الضر والنفع، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ثم ذكر سعة علمه سبحانه في هذا المقام منبهًا على موقع احتراز لطيف

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص/ ٢٤٧).

وهو: أن لله سبحانه علمًا فيّ وفيكم وفي هذه الآلهة لا يصل إليه علمي، فإذا شاء أمرًا من الأمور فهو أعلم بما يشاء، فإنه وسع كل شيء علمًا، فإذا أراد أن يصيبني بمكروه لا علم لي من أي جهة أتاني، فعلمه محيط بما لم أعلمه، وهذا غاية التفويض والتبري من الحول والقوة وأسباب النجاة، وأنها بيد الله لا بيدي، وهكذا قال شعيب لقومه: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ ﴾ [الأعراف: ٨٩]، فردّت الرسل العلم بما يفعله الله إليه، وأنه إذا شاء شيئًا؛ فهو أعلم بما يشاؤه، ولا علم لنا بامتناعه وعدم كونه»(١).

وهذا بخلاف أهل الضلال الذين خافوا من معبوداتهم أكثر من خوفهم من الله تعالى، فالصابئة الذين دعاهم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانوا يرهبون من الكواكب، ولذا توجهوا إليها بالعبادة، وكذا من وصف الله تعالى بعدم القدرة على الفعل لم يخفه، ومنهم الدهرية الفلاسفة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن من جعله غير قادر على إحداث فعل، ولا تغيير شيء من العالم، بل لزمه ما لا يمكنه مفارقته؛ لم يخشه، إنما يخشى الكواكب والأفلاك التي تفعل الآثار الأرضية عنده، أو ما كان نحو ذلك، ولهذا عبدها هؤلاء من دون الله، ولهذا كان دعاؤهم لها وخشيتهم منها. ولهذا تبرأ الخليل من مخافتها لما ناظرهم في عبادة الكواكب

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٨٧-٤٨٨).

والأصنام، وقال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]. قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾، فإن المشركين يخافون المخلوقات من الكواكب وغيرها، وهم قد أشركوا بالله، ولا يخافون اللهَ إذ أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وإنما يخشاه من عباده العلماء، الذين يعلمون أنه على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء عليم، فهؤلاء الدهرية الفلاسفة وأمثالهم لا يخافون الله تعالى»[1].

وتمعن في قول إبراهيم الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا﴾ كيف علق الأمر كله بمشيئة ربه جل وعلا، فهو القادر على كل شيء، لا يقع شيء إلا بمشيئته وقدرته، وأما تلك المعبودات فلا مشيئة لها ولا قدرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن آلهتكم أقل وأحقر من أن تضرَّ مَن كَفر بها وجحد عبادتها. ثم رد الأمر إلى مشيئة الله وحده، وأنه هو الذي يخاف ويرجى؛ فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا﴾، وهذا استثناء منقطع، والمعنى: لا أخاف آلهتكم، فإنها لا مشيئة لها ولا قدرة، لكن إن شاء ربي شيئًا نالني

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٨٢-٣٨٣).

وأصابني، لا آلهتكم التي لا تشاء ولا تعلم شيئًا، وربي له المشيئة النافذة، وقد وسع كل شيء علمًا، فمَن أولى بأن يخاف ويعبد: هو سبحانه، أم هي؟ ثم قال: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: فتعلمون ما أنتم عليه من إشراك من لا مشيئة له ولا يعلم شيئًا ممن له المشيئة التامة، والعلم التام»(١).

وهذا نبينا محمد ﷺ بعد أن ذكر الله تخويف قومه له، أمَره الله تعالى أن يذكّرهم بأن النفع والضر بيده تبارك وتعالى وحده الذي خلق السماوات والأرض بشهادتهم؛ فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقل: حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كل شيء سواه، فإنه الكافي الذي بيده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع»(٢).

فإذا علم العبد أن الأمر كله لله، وأن مشيئته نافذة لا محالة، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى؛ علم ضعف كل أحد سواه، وافتقاره إلى خالقه ومولاه، ولو اجتمع الأحياء والأموات على ضره؛ فإنهم لا يضرونه بشيء -مهما حرَصوا- إلا بما كتبه جل وعلا، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: (**يا غلام إني أعلمك كلمات،**

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٣).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٨).

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)[١].

فالواجب على العبد أن يخلص هذه العبادة لله تعالى وأن يستشعر عظمة الله تعالى وأنه هو وحده من بيده الضر والنفع وأن كل ما سواه مربوب مخلوق مفتقر إليه، وأن يتدبر معاني الأسماء الحسنى والصفات العلا والتي تزيد في إيمانه ويقينه.

المطلب الثاني

معرفة ما عليه المخلوق المربوب من الضعف والحاجة إلى خالقه

تقدم قريبًا أن من أعظم أسباب قطع علائق خوف السر من غير الله تعالى عن القلب هو معرفة الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ حيث تورث في قلبه إخلاص هذا الخوف لله تعالى دون ما سواه.

وفي مقابل هذا ينبغي للعبد أن يتفكر في حال المخلوق وحاجته إلى ربه تبارك وتعالى، فهو لا يملك النفع والضر لنفسه ولا لغيره، «وليس في الوجود الممكن سبب واحد مستقل بالتأثير، بل لا يؤثر سبب ألبتة إلا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٠٣)، والترمذي في جامعه، ك: صفة القيامة، (ص/ ٥٧٢)، رقم (٢٥١٦)، واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح.

بانضمام سبب آخر إليه، وانتفاء مانع يمنع تأثيره، وكل ما يُخاف ويرجى من المخلوقات فأعلى غاياته أن يكون جزء سبب غير مستقل بالتأثير، ولا يستقل بالتأثير وحده دون توقف تأثيره على غيره إلا الله الواحد القهار، فلا ينبغي أن يرجى ولا يخاف غيره، ولو فُرِض أن ذلك سبب مستقل وحده بالتأثير؛ لكانت سببِيَّته من غيره لا منه، فليس له من نفسه قوة يفعل بها، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فالحول والقوة التي يرجى لأجلهما المخلوق ويخاف إنما هما لله وحده وبيده في الحقيقة، فكيف يخاف ويرجى من لا حول له ولا قوة؟»(١)، فالأصنام والأموات وعموم المعبودات هي ضعيفة لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ولا تقبل الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧]، فانظر كيف قطع الشرك من عروقه، وأوضح أن هؤلاء المدعوين من دونه لا يملكون كشف الضر ولا تحويله عنكم، بل هم محتاجون إلى خالقهم، ولذلك توجهوا إليه بعبادة الخوف والرجاء دون غيره من المخلوقات.

وكما قال تعالى في قصة تكسير إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لآلهة قومه: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص/ ١٣١) بتصرف يسير.

هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٣-٦٧]، وكما قال في قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وكما قال في شأن عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وأمه: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة: ٧٥-٧٦]، وغيرها من النصوص.

فإذا كان هذا حالها؛ فكيف يخاف منها ويعتقد ضررها على نفسه وأهله وماله؟!

ولقد كان هذا من حجج إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إذ خوفه قومه بشفعائهم؛ أن قال: ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن هؤلاء المشركين الشرك الأكبر والأصغر يخوّفون المخلصين بشفعائهم، فيقال لهم: نحن لا نخاف هؤلاء الشفعاء الذين لكم، فإنهم خلقٌ من خلقِ الله، لا يضرون إلا بعد مشيئة الله، فمن مسه بضر فلا كاشف له إلا هو، ومن أصابه برحمة فلا راد لفضله، وكيف نخاف هؤلاء المخلوقين الذين جعلتموهم شفعاء وأنتم

لا تخافون الله، وقد أحدثتم في دينه من الشرك ما لم يُنزل به وحيًا من السماء؟ فأي الفريقين أحق بالأمن؟ من كان لا يخاف إلا الله، ولم يبتدع في دينه شركاء؟ أم من ابتدع في دينه شركًا بغير إذنه؟ بل من آمن ولم يخلط إيمانه بشرك فهؤلاء من المهتدين، وهذه الحجة المستقيمة التي يرفع الله بها وبأمثالها أهل العلم»[1].

وذكرهم إبراهيم الخليل بهذا فقال لقومه: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تعتبرون أن هذه الآلهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها؟[2]

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: «ثم لما بين لهم -أي هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- توكله على الله، وثقته بحفظه وكلاءته؛ وصفه بما يوجب التوكل عليه، والتفويض إليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم، وأنه مالك للجميع، وأن ناصية كل دابة من دواب الأرض بيده، وفي قبضته وتحت قهره، وهو تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل»[3].

وقال تعالى مرشدًا نبيَّه ﷺ أن يقول لقومه بعد أن خوفوه بآلهتهم: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ فهذه الأصنام لا تستطيع أن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٨٩)، وانظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٤٨٧).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٠).

(٣) تفسير الشوكاني (٢/ ٥٧٣).

تكشف الضر الذي ينزله الله تعالى، ولا تستطيع أن تمنع رحمة أرادها، قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول: لا يقدرن أن يكشفن ضرًّا ولا يمسكن رحمة»[١].

وانظر كيف وصف الله تعالى تلك المعبودات بأنها دونه فقال: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ وهذا ليظهر حقارتها وأنها لا تملك شيئا[٢].

والشاهد من هذا كله؛ أن معرفة ضعف المخلوق المربوب لهو أكبر مُعين على هدم أسّ الخوف من غير الله تعالى؛ إذ إن من أقبح الشرك أن يخاف المرء ممن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عن إملاكه لغيره.

المطلب الثالث
التوكل على الله تعالى

فإن من توكل على الله كفاه وهو حسبه، والتوكل على الله تعالى والثقة به من أعظم أنواع العبادات، ومن أعظم ما يدرأ به الإنسان عن نفسه الشرك بالله تعالى، ومنه الخوف من غيره جل وعلا[٣]؛ إذ إن التوكل على الله تعالى يدل على تعلق القلب بالخالق جل وعلا، وعدم الالتفات إلى المخلوق، فهو بمعنى التفويض؛ أي: تفويض الأمور إلى الله سبحانه[٤]، كما أن فائدة

---

(١) تفسير القرآن العزيز (٤/ ١١٣).

(٢) انظر: نظم الدرر (١٦/ ٥١٠).

(٣) القول السديد في مقاصد التوحيد (٣٥- ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٢٠)، وإعانة المستفيد (٢/ ٨١).

التوكل تظهر في حفظ الله تعالى للعبد كما حصل مع الأنبياء عندما خوفهم أقوامهم من معبوداتهم.

وإن من التفت إلى المخلوق فصرف له هذه العبادة وهي الخوف من غير الله تعالى؛ فإنه توكل على غير الله والتجأ إلى الضعيف الذي لا يملك النفع والضر، لذا يوكله الله تعالى إلى من توكل عليه كما سبق؛ إذ إنه «لا يستقيم توكل العبد حتى يصح توحيده، بل حقيقة التوكل: توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك؛ فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله؛ أخذ الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة»[1].

وقد دلّنا الله تعالى إلى هذا كثيرًا في كتابه، وأوضح أن من توكل على الله تعالى فإنه لا يضره شيء من تلك المعبودات إطلاقًا، فهو حسبه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، (عَزِيزٌ) أي: «لا يُضام من التجأ إليه، فإن الله عزيز منيع الجناب عظيم السلطان، (حَكِيمٌ) في أفعاله لا يضعها إلا في مواضعها، فينصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهل لذلك»[2].

ولذا ذكر الله تعالى هذا عن أنبيائه عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ فإننا نجد في سيرة الأنبياء والمرسلين أنهم عند تخويف أقوامهم لهم بآلهتهم؛ أنهم يلجأون إلى الله

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٢٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٠٤).

تعالى ويتوكلون عليه فهو حسيبهم وكافيهم، وفي هذا أعظم عبرة لأولئك الذين تعلقت قلوبهم بغير الله تعالى؛ خائفين من إصابة تلك المعبودات أنفسَهم أو أولادَهم أو أموالَهم ونحو ذلك:

- فإبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما خوفه قومه من غضب معبوداتهم؛ ذكر توكله على الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه موقن به ألا تصيبه تلك المعبودات، وأنه إن أصابه شيء فبتقدير الله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقال إبراهيم: إن أصابني مكروه فليس ذلك من قبل هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله، وهي أقل من ذلك، فإنها ليست مما يرجى ويخاف؛ بل يكون ذلك الذي أصابني من قبل الحي الفعال الذي يفعل ما يشاء، الذي بيده الضر والنفع، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد»[1].

- وكذا لما خوفوا هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بقولهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

ففي هذه الآيات أعظم الدلالات على شدة توكل هود عَلَيْهِ السَّلَامُ على ربه، ويظهر هذا مما يلي:

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٨٧).

١-أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أشهد اللهَ تعالى وأشهدَهم أنه بريء من شركهم ومن معبوداتهم، وهذا من تمام ثقته بالله جل وعلا، قال الواحدي: «يعني: إن كانت عندكم عاقبتني لطعني كان عليها؛ فإني الآن أزيد في الطعن، أي: إني متيقن بطلان ما تقولون؛ لبصيرتي في البراءة منها والعيب لها والإنكار لعبادتها»[1].

٢-تحدى قومَه جميعا -مع كثرتهم وقوتهم- في هذا الأمر وأعلنه، ولم يسكت بعد تخويفهم إياه، وهذا لا يكون إلا من قلبٍ امتلأ توكلًا على الله تعالى وثقة به، و«هذا من أعظم آيات الأنبياء أن يُقبل النبي على قومه مع كثرة عددهم واجتماع كلمتهم على عداوته، فيقول لهم هذا القول، وهذا للثقة بنصر الله تعالى إياه، وأنهم لا يَصِلون إليه، وكذلك قال نوح لقومه: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]»[2]، والأمر في قوله تعالى: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ هو للتعجيز، أي: لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شيء[3]، وفي هذا من إظهار عدم المبالاة بهم وبأصنامهم التي يعبدونها ما يصك مسامعهم، ويوضح عجزهم وعدم قدرتهم على شيء[4].

---

(١) التفسير البسيط (١١/ ٤٤٦)، وانظر: زاد المسير (٢/ ٣٨٠).

(٢) التفسير البسيط (١١/ ٤٤٧)، وانظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٤٣)، وزاد المسير (٢/ ٣٨٠).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ٣٧٣).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤٣٦).، وتفسير الشوكاني (٢/ ٥٧٣).

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ قال الطبري: «يقول: ثم لا تؤخروا ذلك، فانظروا هل تنالونني أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتني به من السوء؟»[١].

٣-التصريح بتوكله على الله تعالى الذي خلقه وخلقهم، إذ إن من توكل عليه كفاه وحفظه.

٤-ثم ذكر علة توكله على الله عَزَّوَجَلَّ وعدم مبالاته بالخلق[٢]، وهي أنه متصرف في الكون وحده، حتى تلك الأصنام التي تخوفون الناس بها لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًّا، وهي مقهورة تحت تصرف الله تعالى، وإنما خص بالأخذ (الناصية) دون سائر أماكن الجسد؛ لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع[٣].

٥-حسن ظنه بربه تبارك وتعالى، ووثوقه به، إذ إنه حافظه من كيد أعدائه، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا بين هود عليه الصلاة والسلام أنه واثق غاية الوثوق أنه لا يصيبه منهم ولا من آلهتهم أذى، فقال: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾ أي: اطلبوا لي الضرر كلكم بكل طريق تتمكنون بها مني ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ أي: لا تمهلوني»[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٥٨).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ٣٧٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٦٠).

(٤) تفسير السعدي (ص/ ٣٨٤).

-وعندما خوفوا النبي ﷺ من آلهتهم التي يعبدون؛ بين الله عَزَّوَجَلَّ أنه كافي نبيه من كل شر، يقول جل وعلا: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ويخوفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء ببراءتك منها وعيبك لها والله كافيك ذلك»[1]، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ أي: «منيع الجناب لا يضام، من استند إلى جنابه ولجأ إلى بابه، فإنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقاما منه، ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله ﷺ»[2].

ثم بين الله تعالى بعد هذا أن المشركين يقرون بربوبية الله تعالى، وأنه إن أراد بهم ضرًّا فإن تلك المعبودات لا تدفعها عنهم، وإن أراد بهم رحمة فلا يمسكونها دونه، ثم أمر النبي ﷺ بأن يتوكل عليه وحده، فقال جل وعلا: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

أي: أن الله تعالى هو حسبي وحده لا شريك له، إليه أفزع في أموري كلها دون ما سواه، فإنه الكافي، وبيده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي

(١) تفسير الطبري (١١/ ٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٠٠).

لا تضر ولا تنفع، فليتوكل عليه من هو متوكل وبه فليثق لا بغيره[١]، كما أن في هذا حجة عليهم في أن تلك الأصنام والأوثان إذا كانت كذلك فكيف يخوفونك بها وهي مخلوقة وأنت رسول الله، والله هو الذي خلقها وخلق السماوات والأرض؟[٢]، قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ عن ذلك فسكتوا، فقال الله تعالى لرسول ﷺ: قل: (حسبي الله): ثقتي به واعتمادي عليه، (عليه يتوكل المتوكلون): يثق به الواثقون[٣].

وتأمل وصف الله تعالى نبيَّه ﷺ بالعبودية وإضافته إلى ضمير الجلالة في مطلع تلك الآيات: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾، ستجد أنها تحمل كفالة الله تعالى له ونصره إياه من كل شر يريده أعداؤه، من أجل أنه وحد الله تعالى، وهذا معنى عظيم، فقد شرفه بهذه الإضافة التي تقتضي أنه غير مسلِّمه إلى أعدائه[٤].

وهاهنا فائدة جليلة؛ وهي أنه من بديع صنيع الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه التوحيد أنه أورد الباب المتعلق بالتوكل وهو باب قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] عقب الباب المتعلق بالخوف وهو باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٨) بتصرف.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٨١-٢٨٢).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٧٠).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٢٤/ ١٣)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٦/ ٥٠٩).

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]؛ وذلك أن الإنسان إذا أفرد الله سبحانه وتعالى بالخوف فإنه يعتمد عليه في حصول مطلوبه وزوال مكروبه، ولا يعتمد على غيره، ومن طرأ على قلبه شيء من هذا الخوف؛ فليُزِلْه بالتوكل، وكذلك فإن الخائف محتاج إلى ملاذ يصير إليه، ولا يكون هذا إلا بالله جل وعلا، وكلما زاد خوفه من ربه جل وعلا زاد توكله بقدر ذلك، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مناسبة هذا الباب لما قبله: هي أن الإنسان إذا أفرد الله سبحانه بالتوكل؛ فإنه يعتمد عليه في حصول مطلوبه وزوال مكروهه، ولا يعتمد على غيره»[1].

المطلب الرابع
النظر في سيرة الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين

إن المتأمل فيما قصه الله تعالى علينا من سير الأنبياء والمرسلين –وقد ذكرت طرفًا منها– ليجد قدوة حسنة له في إخلاص العبادة لله تعالى وعدم الخوف من غيره من المعبودات، وقد حفظهم الله تعالى من كيد أعدائهم، بل وظهرت حجتهم على الخلق حيث لم تصبهم تلك المعبودات كما يزعم أصحابها.

فإن هذا هو القصص الحق الذي تكلم الله تعالى به، لا ما يورده أهل البدع من القصص الباطلة والحكايات الملفقة كما سبق.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٨٧)، وانظر: القول السديد في مقاصد التوحيد (٣/ ٣٥– ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

هذا وليعلم أن لعباد القبور في هذا العصر شبهة يوردونها على عامة الناس، وهي أنه عند خوفهم من المعبود والتجائهم إليه يحصل مقصودهم، وينسبون ما حصل لهم إليه، ووجد هناك من لم يعتقد بأصحاب القبور ولم يخف منها؛ فحصل له الضرر بسبب سبه إياها أو عدم الاعتقاد بها أو عدم التقرب إليها.

والجواب عن هذا أن يقال:

-إن النصوص الواردة في هذا الباب كلها صريحة الدلالة على أن من اعتقد في تلك المعبودات النفع والضر فخافها دون الله تعالى خوف سر؛ فإنه مشرك به الشرك الأكبر.

-وعامة ما يذكره هؤلاء من المنافع المحصّلة لهم إنما هو من الكذب المحض، بل يستجاب لهم في النادر، فإن الكثير منهم يدعون ما شاء الله من الدعوات فيستجاب له في واحدة، ويدعو خلق كثير منهم فيستجاب للواحد بعد الواحد، مع ضعف التوحيد وذهاب حلاوة الإيمان، وإنه لا يكاد يبارك له في حاجته، وأين هذا ممن أخلص لله تعالى في عبادته وخاف من ربه دون ما سواه، فيتحرى الدعاء في السحر وفي السجود وأدبار الصلوات وفي بيوت الله؟ فإن هؤلاء لا تكاد تسقط لهم دعوة إلا لمانع[١].

-وعند خوف العبد من مقدّسه الباطل والتجائه إليه، وحصول مقصوده له؛ فإن هذا لا يعني صحة فعله، بل يحصل مثل هذا عند المشركين، بل

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٩٥-٦٩٦).

حتى للنصارى، فإن كان هذا وحده دليلًا على أن الله يرضى ذلك ويحبه؛ فليطرد الدليل، وليقل بصحة فعل هؤلاء جميعا[١].

-ثم إنه كما تقدم فإن الشياطين زينت لكثير من الناس هذا الأمر، وأعانتهم، فظهرت في صورة أصحاب القبور، وخاطبت الناس، وفتنتهم عن دينهم.

-وقد يشاء الله تعالى أن يصيب عبدًا بشيء له الحكمة البالغة جل وعلا لا تلك المعبودات، كما قال تعالى عن إبراهيم الخليل: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ، قال ابن عادل الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما ذكر عليه الصلاة والسلام هذا الاستثناء؛ لأنه لا يبعد أن يحدث للإنسان في مستقبل عمره شيء من المكاره، والحَمْقَى من الناس يحملون ذلك على أنه إنما حَدَثَ ذلك المكروه بسبب أنه طَعَنَ في إلهية الأصنام، فذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك حتى إنَّهُ لو حَدَثَ به شيء من المكاره لم يحمل على هذا السبب.. »[٢].

- ثم إن الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لم يصبهم أذى تلك المعبودات إطلاقًا، بل حفظهم الله تعالى من كل شر، كما في قصة إبراهيم وهود ومحمد صلى الله عليهم وسلم.

- وكذا السلف والأئمة على مر العصور يدعون إلى عبادة الله وحده، ونبذ كل ما يعبد من دونه، بل هدموا تلك الأصنام ولم يصبهم شيء، فالنبي ﷺ

(١) انظر كلاما مهما لشيخ الإسلام حول هذا في: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٩٤).
(٢) اللباب في علوم الكتاب (٨/ ٢٥٦).

بعث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الصنم المعروف مناة فهدمها وأخذ ما كان لها، وبعث المغيرةَ بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اللات فهدمها وحرقها بالنار، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى -وهي أعظم صنم تعبده قريش- فعضدها، وبعث جرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ذي الخلصة، فهدمه وأضرم فيه النار فحرقه[١].

قال قتادة: بعث رسول الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى شعب بِسُقام ليكسر العزّى، فقال سادنها -وهو قيّمها-: يا خالد أنا أحذركها، إن لها شدة لا يقوم إليها شيء، فمشى إليها خالد بالفأس فهشم أنفها[٢].

ومن أمثل القصص التي فيها عبرة وعظة؛ قصة صحابية جليلة متقدمة في الإسلام، وهي زِنِّيرة الرومية، التي أعتقها أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعن هشام بن عروة عن أبيه قال: ذهب بصر الزنيرة وكانت ممن تُعَذَّب في الله عَزَّ وَجَلَّ على الإسلام، فتأبى إلا الإسلام، فقال المشركون: ما أصاب بصرَها إلا اللات والعزى، فقالت: كلا والله ما هو كذلك. فردَّ الله عليها بصرها[٣]، وفي رواية: (ما تضرُّ اللات والعزى وما تنفعان)[٤]، وفي رواية: (أنا أكفر باللات والعزى)[٥].

وكذا قصة الطفيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع زوجته أنه لما أسلم قال لها:

---

(١) انظر: كتاب الأصنام للكلبي (ص/ ١٥، ١٧، ٢٤، ٣٦).

(٢) أخرجها الطبري في تفسيره (١١/ ٧).

(٣) أخرجها ابن إسحق في السيرة (ص/ ١٧١)، وانظر سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٠-٣٤١).

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤١)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٣/ ٤١٤).

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة (١٣/ ٤١٣).

فاذهبي إلى حسي ذي الشرى فتطهري منه، وكان ذو الشرى صنم دوس، والحسي حمى له يحمونه، وبه وشل من ماء يهبط من الجبل، فقالت: بأبي أنت أتخاف على الصبية من ذي الشرى شيئًا؟ قال: لا، أنا ضامن لما أصابك، قال: فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت، فعرض عليها الإسلام، فأسلمت(١).

وهكذا سار السلف والعلماء عند هدمهم للنصب والقباب على القبور؛ فإن وصف هذا يطول حيث لم تصبهم تلك المعبودات بشر؛ إذ إنها لا تملك النفع والضر.

كل هذا يؤكد لهؤلاء الضلال أن هذه العبادة –وهي الخوف- لا يجوز صرفها لغير الله تبارك وتعالى.



(١) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٢٣٢).

الخاتمة

أحمد الله تبارك وتعالى على ما من به علي من إتمام هذا البحث وأسأل الله تعالى أن يكون حجة لي لا علي، وهنا أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث:

١- أن الخوف عبادة عظيمة يجب إخلاصها لله تعالى وأن كثيرًا من الأمم السابقة خالفت أنبياءها في هذه العبادة العظيمة، وكذلك وقع هذا في هذه الأمة؛ حيث خيف من الأموات والأحياء والطواغيت أن تصيب الناس بالضر.

٢- أن الخوف أنواع عديدة، منه ما هو محمود، ومنه ما هو جائز، ومنه ما هو محرم، ومنه ما هو شركي، وهو خوف السر الذي يخرج من الملة المحمدية.

٣- أن ضابط خوف السر هو إما اعتقاد استقلالية المعبود دون الله بالنفع والضر أو عن طريق ما يهبه الله تعالى له من الكرامة التي يصيب بها الناس كما يزعم عباد القبور.

٤- لا فرق في هذا الخوف الشركي بين خوف الأصنام والأوثان والطواغيت، وبين خوف من يعتقد فيهم الولاية والصلاح، إذ الكل فيه صرف العبادة لغير الله جل وعلا.

٥- كثير من مشركي زماننا يخاف ممن يعتقد فيه الولاية أعظم من خوف الله تعالى، ومن مظاهر هذا أنه يحلف بالله كاذبًا ولا يجرأ على ذلك

مع معظَّمه.

٦- أن لخوف السر أضرارًا عديدة أهمها أن الله تعالى يكل العبد إلى من خافه واتقاه، وحصول الخوف والاضطراب، بالإضافة إلى عدم تحصيله لمطلوبه.

٧- حصول الفتنة من قبل الشيطان بتلك المعبودات، فكانت الأصنام والأوثان والضرائح وغيرها تخاطب الناس وقد يرون أصحابها بتمثل الشياطين بهم.

٨- استطاع كثير من أهل البدع أن يسحقوا التوحيد من قلوب الناس بإرهابهم من مقدَّسيهم بحبْك القصص والحكايات المكذوبة.

٩- أعظم علاج للخوف من المخلوقات هو معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، فمن عرفه بذلك حق المعرفة امتنع من أن يخاف خوف السر من أحد من الخلق.

١٠- إن التوكل على الله تعالى مانع من إيقاع الضرر بإذن الله ولذلك التجأ الأنبياء والمرسلون بالله تعالى وتوكلوا عليه عند تخويفهم فلم يصبهم شيء.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الإخنائية، أو الرد على الإخنائي، تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز، ط: الأولى، ١٤٢٠.

- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، تأليف الشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان، تحت إشراف الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط: الثانية، ١٤٢٧.

- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط: الأولى، ١٤٢٩.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧.

- إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٢٣.

- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٨.

• اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تأليف أحمد بن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل، مكتبة الرشد-الرياض، ط: الخامسة، ١٤١٧.

• البحر المحيط في التفسير، تأليف أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠.

• بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد بن إبراهيم الزغلي، دار المعالي-عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

• تجريد التوحيد المفيد، تأليف الإمام العلامة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي، اعتنى به علي محمد العمران، دار عالم الفوائد، ط: الثانية، ١٤٢٤.

• التحرير والتنوير من التفسير، تأليف:
محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي.

• التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: أبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق عبدالله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦.

• تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق الرحالة الفاروق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وغيره، وزارة الأوقاف في قطر، دار الخير، ط: الثانية، ١٤٢٨.

- التفسير البسيط، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود.
- تفسير البغوي (معالم التنزيل) للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤.
- تفسير السمعاني (تفسير القرآن)، للإمام أبي المظفر السمعاني، تحقيق أبي تميم ياسر، وأبي بلال غنيم بن عباس، دار الوطن-الرياض، ط: الأولى، ١٤١٨.
- تفسير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٠.
- تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، تحقيق أبي عبدالله حسين بن عكاشة، ومحمد الكنز، الفاروق الحديثة-القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣.
- تفسير القرآن العظيم، تأليف الإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفي السيد محمد وآخرون، دار عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٥.
- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: أبي عبدالرحمن محمد بن علي عجال. مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية. ط الأولى ١٤١٧هـ.
- التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، دروس

ألقاها صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ، دار التوحيد، ط: الأولى، ١٤٢٣.

- تنبيه هام على كذب الوصية المنسوبة للشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف للشيخ ابن باز -ضمن أربع رسائل في التحذير من البدع.
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، دار السلام-الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٢.
- جامع الترمذي، إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار السلام-الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تأليف: أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٧.
- الجامع لشعب الإيمان، تأليف: الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبدالعلي عبدالحميد حامد، وزارة الأوقاف – قطر، الدار السلفية – الهند، ١٤٢٩.
- حاشية كتاب التوحيد، بقلم عبدالرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي

النجدي، ط: الرابعة، ١٤١٤.

- الدر النضيد على أبواب التوحيد، تأليف الشيخ سليمان بن عبدالرحمن الحمدان، دار الصميعي، ط: الأولى، ١٤٢٤.

- درء تعارض العقل والنقل (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)، تأليف ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود.

- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام، من عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عصرنا هذا، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط: الخامسة، ١٤١٤.

- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف:

عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. المكتب الإسلامي – بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

- سنن الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر – بيروت، بدون سنة طبع.

- سيرة ابن إسحق (كتاب المبدأ والمبعث والمغازي)، تأليف محمد بن إسحق بن يسار، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب.

- سيرة النبي ﷺ لأبي محمد عبدالملك بن هشام، تحقيق محمد محي

الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث – القاهرة.

• شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

• شرح ثلاثة الأصول، تأليف الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، تحقيق علي بن صالح المري وأحمد بن عبدالعزيز بن باز، دار المسير، ط: الأولى، ١٤١٨.

• شرح ثلاثة الأصول، تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، ط: الرابعة، ١٤٢٤.

• شرح فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، شرح معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، مكتبة دار الحجاز، ط: الأولى، ١٤٣٣.

• صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد إسماعيل البخاري، دار السلام-الرياض، ط: الثانية، ١٤١٩.

• صحيح سنن الترمذي، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠.

• صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار السلام-الرياض، ط: الأولى، ١٤١٩.

• الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تصنيف الشيخ الإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب، الشهير بابن قيم

الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، ط: الثالثة، ١٤١٨.

- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، تحقيق أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، دار الحديث – مصر، ١٩٩١.

- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، تأليف محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، تحقيق خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط: الثانية، ١٤٢٦.

- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط: الرابعة، ١٤١٤.

- فتاوى نور على الدرب، تأليف عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وغيره، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة، ط: الأولى، ١٤١٧.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد الشوكاني، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث-القاهرة، ط: الأولى،

١٤١٦.

• فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ حامد بن محمد بن حسين، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار المؤيد، ط: الأولى، ١٤١٧.

• فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، دار الحديث – القاهرة، ١٤١٤.

• الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق د. عبدالرحمن بن عبدالكريم اليحيى، دار الفضيلة – الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠.

• الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، تأليف أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، ضبطه وصححه خليل المنصور، دار الكتب العلمية –بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨.

• الفوائد للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق عامر بن علي ياسين، دار ابن خزيمة – الرياض، ط: الأولى، ١٤١٨.

• قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: سليمان بن صالح الغصن، دار العاصمة – الرياض، ط: الثانية ١٤١٨.

- القول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي - عنيزة، ط: الثانية، ١٤١٢.
- القول المفيد على كتاب التوحيد، تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط: الثانية، ١٤٢٤.
- كتاب الأصنام، تأليف: أبي المنذر هشام بن محمد أبي النضر بن السائب الكلبي، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الرابعة، ٢٠٠٠م.
- الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، تأليف أبي سليمان عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، الناشر: عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميح، ط: الرابعة ١٤٢٠.
- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، تأليف: الحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق زهير الشاويش، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: الرابعة، ١٣٩٧.
- اللباب في علوم الكتاب، تأليف: الإمام المفسر عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وغيره، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر-بيروت، ط: الثالثة، ٢٠٠٤.

• مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية. جمع وترتيب: الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وولده محمد. طبع بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين.

• مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق محمد البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة. ١٤١٦.

• المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: الأولى، ١٤١١.

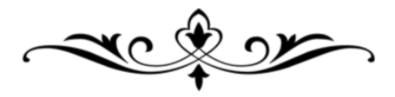
• مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية، ١٤٢٠.

• معاني القرآن، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور –بيروت، بدون سنة طبع.

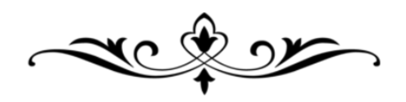
• معجم مقاييس اللغة، تأليف أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٩.

• مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة. للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. قدم له: علي بن حسن بن علي الحلبي الأثري. دار ابن عفان ١٤١٦هـ.

- مفردات ألفاظ القرآن، تأليف العلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم-دمشق، ط: الثانية،١٤١٨.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تأليف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، تأليف: الإمام محمد بن علي الكرجي القصاب، تحقيق إبراهيم منصور الجنيدل وغيره، دار ابن عفان – القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٤.



فهرس الموضوعات





عصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة

د. ذياب بن مدحل العلوي

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة،
كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية

ملخص البحث

يتألف البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة؛ جاء التمهيد في مبحثين؛ المبحث الأول عرّف العصمة في اللغة والاصطلاح، وبين أن التعريف الاصطلاحي الجامع للعصمة هو: حفظ الله عَزَّوَجَلَّ ومنعه لعبده من الوقوع في الذنوب والمعاصي ابتداء، أو من الإقرار عليها، أو من الإصرار عليها، وعدم التوبة منها انتهاء، وهذا التعريف يشمل الأنبياء والرسل، وغيرهم، وتطرقت فيه إلى ذكر الفروق بين عصمة الأنبياء وعصمة غيرهم من آحاد الأمة من عدة جهات؛ الأولى: من جهة أصل العصمة، والثانية: من جهة حكم العصمة، والثالثة: من جهة الذنوب التي قد تقع من الأنبياء والرسل ومن غيرهم.

وذكر المبحث الثاني من التمهيد أقوال الناس في عصمة الأنبياء عمومًا، فمنهم من غلا في نفي العصمة، ومنهم من غلا في إثباتها، وبين هذين درجات، وأقوال.

وبيّن المبحث الأول والثاني أدلة من قال بالعصمة وعدمها للأنبياء والرسل قبل النبوة.

وحقق المبحث الثالث القول في مسألة عصمة الأنبياء قبل النبوة، وأهم ما خلص إليه هذا المبحث: أن الأنبياء والرسل خيار أقوامهم، ولهذا اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ، ومع هذا فليس في النبوة ما يستلزم أن يكون النبي قبل

النبوة معصومـًا، ولكن يجب أن يفرق بين النبي الذي ينشأ بين قوم مشركين، لم تسبق لهم دعوة، وبين من ينشأ بين قوم مؤمنين، لهم شريعة، وبعث فيهم أنبياء، وبين من بعث إلى قوم على بقايا من دين نبي سابق، فالأول لا يجوز عليه الشرك، والكفر، وكثير من المعاصي التي نزل تحريمها في شرعهم، مثل: أنبياء بني إسرائيل، أما من نشأ بين قوم مشركين، لم تسبق لهم دعوة، ولم يأتهم نبي؛ فليس على النبي غضاضة، أو نقص، وعيب؛ إذا كان على دينهم، وهذا مثل: شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أما من نشأ بين قوم مشركين كانوا على بقية من دين نبي سابق فهذا يكون وسطـًا بين القسمين السابقين، ما بقي من الدين السابق الأظهر أنه لا يخالفه، وما كان غير ذلك فمحل بحث، ونظر، وهذا مثل: نبينا محمد ﷺ، وأن الله عَزَّوَجَلَّ حفظ نبينا محمدا ﷺ وصانه من الشرك، وعبادة الأصنام، وحفظه من كثير من الذنوب، والمعاصي، ولا يلزم أن يكون كل الأنبياء كذلك، فإن نبينا محمداً ﷺ أفضل الأنبياء، والرسل.

ثم جاءت الخاتمة شاملة أهمَّ ما سطره البحث، وجالت به أحرفه.

ذياب بن مدحل العلوي

diyabmedhel@gmail.com

The ismah of the Prophets and Messengers before their Prophethood

Dr. Dhiyab bin Medhel al-Alawi

Saudi academic, associate professor, at the Department of Creed in the Islamic University

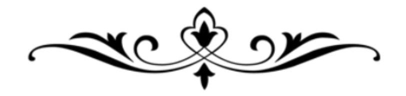
Abstract

This research consists of an introduction, preface, three chapters and an ending. The preface consists of two chapters; the first one explains the meaning of *ismah* in the language and its definition. The comprehensive definition of *ismah* is that Allah safeguards and prevents His slave from committing sins in the first place, or that the slave continuous to commit them and does not repent thereafter. This definition includes the prophets, messengers and others then them. I also mentioned the differences between the *ismah* of the prophets and the *ismah* of others from different angels; the first one is the foundation of the *ismah*, the second is the ruling of the *ismah* and the third regarding the sins that could be committed by the prophets and messengers and others than them. The second chapter of the preface mentions the different opinions in general regarding the *ismah* of the prophets, some of them exaggerated in denying the *ismah* whilst others exaggerated in affirming it and between these two opinions are different levels and views.

The first and the second chapter explained the evidences mentioned by those who had the opinion of *ismah* and those who did not.

The third chapter examined the correct opinion regarding the *ismah* of the prophets and messengers. The most important results that this chapter concluded are that the prophets and messengers are the best of their people and that is why Allah choose them. That however, does not mean that the prophet was infallible before being a prophet. It is important to make difference between a prophet who was raised between polytheists who did not receive *da'wah* and a prophet who was raised amongst believers with a *shari'ah* and had prophets among them. It is impossible that they could fall into polytheism or unbelief and many of the sins that were prohibited in their laws; like the prophets of Banu Isra'il. When it comes to the prophets that were raised amongst polytheist that did not have any prophets before them then it is not any defect, disgrace or shame if they used to have the same religion as their people like Shu'ayb, Ibrahim and Lut. When it comes to the prophets that were raised amongst polytheists that followed some remaining parts of the religion of a former prophet then he is between those two mentioned categories. Regarding to what was remaining from the former religion then it is apparent that he does not differ from it and regarding to other things then it should be something that is studied. An example of this category is our prophet Muhammad ﷺ, because Allah safeguarded our prophet Muhammad ﷺ and preserved him from falling in to

polytheism and worshiping statues, as well as Allah preserved him from committing a lot of sins and faults. It is not necessary that all of the prophets were like that, because our prophet Muhammad ﷺ was the best of all prophets and messengers. The research ended with a comprehensive closure that mentioned the most important conclusions.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن والاه إلى يوم نلقاه.

أما بعدُ؛ فقد تنوعت النصوص الشرعية في الدلالة على عظيم مكانة الإيمان بالأنبياء والرسل من الإيمان، وسمو منزلته، وعلو رفعته، فأخبر عَزَّوَجَلَّ بأن الإيمان بجميع الأنبياء من خصال البر التي من يفعلها فهو من الذين صدقوا ومن المتقين، كما في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وأخبر عَزَّوَجَلَّ بأن الرسول ﷺ والمؤمنين آمنوا بجميع ما أنزل إليهم من ربهم؛ الذي منه: الإيمان بجميع الأنبياء، والمرسلين، وأنهم لا يفرقون بين أحد منهم، كما في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وأمر عَزَّوَجَلَّ النبي ﷺ -والمؤمنون به تبع له- أمر وجوب بالإيمان بجميع ما أنزل على الأنبياء، والرسل، وأتوا به، وعدم التفريق بين أحد

منهم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

وأمر الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين أمر وجوب بالإيمان بجميع ما أنزل على الأنبياء، والرسل، وأتوا به، والإخبار بأنهم آمنوا بالجميع إيمانا بدون تفريق بين أحد منهم، كما في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وأمر عَزَّوَجَلَّ المؤمنين أمر وجوب بالإيمان بالله، ورسله، وكتبه، ثم أخبر بأن من يكفر بجملة أمور -التي منها: أن يكفر بالأنبياء والرسل- فقد ضل ضلالاً بعيداً، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وأخبر أن من كذّب ولو نبياً واحداً فهو كمن كذب بالجميع، وهذا يقتضي أن الإيمان بالأنبياء والرسل هو جملة واحدة لا تتبعض، وكلٌّ لا يتجزأ، وهذا كما في قول الله عَزَّوَجَلَّ في قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وقوله في قوم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وقوله في قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١]،

وقوله في قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠]، وقوله في أصحاب الأيكة: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦].

وأخبر بكفر كل مَنْ فَرَّقَ في الإيمان بين الأنبياء، والرسل، فآمن ببعض، وكفر ببعض، وأن كفره هو الكفر الحق، وفي المقابل أخبر بأن الذين آمنوا بجميع الأنبياء، والرسل، ولم يفرّقوا بين أحد منهم، سوف يؤتيهم الله عَزَّوَجَلَّ أجورهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢].

ومن هذا: الأدلة التي فيها الإخبار بأن اليهود والنصارى من أصحاب النار إذا فرقوا في الإيمان بين نبينا محمد ﷺ وبين أنبيائهم، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار»[١].

ومن هذا: إخبار النبي ﷺ أنه أُمِرَ بقتال جميع الناس من أهل الكتاب

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، ص (٧٧)، رقم: (٣٨٦).

وغيرهم حتى يؤمنوا به، كما في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوه عصموا مني دماءهم، وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»(١).

وأخبر عَزَّوَجَلَّ بأن الإيمان بالأنبياء والرسل هو أحد أركان الإيمان العظام، وأصوله الكبار؛ التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ولا يكمل إيمانه إلا بإتمامها، يدل عليه سؤال جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رسول الله ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر»، قال: صدقت(٢).

يقول ابن القيم: «العلم المفروض تعلمه ضربان: ضرب منه فرض عين، لا يسع مسلما جهله، وهو أنواع: **النوع الأول**: علم أصول الإيمان الخمسة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. فإن من لم يؤمن بهذه الخمسة لم يدخل في باب الإيمان، ولا يستحق اسم المؤمن»(٣).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾، ص (٧)، رقم: (٢٥)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ص (٣٣)، رقم: (١٢٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، ص (٢٤ - ٢٥)، رقم: (٩٣)؛ من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) مفتاح دار السعادة (١ / ٤٨١)، ويقول ابن القيم في الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١ / ٣٦٥): «إن أصول الإيمان خمسة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر».

ولما كان الإيمان بالأنبياء والرسل بهذه المنزلة العظيمة، والمكانة الرفيعة؛ آثرت أن أبحث في بعض مسائله، والغوص في شيء من دقائقه، لعلي أجلي جزءاً من حقائقه، وأوضح شطراً من مباحثه، فوقع الاختيار على عنوان (عصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة) جعلته في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث.

التمهيد: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف العصمة في اللغة، والاصطلاح، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العصمة في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف العصمة في الاصطلاح.

المبحث الثاني: أقوال الناس في عصمة الأنبياء عمومـًا.

المبحث الأول: أدلة من قال بعدم عصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة.

المبحث الثاني: أدلة من قال بعصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة.

المبحث الثالث: تحقيق القول في مسألة: عصمة الأنبياء قبل النبوة.

أسأل الله الوهاب أن يسعدني فيه بالصواب، ويفرحني فيه بالرضوان، ويدخلني، ووالدي، وجميع المسليمن الجنان، إنه قريب، سميع، مجيب.

وصلِّ اللهم وسلم، على عبدك، ونبيك، ورسولك؛ محمد.

تمهيد

المبحث الأول
تعريف العصمة في اللغة، والاصطلاح

۞ المطلب الأول: تعريف العصمة في اللغة[١]:

العصمة في اللغة من: عصم، يعصم، عصمة، وهو عاصم، ومعصوم، وهي عواصم...

وأصل العصمة في كلام العرب: المنع، يقول ابن منظور: «العصمة في كلام العرب: المنع»[٢].

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]، «أي: امتنع، وسميت العصمة عصمة؛ لأنها تمنع من ارتكاب المعصية»[٣].

وقيل: أصل العصمة: الحفظ.

وقيل: أصل العصمة: الربط، ثم صارت بمعنى: المنع.

وقيل: أصل العصمة: التمسك بما يعصمك، ويمنعك، يقول ابن الأثير: «العِصْمةُ: المنعة، والعاصمُ: المانعُ الحامي، والاعْتِصامُ: الامتِساك

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري ص (٧١١)، والعين للخليل الفراهيدي (١ / ٣١٣)، وتاج العروس للزبيدي (٣٣/ ١٠٠).

(٢) لسان العرب (٩ / ٢٤٤).

(٣) تفسير القرطبي (٥ / ١٢٥).

بالشيء، افتعال منه»[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١]، فإن «معناه: يتمسك، ويستذري، وعصم الشيء إذا منع وحمى، ومنه قوله: ﴿ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٤٣]، والعصم: الأسباب التي يمت بها، ويعتصم من الخيبة في الغرض المطلوب»[٢].

ويقول ابن القيم: «الاعتصام: افتعال من: العصمة، وهو: التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور، والمخوف، فالعصمة: الحمية، والاعتصام: الاحتماء، ومنه سميت القلاع: العواصم؛ لمنعها، وحمايتها»[٣].

ويؤيده مشيراً إليه: قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فإن «معناه: تمنعوا وتحصنوا به... والحبل في هذه الآية مستعار؛ لما كان السبب الذي يعتصم به، وصلة ممتدة بين العاصم والمعصوم، ونسبة بينهما، شبه ذلك بالحبل الذي شأنه أن يصل شيئًا بشيء، وتسمى العهود والمواثيق: حبالاً»[٤].

وهي معان -كما ترى- متقاربة، وقد جعلها ابن فارس كلها معنى واحداً في قوله: «عصم: العين والصاد والميم أصل واحد صحيح، يدل على

(١) النهاية في غريب الأثير ص (٦٠٨).
(٢) تفسير ابن عطية ص (٣٣٧).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٥٧ - ٤٥٨).
(٤) تفسير ابن عطية (٣٣٧)، وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٨٦).

إمساك، ومنعة، وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد، من ذلك: العصمة: أن يعصم الله -تعالى- عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله -تعالى-: إذا امتنع، واستعصم: التجأ.

وتقول العرب: أَعْصَمْتُ فلانـًا؛ أي: هيأت له شيئـًا يعتصم بما نالته يده؛ أي: يلتجئ، ويتمسك به»[١].

المطلب الثاني: تعريف العصمة في الاصطلاح:

يعرف الحافظ ابن حجر عصمة الأنبياء والرسل بقوله: «عصمة الأنبياء -على نبينا وعليهم الصلاة والسلام-: حفظهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفيسة، والنصرة، والثبات في الأمور، وإنزال السكينة، والفرق بينهم وبين غيرهم: أن العصمة في حقهم بطريق الوجوب، وفي حق غيرهم بطريق الجواز»[٢].

ويعرفها الراغب الأصفهاني بقوله: «عصمة الأنبياء: حفظه إياهم، أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجِسْمِية، والنَّفْسِية، ثم بالنصرة وبتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق»[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ص (٧٥١).

(٢) فتح الباري (١١ / ٥١٠).

(٣) المفردات في غريب القرآن ص (٣٤٠).

ويعرفها الجرجاني بأنها «ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها»[١].

والذي يظهر أن التعريف الجامع للعصمة هو: حفظ الله عَزَّوَجَلَّ ومنعه لعبده من الوقوع في الذنوب والمعاصي ابتداء، أو من الإقرار عليها، أو من الإصرار عليها، وعدم التوبة منها انتهاء[٢].

فالعصمة قبل الوقوع في الذنب منع الله عَزَّوَجَلَّ عبدَه من المعصية، مع تمكّن العبد من الفعل، فليس معنى العصمة عدمَ القدرة على المعصية، كما يقوله البعض[٣]، بل معناه: حفظ الله عَزَّوَجَلَّ ومنعه عبدَه من المعصية.

فالعصمة من الله عَزَّوَجَلَّ للعبد عن المعصية حفظه ومنعه عنها، مثل إعانته على الطاعة، كلاهما توفيق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والعصمة بعد الوقوع في الذنب تشمل مراتب عدة:

فقد تكون العصمة من الذنوب: العصمة من الإقرار على الذنوب، والمعاصي.

وقد تكون العصمة من الذنوب: العصمة من الإصرار على الذنوب، والمعاصي.

---

(١) التعريفات للجرجاني ص (١٥٠)، وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف ص (٢٤٢).

(٢) هناك عدة تعريفات للعصمة شرعـًا، وما ذكرته هو على الصحيح، ثم هو تعريف جامع في نظري -والله أعلم-، وانظر: لوامع الأنوار البهية (٢ / ٣٠٣)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين ص (٥٧١)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص (٢١٣).

(٣) نقله الزبيدي في تاج العروس (٣٣ / ١٠٠) عن أهل الكلام، قال: «وهو الذي اعتمده ابن الهمام».

فقد يؤذن للعَبْد بالذنب كونـًا، وإن كان لا يقر عليه شرعـًا، لكنه يعصم ويحفظ من الإصرار على المعصية.

وقد تكون العصمة من الذنوب: العصمة من الموت على الذنب، فقد يؤذن للعَبْد على الذنب كونـًا، وإن كان لا يقر عليه شرعـًا، ويُصِرُّ على الذنب، لكنه يعصم من الموت عليه فيوفقه الله عَزَّوَجَلَّ للتوبة منه.

وهذا التعريف يشمل الأنبياء، والرسل، ويشمل غيرهم، أما الفرق بين عصمة الأنبياء وعصمة غيرهم من آحاد الأمة فمن عدة جهات:

الأولى: من جهة أصل العصمة: فالأصل في الأنبياء والرسل أنهم معصومون إلا ما قيل في الصغائر، أما الأصل في غير الأنبياء والرسل أنهم ولو بلغ ما بلغ فهو غير معصوم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «بخلاف غير الأنبياء؛ فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء، ولو كانوا أولياء لله»[(١)].

ويقول ابن القيم: «العصمة منتفية إلا عن الرسل، ومجموع الأمة»[(٢)].

ويقول الحافظ ابن حجر: «إن غير النبي -ولو بلغ من الفضل الغاية- ليس بمعصوم»[(٣)].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠ / ٢٩٠).

(٢) مدارج السالكين (١ / ٧١).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧ / ٢٦).

الثانية: من جهة حكم العصمة في حقهم: فهي واجبة في حق الأنبياء والرسل، أما غيرهم فعلى سبيل الجواز، فقد يعصم من بعض الذنوب، ولا يعصم من البعض الآخر، يقول ابن حجر في الفرق بين عصمة الأنبياء والرسل وعصمة غيرهم: «الفرق بينهم وبين غيرهم: أن العصمة في حقهم بطريق الوجوب، وفي حق غيرهم بطريق الجواز»(١).

الثالثة: من جهة الذنوب التي قد تقع من الأنبياء والرسل ومن غيرهم: فالأنبياء والرسل معصومون من جميع الذنوب إلا الصغائر على الصحيح، والصغائر وإن وقعت من الأنبياء فإن العصمة في حقهم تأتي في عدم إقرارهم عليها، وعدم إصرارهم، والعصمة من عدم التوبة منها، وهذا ما لا يتأتى لغير الأنبياء.

أما غير الأنبياء فالأصل أنهم غير معصومين من جميع الذنوب، وقد يعصم الله عَزَّوَجَلَّ من يشاء من خلقه عما يشاء من الذنوب.

المبحث الثاني
أقوال الناس في عصمة الأنبياء عموماً

اختلفت أقوال الناس، وتعددت مذاهبهم، وتشعبت آراؤهم؛ في عصمة الأنبياء والرسل: فذهب بعض الخوارج، وبعض المعتزلة، وبعض المرجئة؛

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١ / ٥١٠).

إلى القول بعدم عصمة الأنبياء عن الكبائر والصغائر مطلقـاً[١].

وحُكي عن بعض الكرامية القول بعدم عصمة الأنبياء عن الكبائر والصغائر مطلقـاً، حتى الكذب في البلاغ.

ونسب إلى الكرامية من المرجئة، وابن الطيب الباقلاني من الأشعرية، ومن اتبعه، وإلى اليهود، والنصارى القول بعدم عصمة الأنبياء عن الكبائر والصغائر مطلقـاً، عدا الكذب في البلاغ.

يقول ابن حزم: «اختلف الناس في: هل تعصي الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أم لا؟

فذهبت طائفة إلى أن رسل الله -صلى الله عليهم وسلم- يعصون الله في جميع الكبائر، والصغائر عمداً، حاشى الكذب في التبليغ فقط.

وهذا قول الكرامية من المرجئة، وقول ابن الطيب الباقلاني من الأشعرية، ومن اتبعه، وهو قول اليهود، والنصارى.

وسمعت من يحكي عن بعض الكرامية: أنهم يجوزون على الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الكذب في التبليغ أيضـاً.

وأما هذا الباقلاني: فإنا رأينا في كتاب صاحبه أبي جعفر السمناني قاضي الموصل أنه كان يقول: إن كل ذنب دقَّ أو جلَّ فإنه جائز على الرسل، حاشى الكذب في التبليغ فقط، قال: وجائز عليهم أن يكفروا، قال: وإذا نهى النبي ﷺ عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلاً على أن ذلك النهي قد نسخ؛

---

(١) انظر: أصول الدين للبزدوي ص (١٧٢).

لأنه قد يفعله عاصياً لله عَزَّوَجَلَّ، قال: وليس لأصحابه أن ينكروا ذلك عليه»[(١)].

ومنهم من جوز وقوع الكبائر والصغائر من الأنبياء سهواً لا عمداً؛ بشرط أن يتذكروه في الحال، وينبهوا غيرهم على أن ذلك كان سهوا، يقول الرازي وهو من الأشاعرة: «الذي نقول به: إنه لم يقع منهم ذنب على سبيل القصد، لا صغير، ولا كبير، وأما السهو فقد يقع منهم، بشرط أن يتذكروه في الحال، وينبهوا غيرهم على أن ذلك كان سهواً»[(٢)].

ونسبه ابن حزم إلى أهل السنة، والمعتزلة، والنجارية، والخوارج، والشيعة، وقال: إنه به يقول، وهذا في قوله: «وذهبت جميع أهل الإسلام من أهل السنة والمعتزلة والنجارية والخوارج والشيعة إلى أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلاً معصية بعمد، لا صغيرة، ولا كبيرة، وهو قول ابن مجاهد الأشعري، شيخ ابن فورك، والباقلاني المذكورين.

قال أبو محمد: وهذا القول الذي ندين الله -تعالى- به، ولا يحل لأحد أن يدين بسواه، ونقول: إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد، ويقع منهم أيضـاً قصد الشيء يريدون به وجه الله -تعالى-، والتقرب منه، فيوافق خلاف مراد الله -تعالى-، إلا أنه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين أصلاً، بل ينبههم على ذلك، ولا يداثر وقوعه منهم، ويظهر عَزَّوَجَلَّ

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٣٦٨).

(٢) المحصول (٣/ ٢٢٨)، وانظر: كتاب عصمة الأنبياء ص (٤٠).

ذلك لعباده، ويبين لهم»[١].

ويرى الرافضة: وجوب العصمة للأنبياء من الكبائر، والصغائر، سواء كانت عمداً، أو سهواً، قبل النبوة، أو بعدها، فلا يقع منهم معصية البتة، يقول الشهرستاني في الرافضة: «يجمعهم القول بوجوب التعيين، والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبـًا، عن الكبائر، والصغائر»[٢].

وجوّز الصدوق محمد بن بابويه، وشيخه ابن الوليد الإسهاء من الله – تعالى– لا السهو الذي يكون من الشيطان في غير ما يتعلق بالتبليغ، وبيان الأحكام، يقول المجلسي –وهو من الرافضة الإمامية–: «جملة القول فيه[٣] أن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمداً وخطأً ونسياناً قبل النبوة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله –تعالى–، ولم يخالف في ذلك إلا الصدوق محمد بن بابويه، وشيخه ابن الوليد –قدس الله روحهما– ، فإنهما جوّزا الإسهاء من الله –تعالى– لا السهو الذي يكون من الشيطان في غير ما يتعلق بالتبليغ، وبيان الأحكام، وقالوا: إن خروجهما لا يخل بالإجماع لكونهما معروفَي النسب»[٤].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢ / ٣٦٩).

(٢) الملل والنحل ص (١٦٩)، ونسبه للرافضة أيضـًا: الرازي في المحصول (٣/ ٢٢٥).

(٣) أي: في مبحث العصمة.

(٤) بحار الأنوار الجامعة (١٧ / ١٠٨)، ونسب أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين (١ / ٥٦) إلى هشام بن الحكم من الرافضة بجواز المعصية على الأنبياء، وهذا في قوله: =

ونسب الرازي إلى الشيعة جواز إظهار الكفر من الأنبياء تقية، وهذا في قوله: «أجازت الشيعة إظهار الكفر على سبيل التقية»(١).

وظاهر كلام الإمام أبي حنيفة أن الأنبياء معصومون من الكبائر مطلقـًا، ومن الصغائر عمداً، إلا نبينا محمداً ﷺ؛ فإنه معصوم من الصغائر والكبائر مطلقـًا، وهذا في قوله: «الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- منزهون عن الصغائر والكبائر، والكفر والقبائح، وقد كانت منهم زلات وخطايا، ومحمد عليه الصلاة والسلام حبيبه وعبده ورسوله ونبيه وصفيه ونقيه، ولم يعبد الصنم، ولم يشرك بالله -تعالى- طرفة عين قط، ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط»(٢).

وذهب ابن فورك الأشعري إلى عصمة الأنبياء من الكبائر مطلقـًا، وجوزوا الصغائر بالعمد، يقول ابن حزم: «ذهبت طائفة إلى أن الرسل -عليهم الصلاة والسلام- لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلاً، وجوزوا

=

«اختلفت الروافض في الرسول ﷺ: هل يجوز عليه أن يعصي، أم لا؟، وهم فرقتان: **فالفرقة الأولى** منهم: يزعمون أن الرسول ﷺ جائز عليه أن يعصي الله، وأن النبي قد عصى الله في أخذ الفداء يوم بدر، فأما الأئمة فلا يجوز ذلك عليهم؛ لأن الرسول إذا عصى فالوحي يأتيه من قبل الله، والأئمة لا يوحى إليهم، ولا تهبط الملائكة عليهم، وهم معصومون، فلا يجوز عليهم أن يسهوا، ولا يغلطوا، وإن جاز على الرسول العصيان، والقائل بهذا القول هشام بن الحكم».

(١) المحصول (٣/ ٢٢٦).

(٢) انظر: الفقه الأكبر ص (٣٨ - ٣٩).

عليهم الصغائر بالعمد، وهو قول ابن فورك الأشعري»[١].

وذهب الجبائي، وأبو هاشم من المعتزلة إلى القول بعصمة الأنبياء من الصغائر، والكبائر مطلقاً، يقول الشهرستاني: «الجبائي وأبو هاشم... يبالغون في عصمة الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ عن الذنوب: كبائرها، وصغائرها، حتى منع الجبائي القصد إلى الذنب إلا على تأويل، والمتأخرون من المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار وغيره انتهجوا طريقة أبي هاشم، وخالفه في ذلك أبو الحسين البصري، وتصفح أدلة الشيوخ واعترض على ذلك بالتزييف والإبطال»[٢].

ونسب إلى بعض المعتزلة، وبعض أئمة سمرقند القول بعصمة الأنبياء من الصغائر، والكبائر، والزلات، وإنما زلاتهم وعصيانهم ترك الأفضل، يقول البزدوي ضمن كلامه على عصمة الأنبياء: «عند بعض المعتزلة معصومون عن الكبائر والصغائر والزلات جميعاً، وهو مذهب بعض أئمة سمرقند، فقالوا: زلاتهم وعصيانهم ترك الأفضل»[٣].

ونسب إلى أبي الحسن الأشعري القول بعصمة الأنبياء من الصغائر، والكبائر، والزلات؛ بعد النبوة، وزلاتهم وعصيانهم إنما كانت قبل النبوة، يقول البزدوي ضمن كلامه على عصمة الأنبياء: «قال الأشعري: إنهم

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٣٦٩).
(٢) الملل والنحل ص (٩٦).
(٣) أصول الدين للبزدوي ص (١٧٢).

معصومون عن الكبائر والصغائر جميعـًا، وكذلك عن الزلات، وذنوبهم كانت قبل النبوة»[١].

ويرى السبكي -وهو من الأشاعرة- عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر، ولو سهواً، وهذا في قوله: «الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- معصومون، لا يصدر عنهم ذنب -ولو صغيرة- سهواً، وفاقـًا للأستاذ[٢]، والشهرستاني، وعياض، والشيخ الإمام[٣]»[٤].

ويرى ابن عطية أن الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر مطلقـًا، وهذا في قوله: «أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء في معنى التبليغ، ومن الكبائر، ومن الصغائر التي فيها رذيلة، واختلف في غير ذلك من الصغائر، والذي أقول به: إنهم معصومون من الجميع، وإن قول النبي ﷺ: «إني لأتوب إلى الله في اليوم وأستغفره سبعين مرة» إنما هو رجوعه من حالة إلى أرفع منها لتزيد علومه واطلاعه على أمر الله، فهو يتوب من المنزلة الأولى إلى الأخرى، والتوبة هنا لغوية»[٥].

---

(١) أصول الدين للبزدوي ص (١٧٢).

(٢) يقصد: أبا إسحاق الإسفراييني، أفاده المحقق.

(٣) أي: والد المصنف، أفاده المحقق.

(٤) جمع الجوامع ص (٦١).

(٥) المحرر الوجيز ص (١٣٥).

المبحث الأول

أدلة من قال بعدم عصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة

ذهب جمع من أهل العلم إلى: أن الأنبياء والرسل غير معصومين قبل النبوة، واستدلوا بعدة أدلّة نقليّة، وعقليّة؛ منها:

• **الدليل الأول**: قالوا: إن العصمة متعلقة بالوحي، فالأمر والنهي لا يكون إلا بعد الوحي، فإن لم يكن وحي لم تكن عصمة، فتمتنع العصمة في حق الأنبياء قبل النبوة؛ لأنه غير متعبد بشيء أصلاً، فضلاً عن القول بعصمته.

يقول القاضي عياض: «قد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة: فمنعها قوم، وجوزها آخرون.

والصحيح -إن شاء الله-: تنزيههم من كل عيب، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب، فكيف والمسألة تصورها كالممتنع، فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع.

وقد اختلف الناس في حال نبينا ﷺ قبل أن يوحى إليه: هل كان متبعاً لشرع قبله، أم لا؟

فقال جماعة: لم يكن متبعاً لشيء، وهذا قول الجمهور، فالمعاصي على هذا القول غير موجودة، ولا معتبرة في حقه حينئذ؛ إذ الأحكام الشرعية

إنما تتعلق بالأوامر، والنواهي، وتقرر الشريعة»[(١)].

• **الدليل الثاني**: ظاهر الآيات المخبرة أن الأنبياء والرسل كانوا على ملة أقوامهم، وملة أقوامهم إنما هي الكفر، فالأنبياء إنما بعثوا لإخراجهم من الكفر والشرك إلى التوحيد، والإسلام، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨ – ٨٩].

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣].

فظاهر هاتين الآيتين: يدل على أن الأنبياء كانوا على ملة أقوامهم، وملة أقوامهم الكفر، يقول السدي في آية الأعراف: «ما ينبغي لنا أن نعود في شرككم بعد إذ نجانا الله منها، إلا أن يشاء الله ربنا، والله لا يشاء الشرك[(٢)]،

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢ / ١٨٤).

(٢) يذكر أهل العلم أن المشيئة في النصوص الشرعية لم تأت إلا كونية قدرية، انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١ / ٧٩)، وعقد ابن القيم في شفاء العليل (١ / ٣٩٩) باباً مستقلاً بعنوان: «الباب الثاني عشر: في ذكر المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر، وهي: مرتبة المشيئة».

ولكن يقول: إلا أن يكون الله قد علم شيئـًا، فإنه وسع كل شيء علمـًا»[١].

ويقول البغوي في آية إبراهيم: «يعنون: إلا أن ترجعوا، أو حتى ترجعوا إلى ديننا»[٢].

ويقول ابن جرير: «﴿ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾: يقول: لترجعن أنت وهم في ديننا، وما نحن عليه»[٣].

والقول بأن الأنبياء كشعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكونوا على ملة قومهم، وهي الكفر؛ يحتاج إلى دليل سمعي، أو عقلي، ولا دليل سمعي، ولا مانع عقلي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما قولهم: إن شعيبـًا والرسل ما كانوا في ملتهم قط، وهي ملة الكفر؛ فهذا فيه نزاع مشهور، وبكل حال فهذا خبر يحتاج إلى دليل سمعي، أو عقلي، وليس في أدلة الكتاب، والسنة، والإجماع؛ ما يخبر بذلك.

وأما العقل: ففيه نزاع، والذي عليه نظّار أهل السنة: أنه ليس في العقل ما يمنع ذلك.

---

(١) رواه عنه ابن جرير في تفسيره (٦ / ٤)، بسند حسن، كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٢ / ٣٣٦)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٤٨٠) نسبته إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٢) تفسير البغوي ص (٦٨٣)، والبغوي ممن يرى عصمة الأنبياء قبل النبوة، وقوله هذا في آية إبراهيم يناقض ما قرره قبل في آية الأعراف، وهذا مما لاحظه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير آيات أشكلت (١ / ١٧١ - ١٧٢).

(٣) تفسير ابن جرير (٦ / ٤).

وهذه مسألة تنازع فيها المتأخرون من المنتسبين إلى السنة، والحديث، والمعتزلة»[١].

ومن هنا استشكل هاتين الآيتين ونحوَهما من يقول: إن الأنبياء معصومون قبل النبوة[٢]، وأجابوا بجوابين بناء على قولهم في معنى: (عاد) في الآية[٣]:

الجواب الأول: أن (عاد) هنا بمعنى: صار، وهي مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩]، فيكون العود هنا بمعنى: الدخول في ملتهم ابتداء.

وعلى هذا لا إشكال في الآية: إذ المعنى: أن المشركين طلبوا من المؤمنين أن يتحولوا ويصيروا إلى ملتهم، وهذا لا يدل على أنهم كانوا على ملتهم في الزمن الماضي.

ورُدّ بأن (عاد) في لغة العرب لها أحوال[٤]:

الحال الأولى: أن تكون مطلقة، وهذه تحتمل أن تكون بمعنى (رجع)،

---

(١) تفسير آيات أشكلت (١ / ١٧٨).

(٢) ممن قاله: أبو حيان في البحر المحيط (٩ / ٣٥١)، وقال في اللباب (١٧ / ٢٢٤): «اعلم أن أهل الأصول على أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كانوا مؤمنين من قبل الوحي، كان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبين له شرائع دينه».

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٤ / ٢٦٢)، وزاد المسير ص (٥٠٧)، والتفسير الكبير (١٤/ ١٥٥).

(٤) انظر: النبوات (١ / ١٧٣ - ١٧٧).

أو (صار)، كما في آية (يس).

الحال الثانية: أن تكون مقيدة: والتقييد قد يكون بـــ(في)، كما في حديث أنس ﷺ وفيه: «وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»[١]، وكما في الآيتين معنا.

وقد يكون التقييد بـــ(اللام)، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة: ٨].

وهذه لا تكون إلا بمعنى (رجع)، ثم تكون بمعنى: رجع إلى شيء، أو رجع عن شيء، ومنه سمي المرتد مرتداً، لرجوعه عن الإسلام، وإن كان ولد عليه، ولم يك كافراً قبل.

الجواب الثاني: أن (عاد) هنا بمعنى: رجع إلى ما كان عليه: وقالوا في معنى الآية عدة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالعَود هو: عَوْدُ الأنبياء إلى حالهم قبل دعوتهم لأقوامهم، فقد كانوا ساكتين عن دعوة أقوامهم؛ إذ لم يك ثَـمَّ وحي، يقول الشنقيطي في آية إبراهيم: «بَيَّنَ -تعالى- في هذه الآية الكريمة أن الكفار توعدوا الرسل بالإخراج من أرضهم، والنفي من بين أظهرهم؛ إن لم يتركوا

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ص (٦)، رقم: (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ص (٤٠)، رقم: (١٦٥)، واللفظ له.

ما جاءوا به من الوحي»[١].

ويردّه ظاهر قول الكفار لشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، ورد شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ عليهم بقوله: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾، وقوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾، وقول الكفار لرسلهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾.

ففيها طلب الكفار من الأنبياء والرسل العود إلى ملتهم، وملتهم الكفر، ولو أرادوا الرجوع إلى حالة السكوت، وعدم الدعوة التي كانوا عليها قبل؛ لقالوا: إلى ملتكم؛ خطاباً للأنبياء، والرسل، أو سابق عهدكم.

يقول الرازي في آية الأعراف: «اعلم أنّ شعيباً لما قرر تلك الكلمات قال: الذين استكبروا وأنفوا من تصديقه وقبول قوله لا بد من أحد أمرين: إما أن نخرجك ونخرج أتباعك من هذه القرية، وإما أن تعود إلى ملتنا.

والإشكال فيه أن يقال: إن قولهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ يدل على أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان على ملتهم؛ التي هي الكفر، فهذا يقتضي أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان كافراً قبل ذلك، وذلك في غاية الفساد، وقوله: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ يدل أيضا على هذا المعنى»، ثم أجاب بعدة أجوبة[٢]، والمقصود: أن الظاهر يرد قولهم، وسيأتي مزيد له في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قريباً.

---

(١) أضواء البيان (٣/ ٧٩).

(٢) التفسير الكبير (١٤/ ١٥٥).

ويقول ابن عاشور في آية الأعراف: «قد رددوا أمر شعيب ومن معه بين أن يخرجوا من القرية[١]، وبين العود إلى ملة الكفر.

وقد جعلوا عود شعيب والذين معه إلى ملة القوم مُقسماً عليه، فقالوا: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ ﴾، ولم يقولوا: لنخرجنكم من أرضنا، أو تعودن في ملتنا؛ لأنهم أرادوا ترديد الأمرين في حيز القسم، لأنهم فاعلون أحد الأمرين لا محالة، وأنهم ملحّون في عودهم إلى ملتهم.

وكانوا يظنون اختياره العود إلى ملتهم، فأكدوا هذا العود بالقسم، للإشارة إلى أنه لا محيد عن حصوله، عوضاً عن حصول الإخراج؛ لأن أحد الأمرين مرض للمقسمين، وأيضاً فإن التوكيد مؤذن بأنهم إن أبوا الخروج من القرية فإنهم يُكرهون على العود إلى ملة القوم، كما دل عليه قول شعيب في جوابهم: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ ﴾... والعود: الرجوع إلى ما كان فيه المرء من مكان، أو عمل»[٢].

القول الثاني: أن يكون من باب تغليب حكم الجماعة على القلة، فإنهم لما عطفوا أتباع الأنبياء على الضمير في: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ ﴾، وكان الخطاب

---

(١) **فائدة**: يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير (٩ / ٥): «وكان إخراج المغضوب عليه من ديار قبيلته عقوبة متبعة في العرب إذا أجمعت القبيلة على ذلك، ويسمى هذا الإخراج عند العرب بالخلع، والمخرج يسمى: خليعاً».

(٢) التحرير والتنوير (٩ / ٦)، ولا بد أن أشير إلى أن ابن عاشور يرى أن عود الأنبياء إلى ملة الكفار هو: سكوتهم.

لشعيب سحبوا عليه حكمهم في العود، فقالوا: ﴿أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾، وإن كان شعيب والأنبياء برآء مما كان عليه أتباعهم من الكفر قبل الإيمان.

ومن هنا يظهر معنى قول شعيب: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا﴾: إذ هو جواب عن قولهم، وجواب عن من تبعه ممن آمن به، وصدقه.

القول الثالث: أن رؤساءهم قالوا ذلك على سبيل التلبيس على العامة والإيهام أن الأنبياء كانوا منهم ومعهم على الكفر، وليس بصحيح.

ورُدّ هذان بأنه قد يصح في آية الأعراف في خطابهم لشعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، أما آية إبراهيم فلا يتأتى هذان الجوابان؛ لأنها صريحة في خطاب الأنبياء والرسل، فليس لأتباعهم ذكر، يقول البغوي في آية إبراهيم -وهو من القائلين بعصمة الأنبياء قبل النبوة، على ما ذكره في آية الأعراف- يقول: «﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ﴾: يعنون: إلا أن ترجعوا، أو حتى ترجعوا إلى ديننا»[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قوله سبحانه: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ

(١) تفسير البغوي ص (٦٨٣).

نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾ [الأعراف: ٨٨ - ٨٩]، ظاهره دليل على أن شعيباً والذين آمنوا معه كانوا على ملة قومهم؛ لقولهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، ولقول شعيب: أنعود فيها ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾، ولقوله: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾، فدل على أنهم كانوا فيها. ولقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾، فدل على أن الله أنجاهم منها بعد التلوث بها. ولقوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾، ولا يجوز أن يكون الضمير عائداً على قومه؛ لأنه صرح فيه بقوله: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾، ولأنه هو المحاور له بقوله: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ إلى آخرها، وهذا يجب أن يدخل فيه المتكلم، ومثل هذا في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣]، الآية»[١].

القول الرابع: أن معنى آية الأعراف ونحوها: إذ نجانا الله منها في سابق علمه، وعند كتابة القلم في اللوح.

وهذا من باب التحكم، والبعد في التفسير، والله أعلم.

• **الدليل الثالث**: ظاهر الآيات المخبرة عن نبينا محمد ﷺ أنه قبل الوحي ما كان يدري عن الإيمان، وكان ضالاً إلى أن هداه الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه كان من الغافلين، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥ / ٢٩).

ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقوله: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧].

وقوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

فظاهر هذه الآيات أن النبي ﷺ لم يكن قبل النبوة يدري عن الإيمان والكتاب، ومن لا يدري كيف يؤمن... يقول السدي: «كان على أمر قومه أربعين سنة»[١].

وقال الكلبي والسدي في آية الضحى: أي: وجدك كافراً والقوم كفاراً فهداك[٢].

ولذا استشكل ظاهرَ هذه الآيات من يقول بعصمة النبي ﷺ قبل النبوة كالألوسي في تفسيره، واختلفوا في توجيهات هذه الآيات اختلافـًا كثيراً[٣]،

---

(١) رواه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢ / ٦٢٤)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ص (١٩٨٦)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير آيات أشكلت (١ / ١٨٢ - ١٨٣)، وقال ابن قتيبة كما في زاد المسير ص (١٢٧٣): «قد جاء في الحديث أنه كان على دين قومه أربعين سنة».

(٢) اللباب في في علوم الكتاب (٢٠ / ٣٩١) .

(٣) انظر في آية الشورى: البحر المحيط (٩/ ٣٥١ - ٣٥٢)، والتفسير الكبير للرازي (٢٧ - ٢٨)، وتفسير الألوسي (١٤ / ٨٩)، وانظر في آية الضحى: التفسير الكبير للرازي (٣١ / ٢١٣ - ٢١٤)، وتفسير الألوسي (١٦ / ٢٩١ - ٢٩٢)، واللباب في علوم الكتاب (٢٠ / ٣٨٩).

وبغض النظر عن بعض هذه الأقوال التي ضعفها ظاهر جداً، كقول: إنه ضال عن القبلة، أو ضل عن الاستثناء، أو أنه في قوم ضلال، أو أنه وجده وحده فهدى الناس إليه، أو أن الضلال بمعنى محبة الهداية ... من التأويلات المستكرهة.

فبغض النظر عن مثل هذه الأقوال فإن الملاحظ أن الجميع إنما قالوها هرباً من القول بظاهر الآية.

والملاحظ أن آية الشورى كالصريحة في أنه لم يكن مؤمنًا، فإنه بدأها بالوحي الذي هو من عند الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يوح إليه إلا بعد الأربعين، ثم أخبر أنه ما كان يدري الكتاب؛ الذي هو القرآن، وهو كان لا يدري لا إجماله، ولا تفصيله؛ إلا بعد نزوله، ثم أتى بلا الزائدة لتأكيد النفي، وأن النفي يشمل الثاني كالأول، ثم أخبر أنه ما كان يدري ما الإيمان، فإتيانه بالكتاب أولاً وتعقيبه بالإيمان دل على أنه لم يكن يعرف الإيمان كعدم معرفته بالكتاب[1]، لأن الكتاب أصل الإيمان، والله أعلم[2].

---

(١) يقول ابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٢٥٣): «فإن قيل: أما كونه لم يكن يدري الكتاب فلا إشكال فيه، وأما الإيمان ففيه إشكال، لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم؟ فالجواب: أن الإيمان يحتوي على معارف كثيرة، وإنما كمل له معرفتها بعد بعثه، وقد كان مؤمناً بالله قبل ذلك، فالإيمان هنا يعني به كمال المعرفة، وهي التي حصلت له بالنبوة».

(٢) أما قول ابن عاشور في التحرير والتنوير (٢٥ / ١٥٢) في الآية: «انتفاء درايته بالإيمان مثل انتفاء درايته بالكتاب، أي: انتفاء العلم بحقائقه، ولذلك قال: ما كنت تدري، ولم يقل: ما
=

ومن حكمة قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي﴾ ولم يقل: لم تكن مؤمنـًا؛ أنه نفي للإيمان مع الاعتذار بأنه لعدم علمه، ودرايته، وليس هو عن علم؛ قطعـًا لمحتج، ورداً لخصم.

ولهذا قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]: أي لم تكن تعرف الطريق إلى الإيمان، وظاهر هذا يدل على أنه ما كان قبل الإيحاء متّصفـًا بالإيمان»[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد اتفقوا على جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله من النبوة والشرائع، وأن من لم يقر بذلك بعد الرسالة فهو كافر.

والرسل قبل الوحي لا تعلمه فضلاً عن أن تقر به، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ [النحل: ٢] الآية. وقال: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]، فجعل إنذارهم بالتوحيد كالإنذار بيوم التلاق، وكلاهما عرفوه بالوحي. وما ذكر أنه ﷺ بغضت إليه الأوثان لا يجب أن يكون لكل نبي، فإنه سيد ولد آدم»[٢].

=

كنت مؤمنـًا»ا.ه فهذا مما لا يخفى ما فيه؛ إذ أين الكتاب حتى يكون المقصود: لا يعلم حقائقه.

(١) تفسير القرطبي (١٦ / ٣٧ – ٣٨).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥ / ٣٠).

• **الدليل الرابع**: قصة قتل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للقبطي، التي ذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ في قوله: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٥ – ١٧].

وهذا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل النبوة، وقتل النفس من المحرمات، بل من الكبائر، وهو مما رد به فرعون رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ(١)، كما حكاه الله عَزَّ وَجَلَّ في قوله: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨ – ٢١].

• **الدليل الخامس**: قوله عَزَّ وَجَلَّ لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النمل: ١٠ – ١١].

والأظهر -والله أعلم- أن الاستثناء في الآية متصل، لا منقطع، وأن معنى الآية: إلا من ظلم من المرسلين ثم بدل حسناً، يقول ابن عطية: «اختلف الناس في الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾، فقال مقاتل، وغيره: الاستثناء متصل، وهو من الأنبياء، وروى الحسن: أن الله -تعالى- قال

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٢ / ٤٢٢ – ٤٢٣).

لموسى: أخفتك بقتلك النفس، وقال الحسن أيضـًا: كانت الأنبياء تذنب فتعاقب، ثم تذنب -والله- فتعاقب، فكيف بنا؟!

وقال ابن جريج: لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه.

قال كثير من العلماء: لم يَعْرَ أحد من البشر من ذنب إلا ما روي عن يحيى بن زكريا... وفي الآية على هذا التأويل حذف اقتضى الإيجاز والفصاحةُ ترك نصّه، تقديره: فمن ظلم ثم بدل»[١].

وقال ابن قتيبة في الاستثناء في الآية: «والذي عندي فيه -والله أعلم-: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما خاف الثعبان وولى ولم يعقب؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، وعلم أن موسى مستشعر خيفة أخرى من ذنبه في الرجل الذي وكزه فقضى عليه، فقال: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾، أي: توبة، وندمـًا، فإنه يخاف، وإني غفور رحيم»[٢].

ومن قال بعصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة؛ لهم في الآية أقوال:

فمن قال: إن الاستثناء متصل قال: هو محمول على ترك الأفضل[٣]، وهذا مردود بوصفه الفعل في الآية بأنه ظلم وسوء؛ ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا

(١) تفسير ابن عطية ص (١٤١٤).

(٢) تأويل مشكل القرآن (٢٣٨ - ٢٣٩).

(٣) جاء في اللباب في علوم الكتاب (١٥ / ١١٩) في تعداده الأقوالَ في الآية: «وقيل: محمول على ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل».

بَعۡدَ سُوٓءٖ ﴾، وهذا لا يكون فيمن ترك الأفضل.

وبعضهم قال: إن الاستثناء متصل، والمعنى: إلا من ظلم من فعل صغيرة، يقول القرطبي: «في الآية قول آخر: وهو أن يكون الاستثناء متصلاً، والمعنى: إلا من ظلم من المرسلين بإتيان الصغائر؛ التي لا يسلم منها أحد، سوى ما روي عن يحيى بن زكريا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وما ذكره الله -تعالى- في نبينا ﷺ في قوله: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢]، ذكره المهدوي، واختاره النحاس»[١].

فحملوا الآية على الصغيرة، دون الكبيرة، وعليه حملوا كلام الحسن، وابن جريج، يقول ابن عطية: «أجمع العلماء أن الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ معصومون من الكبائر، ومن الصغائر؛ التي هي رذائل، واختلف فيما عدا هذا، فعسى أن يشير الحسن وابن جريج إلى ما عدا ذلك»[٢].

وهذا -والله أعلم- غير صحيح؛ فإن الآية خطابها لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والإشارة فيها إلى ما وقع منه من قتل القبطي، وهذه كبيرة، لا صغيرة، وهذا صريح كلام الحسن، وابن جريج، يقول البغوي: «اختلف في هذا الاستثناء، قيل: هذا إشارة إلى أن موسى حين قتل القبطي خاف من ذلك، ثم تاب، فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ [القصص: ١٦].

قال ابن جريج: قال الله تعالى لموسى: إنما أخفتك لقتلك النفس،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ١٠٧)، وانظر: تفسير ابن عطية ص (١٤١٤).
(٢) تفسير ابن عطية ص (١٤١٤).

وقال: معنى الآية: لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يتوب، فعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾، ثم ابتدأ الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة.

وفي الآية متروك استغني عن ذكره بدلالة الكلام عليه، تقديره: فمن ظلم ثم بدل حسنـاً بعد سوء فإني غفور رحيم»[١].

ومن قال: إن الاستثناء في الآية منقطع لهم أقوال:

فبعضهم قال: إن قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ منقطع عن الآية التي قبلها انقطاع الجمل بعضها عن بعض، يقول القرطبي: «﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ وتم الكلام، ثم استثنى استثناء منقطعا فقال: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾»[٢].

ويقول ابن القيم: «قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾... قد يجيء الانقطاع في هذا الاستثناء من وجه آخر، وهو: أن ما بعد (إلا) جملة مستقلة بنفسها، فهي منقطعة مما قبلها انقطاع الجمل بعضها عن بعض»[٣]، فتكون الآية على هذا عامة في الأنبياء وغيرهم، وقد دلت أدلة أخر على دخول الأنبياء في معنى الآية إجمالاً، والله أعلم.

---

(١) تفسير البغوي ص (٩٥٢ - ٩٥٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ١٠٧).

(٣) بدائع الفوائد (٣/ ٦١).

وبعضهم قال: إن (إلا) في الآية بمعنى (الواو)، وأن معنى الآية: إنه لا يخاف المرسلون، ولا يخاف من ظلم ثم بدل حسنـًا.

ورد هذا النحاس بقوله: «ذا ليس بجيد في العربية»[١]، وقال ابن عطية: «هذا قول لا وجه له»[٢].

وقال الفراء: «قد قال بعض النحويين: إن (إلا) في اللغة بمنزلة (الواو)، وإنما معنى هذه الآية: لا يخاف لدي المرسلون، ولا من ظلم ثم بدل حسنـًا، وجعلوا مثله قول الله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٥٠]، أي: ولا الذين ظلموا.

ولم أجد العربية تحتمل ما قالوا؛ لأني لا أجيز: قام الناس إلا عبد الله، وهو قائم، إنما الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد (إلا) من معنى الأسماء قبل (إلا)، وقد أراه جائزاً أن تقول: عليك ألف سوى ألف آخر، فإن وضعت (إلا) في هذا الموضع صلحت، وكانت (إلا) في تأويل ما قالوا، فأما مجردة قد استثني قليلها من كثيرها فلا، ولكن مثله مما يكون في معنى (إلا) كمعنى الواو وليست بها»[٣].

ويقول ابن القيم: «أما قول بعض الناس: إن (إلا) بمعنى (الواو)، والمعنى: ولا من ظلم، فخبط منه؛ فإن هذا يرفع الأمان عن اللغة، ويوقع

(١) معاني القرآن للنحاس (٥/ ١١٧).
(٢) تفسير ابن عطية ص (١٤١٤).
(٣) معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٨٧).

اللبس في الخطاب، و(الواو) وَ(إلا) متنافيتان، فإحداهما تثبت للثاني نظير حكم الأول، والأخرى تنفى عن الثاني ذلك، فدعوى تعاقبهما دعوى باطلة لغةً وعرفـًا، والقاعدة: أن الحروف لا ينوب بعضها عن بعض خوفـًا من اللبس وذهاب المعنى الذي قصد بالحرف، وإنما يضمن ويشرب معنى فعل آخر يقتضي ذلك الحرف، فيكون ذكر الفعل مع الحرف الذي يقتضيه غيره قائمـًا مقام ذكر الفعلين، وهذا من بديع اللغة وكمالها.

ولو قدر تعاقب الحروف ونيابة بعضها عن بعض فإنما يكون ذلك إذا كان المعنى مكشوفـًا، واللَّبس مأموناً، فيكون من باب التفنن في الخطاب، والتوسع فيه، فإما أن يدعى ذلك من غير قرينة في اللفظ فلا يصح...

والذي حملهم على دعوى ذلك أنهم لما رأوا الخوف منتفيـًا عن المذكور بعد (إلا) ظنوا أنها بمعنى (الواو)؛ لكون المعنى عليه، وغلطوا في ذلك، فإن الخوف ثابت له حال ظلمه وحال تبديله الحسن بعد السوء، أما حال ظلمه فظاهر، وأما حال التبديل فلأنه يخاف أنه لم يقم بالواجب، وأنه لم يقبل منه ما أتى به كما في الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، هو الرجل يزني، ويسرق، ويخاف؟ قال: «يا بنت الصديق! هو الرجل يصوم، ويصلي، ويخاف أن لا يقبل منه»[1]، فمن ظلم ثم تاب فهو أولى بالخوف، وإن لم

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢ / ٤٢٧)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وأحمد في المسند (٤٢ / ١٥٦)، رقم: (٢٥٢٦٣)، والترمذي، كتاب تفسير =

يكن خوف عليه. وقد يجيء الانقطاع في هذا الاستثناء من وجه آخر وهو أن ما بعد (إلا) جملة مستقلة بنفسها، فهي منقطعة مما قبلها انقطاع الجمل بعضها عن بعض، فسمي منقطعاً بهذا الاعتبار، كما تقدم نظيره، والله أعلم»[1].

وبعضهم قال: إنه استثناء من جملة مقدرة محذوفة، والتقدير: إني لا يخاف لدي المرسلون، وإنما يخاف غيرهم ممن ظلم، ثم استثنى: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾، وهذا ضعيف، يقول القرطبي: «﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾، قيل: إنه استثناء من محذوف، والمعنى: إني لا يخاف لدي المرسلون، وإنما يخاف غيرهم ممن ظلم، ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾، فإنه لا يخاف، قاله الفراء، قال النحاس: استثناء من محذوف محال؛ لأنه استثناء من شيء لم يذكر، ولو جاز هذا لجاز: إني لأضرب القوم إلا زيداً، بمعنى: إني لا أضرب القوم وإنما أضرب غيرهم إلا زيداً، وهذا ضد البيان، والمجيء بما لا يعرف معناه»[2].

ويقول ابن قتيبة: «قوله سبحانه: ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ

=

القرآن، باب ومن سورة المؤمنين، ص (٧١٨)، رقم: (٣١٧٥)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوقي على العمل، ص (٦١١)، رقم: (٤١٩٨)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: (١٦٢).

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٦٠ - ٦١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ١٠٧).

﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لم يقع الاستثناء من المرسلين، وإنما وقع من معنى مضمر في الكلام، كأنه قال: لا يخاف لدي المرسلون، بل غيرهم الخائف، إلا من ظلم ثم تاب فإنه لا يخاف.

وهذا قول الفراء، وهو يبعد؛ لأن العرب إنما تحذف من الكلام ما يدل عليه ما يظهر، وليس في ظاهر هذا الكلام -على هذا التأويل- دليل على باطنه»[(١)].

المبحث الثاني

أدلة من قال بعصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة

ذهب بعض أهل العلم إلى عصمة الأنبياء قبل النبوة، واستدلوا بعدة أدلة، ومن هذه الأدلة ما يأتي:

- **الدليل الأول**: أن القول بصدور الذنب من النبي قبل النبوة يرفع الثقة فيما يبلغه عن الله عَزَّوَجَلَّ.

ورد عليه: بأن وجوب كون النبي «قبل أن يبعث نبيـًا لا يخطئ، أو لا يذنب؛ فليس في النبوة ما يستلزم هذا.

وقول القائل: لو لم يكن كذلك لم تحصل ثقة فيما يبلغونه عن الله كذب صريح، فإن من آمن وتاب حتى ظهر فضله وصلاحه، ونبأه الله بعد ذلك، كما نبأ إخوة يوسف، ونبأ لوطـًا، وشعيبـًا، وغيرهما، وأيده الله -تعالى- بما

(١) تأويل مشكل القرآن ص (٢٣٨).

يدل على نبوته؛ فإنه يوثق فيما يبلغه كما يوثق بمن لم يفعل ذلك، وقد تكون الثقة به أعظم إذا كان بعد الإيمان والتوبة قد صار أفضل من غيره.

والله -تعالى- قد أخبر أنه يبدل السيئات بالحسنات للتائب، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، ومعلوم أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من عهد الرسول ﷺ وقبل أن يصدر منهم ما يدّعونه من الأحداث كانوا من خيار الخلق، وكانوا أفضل من أولادهم الذين وُلدوا بعد الإسلام.

ثم يقال: وأيضـًا: فجمهور المسلمين على أن النبي لا بد أن يكون من أهل البر والتقوى متصفـًا بصفات الكمال، ووجوب بعض الذنوب أحيانـًا مع التوبة الماحية الرافعة لدرجته إلى أفضل مما كان عليه لا ينافي ذلك.

وأيضـًا: فوجوب كون النبي لا يتوب إلى الله فينال محبة الله، وفرحه بتوبته، وترتفع درجته بذلك، ويكون بعد التوبة التي يحبه الله منه خيراً مما كان قبلها؛ فهذا مع ما فيه من التكذيب للكتاب والسنة غض من مناصب الأنبياء، وسلبهم هذه الدرجة، ومنع إحسان الله إليهم، وتفضله عليهم بالرحمة والمغفرة.

ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره، وتاب بعد ذنبه؛ فهو مخالف ما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فإنه من المعلوم أن الصحابة الذين آمنوا برسول الله ﷺ بعد كفرهم، وهداهم الله به بعد ضلالهم، وتابوا إلى الله بعد ذنوبهم؛ أفضل من أولادهم الذين ولدوا على الإسلام، وهل يشبه بني الأنصار بالأنصار، أو بني المهاجرين

بالمهاجرين إلا من لا علم له؟ وأين المنتقل بنفسه من السيئات إلى الحسنات بنظره واستدلاله، وصبره واجتهاده، ومفارقته عاداته، ومعاداته لأوليائه، وموالاته لأعدائه إلى آخر لم يحصل له مثل هذه الحال؟

وقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية[١].

وقد قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

فأين من يبدل الله سيئاته حسنات إلى من لم تحصل له تلك الحسنات؟

ولا ريب أن السيئات لا يؤمر بها، وليس للعبد أن يفعلها ليقصد بذلك التوبة منها، فإن هذا مثل من يريد أن يحرك العدو عليه ليغلبهم بالجهاد، أو يثير الأسد عليه ليقتله، ولعل العدو يغلبه، والأسد يفترسه، بل مثل من يريد أن يأكل السم ثم يشرب الترياق وهذا جهل، بل إذا قدر من ابتلي بالعدو فغلبه كان أفضل ممن لم يكن كذلك، وكذلك من صادفه الأسد، وكذلك من اتفق أن شرب السم فسقي ترياقاً فاروقاً يمنع نفوذ سائر السموم فيه كان

---

(١) لم أجد من أخرجه ممن تقدم، وتكرر ذكره في كتب ابن تيمية وابن القيم، انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠ / ٣٠١) وَ(١٥ / ٥٤)، والجواب الكافي لابن القيم ص (٢١٤).

بدنه أصح من بدن من لم يشرب ذلك الترياق.

والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها، والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها.

وحينئذ فما وصفوهم إلا بما فيه كمالهم، فإن الأعمال بالخواتيم، مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم في تقرير هذا الأصل»[١].

• **الدليل الثاني**: أن القول بعدم عصمته قبل النبوة ينفي الوثوق به، ويوجب التنفير عنه.

وقد رد شيخ الإسلام هذه الشبهة بما يكفي ويشفي في قوله: «أما قوله: إن هذا ينفي الوثوق ويوجب التنفير فليس هذا بصحيح فيما قبل النبوة، ولا فيما يقع خطأ، ولكن غايته أن يقال: هذا موجود فيما تعمد من الذنب.

فيقال: بل إذا اعترف الرجل الجليل القدر بما هو عليه من الحاجة إلى توبته، واستغفاره، ومغفرة الله له، ورحمته؛ دل ذلك على صدقه، وتواضعه، وعبوديته لله، وبعده عن الكبر، والكذب.

بخلاف من يقول: ما بي حاجة إلى شيء من هذا، ولا يصدر مني ما يحوجني إلى مغفرة الله لي، وتوبته علي، ويصر على كل ما يقوله ويفعله، بناء على أنه لا يصدر منه ما يرجع عنه، فإن مثل هذا إذا عرف من رجل نسبه الناس إلى الكذب، والكفر، والجهل.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢ / ٣٩٦ - ٤٠١).

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه، وفضل»[١]، فكان هذا من أعظم ممادحه.

وكذلك قوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله، ورسوله»[٢]، وكل من سمع هذا عَظَّمَه بمثل هذا الكلام.

وفي الصحيحين عنه أنّه كان يقول: «اللّهم! اغفر لي خطيئتي، وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللّهم! اغفر لي هزلي، وجِّدي، وخطئي، وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم! اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»[٣].

وهذا كما أنه لما قال النبي ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا علي

---

(١) رواه البخاري، كتاب المرض، باب تمني المريض الموت، ص (١٠٠٤ - ١٠٠٥)، رقم: (٥٦٧٣)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، ص (١٢٢٦)، رقم: (٧١١١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾، ص (٥٨٠)، رقم: (٣٤٤٥)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «اللهم! اغفر لي ما قدمت، وما أخرت»، ص (١١١١)، رقم: (٦٣٩٨)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حيث ما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني»[(١)]، رواه أبو داود، وغيره، وقال: «اللهم! لا تجعل قبري وثنا يعبد»[(٢)]، رواه مالك، وغيره؛ كان هذا التواضع مما زاده الله به رفعة.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٨ / ٨١)، وأبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، ص (٢٩٥ - ٢٩٦)، رقم: (٢٠٤٢)، وقال الألباني في أحكام الجنائز ص (٢٨٠): «إسناد حسن، وهو على شرط مسلم، وهو صحيح مما له من طرق وشواهد»، وأحمد في المسند (١٤ / ٤٠٣)، رقم: (٨٨٠٤)، وقال محققوه: «إسناده حسن لأجل عبد الله بن نافع»، وأبو نعيم في الحلية (٦ / ٢٨٣)، كلهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مالك في الموطأ (١ / ٢٢٣)، وعنه ابن سعد في الطبقات (٢ / ١٨٥)، عن عطاء بن يسار مرسلاً.

ووصله البزار في مسنده كما في كشف الأستار (١ / ٢٢٠) عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد، أن النبي ﷺ قال: «اللهم إني أعوذ بك أن يتخذ قبري وثنًا، فإن الله -تبارك وتعالى- اشتد غضبه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

يقول الألباني في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد في حاشية ص (٢٦): «أخرجه مالك في الموطأ، وعنه ابن سعد عن عطاء بن يسار مرفوعـًا، وسنده صحيح، وقد وصله البزار عنه عن أبي سعيد الخدري، وصححه ابن عبد البر مرسلاً وموصولاً فقال: فهذا الحديث عند من قال بمراسيل الثقات وعند من قال بالمسند لإسناد عمر بن محمد له وهو ممن تقبل زيادته، انظر (تنوير الحوالك) للسيوطي.

وفيما قاله ابن عبد البر في عمر هذا نظر، فقد قال الحافظ ابن رجب في الفتح: خرجه من طريقه البزار، وعمر هذا هو ابن صبهان جاء منسوبـًا في بعض نسخ البزار، وظن ابن عبد البر أنه عمر بن محمد العمري، والظاهر أنه وهم، وقد روي نحوه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة بإسناد فيه نظر»ا.ه، وانظر كلام ابن عبد البر في: التمهيد (٥ / ٤٢)، وكلام ابن رجب في فتح الباري (٣ / ٢٤٦)، وانظر تنوير الحوالك (١ / ١٤٣).

وكذلك لما سجد له بعض أصحابه فنهاه عن ذلك، وقال: «إنه لا يصلح السجود إلا لله»(١).

وكذلك لما كان بعض الناس يقول: ما شاء الله، وشاء محمد؛ قال: «أجعلتني ندا لله؟! قل: ما شاء الله، ثم شاء محمد»(٢) .

وقوله في دعائه: «أنا البائس الفقير، المستغيث، المستجير، الوجل، المشفق، المعترف، المقر بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف، من خضعت له رقبته، وذل

---

(١) جاء عن ابن أبي أوفى أنه قال: لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ما هذا؟»، قال: يا رسول الله! قدمت الشام، فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم، فأردت أن أفعل ذلك بك، قال: «فلا تفعل؛ فإني لو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده! لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه».
رواه ابن حبان في صحيحه (٩ / ٤٧٩)، وقال محققه: «إسناده حسن»، وأحمد في المسند (٣٢/ ١٤٥)، رقم: (١٩٤٠٣)، وقال محققوه: «حديث جيد»، والطبراني في الكبير (٥ / ٢٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٦٦).

(٢) جاء من حديث ابن عباس ب قال: رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: «جعلت لله نداً؟ ما شاء الله وحده».
رواه البخاري في الأدب ص (٤٢٠)، والطبراني في الكبير (١٢ / ٢٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤ / ٩٩)، والطحاوي في مشكل الآثار (١ / ٢١٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١ / ٣٦٤)، وأحمد في المسند (٣ / ٣٣٩)، وقال محققوه: «صحيح لغيره»، لكنه عند الطحاوي والبيهقي وأحمد بلفظ «عدلاً» بدل «نداً»، والحديث صححه الألباني بروايتيه في الصحيحة رقم: (١٣٩).

جسده، ورغم أنفه لك»[١].

ونحو هذه الأحوال التي رفع الله بها درجاته بما اعترف به من فقر العبودية، وكمال الربوبية.

والغنى عن الحاجة من خصائص الربوبية، فأما العبد فكماله في حاجته إلى ربه، وعبوديته، وفقره، وفاقته، فكلما كانت عبوديته أكمل كان أفضل، وصدور ما يحوجه إلى التوبة والاستغفار مما يزيده عبودية، وفقراً، وتواضعًا.

ومن المعلوم: أن ذنوبهم ليست كذنوب غيرهم، بل كما يقال: حسنات الأبرار سيئات المقربين، لكن كل يخاطب على قدر مرتبته، وقد قال ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»[٢].

وما ذكره من عدم الوثوق والتنفير قد يحصل مع الإصرار، والإكثار، ونحو ذلك، وأما اللمم الذي يقترن به التوبة، والاستغفار، أو ما يقع بنوع من

---

(١) رواه الطبراني في الدعاء ص (٢٧٤)، وفي الصغير (٢ / ١٥) والكبير (١١ / ١٧٤)، والمقدسي في المختارة (١١ / ٢٣٤)، كلهم من حديث ابن عباس ب.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٤ / ٢٧٢)، وقال: «حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «علي بن مسعدة لين»، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ص (٦١٩)، رقم: (٤٢٥١)، والترمذي، كتاب صفة القيامة، ص (٥٦٨)، رقم: (٢٤٩٩)، وقال: «غريب، لا نعرفه إلا من حديث علي ابن مسعدة عن قتادة»، والبغوي في شرح السنة (٥ / ٩٢)، وأحمد في المسند (٢٠ / ٣٤٤)، وقال محققوه: «إسناده ضعيف، فيه علي بن مسعدة الباهلي، وهو ضعيف».

التأويل، وما كان قبل النبوة؛ فإنه مما يعظم به الإنسان عند أولي الأبصار.

وهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد علم تعظيم رعيته له، وطاعتهم، مع كونه دائماً كان يعترف بما يرجع عنه من خطأ، وكان إذا اعترف بذلك وعاد إلى الصواب زاد في أعينهم، وازدادوا له محبة وتعظيماً.

ومن أعظم ما نقمه الخوارج على علي أنه لم يتب من تحكيم الحكمين، وهم وإن كانوا جهالاً في ذلك فهو يدل على أن التوبة لم تكن تنفرهم، وإنما نفرهم الإصرار على ما ظنوه هم ذنباً، والخوارج من أشد الناس تعظيماً للذنوب، ونفوراً عن أهلها، حتى إنهم يكفرون بالذنب، ولا يحتملون لمقدمهم ذنباً، ومع هذا فكل مقدم لهم تاب عظموه، وأطاعوه، ومن لم يتب عادوه فيما يظنونه ذنباً، وإن لم يكن ذنباً.

فعلم أن التوبة والاستغفار لا توجب تنفيراً، ولا تزيل وثوقاً، بخلاف دعوى البراءة مما يتاب منه ويستغفر، ودعوى السلامة، مما يحوج الرجوع إلى الله، واللَّجَأ إليه، فإنه هو الذي ينفر القلوب، ويزيل الثقة، فإن هذا لم يعلم أنه صدر إلا عن كذاب، أو جاهل، وأما الأول فإنه يصدر عن الصادقين، العالمين.

ومما يبين ذلك أنه لم يعلم أحد طعن في نبوة أحد من الأنبياء، ولا قدح في الثقة به بما دلت عليه النصوص التي تيب منها، ولا احتاج المسلمون إلى تأويل النصوص بما هو من جنس التحريف لها، كما يفعله من يفعل ذلك.

والتوراة فيها قطعة من هذا، وما أعلم أن بني إسرائيل قدحوا في نبي من

الأنبياء بتوبته في أمر من الأمور، وإنما كانوا يقدحون فيهم بالافتراء عليهم، كما كانوا يؤذون موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإلا فموسى قد قتل القبطي قبل النبوة، وتاب من سؤال الرؤية وغير ذلك بعد النبوة، وما أعلم أحداً من بني إسرائيل قدح فيه بمثل هذا...

وأيضا: فقد ثبت أن النسخ نفر طائفة كما قال: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢].

وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النحل: ١٠١ - ١٠٢].

فالتبديل الذي صرحوا بأنه منفر، ونفروا به عنه؛ لم يكن مما يجب نفيه عنه، فكيف بالرجوع إلى الحق الذي لم يعلم أنهم نفروا منه، وهو أقل تنفيرا؟! لأن النسخ فيه رجوع عن الحق إلى حق، وهذا رجوع إلى حق من غير حق.

ومعلوم أن الإنسان يحمد على ترك الباطل إلى الحق ما لا يحمد على ترك ما لم يزل يقول إنه حق، وإذا كان جائزاً فهذا أولى، وإذا كان في ذلك مصلحة ففي هذا أيضاً مصالح عظيمة، ولولا أن فيها وفي العلم بها مصالح لعباده لم يقصها في غير موضع من كتابه.

وهو سبحانه -وله الحمد- لم يذكر عن نبي من الأنبياء ذنباً إلا ذكر معه توبته لينزهه عن النقص والعيب، ويبين أنه ارتفعت منزلته، وعظمت درجته، وعظمت حسناته، وقربه إليه بما أنعم الله عليه من التوبة، والاستغفار،

والأعمال الصالحة التي فعلها بعد ذلك، وليكون ذلك أسوة لمن يتبع الأنبياء ويقتدي بهم إلى يوم القيامة.

ولهذا لما لم يذكر عن يوسف توبة في قصة امرأة العزيز دل على أن يوسف لم يذنب أصلاً في تلك القصة، كما يذكر من يذكر أشياء نزهه الله منها بقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤].

وأما من ذكر الله -تعالى وتبارك- عنه ذنباً كآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فإنه لما قال: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢١ - ١٢٢].

وقال: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

وقال تعالى عن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص: ٢٤ - ٢٥].

وقال لموسى -عليه السلام والصلاة-: ﴿ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النمل: ١٠ - ١١].

ومن احتج على امتناع ذلك بأن الاقتداء بهم مشروع، والاقتداء بالذنب لا يجوز.

قيل له: إنما يقتدى بهم فيما أقروا عليه، لا فيما نهوا عنه، كما أنه إنما يقتدى بهم فيما أقروا عليه ولم ينسخ ولم ينسه فيما نسخ، وحينئذ فيكون التأسي بهم مشروعا مأموراً به لا يمنع وقوع ما ينهون عنه، ولا يقرون عليه،

لا من هذا ولا من هذا، وإن كان اتباعهم في المنسوخ لا يجوز بالاتفاق.

ومما يبين أن النسخ أشد تنفيراً: أن الإنسان إذا رجع عن شيء إلى آخر، وقال: الأول الذي كنت عليه حق أمرني الله به، ورجوعي عنه حق أمرني الله به؛ كان هذا أقرب إلى النفور عنه من أن يقول: رجعت عما لم يأمرني الله به، فإن الناس كلهم يحمدون من قال هذا، وأما من قال: أمري بهذا حق، ونهيي عنه حق؛ فهذا مما نفر عنه كثير من السفهاء، وأنكره من أنكره من اليهود، وغيرهم»(١).

• **الدليل الثالث**: أن صدور الذنب من النبي له لوازم عديدة، منها: أن يكون فاسقاً، بل أقل درجة من عصاة الأمة، لأن درجتهم أعلى فالذنب منهم أقبح، وأن ترد شهادته لفسقه، وأن إيذاءه غير محرم؛ لأنه مستحق العقوبة لفسقه...

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الشبهة وردها في قوله: «المقصود هنا: أن الذين ادعوا العصمة مما يتاب منه عمدتهم: أنه لو صدر منهم الذنب لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة، لأن درجتهم أعلى فالذنب منهم أقبح، وأنه يجب أن يكون فاسقاً فلا تقبل شهادته، وأنه حينئذ يستحق العقوبة فلا يكون إيذاؤه محرماً، وأذى الرسول محرم بالنص، وأنه يجب الاقتداء بهم ولا يجوز الاقتداء بأحد في ذنب.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢ / ٤٠٣ - ٤١٣).

ومعلوم: أن العقوبة ونقص الدرجة إنما يكون مع عدم التوبة، وهم معصومون من الإصرار بلا ريب.

وأيضا: فهذا إنما يتأتى في بعض الكبائر دون الصغيرة، وجمهور المسلمين على تنزيههم من الكبائر لا سيما الفواحش، وما ذكر الله -تعالى- عن نبي كبيرة فضلاً عن الفاحشة، بل ذكر في قصة يوسف ما يبين أنه يصرف السوء والفحشاء عن عباده المخلصين، وإنما يقتدى بهم فيما أقروا عليه، ولم ينهوا عنه.

وأيضا: فالذنوب أجناس، ومعلوم أنه لا يجوز منهم كل جنس، بل الكذب لا يجوز منهم بحال أصلاً، فإن ذلك ينافي مطلق الصدق... فلا يجوز أن يصدر من النبي ﷺ تعمد الكذب ألبتة، سواء كان صغيرة أو كبيرة، بل قد قال النبي ﷺ: «ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين»[١].

وأما قوله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله»[٢] فتلك كانت معاريض، فكان مأموراً بها، وكانت منه طاعة لله،

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣ / ٤٧)، وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام، ص (٣٨٨)، رقم: (٢٦٨٣)، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب الحكم في المرتد، ص (٥٦٧)، رقم: (٤٠٦٧)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤ / ١٥٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٧٢٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، ص (٣٥٣)، رقم: (٢٢١٧)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، ص =

والمعاريض قد تسمى كذبـًا لكونه أفهم خلافَ ما في نفسه.

وفي الصحيحين عن أم كلثوم قالت: لم أسمع النبي ﷺ يرخص فيما يقول الناس إنه كذب إلا في ثلاث: حديث الرجل لامرأته، وإصلاحه بين الناس، وفي الحرب، قالت: فيما يقول الناس: إنه كذب، وهو المعاريض[1].

وأما ما تقوله الرافضة من أن النبي قبل النبوة وبعدها لا يقع منه خطأ ولا ذنب صغير، وكذلك الأئمة؛ فهذا مما انفردوا به عن فرق الأمة كلها، وهو مخالف للكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

ومن مقصودهم بذلك: القدح في إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لكونهما أسلما بعد الكفر، ويدّعون أن عليـًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يزل مؤمنـًا، وأنه لم يُخْطِ قط ولم يذنب قط، وكذلك تمام الاثني عشر.

وهذا مما يظهر كذبهم وضلالهم فيه لكل ذي عقل يعرف أحوالهم، ولهذا كانوا هم أغلى الطوائف في ذلك، وأبعدهم عن العقل والسمع.

ونكتة أمرهم: أنهم ظنوا وقوع ذلك من الأنبياء والأئمة نقصـًا، وأن ذلك يجب تنزيههم عنه، وهم مخطئون إما في هذه المقدمة، وإما في هذه المقدمة.

=

(١٠٤١)، رقم: (٦١٤٥).

(١) ذكره الإمام مسلم في صحيحه إثر حديث رقم: (٦٦٣٣)، ورواه أحمد في المسند (٤٥ / ٢٤١)، وقال محققوه: «حديث صحيح، دون قوله: قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء... فالصواب أنها زيادة مدرجة من كلام الزهري، بَيَّنَ ذلك يونس في روايته عن الزهري، كما سيرد»، ثم ذكروا قولَي ابن حجر، والدارقطني في أن هذه الزيادة مدرجة في الحديث.

أما المقدمة الأولى فليس من تاب إلى الله -تعالى- وأناب إليه بحيث صار بعد التوبة أعلى درجة مما كان قبلها منقوصاً ولا مغضوضاً منه، بل هذا مفضل عظيم مكرم، وبهذا ينحل جميع ما يوردونه من الشبه.

وإذا عرف أن أولياء الله يكون الرجل منهم قد أسلم بعد كفره، وآمن بعد نفاقه، وأطاع بعد معصيته، كما كان أفضل أولياء الله من هذه الأمة -وهم السابقون الأولون- يبين صحة هذا الأصل.

والإنسان ينتقل من نقص إلى كمال، فلا ينظر إلى نقص البداية، ولكن ينظر إلى كمال النهاية، فلا يعاب الإنسان بكونه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة، إذا كان الله بعد ذلك خلقه في أحسن تقويم، ومن نظر إلى ما كان فهو من جنس إبليس؛ الذي قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]...

وكذلك التوبة بعد السيئات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وفي الصحيحَين عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال: «للهُ أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة، عليها طعامه وشرابه، فقال تحت شجرة ينتظر الموت، فلما استيقظ إذا بدابته عليها طعامه وشرابه، فكيف تجدون فرحه بها؟» قالوا: عظيماً يا رسول الله، قال: «للهُ أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته»[1].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ص (١٠٩٧)، رقم: (٦٣٠٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة، ص (١١٨٩)، رقم: (٦٩٥٥).

ولهذا قال بعض السلف: إن العبد ليفعل الذنب فيدخل به الجنة.

وإذا ابتلى العبد بالذنب، وقد علم أنه سيتوب منه ويتجنبه؛ ففي ذلك من حكمة الله ورحمته بعبده أن ذلك يزيده عبودية، وتواضعًا، وخشوعًا، وذلاً، ورغبة في كثرة الأعمال الصالحة، ونفرة قوية عن السيئات، فإن النبي ﷺ قال: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»(١).

وذلك أيضًا: يدفع عنه العُجب والخُيَلاء، ونحو ذلك مما يعرض للإنسان.

وهو أيضًا: يوجب الرّحمة لخلق الله، ورجاء التوبة والرحمة لهم، إذا أذنبوا، وترغيبهم في التوبة.

وهو أيضًا: يبيّن من فضل الله وإحسانه وكرمه ما لا يحصل بدون ذلك، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، ثم يستغفرون فيغفر لهم»(٢).

وهو أيضًا يبين قوة حاجة العبد إلى الاستعانة بالله والتوكل عليه واللَّجأ إليه في أن يستعمله في طاعته، ويجنبه معصيته، وأنه لا يملك ذلك إلا بفضل

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ من جحر مرتين، ص (١٠٦٨)، رقم (٦١٣٣)، ومسلم، كتاب الزهد، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ص (١٢٩٥)، رقم (٧٤٩٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة، ص (١١٩١)، رقم: (٦٩٦٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله عليه وإعانته له، فإن من ذاق مرارة الابتلاء وعجزه عن دفعه إلا بفضل الله ورحمته؛ كان شهود قلبه وفقره إلى ربه واحتياجه إليه في أن يعينه على طاعته ويجنبه معصيته أعظم ممن لم يكن كذلك.

ولهذا قال بعضهم: كان داود ﷺ بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة.

وقال بعضهم: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه.

ولهذا تجد التائب الصادق أثبت على الطاعة وأرغب فيها وأشد حذراً من الذنب من كثير من الذين لم يبتلوا بذنب، كما في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد، فإنه لما قتل رجلاً بعد أن قال: لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: «أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟»[1] أثر هذا فيه حتى كان يمتنع أن يقتل أحداً يقول: لا إله إلا الله، وكان هذا مما أوجب امتناعه من القتال في الفتنة.

وقد تكون التوبة موجبة له من الحسنات ما لا يحصل لمن يكن مثله تائبـاً من الذنب، كما في الصحيحين من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أحد الثلاثة الذين أنزل الله فيهم: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، ص (٧٢٢)، رقم: (٤٢٦٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد قوله: لا إله إلا الله، ص (٥٦)، رقم: (٢٧٨).

ثم قال: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

وإذا ذكر حديث كعب في قضية تبين أن الله رفع درجته بالتوبة، ولهذا قال: فوالله ما أعلم أحداً ابتلاه الله بصدق الحديث أعظم مما ابتلاني[١].

وكذلك قال بعض من كان من أشد الناس عدواة لرسول الله ﷺ كسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ الذي كان من أشد الكفار هجاء وإيذاء للنبي ﷺ، فلما تاب وأسلم كان من أحسن الناس إسلامـاً، وأشدهم حياء وتعظيما للنبي ﷺ.

وكذلك الحارث بن هشام، قال الحارث: ما نطقت بخطيئة منذ أسلمت[٢].

ومثل هذا كثير في أخبار التوابين، فمن يجعل التائب الذي اجتباه الله وهداه منقوصا بما كان من الذنب الذي تاب منه، وقد صار بعد التوبة خيرا

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ص (٧٤٩)، رقم: (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ص (١٢٠٠)، رقم: (٧٠١٦)، ولفظهما: «أحسن مما أبلاني».

(٢) روى الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٤ / ٤٧١) بسنده عن أبي إسحاق قال: لما حضر أبا سفيان بن الحارث الموت قال لأهله: «لا تبكوا علي؛ فإني لم أتنطف بخطيئة منذ أسلمت» وقال محققه مشهور حسن: «ضعيف»، ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص (١١٥)، وأبو عروبة في المنتقى من كتاب الطبقات (٣٣).

مما كان قبل التوبة؛ فهو جاهل بدين الله -تعالى-، وما بعث الله به رسوله، وإذا لم يكن في ذلك نقص مع وجود ما ذكر فجميع ما يذكرونه هو مبني على أن ذلك نقص، وهو نقص إذا لم يتب منه، أو هو نقص عمن ساواه إذا لم يصر بعد التوبة مثله، فأما إذا تاب توبة محت أثره بالكلية، وبدلت سيئاته حسنات؛ فلا نقص فيه بالنسبة إلى حاله، وإذا صار بعد التوبة أفضل ممن يساويه أو مثله لم يكن ناقصا عنه.

ولسنا نقول: إن كل من أذنب وتاب فهو أفضل ممن لم يذنب ذلك الذنب، بل هذا يختلف باختلاف أحوال الناس، فمن الناس من يكون بعد التوبة أفضل، ومنهم من يعود إلى ما كان، ومنهم من لا يعود إلى مثل حاله، والأصناف الثلاثة فيهم من هو أفضل ممن لم يذنب ويتب، وفيهم من هو مثله، وفيهم من هو دونه.

وهذا الباب فيه مسائل كثيرة ليس هذا موضع تفصيلها، ولبسطها موضع آخر، والمقصود التنبيه.

ولهذا كان السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وغيرهم من أئمة المسلمين متفقين على ما دل عليه الكتاب والسنة من أحوال الأنبياء، لا يعرف عن أحد منهم القول بما أحدثته المعتزلة والرافضة ومن تبعهم في هذا الباب، بل كتب التفسير والحديث والآثار والزهد وأخبار السلف مشحونة عن الصحابة والتابعين بمثل ما دل عليه القرآن، وليس فيهم من حرّف الآيات كتحريف هؤلاء، ولا من كذب بما في الأحاديث كتكذيب هؤلاء،

ولا من قال: هذا يمنع الوثوق، أو يوجب التنفير ونحو ذلك كما قال هؤلاء، بل أقوال هؤلاء الذين غلوا بجهل من الأقوال المبتدعة في الإسلام.

وهم قصدوا تعظيم الأنبياء بجهل كما قصدت النصارى تعظيم المسيح وأحبارهم ورهبانهم بجهل، فأشركوا بهم واتخذوهم أرباباً من دون الله، وأعرضوا عن اتباعهم فيما أمروهم به، ونهوهم عنه»[١].

المبحث الثالث

تحقيق القول في مسألة: عصمة الأنبياء قبل النبوة

تحقيق القول في مسألة: عصمة الأنبياء قبل النبوة تبينه الأمور الآتية:

• **الأمر الأول**: أن الأنبياء والرسل خيار أقوامهم، ولهذا اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤][٢].

الأمر الثاني: أنه ليس في النبوة ما يستلزم أن يكون النبي قبل النبوة معصوماً لا يخطئ، ولا يذنب.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٢٦ - ٤٣٥).

(٢) ينظر: تفسير آيات أشكلت (١/ ١٩١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الأنبياء: «قد اتفق المسلمون على أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله، فلا يجوز أن يقرهم على الخطأ في شيء مما يبلغونه عنه، وبهذا يحصل المقصود من البعثة.

وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبيا لا يخطئ، أو لا يذنب؛ فليس في النبوة ما يستلزم هذا»[1].

الأمر الثالث: يجب أن يفرق بين النبي الذي ينشأ بين قوم مشركين، لم تسبق لهم دعوة، وبين من ينشأ بين قوم مؤمنين، لهم شريعة، وبعث فيهم أنبياء، وبين من بعث إلى قوم على بقايا من دين نبي سابق.

فالنبي الذي ينشأ بين قوم لهم شريعة، وبعث فيهم أنبياء؛ لا يجوز عليه الشرك، والكفر، وكثير من المعاصي التي نزل تحريمها في شرعهم، ومن هذا القسم: أنبياء بني إسرائيل، كداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وغيرهم -صلى الله عليهم وسلم-.

أما من نشأ بين قوم مشركين، لم تسبق لهم دعوة، ولم يأتهم نبي؛ فليس على النبي غضاضة، أو نقص، وعيب؛ إذا كان على دينهم، ومن هذا القسم: شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد أخبر الله -تعالى- أن لوطا كان من أمة إبراهيم، وممن آمن له، ثم إن الله أرسله، وكذلك يوشع كان من أمة

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢ / ٣٩٦ - ٣٩٧) .

موسى، وكان فتاه، ثم إن الله أرسله، وكذلك هارون، لكن هارون ويوشع كانا على دين بني إسرائيل، ملة إبراهيم، وأما لوط فلم يكن قبل إبراهيم من قومه ملة نبي يتبعها لوط، بل لما بعث الله إبراهيم آمن له»[(١)].

أما من نشأ بين قوم مشركين كانوا على بقية من دين نبي سابق فهذا يكون وسطًا بين القسمين السابقين، ما بقي من الدين السابق الأظهر أنه لا يخالفه، وما كان غير ذلك فمحل بحث، ونظر، ومن هذا القسم: نبينا محمد ﷺ[(٢)].

---

(١) تفسير آيات أشكلت (٢٣٠ - ٢٣٢).

(٢) فائدة: يقول القرطبي في تفسيره (١٦ / ٣٩ - ٤١): «تكلم العلماء في نبينا ﷺ: هل كان متعبداً بدين قبل الوحي، أم لا؟

فمنهم: من منع ذلك مطلقًا، وأحاله عقلاً، قالوا: لأنه يبعد أن يكون متبوعًا من عرف تابعًا، وبنوا هذا على التحسين والتقبيح.

وقالت فرقة أخرى بالوقف في أمره عَلَيْهِ السَّلَامُ، وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك؛ إذ لم يحل الوجهين منهما العقل، ولا استبان عندها في أحدهما طريق النقل، وهذا مذهب أبي المعالي.

وقالت فرقة ثالثة: إنه كان متعبداً بشرع من قبله، وعاملاً به، ثم اختلف هؤلاء في التعيين: فذهبت طائفة إلى أنه كان على دين عيسى، فإنه ناسخ لجميع الأديان والملل قبلها، فلا يجوز أن يكون النبي على دين منسوخ.

وذهبت طائفة إلى أنه كان على دين إبراهيم، لأنه من ولده، وهو أبو الأنبياء.

وذهبت طائفة إلى أنه كان على دين موسى، لأنه أقدم الأديان.

وذهبت المعتزلة إلى أنه لا بد أن يكون على دين، ولكن عين الدين غير معلومة عندنا.

وقد أبطل هذه الأقوال كلها أئمتنا؛ إذ هي أقوال متعارضة وليس فيها دلالة قاطعة، وإن كان العقل يجوز ذلك كله.

=

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الأمرين السابقين: «فرق بين من يرتكب ما علم قبحه، وبين من يفعل ما لم يعرف، فإن هذا الثاني لا يذمونه، ولا يعيبونه عليه، ولا يكون ما فعله مما هم عليه منفراً عنه، بخلاف الأول.

ولهذا لم يكن في أنبياء بني إسرائيل من كان معروفاً بشرك، فإنهم نشأوا على شريعة التوراة، وإنما ذكر هذا فيمن كان قبلهم، ولكن هذا الذي ذكره يجيء في إخوة يوسف، إذا قيل: إنهم صاروا بعدما فعلوه بيوسف، فوقع منهم ما وقع قبل النبوة[١].

وأما ما ذكره -سبحانه- في قصة شعيب، والأنبياء؛ فليس في هذا ما ينفر أحداً عن القبول منهم، وكذلك الصحابة الذين آمنوا بالرسول ﷺ بعد جاهليتهم، وكان فيهم من كان محمود الطريقة قبل الإسلام، كأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه لم يزل معروفاً بالصدق، والأمانة، ومكارم الأخلاق، لم يكن فيه قبل الإسلام ما يعيبونه به، والجاهلية كانت مشتركة فيهم كلهم.

فقد تبين أن ما أخبر عنه قبل النبوة -في القرآن - من أمر الأنبياء ليس فيه ما ينفر أحداً عن تصديقهم، ولا يوجب طعن قومهم فيهم.

=

والذي يقطع به أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن منسوباً إلى واحد من الأنبياء نسبة تقتضي أن يكون واحداً من أمته ومخاطباً بكل شريعته، بل شريعته مستقلة بنفسها مفتتحة من عند الله الحاكم عَزَّ وَجَلَّ...»ا.ه، وانظر: المفهم (١ / ٣٧٥).

(١) سبق ذكر الخلاف في الأسباط إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن الراجح عدم نبوتهم.

ولهذا لم يذكر أحد من المشركين هذا قادحـًا في نبوتهم، ولو كانوا يرونه عيبـًا لعابوه، ولقالوا: أنتم كنتم أيضـًا معنا على الحالة المذمومة، ولو ذكروا للرسل هذا قالوا: كنا كغيرنا لم نعرف ما أوحي به إلينا، بل ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]، فقالت الرسل: ﴿إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾ [إبراهيم: ١١].

وقد اتفقوا كلهم على جواز بعثة رسول لم يعرف ما جاءت به الرسل قبله من أمور النبوة، والشرائع، ومن لم يقر بهذا الرسول بعد الرسالة فهو كافر، والرسل -قبل الوحي- قد كانت لا تعلم هذا، فضلاً عن أن تقر به.

فعلم أن عدم هذا العلم والإيمان لا يقدح في نبوتهم، بل الله إذا نبأهم علمهم ما لم يكونوا يعلمون، وقد قال تعالى: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥]...

وقال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

فجعل إنذارهم بعبادة الله وحده كإنذارهم يوم التلاق، كلاهما عرفوه بالوحي[١].

وقد كان إبراهيم الخليل قد تربى بين قوم كفار، ليس فيهم من يوحد

(١) تمام آية غافر: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

الله، وآتاه الله رشده، وآتاه من العلم والهدى ما لم يكن فيهم، كذلك غيره من الرسل.

وموسى لما أرسله الله إلى فرعون قال له فرعون: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٨ - ٢٢].

وقال تعالى لخاتم الرسل: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]...

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ ﴾ [هود: ٤٩].

وقال: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ ﴾ [النساء: ١١٣]، الآية.

وقال: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾ [الشورى: ٥٢]، إلى آخر السورة.

وقد تنازع الناس في حال نبينا ﷺ قبل النبوة...»[١]، إلى آخر كلامه.

---

(١) تفسير آيات أشكلت (١ / ١٩٣ - ١٩٧).

محمداً ﷺ وصانه من الشرك، وعبادة الأصنام، وحفظه من كثير من الذنوب، والمعاصي[١]، ولا يلزم أن يكون كل الأنبياء كذلك، فإن نبينا محمداً ﷺ أفضل الأنبياء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان من حين ولد ظهرت فيه علامات الخير، وتغير العالم لمولده، وظهرت أمور كثيرة من دلائل نبوته، لكن هذا الذي جرى له لا يجب أن يكون مثله لكل نبي، فإنه أفضل الأنبياء، وسيد ولد آدم، والله -سبحانه- إذا أَهَّلَ عبده لأعلى المنازل والمراتب رَبَّاه على قدر تلك المرتبة، والمنزلة.

فلا يلزم إن كان نبي قبل النبوة معصوما من كبائر الإثم، والفواحش، صغيرها، وكبيرها؛ أن يكون كل نبي كذلك، ولا يلزم إذا كان الله قد بغّض إليه شرك قومه قبل النبوة أن يكون كل نبي كذلك.

فما عرف من حال نبينا وفضائله لا تناقض ما روي من أخبار غيره إذا كان دون ذلك، ولا يمنع كون ذلك بنبينا، ولكن الله فضل بعض النبيين على بعض، كما فضلهم في الشرائع، والكتب، والأمم، فهذا أصل يجب اعتباره»[٢].

ويلخص شيخ الإسلام ابن تيمية ما سبق بقوله: «قوله: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ [الأعراف: ٨٨]، الآية، وما في معناها:

---

(١) ينظر تحقيق القول في الأمور التي عصم منها نبينا محمد ﷺ منها في: تفسير آيات أشكلت (١ / ١٩٧)، فما بعدها.

(٢) تفسير آيات أشكلت (١ / ٢٣٠ - ٢٣٢).

التحقيق: أن الله -سبحانه- إنما يصطفي لرسالته من كان خيار قومه حتى في النسب، كما في حديث هرقل، ومن نشأ بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه نقص إذا كان على مثل دينهم؛ إذا كان معروفاً بالصدق، والأمانة، وفعل ما يعرفون وجوبه، وترك ما يعرفون قبحه، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب. وليس في هذا ما ينفر عن القبول منهم؛ ولهذا لم يذكره أحد من المشركين قادحاً.

وقد اتفقوا على جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله من النبوة والشرائع، وأن من لم يقر بذلك بعد الرسالة فهو كافر.

والرسل قبل الوحي لا تعلمه فضلاً عن أن تقر به، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [النحل: ٢] الآية.

وقال: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]، فجعل إنذارهم بالتوحيد كالإنذار بيوم التلاق، وكلاهما عرفوه بالوحي.

وما ذكر أنه ﷺ بغضت إليه الأوثان لا يجب أن يكون لكل نبي، فإنه سيد ولد آدم، والرسول الذي ينشأ بين أهل الكفر الذين لا نبوة لهم يكون أكمل من غيره، من جهة تأييد الله له بالعلم والهدى، وبالنصر والقهر، كما كان نوح، وإبراهيم.

ولهذا يضيف الله الأمر إليهما في مثل قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحديد: ٢٦] الآية، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٣٣] الآية.

وذلك أن نوحا أول رسول بعث إلى المشركين، وكان مبدأ شركهم من تعظيم الموتى الصالحين، وقوم إبراهيم مبدؤه من عبادة الكواكب، ذاك الشرك الأرضي، وهذا السماوي؛ ولهذا سد ﷺ ذريعة هذا، وهذا»[١].

هذه أمور عامة وقواعد كلية ينبغي التفطن لها والتنبه إليها حين الكلام على عصمة الأنبياء قبل النبوة، أما تحقيق القول في كل نبي فباب عريض، وبحر بلا ساحل، ليس ذا موضعه، ولا مكانه، والله ولي التوفيق.



---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥ / ٣٠).

الخاتمة

من أهم ما خلص إليه البحث ما يأتي:

- أن أصل العصمة في كلام العرب: المنع، وقيل: الحفظ، وقيل: الربط، ثم صارت بمعنى: المنع.

وقيل: أصل العصمة: التمسك بما يعصمك، ويمنعك، وكلها معان متقاربة، والذي يظهر أن التعريف الاصطلاحي الجامع للعصمة هو: حفظ الله عَزَّوَجَلَّ ومنعه لعبده من الوقوع في الذنوب والمعاصي ابتداء، أو من الإقرار عليها، أو من الإصرار عليها، وعدم التوبة منها انتهاء، وهذا التعريف يشمل الأنبياء والرسل، وغيرهم.

- أن الفروق بين عصمة الأنبياء وعصمة غيرهم من آحاد الأمة من عدة جهات: **الأولى: من جهة أصل العصمة**: فالأصل في الأنبياء والرسل أنهم معصومون إلا ما قيل في الصغائر، أما الأصل في غير الأنبياء والرسل أنهم ولو بلغوا ما بلغوا فهم غير معصومين، **والثانية: من جهة حكم العصمة**: فهي واجبة في حق الأنبياء والرسل، أما غيرهم فعلى سبيل الجواز، فقد يعصم من بعض الذنوب، ولا يعصم من البعض الآخر، **والثالثة: من جهة الذنوب التي قد تقع من الأنبياء والرسل ومن غيرهم**: فالأنبياء والرسل معصومون من جميع الذنوب إلا الصغائر؛ على الصحيح، والصغائر وإن وقعت من الأنبياء فإن العصمة في حقهم تأتي في عدم إقرارهم عليها، وعدم إصرارهم،

والعصمة من عدم التوبة منها، وهذا ما لا يتأتى لغير الأنبياء، أما غير الأنبياء فالأصل أنهم غير معصومين من جميع الذنوب، وقد يعصم الله عَزَّوَجَلَّ من يشاء من خلقه عما يشاء من الذنوب.

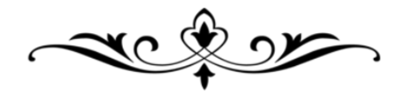
- أن الناس اختلفوا في عصمة الأنبياء والرسل اختلافـاً كبيراً فمنهم من غلا في نفي العصمة، فقال بعدم عصمة الأنبياء عن الكبائر والصغائر مطلقـاً، حتى الكذب في البلاغ، ومنهم من غلا في إثباتها، فقال بعصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر، ولو سهواً، وبين هذين درجات، وأقوال.

- أن الناس اختلفوا في مسألة: عصمة الأنبياء قبل النبوة: فأثبتها بعضهم، ونفاها بعضهم، ولكل دليله؛ مما هو منثور في هذا البحث.

- أن تحقيق القول في مسألة: عصمة الأنبياء قبل النبوة: أن الأنبياء والرسل خيار أقوامهم، ولهذا اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ، ومع هذا فليس في النبوة ما يستلزم أن يكون النبي قبل النبوة معصومـاً لا يخطئ، ولا يذنب، ولكن يجب أن يفرق بين النبي الذي ينشأ بين قوم مشركين، لم تسبق لهم دعوة، وبين من ينشأ بين قوم مؤمنين، لهم شريعة، وبعث فيهم أنبياء، وبين من بعث إلى قوم على بقايا من دين نبي سابق، فالنبي الذي ينشأ بين قوم لهم شريعة، وبعث فيهم أنبياء؛ لا يجوز عليه الشرك، والكفر، وكثير من المعاصي التي نزل تحريمها في شرعهم، مثل: أنبياء بني إسرائيل، أما من نشأ بين قوم مشركين، لم تسبق لهم دعوة، ولم يأتهم نبي؛ فليس على النبي غضاضة، أو نقص، وعيب؛ إذا كان على دينهم، وهذا مثل: شعيب

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أمّا من نَشأ بين قومٍ مشركين كانوا على بقيّةٍ من دين نبي سابق فهذا يكون وسطًا بين القسمين السابقين، ما بقي من الدين السابق فالأظهر أنه لا يخالفه، وما كان غير ذلك فمحلّ بحث، ونظر، وهذا مثل: نبينا محمد ﷺ.

- أن الله عَزَّوَجَلَّ حفظ نبينا محمداً ﷺ وصانه من الشرك، وعبادة الأصنام، وحفظه من كثير من الذنوب، والمعاصي، ولا يلزم أن يكون كل الأنبياء كذلك، فإن نبينا محمداً ﷺ أفضل الأنبياء، والرسل.



فهرس المصادر

- الأحاديث المختارة أو (المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما)، ضياء الدين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد، المقدسي، دراسة، وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور: عبد الملك بن عبد الله، بن دهيش، دار خضر للطباعة، والنشر، والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، الدكتور / صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

- أصول الدين، محمد البزدوي، تحقيق الدكتور: هانز بيتر لنس، ضبطه وعلق عليه الدكتور: أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ١٤٢٤هـ.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، خرج آياته، وأحاديثه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

- بدائع الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تقريظ وتقديم الدكتور / وهبة الزحيلي، دار الخير بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، شرحه ونشره / السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.

- تفسير آيات أشكلت، أحمد بن عبد الحليم، شيخ الإسلام، ابن تيمية، دراسة، وتحقيق / عبد العزيز بن محمد الخليفة، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ.

- تفسير ابن عطية، لعبد الحق، بن عطية، الأندلسي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر، بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

- تفسير الطبري، لمحمد بن جرير، الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

- التفسير الكبير، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، قدم له / هاني الحاج، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه / عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية، القاهرة.

- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ.

- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد، بن أحمد، القرطبي، اعتنى به، وصححه: الشيخ: هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- جامع الترمذي، لمحمد بن عيسى، الترمذي، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- جمع الجوامع في أصول الفقه، عبد الوهاب بن علي السبكي، دراسة

وتحقيق: الطالبة الباحثة عقيلة حسين، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة تخصص أصول الفقه في الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد عبد النبي، السنة الجامعية: ١٤٢٦ - ١٤٢٧هـ.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور / عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

- الدعاء للطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، قرأه، وصححه: محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت.

- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن، بن علي، الجوزي، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.

- سنن ابن ماجه، لمحمد، بن يزيد، ابن ماجه، دار السلام، الرياض،

الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث، السجستاني، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- سنن النسائي الصغرى، لأحمد بن شعيب، النسائي، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد، الحسين بن مسعود، بن محمد البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وَزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

- شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر، أحمد، بن محمد، الطحاوي، حققه، وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للقاضي أبي الفضل، عياض اليحصبي، دار الفكر، بيروت.

- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان أبو حاتم البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، القشيري، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل، البخاري، دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه، وقدم له: الدكتور. علي بن محمد، الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، دار صادر، بيروت.

- عصمة الأنبياء، فخر الدين الرازي، تقديم مراجعة: محمد حجازي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د: مهدي المخزومي، د: إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي، بن حجر، العسقلاني، رقم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه، وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، راجعه: قصي الدين محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، تحقيق أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، محمد علي بن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، ينسب لأبي حنيفة النعمان، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

- كشف الأستار عن زوائد البزار، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

- لوامع الأنوار البهية، وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، محمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ.

- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، ودار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، إعداد: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.

- المحتضرين، أبو بكر عبد الله ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

- المحصول، فخر الدين الرازي، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

- مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق / محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله، الحاكم، إعداد: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

- مسند الإمام أحمد، لأحمد بن حنبل، الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- معالم التنزيل، البغوي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى،

١٤٢٣هـ.

- معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وَمحمد علي النجار وَعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.

- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق / طارق بن عوض الله بن محمد وَعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

- معجم الصحاح، لإسماعيل بن حماد، الجوهري، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

- الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، اعتنى به: الدكتور. محمد عوض مرعب وَالآنسة فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- المعجم الكبير، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة

الثانية، ١٤٠٤هـ.

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، قدم له وضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه / علي بن حسن الأثري، راجعه / بكر أبو زيد، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، حققه، وعلق عليه، وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ويوسف على بديوي، وأحمد محمد السيد، ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ.

- المنتقى من كتاب الطبقات، أبو عروبة الحسين بن محمد، عني بتحقيقه: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم شيخ الإسلام ابن تيمية،

تحقيق الدكتور. محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق / أمير علي مهنا وَعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ.

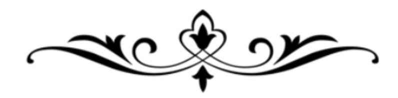
- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير، بن ياسين، دار المآثر للنشر، والتوزيع، والطباعة، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ.

- النبوات، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور / عبد العزيز الطويان، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)، اعتنى به / رائد بن صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية.

فهرس الموضوعات





الوحي النبوي بين التصور الإسلامي وشبهات المستشرقين، وأثر ذلك على الفكر المعاصر

د. ياسر بن عبد الرحمن بن محمد اليحيى

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

ملخص البحث

تناول هذا البحث موضوع (الوحي النبوي) -الذي هو أحد الحقائق الثابتة في ديننا- من جهة التصور الإسلامي له مدخلًا للبحث، ومن جهة الشبهات التي وجهت له من قبل المستشرقين، ومن جهة الأثر المترتب على ذلك في الفكر المعاصر.

وقد توصلت خلال البحث إلى نتائج؛ من أهمها:

١-أن الوحي النبوي -حسب التصور الإسلامي- حقيقة ثابتة بالأدلة العقلية والنقلية، وله خصائص اختص بها ميَّزته عن غيره.

٢- للوحي النبوي -حسب التصور الاستشراقي- رؤية مخالفة لما عليه التصور الإسلامي، وهي إنكار أن يكون هذا الوحي أتى إلى النبي من خارج نفسه.

٣- استخدم المستشرقون للتعامل مع ظاهرة الوحي عدة مناهج، أبرزها منهج التحليل النفسي.

٤-فسَّر المستشرقون ظاهرة الوحي بتفسيرات كثيرة، نتج عنها إثارة كثير من الشبه، أبرزها شبه نفسية طبيعية وشبه نفسية مرضية.

٥-أن هذه الدعاوى والتفسيرات الباطلة وجدت لها صدى عند بعض المفكرين العرب المعاصرين، فأعادوا تسويقها من باب الحداثة والتجديد، مما زاد الأمر خطورة.

د. ياسر بن عبد الرحمن اليحيى

yamy99@gmail.com

The Prophetic Revelation Between the Islamic Understanding and the Doubts of the Orientalists, and its Impact on Modern Thought

Dr. Yasir bin Abdirrahman bin Muhammad al-Yahya

Saudi Academic, Assistant Professor in the Section of Islamic Creed and Modern Ideologies, in the Faculty of Shari'ah and Islamic Studies, Qassim University.

Abstract

This research studied the subject (the prophetical revelation) – that is one of the firm facts in our religion – from an Islamic point of view in the beginning of the research. It also studied the doubts mentioned by the orientalists about it and what impact it has on modern thought.

I reached some conclusions from the study and the most important of them are:

1) That the prophetical revelation – from an Islamic point of view – is a firm fact with both intellectual and textual evidences and it has certain distinctive features that characterize it.

2) The prophetical revelation – from en orientalist point of view – differs from the Islamic point of view and it denies that the revelation came to the prophet from outside of himself.

3) The orientalists used different kinds of methods to deal with the phenomenon of revelation; the most famous of them are the method of psychoanalysis.

4) The orientalists explained the phenomenon of revelation with different kinds of explanations that lead to many doubts; the most famous of them are psychological and illness doubts.

5) Some modern Arab thinkers accepted these false claims and interpretations and spread them by saying it was new and modern explanation, which made it even more dangerous.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فمن الحقائق الثابتة في ديننا (الوحي النبوي)، وقد جاء في القرآن في مواضع كثيرة وبتصريفات متعددة: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾، ﴿وَأُوحِىَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾، ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾، ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾، ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾، ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ﴾، ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾، ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾.

وكذلك جاء في سنة المصطفى -عليه أفضل الصلاة وأتم التّسليم- بيان حقيقة الوحي ووصف حاله معه، وأشكال تنزّل الوحي عليه، ما يطول المقام بذكره.

ومع ثبوت هذه الحقيقة ووضوح تصوّرها؛ إلّا أن ذلك لم يرُق لطائفة من المستشرقين الذين حاولوا أن يتأوّلوا هذه الحقيقة الثابتة (الوحي) -ضمن مشروعهم الكبير في التشكيك بثوابت هذا الدين- بتأويلات ساذجة ودعاوى متهافتة، دفعهم إليها جهلهم العلمي وهوى النفس وغلبة النزعة المادية عندهم التي لا تؤمن بما وراء المادة، فضلاً عما يحمله كثير منهم من الحقد على هذا الدين الحنيف.

وقد انعكس هذا الفهم الخاطئ والتصور الباطل للوحي على المعجزة الخالدة (القرآن الكريم)، من حيث كونُه كلام الله أوحاه إلى نبيه، وكذلك ما جاء فيه: من كونه صِدق ومقدّس إلى كونه جهداً بشرياً يعتريه ما يعتري غيره من جهود البشر.

وقد وجدت هذه الدعاوى صدى لها عند بعض مفكري العصر الحاضر، مما جعل الحديث عنها من الضرورات الملحة.

فعزمت على كتابة بحث بعنوان (الوحي النبوي بين التصور الإسلامي وشبهات المستشرقين وأثر ذلك على الفكر المعاصر).

❑ مشكلة البحث:

يمكن اختصار مشكلة البحث في سؤالين:

الأول: ما هو التصور الاستشراقي لظاهرة الوحي النبوي؟

الثاني: هل للتصور الاستشراقي لظاهرة الوحي أثر واضح في الفكر العربي المعاصر؟

❑ أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الأثر المترتب لهذا التصور للوحي لدى المستشرقين على فئام من مفكرينا المعاصرين، وانعكاس ذلك على معجزة الرسول العظمى(القرآن الكريم) ، فهم بين خيارين لا ثالث لهما، يدور

عليهما عقد الإيمان وأساسه:

إما أن يكون القرآن كلام الله المنزل على نبيه ﷺ، وهذا يكسبه القداسة والعصمة والاستمرارية؛ لتعاليه عن البشرية الناقصة.

وإما أن مبدأه ومنتهاه من النبي ﷺ، وما حواه إنما هو نتاج ثقافة زمانه، وعصارة تجربته، وقوة حدسه، وهذا يجعله نصاً تاريخياً داخل حدود الزمان والمكان، فيسعه ما يسع غيره من كلام البشر!!

وبين هذين الرأيين نجد مذاهبَ شتى وطرائقَ قدداً.

❑ أهداف البحث:

يحاول البحث أن يجيب عن سؤالين مهمين:

الأول: معرفة التصور الاستشراقي للوحي النبوي في آخر مراحله.

الثاني: قياس أثر هذا التصور على الفكر العربي المعاصر.

❑ حدود البحث:

يمكن اختصار محددات هذا البحث في محددين:

المحدد الأول: الوحي؛ يُقصد به معنيان:

الأول: الطريقة التي يحصل بها الإعلام بالشرع.

والثاني: اسم المفعول (الموحى بهـ)؛ أي القرآن.

وحديثي سيكون أكثره عن الأول، وإن أتى الثاني فعرَضـًا.

المحدد الثاني: شبهات المستشرقين: سأتكلم على آخر ما انتهى إليه تصورهم للوحي؛ لأن كثيراً من الدعاوى القديمة تجاوزوها وتعقبوها، ولهذا لم يكن لها صدى عند المفكرين المعاصرين.

❑ خطة البحث:

هذا البحث مكوّنٌ من تمهيدٍ، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

التمهيد: مفهوم الوحي النبوي وأنواعه.

المبحث الأول: التصور الإسلامي للوحي النبوي.

المبحث الثاني: موقف المستشرقين من الوحي النبوي وأبرز شبهاتهم.

المبحث الثالث: تأثر الفكر العربي المعاصر بشبه المستشرقين حول الوحي النبوي.

الخاتمة: فيها أهم النتائج.

وسيكون منهجي في تعقب هذه الشبهة وردِّها هو الاستشهاد بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين حال النبي ﷺ مع الوحي، ومقامات تلقيه، وصور نزوله، مع العناية بالأدلة العقلية والشواهد العلمية التي تدحض ذلك كله بإذن الله تعالى.

هذا وأسأل الله العلي القدير أن يوفقني وإياكم لما فيه خير الدنيا والآخرة.

التمهيد

مفهوم الوحي النبوي وأنواعه

يحسن في مُقدَّم هذا البحث أن نقف على معاني الوحي في اللغة والاصطلاح:

فالوحي في اللغة: مصدر وَحَى، ومادة الكلمة تدل على معنيين أصليين، هما: الخفاء والسرعة.

يُقال وحيت إليه وأوحيت: إذا كلَّمته بما تخفيه عن غيره، والوحي: الإشارة السريعة.

والوحي يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد، وبإشارة ببعض الجوارح(١).

والمعنى اللغوي للوحي يتناول:

١-الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أُم موسى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص:٧].

٢-والإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [النحل:٦٨].

٣-والإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس:٦/ ٩٣، مختار الصحاح للرازي:٣٣٤.

وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ [مريم:١١].

٤- ووسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام:١٢١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام:١١٢].

٥-وما يُلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال:١٢].

وقد يطلق الوحي على متعلق المصدر (اسم المفعول): ويُراد به الشي الموحى به وهو (القرآن والسنة) قال الله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٤][1].

وأما **الوحي في الاصطلاح الشرعي**: فقد تفاوتت تعاريف العلماء فيه، وإن كانت متقاربة من جهة المعنى.

فعرفه ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) فأوجز، وقال: «هو الإعلام بالشرع، وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه؛ أي الموحى، وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ»[2].

(١) انظر: الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا:٢٥-٢٦، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان:٢٨-٢٩.

(٢) فتح الباري لابن حجر: ١/ ١٤ – ١٥.

ويقول القسطلاني (ت:٩٢٣هـ): «والوحي الإعلام في خفاء. وفي اصطلاح الشرع: إعلام الله تعالى أنبياءه الشيء، إما بكتاب، أو برسالة ملك، أو منام، أو إلهام»(١).

وعرفه الزرقاني (ت:١٣٦٧هـ)، فقال: «الوحي معناه في الشرع: أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كلّ ما أراد إطلاعه إليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر»(٢).

۞ أنواع الوحي:

لتلقي الوحي من الله تعالى طرق بيَّنها الله تعالى بقوله في سورة الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى:٥١]. فأخبر الله تعالى أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب(٣):

المرتبة الأولى: أن يُلقي الله المعنى في قلب النبي ﷺ مباشرة، وقد أشار إليه بقوله: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾. وهو على قسمين:

الأول: إلقاء الله معنىً في قلب النبي ﷺ يقظة ويتم ذلك من غير وساطة

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري:١/ ٤٨.

(٢) مناهل العرفان:١/ ٦٤.

(٣) انظر في ذلك: وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة:١٠٣-١٠٦، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة:١٢٤-١٢٦.

ملك، مع خلق علم ضروري عند النبي بأن هذا المعنى قد قذفه الله قطعـًا.

ومثال ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت:٣٢هـ) عن النبي ﷺ أنه قال: «إن روح القدس نفث في رُوعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»(١).

الثاني: إلقاء الله معنى في قلب الرسول منامـًا، كما حكى القرآن على لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ﴾ [الصافات:١٠٢]، وكرؤى النبي في بدء البعثة.

المرتبة الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة، كما ثبت ذلك لبعض الرسل والأنبياء، كتكليم الله تعالى موسى على ما أخبر الله به في أكثر من موضعٍ من كتابه. قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

المرتبة الثالثة: الوحي بوساطة الملَك، ودليله قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الشورى: ٥١]، وهذا كنزول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالوحي من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نزل بهذه الطريقة؛ تكلم الله به، وسمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من الله عَزَّوَجَلَّ، وبلّغه جبريل لمحمد ﷺ. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤]،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية:١٠/٢٧، والقضاعي في مسند الشهاب:٢/١٨٥، رقم(١١٥١) وصححه الألباني في الصحيحة رقم(٢٨٦٦).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل:١٠٢].

ولجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تبليغه الوحي لنبينا ﷺ ثلاثة أحوال:

١ - أن يراه ﷺ على صورته التي خلق عليها، ولم يحصل هذا إلا مرتين كما في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا(١).

٢ -أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، فيذهب عنه وقد وعى الرسول ﷺ ما قال.

٣ -أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويخاطبه بالوحي، كما في حديث جبريل المشهور في سؤاله النبي ﷺ عن مراتب الدين(٢).

وقد أخبر النبي ﷺ عن الحالتين الأخيرتين في إجابته للحارث بن هشام(ت:١٥هـ) لما سأل رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول»(٣).

وبعد هذا يتبين لنا أن القرآن الكريم منزل من الله، عن طريق الروح الأمين جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أوحاه إلى نبيه محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾، ح(١٧٧).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾، ح(٨).
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ح(٢)، و الإمام مسلم ح(٢٣٣٣).

المبحث الأول

التصور الإسلامي للوحي النبوي

مما سبق يتبين لنا: أن الوحي مصدره هو الله تعالى، وهو جزء من علمه تعالى، له ما لهذه الصفة من كونها مطلقة غير محدودة، فعلم الله تبارك وتعالى يتخطى حدود الزمان والمكان، ولا يعجزه ميدان من ميادين المعرفة، خلافـًا للعلم البشري المقيد بحدود الزمان والمكان والناشئ من ملكات الإنسان المحدودة.

ومن هنا امتاز الوحي الإلهي عن غيره: بأن ما قدمه من علم يقينٌ مطلق، سواء كان ذلك فيما أخبر به مما وقع ماضيـًا أو حاضراً -وقت نزوله-، أو فيما يُستقبل من الزمان، أو فيما أثبته من حقائق العالم الغيبي، أو سنن الكون أو غير ذلك.

وقد قدم الوحي علمـًا جمـًا في كثير من المجالات، ومن أعظمها: مجال ما وراء الطبيعة الذي تخبطت فيه الفلسفة كثيراً مع ما بذلت من جهود لأخذ تصور حقيقي فيه، لكنها لم تستطع ذلك، بل أعلن كثير من الفلاسفة المتأخرين عجز مصادرهم عن الوصول إلى يقين فيها[١].

بخلاف الوحي الإلهي المنزل على محمد ﷺ، فقد جاء بالحق الواضح الجلي في هذا المجال المتوافق مع فطرة الإنسان وحاجته، فأخبر عن أصل

---

(١) كما سنرى لاحقـًا بإذن الله.

هذا الكون وأصل الإنسان والحكمة من وجوده، وما وراء هذا الوجود المادي من عالم غيبي خاضع لإله واحد عظيم له الصفات الكاملة، وما في هذا العالم الغيبي من موجودات لها صلة بالإنسان كالملائكة، وما وراء هذه الحياة من حياة أخرى تكون تكملة لهذه الحياة، فيتحقق العدل ويكون الجزاء كما قال تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [النحل:٣٩][1].

وإذا كان الوحي بهذه المثابة فلعلي أقف مع شيء من خصائصه- باختصار- ضمن التصور الإسلامي تجلي شيئاً من حقيقته:

- **الخصيصة الأولى**: الوحي يحصل بالاصطفاء لا الاكتساب:

فالوحي منحة إلهية، يختار المولى بحكمته من يشاء من عباده؛ ليكون موضع تلقيها، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

وعلى هذا: فالنبوة اصطفاء واختيار من الله كما قال تعالى: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف:١٤٤]، وليست كما يزعم بعض الفلاسفة وأصحاب التصوف الإشراقي أن الوحي معرفة مكتسبة تحصل لمن طلبها بشروطها[2]، فتكون النبوة جهداً بشرياً ممكناً لجميع

(١) انظر: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي:١٥١-١٥٣.

(٢) انظر: الإشارات والتنبيهات لابن سينا:٣/ ٢٤٣، ٣/ ٢٢٠، وانظر في الرد عليها: الصفدية لابن تيمية:١/ ٢٢٨-٢٣١، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني:٢/ ٢٦٧-٢٦٩

الناس بالنظر إلى اشتراكهم في طبائعهم النفسية[١].

- **الخصيصة الثانية**: نزول الوحي خاضع لمشيئة الله وحكمته لا لرغبة الرسول وإرادته:

ولهذا فالنبي ﷺ لا اختيار له في توقيت نزوله أو تحديد مكانه، بل ولا يأتي ملبياً لمطالبه فور الحاجة إليه، كما جاء ذلك في السنة النبوية.

بل كان الوحي يتتابع عليه أحيانـًا، وينقطع أحيانـًا أخرى، وهو أحوج ما يكون إلى نزوله، والشواهد على ذلك كثيرة[٢].

وهذه الخاصية في طبيعة الوحي تميِّزه عن غيره من طرق المعرفة الأخرى، التي تحصل بالتهيؤ وبذل الجهد والاستعداد، ومحكومة بالاختيار والإرادة.

- **الخصيصة الثالثة**: اختصاصه بعلم الغيب المحض:

وأقصد بالغيب المحض ما يقابل الغيب النسبي الذي قد يغيب عن أحد دون أحد، وهذا الغيب المحض يتوقف العلم اليقيني به على وحي الله، لأنه لا يعلمه إلا هو، كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وهذه يعني أن العقل البشري مهما بلغ فلن يستطيع أن يصل إلى تصور

(١) انظر: المعرفة في الإسلام:١٠٢، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي:١٤٥، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية:١/ ٢٩٦-٢٩٧.

(٢) مثل تأخر نزول سورة الكهف حينما سأله المشركون عن خبر الفتية وذي القرنين، وتأخر نزول براءة عائشة من الإفك، وغير ذلك.

حقيقي صادق فيما وراء الطبيعة، وأن جميع التصورات في ذلك إن هي إلا خبط عشواء وتسوّرٌ في عماء، وقد اعترف بذلك كبار الفلاسفة الغربيين المتأخرين من أمثال ديكارت، ورابوبرت، إذ يقول الأخير: «إن عالِم ما بعد الطبيعة عالِمٌ درج في غير عشه في بحثه عن شيء فوق المدارك العقلية»[١].

- **الخصيصة الرابعة**: عدم تأثره بالزمان والمكان:

لما كان الوحي مصدره هو الله تعالى وحده، فهذا يعني أن حقيقة الوحي خارجة عن الزمان والمكان، بمعنى أنها لا تتأثر بمحيطها الزماني والمكاني.

فهي علم صادر من الله المهيمن على الزمان والمكان، وهذا -ولا شك- يعطي للوحي قيمة معرفية عظيمة وهي: الاستمرارية والأزلية التي لا توجد إطلاقاً في التراث البشري الذي لا يمكن أن ينفك عن زمانه ومكانه الذي أحاط به مهما بلغ ذلك الإنسان.

ومع ذلك فالوحي لم يكن مثالياً بمعنى أنه جاء بمنظومة خيالية لا يمكن للبشر العمل بها، أو تنزيلها على الواقع، أو تصورها، وإنما جاء بعلم عملي يؤثر في الواقع دون أن يتأثر به، ويقيم لهم ميزان القسط والعدل[٢].

وهكذا يتبين لنا بشكل سريع شيء من خصائص التصور الإسلامي للوحي الإلهي يمكن أن يساعدنا في فهم ما بعد ذلك مما سيأتي في ثنايا هذا البحث.

---

(١) مبادئ الفلسفة:٢٦ بواسطة كتاب مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي:١٥٢.
(٢) انظر فيما سبق: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي:١٤٥-١٦٢.

المبحث الثاني

موقف المستشرقين من الوحي النبوي وأبرز شبهاتهم

في حديثي عن المستشرقين وموقفهم من الوحي النبوي سأتجاوز كثيراً من مفرداتهم وكلامهم على مصدرية هذا الوحي، وزعمهم أن مصدره يرجع إلى أصول وثنية أو عقائد كتابية أو أديان شرقية، وأتجاوز كذلك حديثهم عن موثوقية هذا الوحي ومدى ثبوته؛ لأن الحديث عنها يطول ويُخرج البحث عن مساره وهدفه، وإن كانت تصب في نفس السياق، وانتقل إلى الحديث عنهم في جزئية مهمة؛ وهي تحليلهم لهذه الظاهرة الإلهية (ظاهرة الوحي).

وظاهرة الوحي في التصور الإسلامي مع كونها -كما مر- من الحقائق الثابتة الُمسلَّمة، الواضحة المعالم، اليسيرة الفهم، إلا أن بعض المستشرقين لما تناولوها شطحوا فيها وتكلفوا لها التأويلات والتفسيرات البعيدة، وصرفوا نصوصها وأخبارها عن ظاهرها، وصاروا فيها مذاهب شتى.

وهذا الموقف لم يحصل عندهم بسبب قصورهم في التصور أو ضعفهم في الفهم وحسب، بل يعود ذلك إلى أسباب كثيرة، أذكر منها اثنين لأهميتهما:

أولاً: التصور الخاطئ للوحي في العقيدة النصرانية التي يدين بها أكثر المستشرقين[(١)]، يعبِّر عن ذلك ما جاء في قاموس الكتاب المقدس لجورج

---

(١) المستشرقون والتنصير، للدكتور علي النملة: ١١.

بوست (George E.Post) (ت:١٩٠٩م) حيث يقول في الوحي: إنه «هو حلول روح الله في روح الكتَّاب الملهمين؛ لإطلاعهم على الحقائق الروحية والأخبار الغيبية، من غير أن يفقد هؤلاء الكتاب الوحي شيئًا من شخصياتهم، فلكل منهم نمطه في التأليف وأسلوبه في التعبير»[١].

والوحي -بتعريفه القاموسي هذا- «أبعد ما يكون عن الصعيد الديني المتصل بالله، الآخذ عن الله، وأقرب ما يكون إلى مدلول الكشف الذي عرفته البشرية لدى الشعراء والمتصوفين وكذلك الكهان والعرَّافين، وهو غالبـًا ما يكون ثمرة من ثمار الكد والجهد، أو أثراً من آثار الرياضة الروحية أو نتيجة للتفكير الطويل، فلا يُنشئ في النفس يقينـًا كاملاً ولا شبه كامل، بل يظل أمراً شخصيـًا ذاتيـًا لا يتلقى الحقيقة من مصدر أعلى وأسمى»[٢].

ثانيـًا: النزعة المادية التي لا تؤمن بما وراء المادة، وهذه النزعة لها حضورها الكبير في الغرب، ويؤمن بها عدد غير قليل من المستشرقين[٣]، وتقوم هذه النزعة على أساس أنه لا وجود إلا للواقع المحسوس، وتبعـًا لذلك فإن المعرفة البشرية إنما تتعلق بموجود مادي محسوس، ولا يمكن أن تجاوز المحسوسات، وعندهم أن الحواس هي المصدر الوحيد

---

(١) قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست:٢/ ٤٧٣.

(٢) مباحث في علوم القرآن لصبحي صالح بتصرف:٢٥-٢٦.

(٣) انظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، بحث د. جعفر إدريس (منهج مونتجمري وات في دراسة نبوة محمد):١/ ٢٣٦-٢٣٧.

للمعرفة، وأن جميع الأفكار مجرد انعكاسات للواقع الموضوعي المحسوس، فلا يمكن وجود فكرة ليس لها أصل حسي[١].

وبناء على ذلك فالنزعة المادية تنكر الوحي؛ لأنه حقيقة غيبية لا يمكن التحقق منها بطريق الحواس، ولهذا فهو عندهم مجرد ادعاء زائف لا حقيقة له[٢].

ومع ظهور هذه الأسباب إلا أن هناك دافعًا خفيًا كان سببًا في توجيه بحوثهم إلى هذه الوجه التي تقوم على إنكار الوحي المحمدي وتفسيره تفسيراً ماديًا بشريًا -كما سيأتي-، وهذا الدافع هو التعصب الديني والنزعة العنصرية والحقد على هذا الدين ونبيه الكريم، مما جعل بحوثهم تجافي الحقيقة، وتنزع الثقة من الأحكام التي توصلت إليها، وهذا لا أقوله بدافع التخوين والظن السيّء بمثل هؤلاء فقط، بل أقوله بناء على شهادة بعضهم على بعض.

فهذا المستشرق الأسكتلندي مونتجمري وات (Montgamery Watt) (ت:٢٠٠٦م) -في ثنايا حديثه عن ظاهرة الوحي- يقول: «فالكتَّاب الغربيون يكادون يكونون منكفئين على الاعتقاد في كل أمر يشين محمداً ﷺ، فإذا ظهر لهم تفسير كريه لفعل يبدو معقولاً ومنطقيًا مالوا إلى تصديقه»، ثم يقول: «فنظريات الكتَّاب الغربيين (أي في الوحي) التي تفترض

---

(١) انظر: النظرية المادية في المعرفة لروجيه جارودي:٣١-٣٢.

(٢) انظر: المعرفة في الإسلام . د.عبدالله القرني:٨٧-٨٨، الرسول في كتابات المستشرقين لنذير حمدان:١٦.

افتراضـاً مسبقـاً أن محمداً ﷺ غير صادق لن نناقشها كنظريات»[١].

ومثله المستشرق الفرنسي كارادي فو (Carra de Vaux) (ت١٩٥٣م) حيث يقول: «ظل محمد زمناً طويلاً معروفاً في الغرب معرفة سيئة، فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلا نسبوها إليه»[٢].

وهذه النظرة التحيزية ضد النبي ﷺ وشريعته ما هي إلا امتداد للنظرة الغالية المتحيزة التي نشأت في أوربا في العصور الوسطى وتكرار لها[٣].

وقد استخدم المستشرقون للتوصل إلى ما وصلوا إليه من تفسيرات لظاهرة الوحي عدة مناهج مُستحدثة في الغرب، أبرزها ما يُسمى بمنهج (التحليل النفسي)[٤]، وقد ظهر هذا المنهج في أوربا بشكل واضح في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأصبح هو الموضة السائدة هناك.

ويقوم هذا المنهج على تجريد سلوك النفس البشرية من كلّ صفة (فوق طبيعية) وحصرها وتفسيرها بدوافع نفسية؛ ولذا نجد أن المفكرين الغربيين يفسرون العبقريات العظيمة في العلوم الإنسانية في ضوء البحوث النفسية[٥].

---

(١) محمد في مكة: ١٢١-١٢٢.

(٢) كتاب المحمدية: ٢٠، بواسطة كتاب(مناهج المستشرقين في الدارسات العربية والإسلامية):١/ ٢٢.

(٣) انظر: دفاع عن محمد ﷺ لعبدالرحمن بدوي:٥-٤٧.

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة:٢/ ٨٢٢-٨٣١.

(٥) انظر: دفاع عن محمد ﷺ:٦٦، فقه السيرة للبوطي:٣٠-٣٤، ردود على شبهات المستشرقين:٢٤٩-٢٥٠.

خذ على سبيل المثال -لا الحصر- المستشرق مكسيم رودينسون (Maxime Rodinson) (ت:٢٠٠٤م) لما تناول تحليل شخصية النبي ﷺ مع الوحي تناولها في ضوء هذا المنهج.

يقول في كتابه (محمد) -في سياق تفسير حال النبي ﷺ مع الوحي- : «إن علم النفس قد قرر أن بعض الناس تصدر عنهم أفعال غريبة وتتهيأ لهم رؤى خاصة، ويتخيلون أصواتـًا يسمعونها وكلمات يلتقطونها صادرة من منطقة اللاوعي أو العقل الباطن...»[١].

ومما يحسن التنبيه عليه هنا: هو أن بعض المستشرقين الذين تكلموا على نبوة النبي ﷺ، قد يظهر من كتابات أحدهم الإنصاف والتجرد والتعامل الموضوعي وسلوك المنهج العلمي، ولذا تجده يتحاشى أن يصف النبي ﷺ بأي وصف مقذع ويتجاوز ذلك إلى وصفه بألقاب العظمة والبطولة والعبقرية.. الخ، وهذا - وإن كان مما يحسب له- إلا أنه يحمل في طياته فكرة ماكرة - قل أن يُفطن لها- يريد تمريرها، وهي اعتبار النبي ﷺ عظيمـًا كأحد العظماء الذي مروا على التاريخ، أدى دوره في حقبة زمنية معينة وانتهى الدور بانتهاء الفترة، فهو لا يعدوا أن يكون شخصية طبيعية عظيمة كغيره من عظماء التاريخ.

---

(١) كتاب محمد:٨٠ بواسطة كتاب محمد ﷺ بين الحقيقة والافتراء لمحمد أبو ليلة:١١٥.

والذي يجعلني أجزم بهذا: أنهم لما تناولوا ظاهرة الوحي، أنكروها بالمعنى الإسلامي، وفسروها بتفسير نفسي ذاتي يصدر من داخل النبي ﷺ؛ فنفوا بذلك-من حيث يشعرون أو لا يشعرون- صفة النبوة والرسالة، والتي أبرز سماتها وخصائصها تلقي الوحي من السماء.

يقول الأستاذ عبدالكريم الخطيب(ت:١٤٢٨هـ) -في حديثه عن المستشرقين- : «أبى كثير من هؤلاء أن يعترف لمحمد بأنه نبي تلقى شريعته من السماء، ضناً منهم على شريعة الإسلام أن تفيض من هذا الينبوع العلوي، وأن تتصل أسبابها بالسماء، وهم بهذا إنما يريدون أن تذهب هذه الشريعة مع ما ذهب من شرائع سنَّها المصلحون من الناس ممن كانت شرائعهم مستمدة من إلهاماتهم الروحية دون أن تصلها بالسماء أسباب، وبذلك يذهب محمد كما ذهب العظماء في متاحف التاريخ»[١].

ويقول محمد البوطي(ت:١٤٣٤هـ): «إنك لتراهم -أي المستشرقين- يمجدون شخص محمد ﷺ، وينوِّهون بعظمته وصفاته الحميدة، ولكن بعيداً عن كل ما قد ينبِّه القارئ إلى شيء من معنى النبوة أو الوحي في حياته، وبعيداً عن الاهتمام بالأسانيد والروايات التي قد يضطرهم الأخذ بها إلى اليقين بأحداث ووقائع ليس من صالحهم اعتمادها أو الاهتمام بها»[٢].

---

(١) النبي محمد ﷺ لعبدالكريم الخطيب:٧٧.

(٢) فقه السيرة:٣٤، وانظر: دفاع عن محمد ﷺ لعبدالرحمن بدوي:٤٦-٤٧، الرسول في كتابات المستشرقين لنذير حمدان:١٣-١٤.

وبعد هذه المقدمة السريعة أجد نفسي مضطراً إلى أنْ ألج في عرض أبرز الشبهات التي أثارها المستشرقون حول ظاهرة الوحي النبوي، وأسأل الله الإعانة والتوفيق:

۞ أبرز شبهات المستشرقين حول الوحي النبوي:

من المتقرّر سلفاً أن الشبهات المثارة حول أي موضوع عادةً ما تكون قضية غير متناهية؛ بمعنى أن كل شخص يمكن أن يثير شبهة حول موضوع معين -بغض النظر عن وجاهتها وحقيقتها- دون حدٍّ أو ردٍّ، وهنا يكون دور المتلقي والباحث: وهو التمييز بين ما يستحق الوقوف معه والرد عليه، وبين ما هو باطل بمجرد النظر إليه، وفق معايير وضوابط يمكن الفرز من خلالها.

ولعلي هنا -في هذا البحث المختصر- أقتصر على الشبه التي تناولت تفسير ظاهرة الوحي وأحوال النبي ﷺ في تلقيه بالظواهر النفسية؛ إذ هي محل مقصود البحث، وتعدَّ من أبرز الشبه وأكثرها حضوراً وانتشاراً بين المستشرقين.

ويمكن أن أقسِّم الشُّبَه التي سأتناولها إلى قسمين:

القسم الأول: شبه تعود إلى حالة نفسية طبيعية.

القسم الثاني: شبه تعود إلى حالة نفسية مرضية.

❏ القسم الأول: شُبَه تعود إلى حالة نفسية طبيعية:

وأبرز ما ذكروا تحت هذا: شبهة (الوحي النفسي)، وشبهة (الوحي الناتج عن الانفعالات العاطفية)، وشبهة (الوحي الناتج عن التجربة الذهنية والفكرية) .

- **الشبهة الأولى: شبهة الوحي النفسي:**

تقوم هذه الشبهة على تصوير الوحي الصادر من النبي ﷺ -قرآنٍ أو سنةٍ- بأنها نتاج: رغبات وطاقات وصلت شعور محمد من لا شعوره، وإلى وعيه من لا وعيه (واللاشعور واللاوعي هو العقل الباطن "unconscious")[١]، فتولد منها هذا الوحي، وأن هذا اللاشعور قد يكون الجمعي الذي تتراكم فيه الرغبات أو الطاقات في مجتمع ما، ثم تتجمع في لا شعور فرد من أفراد المجتمع، ليقوم بالتعبير عن مجتمعه ككل[٢].

يقول مونتجمري وات(Montgamery Watt) (ت:٢٠٠٦م): «إن ما ينبثق من اللاشعور إلى الشعور في أحلام الأفراد وخيالاتهم، وكذلك في

---

(١) ويعني: «مستودع الدوافع البدائية، وهو مقر الرغبات والحاجات الانفعالية المكبوتة التي تظهر في عثرات اللسان والأخطاء الصغيرة والهفوات وأثناء بعض المظاهر الغامضة لسلوك الإنسان. إنه مستودع ذو قوة ميكانيكية دافعة وليس مجرد مكان تلقى إليه الأفكار والذكريات غير الهامة». انظر: الموسوعة الميسرة: ٢/ ٨٢٦

(٢) انظر: بحث (أنسنة الوحي) لحسان القاري:٤٠٥ ضمن مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية– المجلد ٢٦ – العدد الثاني– ٢٠١٠

الأساطير الدينية للمجتمع ككل تنطلق من اللبيدو(الطاقة النفسية أو الطاقة الحيوية) التي هي ينبوع النشاط في كل البشر، وفي الرجل الفرد نجد اللبيدو هو-جزئيًا- شيء خاص بذاته، كما أنه - أيضًا- شيء يشترك فيه مع سائر أعضاء مجتمعه، بل وسائر أفراد الجنس البشري، وهذا الجزء الذي يشترك فيه مع غيره يسميه (يونج)[١] (اللاشعور الجمعي)[٢]، وإلى عمل هذا (اللاشعور الجمعي) وتأثيره تُعزى كثير من الأساطير الدينية، بل وكثير من المعتقدات الجامدة خاصة التي تتعلق بشخص(البطل) أو (الزعيم)...وبالاختصار فإنه وفقًا لأفكار (يونج)، فإن معظم الأفكار الدينية تظهر مما يسمى (باللاشعور الجمعي) عندما يتخذ طريقه إلى(الوعي) أو (الشعور)، ومعظم الممارسات الدينية(العبادات، التطبيقات الدينية) هي استجابة واعية لهذه الأفكار»[٣].

ثم يأتي بعد ذلك ويطبق هذا المعنى على الوحي النبوي فيقول: «ووفقًا

---

(١) كارل جوستاف يونج (Carl Jung)، هو عالم نفس سويسري ومؤسس علم النفس التحليلي. (ت: ١٩٦١). انظر (الموسوعة الحرة على الشبكة: http://cutt.us/k6HCQ)

(٢) يرى يونج: أن هناك (لاشعوراً) جمعيًا مشتركًا ومشاعًا بين البشر جميعًا وإن تفاوتت درجاته، ويرجع شيوع اللاشعور الجمعي إلى تشابه العقل في جميع أجناس البشر، ويرجع هذا التشابه إلى التطور المشترك؛ إذ يوجد بداخل كل منا قدر ما من هذا اللاشعور الجمعي وإن كان هذا القدر يختلف من فرد إلى آخر، فكأن اللاشعور الجمعي هو المخلفات النفسية التي ورثناها عن أسلافنا من البشر.انظر(الموسوعة العربية على الشبكة:http://cutt.us/SFHXM).

(٣) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات:٢٠٧-٢٠٨.

لهذه الطريقة في النظر للأمور، فإن (الوحي) الذي قامت على أساسه اليهودية والمسيحية والإسلام هو المحتوى الذي انطلق من (اللاشعور الجمعي) إلى (الشعور) أو(الوعي) وكان محتوى هذا (اللاشعور الجمعي) متسماً بالتباين الشديد والتعقيد»[١].

وفي موضع آخر يطرح مونتجمري وات على نفسه سؤالاً، وهو: «كيف وصلت الكلمات التي كونت التجربة الأولى إلى وعي محمد ﷺ أو شعوره؟» فيجيب: «إننا نؤمن بصدقه وإخلاصه عندما يقول إنها ليست نتيجة أي تفكير واعٍ منه. أما بالنسبة للمحدَثين المتأثرين بالعلوم الطبيعية والتطبيقية، فإن الإجابة السهلة هي: أن هذه الكلمات وصلت لمحمد ﷺ من (لا شعوره)»[٢].

ويقول جولد تسيهر(GOLDZIHER)(ت:١٩٢١م): «فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء ديني عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها.... لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوته التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً، فأصبح – بإخلاص– على يقين بأنه أداة لهذا الوحي»[٣].

---

(١) المصدر السابق:٢٠٨.

(٢) المصدر السابق:٢٠٦.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر:١٢.

ويقول مكسيم رودينسون -في سياق تفسير حال النبي ﷺ مع الوحي-: «إن علم النفس قد قرر أن بعض الناس تصدر عنهم أفعال غريبة وتتهيأ لهم رؤى خاصة، ويتخيلون أصواتـًا يسمعونها وكلمات يلتقطونها صادرة من منطقة اللاوعي أو العقل الباطن...»[١].

وقد ذهب إلى تفسير الوحي بذلك عدد من المستشرقين مثل: أميل درمنغم (Darmangam) (ت:١٩٢٩م)، وجوستاف لوبون (Josef lubun) (ت:١٩٣١م)، وكارل يونج (Carl Jung) (ت:١٩٦١م) وغيرهم[٢].

- **الشبهة الثانية: (الوحي الناتج عن الانفعالات العاطفية)**

تقوم هذه الشبهة على تصوير الوحي الصادر من النبي ﷺ: بأنه نتاج تأثير النوبات الانفعالية الطاغية التي كانت تسيطر عليه، مما كان يدعو النبي ﷺ إلى الشعور بأنه تحت تأثيرات إلهية.

يقول تيودور نولدكه (Theodor Noldeke)(ت: ١٩٣٠م): «كانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المنهجية والإلهامات المباشرة للحس، أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل الناضج، فلولا ذكاؤه الكبير لما استطاع

---

(١) كتاب محمد: ٨٠ بواسطة كتاب محمد بين الحقيقة والافتراء لمحمد أبو ليلة: ١١٥.

(٢) انظر: الوحي المحمدي: ٧٣، الأدلة على صدق النبوة المحمدية: ٤٣٤، دفاع عن محمد ﷺ: ٥١-٥٣، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية لساسي الحاج: ٣٠١، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي: ١٣٢-١٣٣.

الارتقاء على خصومه ... ومع هذا كان يعتقد أن مشاعره الداخلية قادمة من الله بدون مناقشة!»[١].

ويقول مونجمري وات: «إن محمداً كان شديد الإخلاص لدعوته، شديد الثقة في نفسه، فكان إذا حدثت حادثة في حياته أو اعتقد أن شيئاً ما صالح، انفعلت نفسه بما حدث أو اعتقد، فيصوغه في كلام قرآني، ثم يعتقد هو أن هذا كلام الله أوحي إليه، فيقدمه على أنه كلام الله»[٢].

ويقول جولد تسيهر: «ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدَّم بها محمد، الصورة التي أوجبتها إليه حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي حاد تلقائي ذاتي»[٣].

- **الشبهة الثالثة: (الوحي الناتج عن التجربة الذهنية والفكرية)**

تقوم هذه الشبهة كما يزعم ريتشارد بل(Richard Bell)(ت:١٩٥٢م) ومونتجمري وات: على أن الوحي عبارة عن تجربة ذهنية فكرية أدرك منها النبي ﷺ ما أدرك نتيجة قدرته على التركيز على مستوى تجريدي لا يطيقه غيره، فكان يختار ساعات الليل؛ لأنها أدعى للفكر وأصفى للروح، وأكثر

---

(١) تاريخ القرآن لنولديكه:١/ ٥ بواسطة كتاب: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره:٣٨٧.

(٢) النقل بواسطة: الأدلة على صدق النبوة المحمدية:٤٣٤.

(٣) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر: ٢١.

استجابة لعواطفه[١].

ويقول هاملتون جب (Hamilton Gibb) (ت:١٩٧١م)- واصفًا حال النبي مع الوحي ومراحل التنزّل-: «فبدأ (محمد) من تصوره لله-أحكم الحاكمين- وأخذ يستنتج بقوة الحدس خطوة إثر خطوة المراحل التي يلزم العرب أن يبلغوها في تدرجهم صعداً كي يشاركوه اعتقاده»[٢].

- **الجواب عن هذه الشبه:**

هذه الشبه وإن اختلفت عباراتها إلا أن مؤداها واحد، ويقصدون بها أن الوحي الذي أخبر به محمد ﷺ، إنما هو إلهام كان يفيض من نفس النبي الموحى إليه لا من الخارج؛ ذلك أن حدة الذكاء عنده، ونفاذ البصيرة، وقوة الفراسة، وشدة الفطنة، وصفاء النفس، وصدق التأمل، كل ذلك كان له التأثير بأن يتجلى في ذهنه، ويُحدث في عقله الباطن الرؤى، والأحوال الروحية، فيتصور ما يعتقد وجوده إرشاداً إلهيّا نازلاً عليه من السماء بدون وساطة، أو يتمثل له رجل يلقنه ذلك، يعتقد أنه من عالم الغيب، وقد يسمعه يقول ذلك في المنام الذي هو مظهر من مظاهر الوحي عند الأنبياء، فكل ما يخبر به النبي من كلام ألقي في رُوعه، أو عن ملك ألقاه على سمعه فهو خبر صادق عنده، ولكن تفسيره من وجهة نظر هؤلاء هو أنه نابع من نفسه ومن عقله الباطن، ولهذا فالقرآن -عندهم- لا يخرج عن أن يكون أثرًا للاستنباط

---

(١) انظر: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره:٣٩١.

(٢) دراسات في حضارة الإسلام:٢٤٩ بواسط كتاب الأدلة على صدق النبوة المحمدية: ٤٠٥.

العقلي، والإدراك الوجداني عبَّر عنه محمد بأسلوبه وبيانه[١].

- **والرد على هذه الشبه** يمكن إجماله بما يلي:

١ – إعجاز القرآن: فإن نفس محمد ﷺ مهما صفت فإنها ستظل كسائر المتعبدين والعباقرة يأتون بالشيء العظيم، لكن لا يعجز أمثالهم أن يلحقوا بهم أو يسبقوهم ويتفوقوا عليهم، وهذا القرآن الذي أوحي به إلى محمد بن عبد الله ﷺ معجز تحدى الجن والإنس، والأولين والآخرين، فأنّى يمكن أن يكون هذا الكتاب إلا من عند الله.

٢ – إن حادث الوحي يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه آت من ذات مستقلة خارجة عن ذات النبي ﷺ، وذلك واضح في حديث بدء الوحي في غار حراء، حيث إن الملك جاء إلى النبي ﷺ فجأة كما في الحديث الصحيح: «فجاءه الملك فقال اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ»[٢].

فهذه الحادثة توضح أن هناك ذاتـًا خارجة عن ذات محمد وشخصه، تملي عليه وتأخذه وتغطّه -أي تضمّه وتعصره عصراً شديداً- وتقول له: اقرأ، فهي ذات متكلمة، وهي ذات آمرة ومؤثرة في بدنه بالضغط الشديد عليه، حتى يقول النبي ﷺ: «لقد خشيت على نفسي». وذلك يثبت بطلان

---

(١) انظر: الوحي المحمدي لرشيد رضا:٢٦، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان:٤٠، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي:١٣٤.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم ١٦٠.

زعم الوحي النفسي ويفنّده تفنيداً.

٣ - إن الوحي كان ينزل على النبي ﷺ غير مرتبط بإرادته أو رغبته، ولا بتفكيره أو بحثه لدى وقوع المهمات، فربما كان في بيته يأخذ شيئًا من الراحة فينهض والبِشر على محياه وقد نزلت سورة، كما ثبت الخبر في نزول سورة الكوثر كما أخرج ذلك مسلم في صحيحه[1]، ومن القرآن ما تنزل في هزيع أخير من الليل، ولهذا كثرت أقسام القرآن بحسب أوقات نزوله، فمنه السفري والحضري، ومنه الليلي والنهاري، ومنه ما نزل مشيّعًا، ومنه... ومنه...، مما فصله العلماء في مصادر علوم القرآن.

٤ - إن عبقرية الإنسان تحمل بالضرورة طابع الأرض؛ إذ يخضع كل شيء لقانون الزمان والمكان، ويتقيد بحدودهما وآفاقهما، في حين يتخطى القرآن دائمًا نطاق هذه الحدود، ليدل من خلال رحابة موضوعاته على أن دور محمد ﷺ فيه إنما هو الحفظ والوعي، أو الأخذ والتلقي، ثم الإبلاغ للعالم.

بل إن جميع معارف الإنسان في عصر نزول القرآن -لا معارف النبي ومعارف بيئته- ومعارف عصور لاحقة لا تمثل شيئًا من شمول المعارف القرآنية وتنوعها وعمقها، فضلاً عما في معارف القرآن من تصحيح تلك المعارف وتقويم عوجها من جذورها، حتى ما كان منها متعلقًا بما هو سابق لعصر نزول القرآن، فليت شعري إن لم يكن هذا وحيًا ممن يعلم

---

(١) أخرجه مسلم في الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية، رقم: ٥٣.

السر في السماوات والأرض فأي شيء يكون[١].

٥- إن العقل الباطن -على ما يقول علماء النفس- إنما يفيض بما فيه في غفلة من العقل الظاهر، ولذلك لا يظهر ما فيه إلا عن طريق الرؤى والأحلام، والأمراض، كالحمى مثلاً، وفي الظروف غير العادية، والقرآن الكريم نزل على النبي ﷺ وهو في اليقظة، وفي اكتمال من عقله وبدنه، ولم ينزل منه شيء في الرؤى والأحلام، وهكذا نرى أن ما استندوا إليه من فكرة العقل الباطن لا تساعدهم بل ترد عليهم[٢].

❑ القسم الثاني: شبه تعود إلى حالة نفسية مرضية:

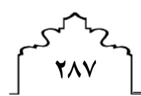
وأبرز ما ذكروا تحت هذا: شبهة إصابة النبي ﷺ بـ(الصرع)، أو (الهوس)، أو (الهستريا)، أو(الاضطرابات العصبية)!!.

ويقصدون من ذلك: أن الوحي لا يمكن أن يكون واقعة مستقلة عن كيان النبي ﷺ ونفسيته و شعوره، ولهذا عدَّ بعضهم ما يتنزل على الرسول ﷺ بأنه حالة مرضية، وصفها بعضهم بالصرع أو الهوس، أو الهستريا أو الهلوسة أوالهذيان، وما نتج عن ذلك فهو بسبب هذه الحالة!!

---

(١) علوم القرآن، نور الدين عتر:٢٣-٢٤ بتصرف

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم:١٠٠-١٠١، وانظر في الجواب عن هذه الشبهة: الوحي المحمدي:٨٣-٨٨، الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي:١٤٣-١٦٠، مباحث علوم القرآن لصبحي صالح:٢٥-٢٦، مناهل العرفان في علوم القرآن:١/ ٨٤-٨٥، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية لساسي الحاج:٣٠١-٣٠٢.



يقول مكسيم: «لقد كان محمد يصرع ويصاب بتشنج عنيف، يجعله يغيب عن الواقع، بحيث يرى ويسمع أشياء لا يشعر بها الحاضرون معه، وبعد عودة الوعي إليه كان يقول إنه رأى الملك، وأن كلامـًا أوحي به إليه، هذا الكلام كان يصدر من داخل نفسه، لا من مصدر خارجي عنه، ولقد استطاع محمد فيما بعد أن يجمع هذا الكلام ويصوغه في عبارات ادعى أنها القرآن الذي جاءه من عند الله»[١].

ويقول نولدكه: «إن سبب الوحي النازل على محمد، والدعوة التي قام بها، هو ما كان ينتابه من داء الصرع»[٢].

ويقول غوستاف فايل(Gustav Weil)(١٨٨٩م) في كتابه عن محمد النبي: «إن ما كان ينتاب الرسول مما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحيـًا، وإنما هو نوبات صرع واضطرابات عصبية»[٣].

ويقول أليوس سبرنجر(ALOYS SPRENGER)(١٨٩٣م) عن حياة محمد وتعاليمه: «إن محمداً كان مصابـًا بالصرع والهستيريا معـًا»[٤].

ويقول المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون: «ويجب عدُّ محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح، وذلك كأكثر مؤسسي

(١) كتاب محمد لمكسيم:٧٥ بواسطة كتاب محمد بين الحقيقة والافتراء:١١٤.

(٢) حاضر العالم الإسلامي: ١/ ٣٤.

(٣) مدخل إلى القرآن، لريتشارد بل ومونتجمري وات: ١٨.

(٤) رؤية إسلامية للاستشراق، لأحمد غراب: ٣٣ بواسطة كتاب آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي٦١.

الديانات، ولا كبير أهمية لذلك، فأولو الهوس وحدهم -لا ذوو المزاج البارد من المفكرين- هم الذين يُنشئون الديانات، ويقودون الناس، ومتى يُبحث في عمل المفتونين في العالم يُعترف بأنه عظيم، وهم الذين أقاموا الأديان، وهدموا الدول، وأثاروا الجموع، وقادوا البشر، ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم؛ لكان للتاريخ مجرى آخر»[١].

وهذا التفسير الساقط الذي ذهب إليه بعض المستشرقين، ليس وليد الساعة، وإنما استفادوه ممن سبقوهم من أدباء العصور الوسطى في أوربا ومن أشهرهم يوحنا الأشقوبي (ت:١٤٥٦م)، في كتابه (طعن المسلمين بسيف الروح)[٢].

- **والجواب عن هذه الشبه، يمكن إجماله فيما يلي**[٣]:

١ -أن النبي ﷺ بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء كان أصح الناس بدنـًا

(١) حضارة العرب لجوستاف لوبون:١١٣-١١٤، وهناك كلامٌ للمستشرق شبرنجر أتحاشى من نقله حفظـًا لمقام القارئ، يصف فيه نبينا الكريم ﷺ-وحاشاه من ذلك- بأوصاف غير مرضية حين تنزل الوحي. انظره في كتاب دفاع عن محمد لعبدالرحمن بدوي:٥٧-٥٩.

(٢) انظر: بحث بعنوان (محمد ﷺ في أدب العصور الوسطى) للدكتور بهجت عبدالرزاق:٣ ضمن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية.

(٣) لخصت الجواب عن هذه الشبهة من كتاب المدخل لدراسة القرآن الكريم:١٠٣-١٠٨ حيث استوفى الجواب على الشبهة كاملة، وهناك إضافات من مراجع أخرى أشير إليها في موضعها.

وأقواهم جسمـًا، وأوصافه التي تناقلها الرواة الثقات تدل على البطولة الجسمانية، وقد بلغ من قوته أنه صارع ركانة بن يزيد فصرعه، وكان ركانة قويـًا[1]، والمصاب بالصرع لا يكون على هذه القوة.

٢ -أن مريض الصرع يصاب بآلام حادة في جميع أعضاء جسمه، يحس بها إذا ما انتهت نوبة الصرع، ويظل حزينـًا كاسف البال بسببها، وكثيراً ما يحاول مرضى الصرع الانتحار من قسوة ما يعانون من آلام في النوبات، فلو كان ما يعتري النبي ﷺ عند الوحي صرعـًا؛ لأسف لذلك وحزن لوقوعه؛ ولسعد بانقطاع هذه الحالة عنه، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك.

لقد فتر الوحي عن الرسول مدة فحزن لذلك حزنـًا شديداً، وكان يذهب إلى غار حراء وقمم الجبال عسى أن يعثر على الملك الذي جاءه بحراء، وبقي محزون النفس من هذه الحالة، حتى سرى عنه ربه بوصل ما انفصم من الوحي.

٣ – إن الوحي لم يكن يأتي النبي ﷺ على هذه الحال التي قالوا فيها إنها صرع إلا أحيانـًا، وأحيانا كان يأتيه وهو في حالته الطبيعية، فلا غيبوبة ولا قلق ولا غطيط، وذلك حينما كان يأتيه جبريل في صورة رجل، وكان الجالسون لا يعرفون أنه جبريل، ولكن النبي ﷺ كان يعلم ذلك حق العلم، كما في قصة حديث جبريل الطويل[2].

---

(١) أخرجه أبو داود، ورقمه (٤٠٧٨) وحسنه الألباني في الإرواء:٥/ ٣٢٩

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن =

ويدل على حالتَي الوحي هاتين الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن الحارث بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت منه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً[(١)].

٤ -أن الثابت علمياً أن المصاب بحالة الصرع يتعطل تفكيره وإدراكه تعطيلاً تاماً، فلا يدري المريض في نوبته شيئاً عما يدور حوله، ولا ما يجيش في نفسه، كما أنه يغيب عن صوابه، وتعتريه تشنجات تتوقف فيها حركة الشعور ويصبح المريض بلا إحساس.

ولكن الرسول ﷺ كان بعد الوحي يتلو على الناس آيات بينات، وتشريعات محكمات، وعظات بليغات، وأخلاقاً عظيمة، وكلاماً بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة، تحدى به الناس قاطبة- عربهم وعجمهم- أن يأتوا بأقصر سورة منه فما استطاعوا، فهل يُعقل من المصروع أن يأتي بشيء من هذا؟! اللهم إن هذا أمر لا يجوز إلا في عقول المجانين إن كانت لهم عقول.

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب(ت:٢٠٠٨م) -في كلام بديع له-: «أمجنون مصروع يبني دولة، وينشئ نظاماً، ويقيم ديناً، ويعيش في أجيال

=

الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له ح(٥٠).

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ح (٢).

الناس، منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل؟! أمجنون مصروع مختلط هذا الذي يأسر قلوب معاشريه، ويملك أنفسهم، فإذا القلوب خافقة بحبه، وإذا النفوس لا تعرف غذاءها إلا من ينابيع الحب والولاء والتفاني؟!

إن التاريخ لا يذكر في سجله يوماً أن إنساناً كان له في الناس رصيد من الحب والولاء ما كان لمحمد من ولاء وحب»[١].

٥ - لما تقدمت وسائل الطب، واستخدمت الأجهزة والكهرباء في التشخيص والعلاج، إذ الطب يضيف دليلاً لا يُنقض، ويُقيم حجة لا تحتاج إلى مناقشة على كذب فرية الصرع، ويؤكد أن ما كان يعتري رسول الله ﷺ إنما هو وحي من الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يكون شيئاً آخر.

لقد ثبت أن نوبات الصرع ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ، والدليل على ذلك أنه أمكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ في أثناء النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجي، وعلى أية صورة كانت هذه النوبات ومهما ضعفت حدة هذه النوبات، ولقد أثبت الطب الحديث أخيراً - بعد الاستعانة بالأجهزة، والرسم الكهربائي- أن هناك مظاهرَ عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية، وذلك تبعاً لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية، وطريقة وسرعة انتشارها، وأهم أنواع الصرع ما يسمى بالنوبات الصرعية النفسية، وهو ما يشبه أن يكون النوع الذي افتراه الخصوم على الرسول بأنه مصاب به، وفي هذه الحالة تمر بذهن المريض ذكريات أو

---

(١) النبي محمد ﷺ: ١٤٠-١٤١.

أحلام مرئية أو سمعية أو الاثنان معًا وتسمى بـ«الهلاوس»، وقد أثبت الطب أيضًا أن الذكريات التي تمر بالمريض لا بد أن يكون قد عاش فيها المريض نفسه حتمًا؛ إذ إن النوبة الصرعية ما هي إلا تنبيه لصورة أو صوت مر بالإنسان ثم احتفظ به في ثنايا المخ.

وبتطبيق ما قرره الطب الحديث في حقائق الصرع على ما كان يعتري النبي ﷺ نجده يردد آيات لا يمكن إطلاقًا أن يكون قد سمعها من قبل في حياته، فهي آيات واردة في كلام الحق سبحانه وتعالى قبل أن يعمر البشر الأرض، مثل قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة:٣٤-٣٥]، وآيات أخرى فيها قول الله يوم القيامة مثل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النمل:٨٤] إلى غير ذلك من الآيات التي تحكي قصص الأولين، أو تصف أحوال القيامة واليوم الآخر، ولما كانت هذه الأحاديث والأحوال لم تمر بالرسول قطعًا، بالتالي فهي لم تختزن في المخ؛ لتثيرها نوبات صرعية فيتذكرها، وبذلك يقرر الطب الحديث في أحدث اكتشافاته بالنسبة للصرع، أن الرسول ﷺ لا يمكن أن يكون مصابًا بالصرع إطلاقًا، وأن ما كان يعتريه إنما هي حالة نفسية وجسدية لتلقي وحي الله سبحانه وتعالى، هذا الوحي الذي أخبره الله فيه عما مضى، وعما يُستقبل[1].

---

(١) مجلة منبر الإسلام العدد ٩ السنة ١٩ رمضان سنة ١٣٨١ هـ فبراير ١٩٦٤م.

٦ - ثم ما رأي هؤلاء الطاعنين وفيهم من ينتمي إلى بعض الأديان في أنهم لا ينالون من نبينا محمد ﷺ وحده، وإنما ينالون من جميع أنبياء الله ورسله الذين كانت لهم كتب أو صحف أوحي بها من عند الله سبحانه، فهل تطيب نفوس المقرين بالأديان منهم أن يخربوا بيوتهم قبل أن يخربوا بيوت غيرهم؟ وما رأيهم فيما جاء في كتب العهد القديم والجديد من إيحاءات ونبوءات، وهل يقولون في وحي نبي الله موسى وعيسى- عليهما السلام- ما يقولون في وحي نبينا محمد رسول ﷺ؟!

اللهم إن هذا الطعن لا يفوه به إلا أحد رجلين: إما رجل مخرِّف، وإما رجل مخرِّب مدمر يريد هدم الأديان.

إن الرسول ﷺ ليس ببدع من الرسل في باب الوحي، وإنه أوحي إليه كما أوحي إليهم، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء:١٦٣][1].

ومما يحسن العلم به في هذا المقام: أن دعوى إصابة النبي ﷺ بهذه الحالات المرضية- لتهافته وبطلانه- قد تخلى عنها المستشرقون منذ بداية القرن العشرين، ولم يعودوا يتكلمون بها كما قرر ذلك الدكتور عبدالرحمن

---

(١) انظر في الإجابة عن هذه الشبهة: النبي محمد ﷺ:١٣١-١٤٧، مناهل العرفان في علوم القرآن:١/ ٨١-٨٢.

بدوي(ت:٢٠٠٢م)[١].

بل وجدنا كثيراً من المستشرقين يتعقبون على أصحابهم هذه الشبهة ويفندونها، ومن هؤلاء[٢]:

المستشرق مونتجمري وات في كتابه (محمد في مكة) يقول: «غالباً ما يركز أعداء الإسلام على أن محمداً ﷺ كان مصاباً بالصرع، وبالتالي فإن رسالته الدينية غير صحيحة. والحقيقة، أن الأعراض المصاحبة للوحى عند محمد ﷺ ليست هي أعراض الصرع، فالصرع يؤدى إلى انهيار القوة البدنية والعقلية، بينما كان محمد ﷺ في كامل قواه العقلية والبدنية، وفي كامل ملكاته. لكن بفرض أن هذا الزعم صحيح، فإن البراهين عليه زائفة تماماً وقائمة على مجرد الجهل والتخبط، فمثل هذه الظواهر المصاحبة للوحي لا تصلح برهاناً نعتمد عليه في رفض الوحي أو قبوله»[٣].

ويقول في موضع آخر: «أما التأكيد على أن رؤى محمد ﷺ والوحي الكلامي الذي يتلقاه مجرد هلوسة -كما يحلو لبعض الكتاب أحياناً أن يقولوا- فان مثل هذه الأقوال تجعل الأحكام الدينية (اللاهوتية) مفرغة تماماً من الوعي، لذا فهي أقوال تتسم بالجهل المخجل الذي يدعو للشفقة- جهل بالعلم وسلامة العقل، وهو حكمنا على بولين (Poulain)،

(١) انظر: دفاع عن محمد ﷺ:٦٣.

(٢) انظر: الرسول في كتابات المستشرقين:١١٤.

(٣) محمد في مكة:١٣٠.

وعلى اللاهوت الصوفي الغامض الذي يمثلونه»[١].

ويقول المستشرق البريطاني بودلي(Bodley)(ت:١٩٧٠م) في كتابه (الرسول حياة محمد) مفنداً هذا الزعم: «لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي كان يتمتع بها محمد ﷺ حتى قبل وفاته بأسبوع واحد، وإن كان ممن تنتابه حالات الصرع كان يعتبر مجنونـاً، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته، فهو محمد»[٢].

ويقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون (Louis Massignon) (ت:١٩٦٢م): «إن محمداً كان على تمام الاعتدال في مزاجه»[٣] .

ويقول المستشرق الألماني ماكس مير هوف (Max Meyerhof) (ت:١٩٤٥م): «لقد أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا، كما أن ما جاء به فيما بعد من أمور التشريع والإدارة يناقض هذا القول»[٤].

ويقول المستشرق الروسي بلاتونوف(Platonov) (ت:١٩٣٣م): «وغاية ما نقدر أن نجزم به هو تبرئة محمد من الكذب والمرض»[٥].

---

(١) محمد في مكة:١٢٩.

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم:١٠٤.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره:١/ ٤٠٣.

(٤) المصدر السابق:١/ ٤٠٣.

(٥) المصدر السابق:١/ ٤٠٣.

وهكذا يتبين بطلان هذه الشبه وفسادها، حتى عند من هم على شاكلتهم، ونعوذ بالله من هذه الاتهامات والأكاذيب التي لا تستند إلى دليل علمي أو تاريخي، وينقضها العقل ويكذبها الواقع.

المبحث الثالث
تأثر الفكر العربي المعاصر بشُبَه المستشرقين حول الوحي النبوي

بعد العرض السريع لتصور المستشرقين حول الوحي النبوي وما أثاروه من شبه، أريد أن أشير إشارة سريعة إلى أن هذا التصور الذي ذكروه قد وجد له آذانـاً صاغية عند بعض مفكرينا العرب.

وقد أثار بعضهم هذه الشبه وأعاد إنتاجها من جديد، ولكن الفرق بينهم وبين من سبقهم أنهم «لا يصرحون بكذب النبي ﷺ في دعوى نزول الوحي عليه، بل يسلّمون بذلك ويظهرون التصديق به، لكن يتفق كثير منهم على أن الوحي ليس حقيقة خارجة ومنفصلة عن الحيز الإنساني الأرضي، وأنه ليس كله نازلاً من المنبع الإلهي المطلق، وإنما هو حادثة متأثرة بالطبيعة الإنسانية، وممتزجة بالأمزجة البشرية، ومختلطة بالأبعاد النفسية والثقافية التي كان يعيشها النبي في ذلك الزمان»[١].

---

(١) الوحي الإلهي والانزلاقات الحداثية، سلطان العميري، مقال في مجلة البيان، عدد:٣١٨.

فهذا عبد المجيد الشرفي يعبر عن مفهوم الوحي عنده بأنه «الحالة الاستثنائية التي يغيب فيها الوعي، وتتعطل الملكات المكتسبة، ليبرز المخزون المدفون في أعماق **اللاوعي** بقوة خارقة لا يقدر النبي على دفعها ولا تتحكم فيها إرادته!»[(١)].

ويذهب نصر حامد أبو زيد (ت:٢٠١٠م) إلى أن للخيال الإنساني أثراً بارزاً في النبوة والوحي، ويقول: «إن تفسير النبوة اعتماداً على مفهوم الخيال معناه أن ذلك الانتقال من عالم البشر إلى عالم الملائكة انتقال يتم من خلال فاعلية المخيلة الإنسانية التي تكون في الأنبياء -بحكم الاصطفاء والفطرة- أقوى منها عند من سواهم من البشر، فإذا كانت فاعلية الخيال عند البشر العاديين لا تتبدى إلا في حالة النوم وسكون الحواس عن الاشتغال بنقل الانطباعات من العالم الخارجي إلى الداخلي، فإن الأنبياء والشعراء والعارفين قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية المخيلة في اليقظة والنوم على السواء، وليس معنى ذلك - بأي معنى من المعاني - التسوية بين هذه المستويات من حيث قدرة المخيلة وفاعليتها، فالنبي يأتي دون شك على قمة الترتيب، يليه الصوفي، ثم يأتي الشاعر في نهاية الترتيب»[(٢)].

---

(١) الإسلام بين الرسالة والتاريخ:٤٢.

(٢) مفهوم النص:٥٦، وهذه الفكرة التي وصل لها أبو زيد هنا هي نفس فكرة الفيلسوف الهولندي اسبينوزا (ت:١٦٧٧م) حول ظاهرة الوحي، إذ يقول: «لم يتلق أي شخص وحياً من الله دون الالتجاء إلى الخيال.. وينتج عن ذلك أن النبوة لا تتطلب ذهناً كاملاً بل خيالاً خصباً» انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة:١٢٩.

وإذا كان الوحي هو نتاج المخيلة والتخيل، فإنه يصبح إذاً -عند نصر أبو زيد- منتَجاً ثقافياً تشكل من الواقع والثقافة.

يقول أبو زيد: «إن النص في حقيقته وجوهره منتَج ثقافي -بالفتح- والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاماً، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفق عليها، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية، ويعكر من ثمَّ إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص... النص منتَج ثقافي يمثل بالنسبة للقرآن مرحلة التكون والاكتمال، وهي مرحلة صار النص بعدها منتِجاً للثقافة، إن الفارق بين المرحلتين في تاريخ النص هو الفارق بين استمداده من الثقافة وتعبيره عنها، وبين إمداده للثقافة وتغييره لها»(١).

ثم يؤكد هذا المعنى فيقول: «الواقع إذاً هو الأصل، ولا سبيل إلى إهداره، من الواقع تكوَّن النص، ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه، ومن خلال حركته بفاعلية البشر تتجدد دلالته، فالواقع أولاً، والواقع ثانياً، والواقع أخيراً»(٢).

وهذا حسن حنفي -يكرر نفس الأفكار-(٣) ويذهب إلى أن «الوحي

---

(١) مفهوم النص: ٢٧-٢٨.

(٢) نقد الخطاب الديني: ١٣٠.

(٣) انظر آراءه بتوسع في: بحث للدكتور: فهد القرشي بعنوان (موقف حسن حنفي من القرآن الكريم) في موقع ملتقى أهل التفسير على الشبكة:
(http://vb.tafsir.net/tafsir24590/#.Vqd7oSorLIV).

مجموعة مواقف إنسانية نموذجية تتكرر في كل زمان ومكان»[١] وهذا يعني أن «نصوص الوحي ذاتها نشأت في الشعور...وهو شعور الرسول أو شعور المتلقي للرسالة، وهو شعور الإنسان العادي الذي قد يشعر بأزمة فينادي على حل، ثم يأتي الوحي مصدقًا لما طلب»[٢]، وبناءً على هذا «فالوحي يتكيف حسب خيال الأنبياء وقدراتهم»[٣]، ونتيجة لذلك «يختلف الأنبياء فيما بينهم حسب خيالهم وطبعهم ومعتقداتهم وآرائهم، فالنبي الفرح تُوحى إليه الحقائق بحوادث سعيدة، والنبي الحزين تؤيده آيات حزينة...»[٤].

وبناء على هذه النظرة الضالة عنده عن الوحي انتهى إلى أن الوحي مجرد فرضية خاضعة للنظر العلمي للتحقق من صحتها. يقول حنفي: «أما الوحي بالنسبة لي، فإنني آخذه على سبيل الافتراض. أنا في رأيي؛ الوحي هو افتراض في البحث العلمي، يقوم بدور الافتراض في البحث العلمي. فهل يتحقق؟ والتحقق من الصدق... ومن ثم فأهلًا وسهلًا، أنا أتقبل كل النبوات وكل الوحي وكل الآراء. وعليّ أن امتحنها على محك الواقع»[٥].

ونتيجة لهذا خلص إلى أن الإنسان ليس محتاجًا إلى الوحي أصلًا، إذ يقول: «الإنسان لا يحتاج إلى وحي»[٦].

---

(١) من العقيدة إلى الثورة:١/ ٨٦-٨٧.

(٢) التراث والتجديد: ١٣٥.

(٣) رسالة في اللاهوت والسياسة :٤٨ بتصرف يسير.

(٤) رسالة في اللاهوت والسياسة: ٤٨ .

(٥) الإسلام والحداثة:٢١٩،٢٢٠.

(٦) قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر:١/ ٩٢.

وهكذا يتبين -بشكل سريع -كيف يتعامل هؤلاء المفكرون مع ظاهرة الوحي؛ ليجعلوا من القرآن نصاً تاريخياً خاضعاً لما تخضع له النصوص التاريخية، وإزالة القيمة المعرفية له والتي يستمدها من كونه رباني يتجاوز حدود الزمان والمكان.

يقول أركون: «عملي يقوم على إخضاع القرآن لمحك النقد التاريخي المقارن»[(١)].

ويشرح هاشم صالح -تلميذ أركون- ذلك بقوله: «أي: وضعها ضمن سياقها التاريخي، وربطها بظروف قديمة مضت وانقضت ولم تعد هي ظروفنا. وبالتالي فهذه الآيات لم تعد ملزمة في العصر الحالي»[(٢)].

وهذا علي حرب يوضح ذلك أكثر ويقول: «فالتعامل مع الفكر الإسلامي بوصفه نتاجاً تاريخياً معناه: نزع هالة القداسة عن ذلك الفكر، أي: تمزيق الحجاب وهتك الستر، هذا هو صلب القضية. كيف نقرأ التراث والقرآن تحديداً؟»[(٣)].

وهذا الكلام -فوق أنه يذهب إلى تاريخية النص؛ فهو يدل على أن مقصدهم هو أبعد من ذلك وهو تجاوز القرآن الكريم، وجعله من التراث، واتخاذه ظِهرياً.

---

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية: ٢١٣، وانظر: الممنوع والممتنع لعلي حرب:١١٩.

(٢) الإسلام والانغلاق اللاهوتي:٣٥٠.

(٣) نقد النص:٧٦.

يقول نصر حامد أبو زيد: «ولا خلاص من تلك الوضعية إلا بتحرير العقل من سلطة النصوص الدينية وإطلاقه حراً يتجادل مع الطبيعة والواقع الاجتماعي والإنساني، فينتج المعرفة التي يصل بها إلى مزيد من التحرر فيصقل أدواته ويطور آلياته»(١).

ويقول هاشم صالح: «لقد آن الأوان للكشف عن تاريخية النص القرآني وإنزاله من تعاليه الفوقي إلى الواقع الأرضي المحسوس، آن الأوان للكشف عن علاقته بظروف محددة تماماً في شبه الجزيرة العربية وفي القرن السابع الميلادي»(٢).

وفي موضع آخر يقول: «فالشيء ما إن تنكشف تاريخيته حتى يصبح من السهل تجاوزه»(٣).

من خلال ما سبق يتبين لنا بجلاء كيف تأثر هؤلاء المفكرون بأساتذتهم المستشرقين في التعامل مع ظاهرة الوحي وسوّقوا آراءَهم التي تتمثل في أن الوحي هو من إنتاج (اللاشعور) أو(الشعور) عند النبي ﷺ، وما يلزم على هذا التفسير من القول بتاريخية النص القرآني.

---

(١) مقال لنصر أبو زيد بعنوان: ثقافة التنمية وتنمية الثقافة، على الرابط:
(http://www.civicegypt.org/?p=17147).

(٢) الإسلام والانغلاق اللاهوتي:٢٤٨.

(٣) الإسلام والانغلاق اللاهوتي:٤٨.

يقول الدكتور عبدالرزاق هرماس مبينـًا حجم تأثر أحد هؤلاء المفكرين-محمد أركون- بأساتذته المستشرقين: «ومن نماذج تلاميذ المستشرقين الذين استُبْقوا في الغرب -فرنسا- ويحررون منشوراتهم بالفرنسية: د. محمد أركون، ويهمنا في هذا المطلب ما يتصل من كتاباته بربّانية مصدر القرآن، وإن كان هذا الكاتب قد أضحى – عن جدارة – أكثر جرأة من أساتذته على الله، وعلى كتابه، وعلى سنة نبيه ﷺ وعلى شريعة الإسلام، وبخصوص كلام أركون عن القرآن الكريم، فالملاحظ أنه في جميع ما كتب عنه ظل وفيـًا للتراث الاستشراقي، ولا نكاد نجد شيئـًا من مطاعن المستشرقين – قديما وحديثـًا – لم يتَبنه ويدافع عنه، طريقته في ذلك واحدة دائمـًا: هي التلبيس على تلك المطاعن، بادعاء الاستفادة من (المناهج المعرفية المعاصرة) في فهم القرآن، لكن هذه الاستفادة دائمـًا تؤدي إلى تقرير وتزكية مختلِف أراجيف المستشرقين»[1].

ويقول الدكتور أحمد الطعّان مبينـًا هذا الأثر: «لقد التزمنا في هذا الباب من الدراسة أن نتجنب الحديث عن الأثر الاستشراقي في كتابات العلمانيين قدر الإمكان؛ وذلك لأن دراستنا ستتضخم جداً لو ذهبنا نقارن بين الكتابات الاستشراقية والكتابات العلمانية، ذلك أن السطو العلماني على الفكر الاستشراقي قد بلغ مدىً بعيداً، بحيث يحتاج إلى دراسة مستقلّة»[2].

---

(١) مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن:١١٩-١٢٠.

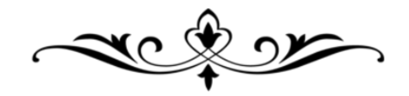
(٢) موقف الفكر العلماني من النص القرآني د.أحمد الطعان ص ٤١٩.



- **وأخيراً:**

بعد هذا الاستعراض السريع لمواقف المستشرقين ومن تبعهم من المفكّرين العرب حول ظاهرة الوحي النبوي، أجد أن القرآن الكريم قد سبقنا إلى ذلك، حيث وصف حال هؤلاء ومواقفهم قبل أن تقع، وأجاب عنها في آيات كثيرة أذكر طرفاً منها:

قال الله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس:٢]، وقال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء:٥] وقال سبحانه: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون:٢٥]، وقال سبحانه: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور:٢٩].



الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد، ففي نهاية هذا البحث يمكن إيجاز أهم ما توصلت إليه بما يلي:

١-أن الوحي النبوي حقيقة ثابتة بالأدلة العقلية والنقلية.

٢- للوحي النبوي حسب التصور الإسلامي خصائص اختص بها ميَّزته عن غيره، وهي:

- أن الوحي يحصل بالاصطفاء لا الاكتساب.
- نزول الوحي خاضع لمشيئة الله وحكمته لا لرغبة الرسول وإرادته.
- اختصاص الوحي بعلم الغيب المحض.
- عدم تأثر الوحي الإلهي بالزمان والمكان.

٣-للوحي النبوي حسب التصور الاستشراقي رؤية مخالفة لما عليه التصور الإسلامي؛ وهي إنكار أن يكون هذا الوحي أتى إلى النبي من خارج نفسه.

٤-يوجد دوافع ومسببات أدت إلى تبني المستشرقين هذا الرأي، أبرزها: التصور النصراني الخاطئ لظاهرة الوحي، والنزعة المادية التي لا تؤمن بما وراء المادة، وقبل ذلك وبعده التعصب الديني والنزعة العنصرية والحقد على هذا الدين ونبيه الكريم.

٤-استخدم المستشـرقون للتعامل مع ظاهرة الوحي عدة مناهج، أبرزها منهج التحليل النفسي.

٥-فسَّر المستشرقون ظاهرة الوحي بتفسيرات كثيرة، نتج عنها إثارة كثير من الشبه، أبرزها شبه نفسية طبيعية وشبه نفسية مرضية.

٦-أن هذه الدعاوى والتفسيرات الباطلة وجدت لها صدى عند بعض المفكرين العرب المعاصرين، فأعادوا تسويقها من باب الحداثة والتجديد، مما زاد الأمر خطورة.



المراجع والمصادر

- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم دراسة ونقد، عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة، الرياض، ١٤١٣ هـ.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلان، ط: بول اق١٣٢٢هـ.

- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، خبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

- الأدلة على صدق النبوة المحمدية، هدى عبد الكريم مرعي، بحث دكتوراه مطبوع على الآلة الكاتبة، ١٤٠٦ هـ .

- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ٢٠٠١م.

- الإسلام والحداثة في مصر: بنظرة نقدية على فكر حسن حنفي، المؤلف: نصر الله اقاجاني، دار النشر: ني، ٢٠١٣م.

- الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:١٩٩٨.

- الإشارات والتنبيهات :ابن سينا، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.

- التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم، حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٢٢هـ.

- الرسول في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة. ط:٤، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م .

- الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ساسي سالم الحاج، المدار الإسلامي، ط: أولى، ٢٠٠٢.

- الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي) الناشر: دار الفكر -دمشق سورية.

- الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي.

- الممنوع والممتنع نقد الذات المفكرة، علي حرب، المركز الثقافي العربي، ط:٤، ٢٠٠٥م.

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: ٤، ١٤٢٠ هـ.

- النبي محمد ﷺ، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط:٢.

- الوحي الإلهي والانزلاقات الحداثية، سلطان العميري، مقال في

مجلة البيان، عدد:٣١٨.

- الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، محمود ماضي، الإسكندرية، دار الدعوة، ط ١، سنة ١٤١٦هـ.

- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية -بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥م.

- بحث (أنسنة الوحي) لحسان القاري، ضمن مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- المجلد ٢٦ -العدد الثاني-٢٠١٠.

- بحث بعنوان (محمد ﷺ في أدب العصور الوسطى) للدكتور بهجت عبد الرزاق، ضمن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية

- حضارة العرب، غوستاف ل وبون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٣.

- دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره، عبد الرحمن بدوي، الدار العالمية للكتب والنشر.

- ردود على شبهات المستشرقين، يحيى مراد.

- رسالة في اللاهوت والسياسة، اسبينوزا، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، دار التنوير، ٢٠٠٥م.

- رؤية إسلامية للاستشراق، لأحمد غراب، لندن، المنتدى الإسلامي، ط ١ سنة ١٤١١ هـ.

- علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر، الناشر: مطبعة الصباح - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ -١٩٩٣ م .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩هـ.

- فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر - بيروت،١٤١١هـ.

- في فكرنا المعاصر، حسن حنفي، ط: ٢، ١٩٨٣م.

- قاموس الكتاب المقدس، ترجمة وتأليف الدكتور جورج بوست، مجلد ثان، طبع في بيروت في المطبعة الأمريكانية، سنة ١٩٠١م.

- قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، حسن حنفي، دار التنوير للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: ٢٤، ٢٠٠٠ م

- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط:٣، ١٤٢١هـ.

- مبادئ الفلسفة المستشرقون والتنصير، للدكتور على النملة، ص ١١،

الرياض مكتبة التوبة، ط ١، ١٤١٣هـ.

- مجلة منبر الإسلام، العدد ٩، السنة ١٩، رمضان سنة ١٣٨١ هـ / فبراير ١٩٦٤م.

- محمد ﷺ بين الحقيقة والافتراء، محمد محمد أبو ليلة، دار النشر للجامعات.

- محمد ﷺ في مكة، مونتجمري وات، ترجمه إلى العربية: الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ.

- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت -صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

- مدخل إلى القرآن، ريتشارد بل، ومونتجمري وات، جامعة أدنبره، ١٥٨٨م. المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، الناشر: مكتبه السنة -القاهرة، ط:٢، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٣م.

- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، عبد الرحمن الزنيدي، مكتبة المؤيد، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

- مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

- من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، دار التنوير للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

- مناهج المستشرقين في الدارسات العربية والإسلامية، إعداد: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٥م.

- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:٣

- منهج مونتجمري وات في دراسة نبوة محمد، بحث للدكتور: جعفر إدريس، منشور ضمن كتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.

- موقف الفكر العلماني العربي من النص القرآني، دعوى تاريخية النص نموذجا للدكتور أحمد إدريس الطعان الحاج. رسالته لنيل درجة الدكتوراه. نسخة غير منشورة.

- نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد، الناشر: دار سينا للنشر، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

- نقد النص، علي حرب، المركز الثقافي العربي، ط:٥، ٢٠٠٨م.

- وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، نقض مزاعم، المستشرقين، حسن ضياء الدين عتر، دعوة الحق، مكة المكرمة، عدد

:٢٨، ١٤٠٤هـ.

-الإسلام والانغلاق اللاهوتي، هاشم صالح، الناشر: دار الطليعة، رابطة العقلانيين العرب، تاريخ النشر: ٢٠١٠.

-العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر، ترجمة محمد يوسف. وآخرين مصر، دار الكتب، ط٢

-المعرفة في الإسلام، د/ عبد الله القرني، دار عالم الفوائد، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.

-النظرية المادية في المعرفة لروجيه جارودي، تعريب: إبراهيم قريط، دار دمشق.

-مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، عبد الرزاق هرماس، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الرابعة عشر، العدد الثامن والثلاثون، ربيع الآخر ١٤٢٠هـ، أغسطس ١٩٩٩م.



فهرس الموضوعات





الولاءُ والبراءُ
عند الرَّافضةِ الاثني عشريَّة
دراسةٌ عَقَديَّةٌ نقديَّة

د. أحلام محمد حكمي

أكاديمية سعودية، أستاذ مشارك، بقسم الدراسات
الإسلامية، بجامعة جازان

ملخص الدراسة

جاءت هذه الدراسةُ تحتَ عُنوانِ (الولاء والبراء عند الرافضة الاثني عشرية: دراسة عقدية نقدية)، واعتمدت على المناهج العلمية المناسبة؛ كالمنهج التاريخي والتحليلي والنقدي، وتألّفت مِنْ مُقَدِّمةٍ، ومَدْخَلٍ، وفَصْلَيْنِ، وخاتِمَةٍ.

اشتملت المقدّمةُ على أَهَمِيَّةِ البَحْثِ، وأَسْبابِ اخْتِيارِ الموضوعِ، ومنهجِ البحثِ، وخُطَّتِه.

واحتوى المدخلُ على ثلاثةِ مباحثَ؛ الأولُ: مفهومُ الولاءِ والبراءِ، والثاني: أهميةُ الولاءِ والبراءِ عندَ أهل السّنّة، والثالث: أَسْبابُ اخْتِيارِ الإِماميَّةِ الرّافِضَةِ الاثني عَشْرِيَّةِ.

وتحدّث الفَصْلُ الأَوَّلُ عن مُرْتَكَزاتِ الوَلاءِ والبَراءِ عِنْدَ الإِماميَّةِ الاثنَي عَشْرِيَّةِ، وجاءَ في مَبْحَثَيْنِ؛ الأَوَّلُ: الوَلاءُ عِنْدَ الرّافِضَةِ الاثْنَي عَشْرِيَّةِ، والثّانِي: البَراءُ عِنْدَ الرّافِضَةِ الاثْنَي عَشْرِيَّةِ. وفيه حديث عن أمور خمسة: أولًا: مَوْقِفُهُمْ مِن الصَّحابَةِ عامَّةً، ثانِيًا: مَوْقِفُهُمْ مِن أَكابِرِ الصَّحابَةِ وأُمَّهاتِ المُؤْمِنِيْنَ، ثالِثًا: البَراءَةُ مِنْ المُخالِفِيْنَ، رابِعًا: مَوْقِفُهُمْ فيمَنْ يَتَرَضَّى عَنْ الصَّحابَةِ، خامسًا: بَراءَتُهُمْ مِن فِرَقِ الشِيْعَةِ الأُخْرَى.

أما الفَصْلُ الثاني فتناول: تَقْوِيْمَ مُرْتَكَزاتِ الرّافِضَةِ فِي الوَلاءِ والبَراءِ. وفيه مَبْحَثانِ؛ الأَوَّلُ: نَقْضُ مُرْتَكَزاتِ الرّافِضَةِ فِي الوَلاءِ، والثّانِي: نَقْضُ مُرْتَكَزاتِ الرّافِضَةِ فِي البَراءِ، وفيه: أَوَّلاً: الرَّدُّ عَلَى الشِّيْعَةِ الإِماميَّةِ فِي

تَكْفِيْرِهِمْ وَبَراءَتِهِمْ مِنْ أَبْي بَكْرٍ الصَّدِّيْقِ، ثانيًا: مَكانَةُ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ثالثًا: مَكانَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ عِنْدَ آلِ البَيْتِ رضوان الله عليهم، رابعًا: مَكانَةُ عُمَرَ عِنْدَ اللهِ وعِنْدَ رَسُوْلِهِ، خامسًا: مَكانَةُ عُمَرَ عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، سادسًا: مَكانَةُ عُثْمانَ عِنْدَ رَسُوْلِ الله، سابعًا: فَضْلُ أُمَّهاتِ المُؤمنينَ رضي الله عَنْهُنَّ ، ثامنًا: مَوْقِفُ آلِ البَيْتِ مِنْ الشِّيْعَةِ الرّافِضَةِ، تاسعًا: إِكْرامُ الصَّحابَةِ لِآلِ البَيْتِ الأَطْهارِ، عاشرًا: تَحْرِيْمُ سَبِّ الصَّحابَةِ فِي الكِتابِ والسُّنَّةِ.

واشتملت الخاتِمَةُ على أَهَمِّ نَتائِجِ البَحْثِ؛ ومنها: الوَلاءُ في عقيدَةِ أهلِ السُّنَّة لله ولرسوله ولدينِ الإسلامِ وللمُؤمنين. الرد على الرافضة الاثني عشرية في عقيدة الولاء والبراء ونقضها، الردّ على موقف الرافضة الاثني عشرية من الصحابة الكرام وزوجات النبي الأطهار. بيانُ تحريمِ سَبِّ الصَّحابَةِ، وأن الطعن فيهم طعن في الدين نفسه. بيان خطر هذه الفرقة الضالة على الإسلام والمسلمين؛ لفساد عقائدهم، وفكرهم، وبغضهم الشديد لكل من خالفهم، فلا يؤمَن مكرُهم، لذا يجب التصدي لهم في كلّ المجالات، وفضحُهم، وكشفُ زيغهم؛ حفاظًا على الأمة الإسلامية من فساد أفكارهم، ولتصحيح صورةِ الإسلامِ أمامَ غير المسلمين؛ إذ تنشر الرافضةُ أفكارَهم على أنّها هي الإسلام الصحيح.

د. أحلام محمد حكمي

asga-1379@hotmail.com

The Loyalty and Disavowal by the Twelver Rafida – A Critical Creedal Study

Dr. Ahlam Muhammad Hakami

Saudi Academic – Associate Professor, in the Section of Islamic Studies, Jazan University

Abstract

The title of this study is (The Loyalty and Disavowal by the Twelver *Rafida* – A Critical Creedal Study), and I chose the proper scientific methods for this study like the historical, analytical and critical method.

The study consisted of a preface, two chapters and an ending.

The preface contained the importance of the research, the reasons for choosing the subject, the research methodology and the research plan. The preface contained three chapters; the first one: the understanding of Loyalty and Disavowal, the second: the importance of Loyalty and Disavowal according to *Ahl us-Sunnah*, the third: the reasons for choosing the Twelver *Rafida*.

The third chapter spoke about the foundations of Loyalty and Disavowal according to the *Twelver Imamiyyah* and it was divided into two chapters; the first one: The Loyalty according to the Twelver *Rafida*, and the second: the Disavowal according to the Twelver *Rafida*. That chapter



mentioned five things; the first: their position concerning the companions generally.

The second: their position regarding the greatest companions and the mothers of the believers.

The third: their disavowal of their opponents.

The fourth: their position regarding those who say "May Allah be pleased with the companions".

The fifth: their disavowal form the other Shiite sects.

The second chapter contained an evaluation of the *Rafida's* foundations concerning Loyalty and Disavowal. The chapter contained two chapters; the first: A refutation of the *Rafida's* foundations concerning Loyalty.

The second: A refutation of the *Rafida's* foundations concerning Disavowal.

That chapter contained the following; the first: A refutation of the Shia *Imamiyyah* concerning their *takfir* and disavowal of Abu Bakr al-Siddiq.

The second: Abu Bakr's status with Ali (May Allah be pleased with both of them).

The third: Abu Bakr's status with *Ahl ul-Bayt* (May Allah be pleased with them). The fourth: Umar's status with Allah and His messenger.

The fifth: Uthman's status with Ali (May Allah be pleased with them).

The sixth: Uthman's with Allah's messenger.

The seventh: the mother of the believer's virtues.

The eighth: the stance of the Shiite *Rafida* concerning *Ahl ul-Bayt*.

The ninth: the reverence of the companions to the purified *Ahl ul-Bayt*.

The tenth: The prohibition of slandering the companions in the Qur'an and the *Sunnah*.

The ending contained the most important results of the research; from them were: *Ahl us-Sunnah's* loyalty is to Allah, His messengers and the believers. A refutation of *Twelver Rafida's* creed concerning Loyalty and Disavowal. A refutation of the *Twelver Rafida's* stance concerning the honorable companions and the purified wives of the prophet. An explanation concerning the prohibition of reviling the companions and that slandering them is slandering the religion. Explaining the dangers this deviated sect compose to Islam and the Muslims because of the corruption of their creed and thoughts as well as their severe hatred to those who oppose them so you cannot be safe from their plots. Because of that, it is obligatory to oppose them in all fields, expose them and reveal their deviations so the Islamic nation can be safe from their thoughts and correcting the picture of Islam to non-Muslims because the *Rafida* proclaim that they represent the correct form of Islam.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العَالمين، الحمدُ لله الذي عمّت رحمتُهُ كُلَّ شيءٍ ووسِعَتْ، وتمّتْ نعمتُه على العِبَادِ وعَظُمَتْ، والصّلاة والسّلام على مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ؛ مُحمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّـا بعدُ، فإنَّ مِنْ أبرزِ ما يتَّسمُ به دينُنَا الحنيفُ الدَّعوةَ إلى الوحدَةِ والإِخَاءِ والتَّسَامُحِ؛ وذلك انطلاقًا من البَلاغِ الإلهيِّ الذي يقولُ اللهُ تعالى فيه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ويقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويقول النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ»(١).

إذًا وحدةُ هذه الأُمَّةِ ومَا تُثْمرُها من أُلْفَةٍ وائتلافٍ هي إرادةٌ إلهيَّةٌ وصِنَاعَةٌ رَبَّانيَّةٌ، وليستْ مُجرَّدَ نزوعٍ بشريٍّ دنيويٍّ(٢)، ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، باب الطيب للجمعة، (٦/ ٢٢٧/ ح: ٢٤٤٢).

(٢) راجع: صيحة نذير من فتنة التكفير، المفكر الإسلامي د. محمد عمارة، ص ١٢، مكتبة البخاري للنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ- ٢٠٠٧ م.

إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢- ٦٣].

إِنَّ النَّاظِرَ في الفِكْرِ الإسلاميِّ يجدُ اختلافات بين الفِرَقِ الإسلاميَّةِ القديمَةِ، وكَذَا الجَمَاعَاتِ الإسلاميَّةِ المُعَاصِرَةِ.

وكُلُّ فِرْقَةٍ تعَامَلَتْ مَعَ الأُخْرَى بعقيدةِ الوَلاءِ والبَرَاءِ، الوَلاءُ لَهَا ولِمَبَادِئِهَا، والبَرَاءُ مِنْ مُخَالِفِيْهَا، مع أنَّ هذه العقيدةَ جاءَ بِهَا القُرْآنُ لِيَتَعَامَلَ المُسلِمُون بهَا معَ غيرِ المُسلمين، حتى المسلم العاصي اذا تعاملنا معه بهذه العقيدة يكون له الولاء من جهة ايمانه، والبراء من جهة معصيته، وليس البراء منه بالكلية، ولكنْ اجْتَزَأَ أتباعُ بَعْضِ الفِرَقِ والجَمَاعَاتِ الإِسْلامِيَّةِ النُّصُوصَ الشَّرعيَّةَ المُتَعَلِّقَةَ بعقيدةِ الوَلَاءِ والبَرَاءِ، وَأَخَذوا مِنْهَا مَا يَتَنَاسَبُ مع نَظْرَتِهِم الخَاصَّةِ التي تَميلُ إلى الإِفْرَاطِ والغُلُوِّ في الوَلَاءِ والبَرَاءِ.

فإنَّ الذي يَسْبِرُ حَالَ بعضِ المُسلمين منْ أَتْبَاعِ بَعْضِ الفِرَقِ والجَمَاعَاتِ الإسلاميَّةِ يظهرُ لَهُ جَلِيًّا مَدَى اتِّبَاعِ الهَوَى في عقيدةِ الوَلَاءِ والبَرَاءِ. فَهُنَاكَ مَنْ عَقَدَ الوَلَاءَ لِطَائفَةٍ مُعيَّنَةٍ أو جَمَاعَةٍ خَاصَّةٍ، بَعْدَ أَنْ تَقَرَّرَ عِنْدَهُ أَنَّهَا فَقَطْ هي الَّتِي تُمثِّلُ الحَقَّ، فَهِيَ إِذًا مَصْدَرُهُ، وَمِنْ ثَمَّ غَلَا في الوَلاءِ لَهَا ولِمبَادِئِهَا ولِقَادَتِهَا، وَغَلا أَيْضًا فِي البَرَاءِ مِنْ غَيْرِهَا ومِنْ العُلَمَاءِ الآخرين مَهْمَا كانَتْ مَنْزِلَتُهُمْ في العِلْمِ؛ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ الحَقَّ معه ولا يكونُ ذَلِكَ إِلَّا مَعَ فرقته، مع أن الحق فيمن نهج منهج سنة رسول الله، وسار على درب الصحابة رضوان الله عليهم.

وإنَّ مِنْ أَهَمِّ الفِرَقِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى السَّاحَةِ الإسلاميَّةِ ولَهَا أَثَرُهَا

الفِكْرِيُّ والسِّيَاسِيُّ عَلَى وَاقِعِ الأُمَّةِ قديمًا وحديثًا = فرقةَ الشِّيْعَةِ الرَّافِضَةِ الاثني عشريَّةِ، ومَنْ يَسْبِرْ فِكْرَهَا يَبْدو لَهُ جَلِيًّا مَدَى تَعَامُلِهِمْ بعقيدَةِ الوَلَاءِ والبَرَاءِ؛ بِفَهْمٍ مُخَالِفٍ للمَنْهَجِ الإسلامِيِّ القَوِيْمِ لِعَقِيْدَةِ الوَلَاءِ والبَرَاءِ، كَمَا جَاءَ بِهَا القُرْآنُ، وبَيَّنَتْهَا السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَةُ.

لذا آثرتُ الحديثَ عَنْ أَصْلٍ من أُصُولِ الدِّينِ؛ وهُوَ عقيدَةُ الوَلَاءِ والبَرَاءِ عِنْدَ الشِّيْعَةِ الرَّافِضَةِ الاثني عشريَّةِ؛ لِبَيَانِ إنْ كانت هذه العقيدَةُ عندَهَا مَبْنِيَّةً علَى الوَلَاءِ والبَرَاءِ المَذْهَبِيِّ أو لا، وعمَدْتُ في بَحْثِي هذا إلى كُتُبِهِمْ؛ اتِّبَاعًا للمَنْهَجِ العِلْمِيِّ، وإلْزَامًا لهم بالحُجَّةَ.

◻ مَنْهَجُ البَحْثِ:

طبيعةُ البَحْثِ تُحَتِّمُ على البَاحِثَةِ استخدامَ مَنَاهِجَ عِدَّةٍ مِنْ مَنَاهِجِ البَحْثِ العِلْمِيِّ لِمُعَالَجَةِ هَذَا المَوْضُوعِ؛ مِنْ أَهَمِّهَا مَا يلي:

١- **المَنْهَجُ التَّارِيْخِيُّ (الاسْتِرْدَادِيُّ)**: واسْتُخدِمَ في تَتَبُّعِ جُذُورِ مُرْتَكَزَاتِ الوَلَاءِ والبَرَاءِ لَدَى الرَّافِضَةِ، مُعْتَمِدَةً على الرُّجُوعِ إلى مَصَادِرِهِمْ الَّتِي يَرْكَنُونَ إليها.

٢- **المَنْهَجُ التَّحْلِيْلِيُّ**: واسْتُخْدِمَ فِي تَحْليلِ آرَائِهِمْ وَأَدِلَّتِهِمْ عَلَى فِكْرِهِمْ فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ.

٣- **المَنْهَجُ النَّقْدِيُّ**: واسْتُخْدِمَ في تفنيدِ ونَقْضِ آرَاءِ الرَّافِضَةِ وَأَدِلَّتِهِمْ في ولائِهِمْ وبرَاءتِهِمْ التي تبعُدُ عَنْ مَنْهَجِ الإِسْلَامِ فِي الوَلاءِ والبَرَاءِ.

◻ خُطَّةُ البَحْثِ:

يتكونُ هذا البَحْثُ مِنْ مُقَدِّمَةٍ، ومَدْخَلٍ، وفَصْلَيْنِ، وخَاتِمَةٍ.

- **المُقَدِّمَةُ**: وتشتملُ عَلَى أهَمِيَّةِ البَحْثِ، وَأَسْبَابِ اخْتِيَارِهِ، ومنهج البحث، وَخُطَّته.

- **المَدْخَلُ**: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الولاء والبراء.

المبحث الثاني: أهمية الولاء والبراء عند أهل السنة.

المبحث الثالث: أَسْبَابُ اخْتِيَارِ الإِمَامِيَّةِ الرَّافِضَةِ الاثني عَشْرِيَّةِ.

- **الفَصْلُ الأَوَّلُ**: مُرْتَكَزَاتُ الوَلَاءِ والبَرَاءِ عِنْدَ الإِمَامِيَّةِ الاثني عَشْرِيَّةِ.

وَجَاءَ فِي مَبْحَثَيْنِ:

- **المَبْحَثُ الأَوَّلُ**: الوَلَاءُ عِنْدَ الرَّافِضَةِ الاثْني عَشْرِيَّةِ.

- **المَبْحَثُ الثَّانِي**: البَرَاءُ عِنْدَ الرَّافِضَةِ الاثْني عَشْرِيَّةِ.

وفيه:

أولًا: مَوْقِفُهُمْ مِنْ الصَّحَابَةِ عَامَّةً.

ثَانِيًا: مَوْقِفُهُمْ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ وَأُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ.

ثَالِثُا: البَرَاءَةُ مِنْ المُخَالِفِيْنَ.

رَابِعًا: مَوْقِفُهُمْ فيمَنْ يَتَرَضَّى عَنْ الصَّحَابَةِ.

خامسًا: بَرَاءَتُهُمْ مِنْ فِرَقِ الشِيْعَةِ الأُخْرَى.

- **الفَصْلُ الثَانِي**: تَقْوِيْمُ مُرْتَكَزَاتِ الرَّافِضَةِ فِي الوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ.

وفيه مَبْحَثَانِ:

- **المَبْحَثُ الأَوَّلُ**: نَقْضُ مُرْتَكَزَاتِ الرَّافِضَةِ فِي الوَلَاءِ.

- **المَبْحَثُ الثَّانِي**: نَقْضُ مُرْتَكَزَاتِ الرَّافِضَةِ فِي البَرَاءِ.

وفيه:

أَوَّلًا: الرَّدُّ عَلَى الشِّيْعَةِ الإِمَامِيَّةِ فِي تَكْفِيْرِهِمْ وَبَرَاءَتِهِمْ مِنْ أَبْي بَكْرٍ الصَّدِّيْقِ.

ثَانيًا: مَكَانَةُ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثَالثًا: مَكَانَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ عِنْدَ آلِ البَيْتِ - رضوان الله عليهم-.

رَابعًا: مَكَانَةُ عُمَرَ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُوْلِهِ.

خَامسًا: مَكَانَةُ عُمَرَ عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سَادسًا: مَكَانَةُ عُثْمَانَ عِنْدَ رَسُوْلِ الله.

سَابعًا: فَضْلُ أُمَّهَاتِ المُؤمنينَ – رضي الله عَنْهُنَّ – .

ثَامنًا: مَوْقِفُ آلِ البَيْتِ مِنْ الشِّيْعَةِ الرَّافِضَةِ.

تَاسعًا: إِكْرَامُ الصَّحَابَةِ لِآلِ البَيْتِ الأَطْهَارِ.

عَاشرًا: تَحْرِيْمُ سَبِّ الصَّحَابَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

- **الخَاتِمَةُ: وَتَشْتَمِلُ عَلَى أَهَمِّ نَتَائِجِ البَحْثِ.**

واللهَ أَسْأَلَ أَنْ يَجْعَلَ مَسْعَانَا إِلَى الخَيْرِ، وَمَرْجِعَنَا إِلَى الحَقِّ، وَمُنْتَهَانَا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْهُ وَرُضْوَانٍ.

وبالله التَّوفِيْقِ.



الْمَدْخَلُ

المبحث الأول
مفهوم الولاء والبراء لغة واصطلاحًا

قبل الوُلوج في مضمار البحث، لا بدّ من الوقوف على المصطلحات الواردة في عنوانه، وما تحمله من دلالات لغوية، ومفاهيم دينية طبقًا للعقيدة الإسلامية.

❑ **أولاً: الـولاء:**

الولاء في اللغة:

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية يلاحظ أن كلمة الولاء تطلق على عدة معان؛ منها: القرب والدنو، والحب والمودة، والمتابعة، والنصرة.

فأصله القرب الذي ترجع إليه بقية المعاني المشتقة من هذا الأصل.

قال ابن فارس: «الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على القرب، ومن ذلك الولي وهو القريب، يقال: تباعد بعد وَلْي أي قرب.... والولاء: الموالون، يقال: هؤلاء ولاء فلان.. والباب كله راجع إلى القرب»[1].

وأرجعها الراغب إلى أصل أبعد من (القرب)، إذ قال: «الولاء والتوالي:

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: مادة ولى جـ ٢ ص ٦٤٥ دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.

أن يحصل شيئان فصاعدًا حصولًا ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة، والنصرة والاعتقاد»[١].

وعدّد ابن منظور الصور التي أتت عليها الكلمة في كلام العرب في قوله: «والموالاة في (كلام العرب) على وجوه:

الأول: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه.

الثاني: الموالاة: المحبة، يقال: والى فلان فلانًا إذا أحبه.

الثالث: التميز، قال الأزهري: سمعت العرب تقول: والوا حواشيَّ نعمكم عن جلتها، أي: اعزلوا صغارها عن كبارها، يقال: واليناها فتوالت إذا تميز.

والولي: الصديق والنصير، وقيل التابع المحب.

وقال ابن عباس في قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؛ أي من أحبني وتولاني فليتوله، وقال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يعني بذلك ولاء الإسلام، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ [محمد: ١١].

والموالاة ضد المعاداة، والولي ضد العدو، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ

---

(١) راجع: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص ٥٣٣، الطبعة الأولى، مصطفى الحلبي ١٩٦١ م.

أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ [مريم: ٤٥]. قال ثعلب: كل من عبد شيئًا من دون الله فقد اتخذه وليًا، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وليهم في نصرهم على عدوهم، وإظهار دينهم على دين مخالفيهم، وقيل: وليهم أي يتولى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم»(١).

وتستعمل في المتابعة: «ووالى بين الأمر موالاة وولاءً: تابع، وتوالى الشيء: تتابع، والموالاة: المتابعة وأفعل هذه الأشياء على الولاء أي المتابعة»(٢).

ويفرق الجوهري في الصحاح بين الوِلاية والوَلاية في قولة: «ويقال: بينهما وَلاء بالفتح؛ أي قرابة، ووالى بينهما وِلاء بالكسر؛ أي تابع، والولاية بالكسر: السلطان، والولاية بالفتح والكسر: النصرة، يقال هم على ولاية؛ أي مجتمعون في النصرة، وقال سيبويه: الولاية بالفتح: المصدر، والولاية بالكسر: الاسم، مثل الإمارة والنقابة؛ لأنه اسم لما توليته وقمت به فإذا أرادوا المصدر فتحوا»(٣).

فـ«الوِلاية بالكسر: النصرة»، والوَلاية بالفتح: تولي الأمر»(٤).

---

(١) راجع لسان العرب لابن منظور جـ ١٥ ص ٤٠٦ – ٤١٠، ط: دار صادر، بدون تاريخ.

(٢) راجع المصدر السابق جـ ١٥ ص ٤١٢.

(٣) انظر: مختار الصحاح للجوهري جـ ٦ ص ٢٥٢٨.

(٤) يراجع: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٥٢٤. ولا تكاد المعاجم اللغوية المعاصرة تخرج عما ورد في المعاجم اللغوية القديمة، يراجع: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية جـ ٢، ص ١١١٠، ١١١١.

بعد هذا العرض لمادة (ولي) كما وردت في المعاجم اللغوية، يلاحظ أنها لا تخرج عن محاور القرب والحب والنصرة والمتابعة.

الولاء في الاصطلاح:

تعددت آراء العلماء حول المفهوم الاصطلاحي لمعنى الولاء. قال شارح الطحاوية: «الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام، والكون مع المحبوبين ظاهرًا وباطنًا»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأصل الولاية المحبة والقرب»(٢).

❑ ثانيًا: البراء:

البراء في اللغة:

يطلق البراء في اللغة على عدة معان؛ منها: البعد، والتخلص، والتخلي، والعداوة، والبغض.

فأصل الكلمة (الباء والراء والهمزة) قد يأتي بمعنى الخلق وقد يأتي بمعنى البعد. قال ابن فارس: «الباء والراء والهمزة: أصلان إليهما ترجع فروع الباب:

---

(١) يراجع: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٤٠٣، ط دار ابن رجب ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، والولاء والبراء لمحمد سعيد القحطاني ص ٩٠، ط: الأولى، دار طيبة الرياض ١٤٠٢هـ.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص ٧، دار الصحابة للتراث بطنطا ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م

الأصل الأول: الخلق، يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم بَرْءًا. والبارئ من أسماء الله الحسنى. **والأصل الآخر**: التباعد عن الشيء ومزايلته. من ذلك البُرء، وهو السلامة من السقم، يقال: برِئت وبرَأت، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]، وفي غير موضع من القرآن الكريم: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ﴾، والمصدر: البراء»[١].

وقال الراغب الأصفهاني: «أصل البرء والبراء والتبري: التقصي (التباعد) عما يكره مجاورته، ولذلك قيل: برأت من المرض، ومن فلان»[٢].

وورد في لسان العرب: «قال ابن الأعرابي: برئ؛ إذا تخلص، وبرئ؛ إذا تنزه وتباعد، وبرئ؛ إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١]؛ أي أعذر وأنذر، وليلة البراء: ليلة تبرأ القمر من الشمس. ومن هذا قال البيضاوي: أصل تركيب البرء لخلوص الشيء من غيره، إما على سبيل التقصي كـ: برَأ المريض من مرضه، والمديون من دينه، أو الإنشاء: كـ: برأ اللهُ آدمَ من الطين»[٣].

وقال الأزهري: «والبراء مصدر برئت، ولأنه مصدر فلا يجمع ولا يثنى ولا يؤنث، فنقول: رجل براء، ورجلان براء، ورجال براء، وامرأة براء، أما إذا قلت: بريء؛ تجمع، وتثنى، وتؤنث، فنقول للجميع: بريؤون، وبِراء

---

(١) يراجع: معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ ١ ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) انظر: مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٥.

(٣) راجع: لسان العرب لابن منظور جـ ١ ص ٣٣.

(بكسر الباء)، وللمثنى: بريئان، وللمؤنث: بريئة وبريئات»(١).

البراء اصطلاحًا:

من المعاني اللغوية التي سبق ذكرها تكوّن المعنى الاصطلاحي عند عدد من العلماء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد»(٢).

ويذكر محمد سعيد القحطاني تعريف البراء في قوله: «والبعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار»(٣).

المبحث الثاني

أهمية الولاء والبراء في العقيدة الإسلامية، وعقيدة أهل السنة فيه

إن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي نزّله على قلب الرسول محمد ﷺ وجعله معجزة رسوله على مر العصور، وهو مصدر الإسلام الأول، إنه المصدر الأول للعقيدة الشريعة الإسلامية، المحفوظ من التبديل والتحريف والتغيير بحفظ الله له، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾

---

(١) انظر: تهذيب اللغة. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري جـ ١٥ ص ٢٦٩، ط: ١، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢٠٠١ م.

(٢) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص ٧ .

(٣) راجع: الولاء والبراء. محمد سعيد القحطاني ص ٩٠.

[الحجر: ٩]، ولنعلم أن هذه ميزة فريدة امتاز بها القرآن عن بقية الكتب السماوية الأخرى، فهو منذ أربعة عشر قرنًا لم يتعرض لأدنى تحريف أو ريب.

ولقد ولّى علماء المسلمون وجوههم نحو القرآن الكريم ليستخرجوا منه أصول عقيدتهم، وتشريعاتهم، وأخلاقهم كما أمرهم نبيهم ﷺ.

وإذا أمعنا النظر في القرآن الكريم نجد أن نصوصًا كثيرة منه تحدثت عن عقيدة الولاء والبراء في الإسلام، حتى قال بعض أهل العلم: «إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم، بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده»(١).

وقد رأينا معاني الولاء في الإسلام التي سبق ذكرها، من الحب والطاعة والنصرة، والتي تجب لله ولرسوله وللمؤمنين ولدين الإسلام. هذا المفهوم للولاء قد تعاضدت الأدلة القرآنية على إثباته، ووجهت آيات القرآن إلى الولاء المشروع، كما كثرت الأدلة على النهي عن الولاء غير المشروع؛ إذ بيّنته ووضّحته، ومن ثم كان لا بد أن نقف مليًّا مع المصدر الأول لعقيدة الإسلام وهو القرآن الكريم، لنستقي منه آيات الولاء التي أمر الله بها المؤمنين، ونشير إلى المفهوم من هذا الولاء الذي ورد في هذه الآيات.

---

(١) يراجع: سبيل النجاة والفكاك، حمد بن عتيق، ضمن مجموعة التوحيد ص ٢٦٦، ط: الثانية، دار اليقين – المنصورة، ١٩٩٣ م.

❑ آية الولاء المشروع:

يحدد القرآن الكريم الموالاة الواجبة على المسلم، والجهات التي يجب أن يصرف إليها الولاء بمفهومه المشروع، من الحب والنصرة والطاعة، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥- ٥٦].

الآية الأولى تحدد لنا من تكون له الموالاة، وفي الآية تخصيص وبيان أن:

١ – الولاء لله تعالى.

٢ – الولاء لرسوله ﷺ.

٣ – الولاء للذين آمنوا.

٤ – وهذا كله في إطار الولاء للإسلام بوصفه دينًا.

فهذا هو الولاء الذي أراده الله تعالى من عباده المؤمنين، وهذا الذي شرعه الله وارتضاه لنا، وتعبدنا به، وجعله من عقيدتنا، فالآيتان اللتان سبق ذكرهما جاءتا في سياق نهي الله المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى؛ فالآية الأولى تحدد وتحصر من تجب له الولاية، وقد أفاض المفسرون في بيان معاني هذه الآية، فعلى سبيل المثال قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لها: «ليس لكم أيها المؤمنون ناصر إلا الله ورسوله والمؤمنون، فأما اليهود والنصارى الذين أمركم الله أن تبرأوا من ولايتهم، ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء فليسوا لكم أولياء ولا نصراء، بل بعضهم أولياء بعض، ولا تتخذوا

منهم وليًا ونصيرًا... [ثم قال على الآية الثانية] وهذا إعلام من الله تعالى ذكره لعباده جميعًا (الذين تبرأوا من حلف اليهود وخلعوهم، رضا بولاية الله ورسوله والمؤمنين، والذين تمسكوا بحلفهم وخافوا دوائر السوء تدور عليهم فسارعوا إلى موالاتهم) بأن من وثق بالله وتولى الله ورسوله والمؤمنين، لهم الغلبة والدوائر والدولة على من عاداهم وحادّهم؛ لأنهم حزب الله، وحزب الله هم الغالبون»[1].

والولي قد يراد به المتصرف وقد يراد به المحب والناصر، وقد أشار الإمام الرازي إلى هذين المعنيين في بيان المراد بالولي في الآية السابقة، ورجح أن المراد بها الناصر والمحب؛ لأنها جاءت بعد نهي الله عن موالاة اليهود والنصارى، فقال: «إن الولي في اللغة قد جاء بمعنى الناصر والمحب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، وجاء بمعنى المتصرف قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها»، ثم يرجح المعنى الأول فقال: «الذي يدل على أن حمله على الناصر أولى هو قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥١] ليس المراد: لا تتخذوا اليهود والنصارى أئمة متصرفين في أرواحكم وأموالكم؛ لأن بطلان هذا كالمعلوم بالضرورة، بل المراد لا تتخذوا اليهود والنصارى أحبابًا وأنصارًا، ولا تخالطوهم ولا تعاضدوهم...

---

(١) راجع: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ت: ٣١٠، جـ ٤ ص ٢٨٧ – دار الفكر ١٩٨٨ م.

إذن: الولاية المأمور بها هاهنا هي المنهي عنها فيما قبل، ولما كانت الولاية المنهي عنها فيما قبل –أي قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ – هي الولاية بمعنى النصرة، كانت الولاية المأمور بها هي الولاية بمعنى النصرة»[1]، إذ الولاية المشروعة هي الحب والنصرة لله ولرسوله وللمؤمنين بل هي واجبة لهؤلاء.

وإذا كان الولاء المأمور به في الآية هو الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين فلِمَ لم يقل: أولياؤكم؟ يجيب عن هذا التساؤل الزمخشري والرازي بقولهما: «أصل الكلام: إنما وليكم الله، فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله ﷺ والمؤمنون على سبيل التبع، ولو قيل: (إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين ءامنوا)؛ لم يكن في الكلام أصل وتبع»[2].

هكذا يظهر ويتضح أن الولاء يجب أن يكون متوجهًا لله تعالى أولًا، ثم يأتي توجيه الولاء للرسول والذين آمنوا تبعًا للولاء لله تعالى.

وهذه الآية تقصر الولاء في الإسلام؛ إذ «أفادت أداة الحصر (إنما) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أنه يجب قصر الولاية على

---

(١) راجع: التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي جـ ١١ ص٦٣، ط: الأولى – دار الغد ١٩٩٢م.

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، جـ١ ص ٣٤٧ دار المعرفة – بيروت، وأيضًا: التفسير الكبير للرازي جـ ١١ ص ٦٧.

من ذكرهم الله تعالى في الآية والتبري من ولاية غيرهم»[١].

وبهذا نجد أن الله تعالى حدد للمسلمين الجهات التي يجب أن يوجه إليها معتقد الولاء، إذ حرر الإسلامُ بني البشر من التعصب المطلق للأعراق والألوان والألسنة، وجعل محض ولائهم للحق الذي نزل من عند الله، فالولاء المطلق يوجه لله تعالى، فهو أصل الولاء الذي ينبثق منه الولاء للرسول ﷺ، والولاء للمؤمنين، والولاء للدين الإسلامي.

❐ علاقة الولاء والبراء بكلمة التوحيد:

يعبر عن توحيد الإلهية بكلمة التوحيد؛ وهي: (لا إله إلا الله)، وهذه الكلمة تشرحها عقيدة الولاء والبراء؛ فإن عبارة (لا إله) تعني البراء من كل معبود، وعبارة (إلا الله) تعني الولاء لله وحده. وكلمة التوحيد تنفي كل الإلهية الباطلة، وتثبت الألوهية لله وحده؛ فهو المستحق وحده للعبادة والولاء والحب والطاعة والنصرة.

وكلمة التوحيد كلمة الدخول في الإسلام، وهي شعاره «وعظمة هذا الشعار، وما وراءه من مقدرة تعبيرية واسعة وعميقة، أن الشطر الأول منه الذي يتضمن النفي عبارة عن: نكرة بعد نفي، ففيها تعميق للشمول والاستغراق، ثم يأتي الشطر الثاني وهو الإثبات، فنراه على صورة الاسم

---

(١) انظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي جـ ٢ ص ٣١٠، ٣١١، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

العلم (الله) الذي لا عَلَم أعرف منه، حتى أنه أكثر تعريفًا من الضمير بعد أداة الاستثناء، ومعنى هذا بقدر ما فيها من توسيع معنى نفي الألوهية عن الآلهة الباطلة تثبت العبودية للحق وحده»[١].

وعقيدة الولاء والبراء هي حقيقة توحيد الإلهية لله سبحانه، وإذا كان هذا هو مفهوم شهادة التوحيد، فلا بدّ من تحققها في واقع المؤمن، بأن يجعل ولاءه لله وفي الله، وبراءته من كل طاغوت يُعبد من دون الله؛ إذ إن «النطق بالشهادتين، يقتضي العمل بموجبها ليكون موحدًا من نطق بها توحيدًا حقيقًا، ومن مقتضيات شهادة التوحيد الموالاة في الله والمعاداة فيه، فمن توجه بالولاء والمحبة والنصرة للكفار أينما كانوا فإن هذا نقض لشهادة التوحيد»[٢].

وشهادة التوحيد بمفهومها المتضمن للولاء لله وفي الله، والبراء من كل ما سوى الله = هي عبارة إبراهيم عليه السلام لقومه التي جعلها باقية في ذريته. فقد دل صريح القرآن على معنى الإله وأنه هو المعبود الخالق لعباده في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦ – ٢٨].

---

(١) راجع: العقيدة في الإسلام: منهج حياة، د/ سيد رزق الطويل ص ٥٦، ط: ١، المؤسسة العربية الحديثة، ١٩٨٨ م.

(٢) انظر: الموالاة والمعادة في الشريعة الإسلامية، محماس الجلعود، جـ ١، ص ١٧٨.

المبحث الثالث

أَسْبَابُ اخْتِيَارِ الاثنَي عَشْرِيَّةِ

تُلَقَّبُ هَذِه الفِرْقَةُ بِعِدَةِ أَلْقَابٍ: الإماميَّةِ(١)، الرَّافِضَةِ(٢)، الاثنَي عشريَّةِ(٣).

(١) الإماميَّةُ: سُمِّيت بذلك؛ لأنَّهم يحصرون الإمامة بعد وفاة النبيﷺ في عليّ ثُمَّ الحسن ثُمَّ الحسين ثُمَّ أولادِ الحسين وذريته. يقول المفيد: «الإمامية علمٌ على مَنْ دَانَ بوجُوبِ الإماميَةِ ووجودِها في كُلِّ زمانٍ، وأوجبَ النَّصَّ الجليَّ والعَظَمَةَ والكمالَ لكُلِّ إمامٍ، ثُمَّ حصر الإمامَةَ في ولدِ الحسين بن علي، وساقها إلى الرضا علي بن موسى عليه السلام». راجع: أوائل المقالات في المذاهب المختارات، محمد النعمان المفيد، تعليق: الزنجائي، الناشر: عباسقلي، مكتبة حقيقت - بتبريزح ١٣٧١هـ، ص ٣٨.

(٢) الرَّافضَةُ: سُمِّيت بهذا الاسم لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، يقول أحدُ مُنظريهم: «الرَّافضةُ لقبٌ يتميَّزُ به مَنْ يُقدِّمُ الإمامَ عليًّا عليه السلام في الخلافة على غيره، وأكثر ما يستعمل للتَّشفِّي والانتقام، والواقع أنَّهُ لقبٌ يعتزُّ به الشِّيعَةُ؛ لأنَّهُ يعني لهم أنَّهم رفضُوا البَاطِلَ وأهْلَهُ.

راجع : بحوث في الإمامة والولاية. حسين نجيب محمد، ص٥١، ط ١ دار الهادي – بيروت ٢٠٠٣م، فكل من يرفض إمامة أحد من الخلفاء الثلاثة قبل عليّ، ويتبرأ منهم أو من أحدهم ينطبق عليه لقب رافضي. ويرى جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة، هو رفضهم زيد بن علي ومقالته في الموالاة لأبي بكر وعمر، فقال لهم: رفضتموني، فيقال إنهم سموا رافضة لقول زيد لهم: رفضتموني. راجع في ذلك: الملل والنحل، للشهرستاني، دار الفكر، ط: الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م، ص ١٢٥ بتصرف.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الرافضة هم الذين يدَّعون النص على استخلاف عليّ، ويتبرؤون من الخلفاء قبله وعامة الصحابة. راجع: منهاج السنة النبوية. لابن تيمية جـ ١ ص ١٣، ت: محمد رشاد – مؤسسة قرطبة، ومجموع الفتاوىـ لابن تيمية جـ ٤ ص ٤٣٥.

(٣) الاثنا عشرية: وسبب تسميتهم بهذا الاسم: لاعتقادهم بإمامة اثني عشر إمامًا، بدءًا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وختمًا بالإمام المهدي، فاعتقد الإمامية الاثنا عشرية أن الرسول ﷺ =

وسأتناولُ مُرْتكزَاتِ الوَلَاءِ والبَرَاءِ عِنْدَ هَذِه الفِرْقَةِ دُوْنَ غَيْرِهَا مِنْ فِرَقِ الإِمَامِيَةِ؛ للأَسْبَابِ التاليةِ:

١- تُعدُّ هذه الفرقة: أهمَّ وأكثرَ فِرَقِ الشِّيعَةِ انتشارًا وأثرًا، قديمًا وحديثًا، كَمَا أَشَارَ إِلَى ذلك الأشعريُّ، ونعتَهُمْ بأَنَّهُمْ «جمهورُ الشِّيعَةِ»[1]،

=

نص على إمامة علي، ثم نص عليّ على إمامة الحسن والحسين، ثم نص الحسين على إمامة ولده علي زين العابدين، وهكذا إمامًا بعد إمام؛ ينص المتقدم منهم على المتأخر إلى آخرهم، ويزعم كثير من علمائهم أن النبي ﷺ نص عليهم بأسمائهم، وهم على النحو التالي:

١ - أبو الحسن علي بن أبي طالب (المرتضى) [ت: ٤٠ هـ].

٢ - أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب (الزكي) [٢ - ٥٠ هـ].

٣ - أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب (الشهيد)[٣ - ٦١ هـ].

٤ - أبو محمد علي بن الحسين بن علي (زين العابدين - السَّجّاد) [٣٨ - ٩٥ هـ].

٥ - أبو جعفر محمد بن علي (الباقر) [٥٧ - ١١٤ هـ].

٦ - أبو عبد الله جعفر بن محمد (الصادق) [٨٣ - ١٤٨ هـ].

٧ - أبو إبراهيم موسى بن جعفر (الكاظم) [١٢٨ - ١٨٣ هـ].

٨ - أبو الحسن علي بن موسى (الرضا) [١٤٨ - ٢٠٣ هـ].

٩ - أبو جعفر محمد بن علي (الجواد) [١٩٥ - ٢٢٠ هـ].

١٠ - أبو الحسن علي بن محمد (الهادي) [٢١٢ - ٢٥٤ هـ].

١١ - أبو محمد الحسن بن علي (العسكري) [٢٣٢ - ٢٦٠ هـ].

١٢ - أبو القاسم محمد بن الحسن (المهدي) [٢٥٦] والمهدي هذا هو الإمام الغائب.

راجع: عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، ص١١٣، ١١٤، ط: ٥، دار الزهراء - بيروت ١٩٨٥ م.

(١) راجع: مقالات الإسلاميين، للإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ط: الأولى، جـ١ ص ٩٠.

وكما كثروا في القديم فقد زاد عددهم وأثرهم في الوقت الحاضر، فقد كانوا ومازالوا يُمثِّلُونَ أكثريَّةَ الشِّيعَةِ وجُمْهورَهَا في مُعْظَمِ حِقَبِ التَّارِيخِ.

٢- لقبُ الشِّيعَةِ في الأصلِ: يُطلقُ على جميعِ فِرَقِ الشِّيْعَةِ الغُلَاةِ والمُفَضِّلة والسَّبَّابة: (الرَّافِضَة)، ولكنَّ هذا المُصطلحَ أَضْحَى اليومَ لا ينصرفُ إلَّا على طائفة الاثني عشريةِ. يقولُ آل كاشفِ الغِطَاءِ: «يُطْلَقُ اسْمُ الشِّيعَةِ اليومَ على الإماميَّةِ، وهو يعني بالإمامية الاثني عشرية»[1]، ويقولُ د. مصطفى الشَّكعة: «حينمَا نقولُ الشَّيعَةَ يتَّجِهُ القصدُ إليهم»[2]؛ يعني الإمامية الاثني عشريَّة.

٣- أضف إلى ذلك الدور الكبير الذي تؤدّيه هذه الفرقة في العمل الفكري السياسي، وعلاقة أهل السنة بهم ترجع إلى مدَى النِّقَاشِ والحوارِ والاختلافَاتِ التي بينَ أهلِ السُّنَّةِ والشِّيْعَةِ الاثني عشرية، فأغلبُ «الحوارِ يدورُ مع الشِّيعةِ الإماميَّةِ؛ لأنَّهَا هي التي يُحدِثُ عَمَلُ أتبَاعِهَا السياسي والجهادي أكبرَ أثرٍ في الإسلامِ اليومَ، وأكبرَ أثرٍ في علاقَةِ المُسلمين بغيرِهِمْ خَارِجَ بِلادِ الإِسْلامِ، وهي التي يجرِي البَحْثُ مَع قَادَتِهَا في المَجَامِعِ والمُؤْتمَرَاتِ في وحْدَةِ

(١) راجع: أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ط: الأولى -مطبعة الفرقان -طيبة سنة ١٩٣١م، ص ٩٢.

(٢) راجع: إسلام بلا مذاهب، مصطفي الشكعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٥م، ص ١٩٠.

الأُمَّةِ أو فُرْقَتِهَا، وفي أثر ذلك على تحدِّيَّاتِ حَاضِرِهَا ومُستقبَلِهَا»(١).

٤- وأقول بحقٍّ إِنَّ عقيدَةَ الوَلاءِ والبَرَاءِ -وهي مناطُ البَحْثِ- جَلِيَّةٌ ووَاضِحَةٌ عند الإماميَّةِ الاثني عشريَّةِ؛ إِذْ يجعلُونَ لَهَا مُنْطلقاتٍ، ويجمعُون لهَا العديدَ من الأدلَّةِ، وعلى أثرها يصدرون الكثير من الأحكامِ؛ لأَنَّها من المبادئ الرئيسَةِ في مذهبهم، أضف إلى ذلك أيضًا توافر العديد من المصادر التي بيَّنَتْ مبادئ وأفكار وعقائد هذه الفرقة، فهناك المراجع التي أبرزت عقيدة الولاء والبراء عند الإمامية الاثني عشرية.

٥- انتشارُ هذه الفرقة اليوم، وتغلغلُهَا في العديد من الدول الإسلامية؛ لدرجة أَنَّها أَضْحَتْ تُسَيِّرُ سِيَاسَتَهَا وأُمُورَها وَفْقَ عَقَائِدِهَا، كمَا هو الحَالُ في إيرانَ، والعِرَاقِ، ولبنانَ.

من أجل هذه الأسباب وغيرها أحاول أنْ أُجَلِّيَ -بشيءٍ مِنْ البَيَانِ- هذه العقيدَةَ؛ عقيدَةَ الوَلاءِ لِمَنْ؟ والبَرَاءِ مِمَّنْ؟ عند أَهَمِّ وأكبرِ فِرَقِ الشِّيْعَةِ؛ وهي الإماميَّةُ الرَّافِضَةُ الاثني عشريَّةُ، ثُمَّ يَعْقبُ البَيَانَ تقويمُ هَذِه العَقِيْدَةِ عِنْدَهُمْ.

(١) ينظر: العلاقة بين السنة والشيعة، د. محمد سليم العَوَّا، ص ١٨، ط: ١ سفير – القاهرة ٢٠٠٦م.

الْفَصْلُ الأَوَّلُ
الْوَلاءُ والبَرَاءُ عِنْدَ الإِمَامِيَّةِ الرَّافِضَةِ الاثْنَي عَشْرِيَّةِ

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ
الوَلاءُ عِنْدَ الرَّافِضَةِ الاثْنَي عشَرْيّة

ليسَ مِنْ المُبالغَةِ في شيءٍ القولُ: إنَّ عقيدةَ الوَلاءِ عِنْد الشِّيعَةِ –أعني الاثنَي عشريَّةِ – مِنْ أهَمِّ عقائِدِهَا، وتُعتبرُ مِنْ أَعْلَى المَقَامَاتِ التي تَحَدَّثَ عَنْهَا القُرْآنُ من وِجْهَة نَظَرِهِمْ، يُشيرُ إلى ذلك أحدُهم بقولِهِ: «تُعتبرُ الولايَةُ مِنْ أَعْلَى المَقَامَاتِ التي ذُكِرَتْ في القرآنِ الكريمِ، فهي من الصِّفَاتِ المُختصَّةِ باللهِ تَعَالَى، قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الكهف: ٤٤]، ويتفرَّعُ عن الولايةِ الإلهيَّةِ، ولايةُ النَّبيِّ والأئمَّةِ عليهم السَّلامُ»[١]، وقد يُرَادُ بتعبيرهم عَنْ الولايَةِ أَنَّهَا الإمَامَةُ، لكي لا يَجُوزُ أنْ نُفَسِّرَ الآيَةَ التي استشهدَ بها بأنَّ المُرَادَ إِمَارَةُ اللهِ على عِبَادِهِ.

ومن الأدلة ما استشهد بها الاثنا عشرية على أنَّ ولاءَهُمْ لا يكونُ إلا لله تعالى، ثُمَّ الولاءُ لرسولِهِ مُحمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ الولاءُ لعليٍّ، ثُمَّ للأئمةِ مِنْ بعدِهِ، ثُمَّ للمذْهَبِ الشِّيعِيِّ وعَقَائِدِهِ، هذا ما تَدِيْنُ به الشِّيْعَةُ الاثنَا عشريَّةُ في عقيدَتِهِمْ في الوَلاءِ.

---

(١) راجع: بحوث في الإمامة والولاية، حسين نجيب محمد، دار الهادي - بيروت، ط: الأولى ٢٠٠١م، ص١٠٢.

وقد عَمَدُوا لتقرير هذه العقيدة بهذا المفهوم إلى آياتٍ من كتابِ الله فيها ثناءٌ ومدحٌ لعبادِهِ الصَّالحين، وأوليائِهِ المُتَّقين، فجعلوهَا خاصَّةً بأميرِ المؤمنين عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وأَوَّلُوَها عَلَى حَسْبِ هَذَا المُعْتَقَدِ الفَاسِدِ، كمَا اختلَقُوا أحادِيْثَ نَسَبُوهَا إلى رسول الله صص ﷺ أو لبعضِ أئمتهم؛ لتأييدِ بِدْعَتِهِمْ هَذِهِ.

◻ أوَّلاً: أدِلَّتُهُمْ مِنْ القُرْآنِ الكَرِيْمِ:

نذكر نماذج من أدلتهم من القرآن الكريم التي أَوَّلُوها لِتُوَافِقَ مَشْرَبَهُمْ في الغُلُوِّ في الوَلَاءِ لعلي دُوْنَ غَيْرِهِ. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥]، ينسبُون إلى الإِمَامِ الصَّادِقِ أَنَّهُ قالَ في تفسيرِ هَذِهِ الآيَةِ: «إِنَّمَا يَعْنِي أولى بكم؛ أي: أحقُّ بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم اللهُ ورسوله والذين ءامنوا، يعني: عليًّا وأولادَهُ إلى يوم القيامَةِ»[١].

ويُعلِّقُ الطَّبرسي– **وهو من علمائهم** –على هذه الآية بقوله: «وهذه الآيةُ من أوضَحِ الدَّلائِلِ على صِحَّةِ إِمَامَةِ عليّ بعد النبي بلا فَصْلٍ»[٢]، ويَكَادُ يَتَّفِقُ شيوخُ هَذَا المَذْهَبِ عَلَى أنَّ الآيَةَ المذكورَةَ أَقْوَى دليلٍ عندهم عَلَى هذه العَقِيْدَةِ؛ أعني: إمامَةَ عليٍّ وولايته من الوَلاية والوِلاية. وقالوا: إنَّها

---

(١) راجع: الكافي، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، جـ١ ص٤٢٢، صحَّحه وعلَّق عليه: علي أكبر الغفاري، ط: ٣، دار الكتب الإسلامية – طهران – إيران.

(٢) راجع: مجمع البيان، الطبرسي جـ ٢ ص ١٢٨.

نزلتْ في عليٍّ لمّا تَصَدَّقَ بخاتِمِه عَلَى المِسكين في الصَّلاةِ بِمَحْضَرٍ مِنْ الصَحَابَةِ، و(إنَّما) للحصر باتِّفاقِ أهلِ اللُّغَةِ، والوليُّ بمعنى الأَوْلَى بالتَّصَرُّفِ، المُرادف للإمام والخليفة»[1].

بل افترى بعض الشِّيعَةِ عَلَى الإمام جعفر أنَّهُ ذكر بعضَ آياتِ القُرْآنِ وبها زيادَةٌ تدلُّ على أنَّهَا في ولايَةِ عليٍّ، وأنَّ جبريلَ نزلَ بها من عندِ الله على قلبِ رسول الله ﷺ.

روى الكليني «عن أبي عبد الله جعفر الصادق في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢﴾ [المعارج: ١-٢]، والله نزَّل بها جبريل عليه السلام على مُحَمَّدٍ ﷺ»[2]. وروى الكليني أيضًا عن أبي جعفر قال: «نزل جبرائيل بهذه الآية هكذا: (فأبى أكثرُ النَّاسِ بولايَةِ عليٍّ إلَّا كُفُورًا)»[3]، وأيضًا: «(كبر على المشركين بولاية علي ما تدعوهم إليه)»[4]. ويُلاحظُ هُنَا أنَّ على عُلماءِ الشِّيعَةِ الاثني عشرية يَنسِبُون إلى أئمتهم زياداتٍ في القُرْآنِ أو تأويلاتٍ لبعضِ آي القرآنِ تُثْبِتُ وُلايَةَ عليٍّ والولَاءَ لَهُ، ويَفْتَرُوْنَ على الله كذبًا وبُهْتانًا.

---

(١) عقائد الإمامية الاثنَي عشرية، للزنجاني، جـ١ ص ٨١، ط: ٣، بيروت ١٩٧٣ م.

(٢) راجع: الكافي. للكليني جـ١ ص ٤٢٢.

(٣) المرجع نفسه، جـ١ ص ٤٢٥.

(٤) المرجع السابق، جـ١ ص ٤٢٥.

❑ ثَانِيًا: أدِلَّتُهُمْ مِنْ السُّنَّةِ:

إذا كان علماء هذه الفرقة –كما رأينا– يحاولون أن يستدلُّوا بالقرآنِ بإدخَالِ كلماتٍ ليسَتْ منه لِتُوَافِقَ مَشْرَبَهُمْ، فإنَّهُمْ مِنْ النَّاحيَةِ الأخرى قد حاولُوا أنْ يستدلُّوا على عقيدتهم في الولايةِ والوَلاءِ لعليٍّ والأئمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ ببعضِ الأحاديثِ من سُنَّةِ رسول الله ﷺ؛ سواءً كانت صحيحةً مُؤَوَّلَةً، أو مكذوبَةً، وهذه بعضُ النَّمَاذِجِ: عن «زيد بن أرقم: لمَّا رجعَ رسولُ الله ﷺ من حِجَّةِ الوَدَاعِ، ونزلَ غديرَ خم، أمر بدوحات فقمن... ثُمَّ قال: إنَّ الله مولاي، وأنا وليُّ كُلِّ مؤمنٍ، ثم أخذَ بيدِ عليٍّ فقالَ: مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»[١].

وينسبون إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليتولَّ عليَّ بن أبي طالب، وورثته الطاهرين أئمة الهدى، ومصابيح الدجى من بعدي، فإنهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة»[٢].

❑ ثالثًا: أدلتهم على الولاء لعلي وللأئمة وللمذهب الاثني عشري من أقوال أئمتهم.

يعتبر عمدة الإيمان عندهم ولاية الأئمة، والبراءة من أعدائهم، إذ بهما يتم الإيمان وبدونهما لا ينفعُ شيءٌ من العقائدِ والأعمالِ التي يعتقدها

(١) راجع: أهل البيت في الكتاب والسنة محمد السّرى شهري، ص٢٦٧، ط: ٢، مؤسسة دار الحديث ١٤١٧هـ.

(٢) راجع: المصدر السابق.

ويعملها المرء. وقد نُسب إلى الإمام الرضا أنه قال: «كمال الدين ولايتنا، والبراءة من أعدائنا»[١]، فشرط كمال الدين هو ولاية الأئمة، والبراءة من أعدائهم، بل إنَّهم يعتقدُون أنَّ الإسلامَ بُنِيَ على خمسةِ أركانٍ، وأهمُّها الإيمانُ بالولايَةِ، بل يُعَّد ركنًا من أركان الدين، والولاية تعني حُبَّ الأئمَّةِ والاعترافَ بإمامتهم، كما سيتبيِّن ذلك فيما بعد.

فقد ذكر الكليني عن أبي حمزة عن أبي جعفر قال: بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ، الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصَّومِ والحَجِّ والوُلايَةِ، ولم يُنادِ بشيءٍ كمَا نُوْدِيَ بالولايَةِ[٢]، فمَنْ أسقطَ ركنَ الولايَةِ لم يكُنْ مُسْلمًا، بل لا يكون له حقُّ ولايَةِ الدِّيْنِ والأُخُوَّةِ فيه، أمَّا المؤمنون الذين يستحقُّون المُوَالَاةَ فهم الذين يعترفون بإمامَةِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد رسول الله ﷺ بلا فصلٍ، والاعترافُ بإمامته وذريته من نَسْلِ فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فمَنْ لم يعتقِدْ ذلك فَلا وَلَاءَ لَهُ.

يقول أبو القاسم الخوئي إجابةً عن سُؤَالٍ وُجِّهَ لَهُ: «ما هو نظركم حول حقيقة الحُبِّ والتَّولِّي للنَّبيِّ وآلِه الطَّاهرين عليهم السلام؟ قال الميرزا: التَّولِّي هو قبولُ ولايَةِ الأئمَّةِ –عليهم السلام– وأَنَّ لهم مَنَاصِبَ النبي الأكرم ﷺ بعده، منصبُ الزَّعامة على المسلمين، وكونهم أوصياءه ﷺ في إبلاغ أحكام الشريعة»[٣].

---

(١) راجع السابق ص ٣٧١.

(٢) راجع: الكافي، الكليني، جـ ٢ ص ١٨.

(٣) راجع: صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات، أبو القاسم الخوئي، جـ ٣ ص ٤٥٢، ط: =

إذن: التَّولِّي عندهم هو قبولُ ولايَةِ الأئمَّةِ، والمُستحِقُّ للوَلاءِ هو المُعترِفُ بهذا، ومَنْ لم يَعْترفْ فلا مُوَالَاةَ لَهُ.

إذ إنَّ اعتقاد إمامةِ الأئمَّةِ يُعبِّرُ عن مفهومِ الإيمَانِ، فمُصطلحُ الإيمانِ يعني: الإسلامُ مع الإقرارِ بالولايَةِ للأئمَّةِ الاثني عشر؛ مع حَصْرِ الإمَامَةِ فيهم. وهذا ما عبَّرتْ عنه أقلامُ علمائهم. يذكر يوسف البحراني أنَّ: «الإيمَانَ عبارةٌ عن الإسْلامِ مَعَ اعتقَادِ إمَامَةِ الأئمَّةِ الاثني عشر»[1].

ويقولُ محمد بن جمال الدين مكي العاملي الملقب بالشهيد الثاني -في زعمهم-: «والمُرادُ بالإيمانِ معناه الأخصُّ، وهو الإسلامُ والولايةُ للأئمَّةِ الاثني عشر»[2]، فهذه الأقوالُ -وغيرها- تُؤكِّدُ أنَّ المُرَادَ بالإيمَانِ هُوَ الإسْلامُ مَع الإقرارِ بولايَةِ -أي إمَامَة- الأئمَّةِ وحُبِّهم، وبالتَّالي فإنَّ المؤمِنَ المُسْتحِقَّ للوَلاءِ هو المُعْتَرِفُ بولَايَةِ الأئمَّةِ. وهذا الحُكْمُ هو ما نلحظُهُ من قول أحدِ عُلمائهم وهو محمد بن علي الموسوي العاملي: «المُؤمنُ هو المُسْلمُ الذي يعتقدُ إمامَةَ الأئمَّةِ الاثني عشر»[3].

=

مكتبة الفقيه – الكويت ١٩٩٦ م.

(١) راجع: الحدائق الناضرة، يوسف البحراني، جـ ١٢ ص ٢٠٣، ط: مؤسسة النشر بقم – إيران.

(٢) راجع: مسالك الأفهام، محمد بن جمال الدين مكي العاملي، جـ ١ ص ٤٢١، ط: ١، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٣هـ.

(٣) راجع: مدارك الأحكام. محمد بن على الموسوي العاملي جـ ٢ ص ١٥٠،ط: ١، مطبعة أمير بقم ١٤١٠هـ.

ويُؤَكِّدُ هذا المَعْنَى أيضًا أبو القاسم الخوئي إذ يقولُ: «المُرَادُ من المؤمن هنا مَنْ آمَنَ بالله وبرسوله وبالمَعَادِ وبالأئمَّةِ –عليهم السلام– أَوَّلُهُمْ عليٌّ بن أبي طالب وآخِرُهُم القائمُ الحُجَّةُ المُنْتَظَرُ»(١).

وبهذا لا يكونُ مُؤمنًا مَنْ لم يعتقدْ بولايةِ الأئمَّةِ والولاءِ لهُمْ. وبالتَّالي لا نَجاةَ لِمَنْ لمْ يُؤْمِنْ بهَذَا المُعْتَقَدِ، وتُحْبَطُ أعمالُهُ التي عملها في الدنيا. وينسبون إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «ما بالُ أقوامٍ إذا ذُكِرَ عندهم آلُ إبراهيمَ فرحُوا واستبشَرُوا، وإذا ذُكِرَ عندهم آلُ مُحمَّدٍ –عليهم السَّلامُ–اشمأزَّتْ قلوبُهُمْ؟! والَّذِي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لو أَنَّ عبدًا جاءَ يومَ القيامَةِ بعملِ سبعين نبيًّا ما قَبِلَ اللهُ ذلك منه حتَّى يلقَاهُ بِولايَتِي وولَايَةِ أهْلِ بيتِي»(٢).

إلى هذا الحَدِّ كان الإيمانُ إمامَةَ الأئمَّةِ والولاءَ لهم، فهو شَرْطُ الإيمانِ، وشرطُ قبولِ العملِ. ومن غلوهم في الولاء لأئمتهم، أنَّهم يرفعونهم فوق مكانة الملائكة والأنبياء، يقول حسين نجيب عن الخميني: «فإنَّ للإمام مقامًا محمودًا، ودرجةً ساميةً، وخِلافَةً تكوينيَّةً تخضعُ لولايتها وسيطرتها جميعُ ذرَّاتِ هذا الكَوْنِ، وإنَّ مِنْ ضروريَّاتِ مذهبِنَا أنَّ لأئمَتِنَا مقامًا لا يبلغُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ»(٣).

---

(١) راجع: مصباح الفقاهة، أبو القاسم الخوئي، جـ١ ص ٣٢٣، ط: ١، ط دار الهادي – بيروت.

(٢) راجع: أهل البيت في الكتاب والسنة، محمد الرّي شهري، ص ٣٧٦. لكن هذا الحديث المذكور لا أصل له في كتب الحديث المعتمدة.

(٣) راجع: بحوث في الإمامة والولاية، حسين نجيب محمد، ص ١١١.

إنَّ عقيدة الاثني عشرية هي الولاءُ للأئمَّةِ، وأنَّ أمرَهُمْ ونهيَهُم شرعٌ، ووليُّهم هو وليُّ الله، وعدُوُّهُم هو عدُو الله، يُؤكِّدُ ذلك أحدُ مُفكريهم بقولِهِ: «ونعتقدُ أنَّ الأئمَّةَ هم أولُو الأمرِ، الَّذين أمرَ الله بطاعتهم، أمرُهُمْ أَمْرُ الله، ونهيُهم نهيُهُ، وطاعَتُهُم طَاعَتُهُ، ومعصيَتُهُمْ معصيتُهُ، ووليُّهم وليُّهُ، وعدُوّهم عدوُّه، ولا يجوزُ الرَّدُّ عليهم، والرَّادُّ عليهم كالرَّادِّ على الرَّسولِ، والرَّادُّ على الرَّسُولِ كالرَّادِّ على اللهِ، فيجبُ التَّسليمُ لهم، والانقيادُ لأمرهم والأخذُ بقولهم»(١).

بناءً على ما تقدَّمَ يظهرُ لنَا أنَّ الوَلَاءَ عندَ الشِّيعَةِ الإمامية الاثنَي عشرية، ينصرف إلى عليٍّ ثُمَّ لنسله ثُمَّ للأئمَّةِ ثُمَّ للمذهبِ الشِّيعيِّ وعقائِدِه، وأتباعِه المؤمنين به الذين يعتقدون بإمامة الأئمة، ولا ينطبقُ الإيمانُ إلا على مَنْ أقرَّ بذلك، لذا لا يكون الولاء إلا له.

إذا كان هذا هو ولاؤهم لأئمتهم، فقد طال زمن غيبة الإمام الثاني عشر المنتظر، فكان لا بُدَّ مِنْ حلٍّ لهذه المُشكلَةِ فيمَنْ ينوبُ عنه، فكان الحلُّ في وجود الولي الفقيه الذي ينوب عن الإمام المنتظر، وتكونُ له الصَّلاحيَّاتُ المُطلقَةُ، ولمَّا رأى الشِّيعةُ أنَّهُ لا يوجدُ مَنْ يقومُ مقامَ الإمَامِ المَعْصُوْمِ اضطرُّوا إلى القولِ بولايَةِ الفَقِيْهِ، ثم عمَّمُوا هذه الولايَةَ، وفي عصرنَا الحَاضِرِ أخرجَ الخميني هذه النَّظريَّةَ من حَيِّزِ التَّنْظيرِ إلى مَجَالِ التَّطبيقِ،

---

(١) راجع: عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر ص ١٠٦، ١٠٧، ط: منشورات مكتبة الأمين، ومطبعة النعمان بالنجف، ١٣٨٨هـ.

حيث قال بنيابة الفقيه عن الإمام المعصوم.

من هنا أعطت الاثنَا عشرية للولي الفقيه النائب عن الإمام المنتظر ما للإمام من الخصائص والولاء الذي كان له، أي أنَّ الإفراطَ في معاملة أئمتهم مازال موجودًا إلى الآن، وتبعًا لذلك فله من الولاء المُطلق، وولاية أوليائه وعداوة أعدائه مثلما كان للأئمة في حياتهم.

يقول الزنجاني: «والمجتهدُ الجامعُ للشَّرائِطِ هو نائبٌ للإمَامِ في حالِ غيبتِهِ، وهو الحاكمُ والرَّئيسُ المُطلقُ، له ما للإمَامِ في الفَصْلِ في القَضَايَا والحكومَةِ بينَ النَّاسِ، والرَّادُّ عليه رادٌّ على الإمَامِ، والرَّادُّ على الإمامِ رادٌّ على اللهِ، وهو - أي الرَّادُّ على نائبِ الإمامِ - على حَدِّ الشِّرْكِ بالله»[1].

هكذا جعلت الاثنَا عشرية الإمامة والولاء للإمام أصلًا من أصول الدين، قاستها على النُّبوة، وحصرت في الإمام أُمُورَ الدِّينِ والدُّنيا، ثُمَّ تسلسل الاثنَا عشرية بأئمتهم حتى الثاني عشر، فلمَّا غابَ أحلُّوا مُجتهديهم محلَّه في النِّيابَةِ عنه، ومنحَوهم سلطة الإمام، فجعلوا لهم الولاية العامة في الدين والدنيا، حتى لقد جعلوا الرَّادَّ على المُجْتهدِ أو الوليِّ الفقيهِ رادًّا على الإمَامِ، رادًّا على الله، أي: مشركًا باللهِ، وهُمْ في هَذَا مُتَّسِقُونَ تمامًا مع العقيدَةِ التي تجعلُ الإمامَةَ دينًا، وأصلًا من أهمِّ أصُوْلِ الدِّينِ[2].

---

(١) راجع: عقائد الإمامية الاثنَي عشرية، الزنجاني، ص ١٠٩، ط: ٣ بيروت، ١٩٧٣م.

(٢) راجع: تيارات الفكر الإسلامي، د. محمد عمارة، دار الشروق، ط: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٢١١.

وهكذا تأكَّد تمامًا أنَّ ولاءَ الشِّيعَةِ ينصرفُ للأئمَّةِ ثُمَّ لمَنْ ينوبُ عنهم، والولاء لمعتقدات المذهب الاثنَي عشري، فلننظر إذًا ممَّنْ يتبرَّأونَ لِيَتَأَكَّدَ ما قرَّرْنَاهُ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

البَرَاءُ عِنْدَ الرَّافِضَةِ الاثنَي عَشْرِيَّةِ

أشير من قبل إلى مَسْأَلَةِ الوَلَاءِ عِنْدَ الشِّيعَةِ الاثنَي عشرية، وكيف تحدَّدَ موقفُهُمْ فيمَنْ يتوجَّهُ إليهم بالوَلاءِ. وفي الصَّفحَاتِ القادِمَةِ سيكونُ الحديثُ عن مسألَةِ البَرَاءِ عندهم، إِذْ لا وَلاءَ إلا ببراءٍ، وهَذَا أصلٌ يسيرُونَ عليه في أحْكَامِهِمْ.

ومسألةُ البراءةِ من المَبَادِئِ الرَّئيسَةِ في الكَيَانِ الفكري والعقدي عند الإماميَّةِ الاثنَي عشرية، وهي أصلٌ من الأُصُولِ المُهِمَّةِ في بنيَةِ المَذْهَبِ، وتحظَى باهتمامٍ كبيرٍ في نصوصهم واعتقاداتهم، إذ عدُّوها من ضروريات المذهب التي لا يُستغنَى عنها مُطلقًا، فمَنْ لم يعتقدْ البراءة ممَّنْ يُتبرَّأُ منهم في مذهبهم؛ فليسَ منهم، فهي من ضروريات المذهب، بل هي من الأمور تعد فاصلًا بينهم وبين باقي الفرق الإسلامية من أهل السنة، وتتحدد عقيدة البراء عندهم في موقفهم من الفئات الآتية التي هي نماذج تطبيقية:

❑ أوَّلاً: مَوْقِفُهُمْ مِنْ الصَّحَابَةِ عَامَّةً:

يقف الشيعة الاثنَا عشرية من أصحاب النبي ﷺ موقف البراءة والعداوة والبغضاء، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة التي تزخر بها

كتبهم القديمة والحديثة، فمن ذلك اعتقادهم كفر الصحابة وردتهم إلا نفرًا يسيرًا منهم، والدليل على ذلك ما جاء مصرحًا به في بعض الروايات الواردة في أوثق كتبهم.

فقد روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال: «كانت الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ قال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم»(١).

وجاء في رجال الكشي: «ارتدَّ الناس إلا ثلاثة نفرٍ: سلمان، وأبو ذر، والمقداد»(٢). ومن ثم تبرَّأوا من صحابة رسول الله عامة إلا النادر منهم، والرِّدَّةُ والتَّكفيرُ تُوجبُ البراءة؛ لأنَّ الكَافِرَ تَجِبُ البَرَاءَةَ مِنْهُ شَرْعًا.

❑ ثانيًا: موقفهم من أكابر الصحابة وأمهات المؤمنين:

لقد خصَّ الاثنا عشرية أكابر الصحابة بالتكفير والبراءة منهم، واعتقدوا أنهم شر خلق الله، وأن الإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بالتبرؤ منهم، وخاصة الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان وأمهات المؤمنين.

يقول محمد باقر المجلسي: «وعقيدتنا الإمامية الاثنا عشرية -في التبرؤ-: أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، والنساء الأربع: عائشة، وحفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أشياعهم

---

(١) راجع: الروضة من الكافي، للكليني، جـ٨ ص ٢٤٥.

(٢) راجع: معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين المعروف برجال الكشي، محمد بن عمر الكشي، ص١١، مؤسسة النشر، جامعة مشهد، ١٣٤٨هـ.

وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم»[١].

وهذا يدلُّ على براءتهم من جميع أهل السنة، وجميع من أحبَّ أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وأمهات المؤمنين، وجعلوا ذلك من أركان الإيمان - حسب عقيدتهم-، وهذا التكفير والبراء واللعن للخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين من أصول مذهبهم ومن ضروريات عقيدتهم، يقول محمد باقر المجلسي: «من ضروريات دين الإمامية: البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية»،[٢]

هكذا أضحى الأمر بينًا لا خفاء فيه عندهم في التكفير والتبرؤ من أكابر الصحابة، وحجتهم في ذلك أن هؤلاء الصحابة خالفوا النص في إمامة علي بعد رسول الله ﷺ، يذكر ذلك أحدهم بقوله: «الإمامية قالوا بالنص الجلي على إمامة عليّ، وكفروا الصحابة ووقعوا فيهم، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق، وبعده لأولاده المعصومين – عليهم السلام –، ومؤلف هذا الكتاب – يقصد نفسه – من هذه الفرقة، وهي الناجية»[٣].

وقد بلغ من تطاول هؤلاء على صحابة رسول الله أنهم جعلوا البراءة منهم عبادة يتعبدون بها لله تعالى، وقربة يتقربون بها إلى الله تعالى، ويوجد

---

(١) راجع: الاعتقادات، محمد باقر المجلسي، ط: ١ دار الهداية، ١٩٩٣م، ص ٨٩.

(٢) راجع: الاعتقادات، محمد باقر المجلسي، ص ٩٠.

(٣) انظر: الأنوار النعمانية، نعمة الله الجزائري، جـ٢ص٢٤٤،منشورات الأعلمي– بيروت.

العديد من النصوص في كتبهم تدلُّ على ذلك.

يقول الحرُّ العاملي: «مَنْ تبرَّأ منهم – يقصد أبا بكر وعمر وعثمان – ومات في ليلته دخل الجنة»[١]. فجعل التَّبرُّؤَ مِنْ هؤلاء الصَّحابةِ قُربةً إذا فعلها الإنسانُ وماتَ في ليلته دخلَ الجنَّةَ، بل وصل الأمرُ بهم إلى أنَّهم جعلوا لَعْنَ أبي بكر وعمر عبادَةً تُقَالُ عَقِبَ الصَّلواتِ، ولهم دعاءٌ فيه لعنٌ لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ولمَنْ يلوذُ بهما وهذا جزءٌ منه: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلِّ على محمَّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ، اللهُمَّ العَنْ صنمَيّ قريشَ، وجبتهما، وطاغوتهما، وإفكهما، وابنتيهما»[٢].

والذي يُؤكِّدُ أنَّ الإمامية الاثنَي عشرية تتقرَّبُ إلى الله بالبراءة من الشيخين، وأنَّ الإنسان –حسب زعمهم– يُؤجرُ من الله بثواب جزيل إذا لعنهما وتبرَّأ منهما ما ذكره المجلسي بقوله: «الأخبارُ الدَّالَّةُ على كُفْرِ أبي بكر وعمر وأضرابهما، وثواب لعنهم، والبراءة منهم، وما يتضمَّن بدعهم أكثر من أن يذكر في هذا المجلد، أو في مجلدات شتى»[٣].

وغنيٌّ عن البيانِ – كما سبق – أنَّ علماءهم يدعون الناس إلى التبرُّؤ من

---

(١) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي، جـ٢ ص١٠٣٧، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٣هـ.

(٢) راجع: إحقاق الحق، للمرعشي، جـ١ ص ٩٧.

(٣) راجع: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، جـ٣ ص ٣٩٩، ط: ٣ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٣هـ.

أكابرِ الصَّحابَةِ، وقد أشار المجلسي هنا إلى وجوبِ البَرَاءَةِ من الشَّيخين لثبوت كفرهما –معاذ الله–، ويسوق بعض علمائهم من الأدلة ما يؤكد زعمهم، وهذه الأدلة تدور حول تأويل بعض آيات القرآن حتى تتفق مع مشربهم، ونذكر بعض النماذج التي يسوقونها لتدل على مزاعمهم:

١ – يفسرون الفحشاء والمنكر والبغي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] فيقولون: المرادُ النَّهي عن أبي بكر وعمر وعثمان. فقد ذكر العياشي في تفسيره لهذه الآية قوله: «روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: وينهى عن الفحشاء الأول، والمنكر الثاني، والبغي الثالث»(١)؛ يعني: أبا بكر وعمر وعثمان.

٢ – يفسرون قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] بأن المراد بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ هما أبو بكر وعمر(٢).

٣ –ويؤولون ما ورد في القرآن الكريم عن الذين كفروا ثم آمنوا ثم كفروا بأبي بكر وعمر وعثمان، فقد نسب الكليني إلى أبي عبد الله –يقصد جعفر الصادق– في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ

---

(١) راجع: تفسير العياشي، محمد بن سعود العياشي، جـ٢ ص٢٨٩، تصحيح وتعليق هاشم المحلاتي– المكتبة العلمية – طهران.

(٢) راجع: المصدر السابق، جـ١ ص ٢٧٣.

ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴾ [النساء: ١٣٧] أنه قال: نزلت في فلان وفلان وفلان [أي أبي بكر وعمر وعثمان] آمنوا بالنبي ﷺ في أول الأمر، وكفروا حين عرضت عليهم الولاية، إذ قال النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، ثم كفروا حين مضى رسول الله ﷺ، فلم يُقرُّوا بالبيعَةِ ثُمَّ ازدَادُوا كُفْرًا، فهؤلاء لم يبقَ منهم من الإيمان شيءٌ»[1].

يأخذُ علمَاءُ الشِّيعَةِ الآياتِ التي نزلتْ في شأنِ الكافرين، وأهل الكتاب والمنافقين ويحملونها على أصحاب رسول الله وينعتون بها صاحبي رسول الله ﷺ ووزيرَيه، وصهرَيه، وخليفتَيه هكذا جزافًا، لا دليل لهم سوى الهوى ومرض نفوسهم، وسواد قلوبهم، وضلال عقولهم، ولم يثبتْ أنَّ أحدًا من أصحاب رسول الله فسَّرَ هذه الآيات بهذا التفسير.

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٥]، قال القمي في تفسيره: «الكافر: الثاني -يعني عمر بن الخطاب- كان على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ظهيرًا»[2]، فهذا تحريف لمعنى الرَّبِّ في القرآن إلى معنى الإمام عليّ والكافر هو عمر بن الخطاب، ومَنْ أراد المزيد من تأويلاتهم المنحرفة لآيات القرآن الكريم، وتعسّفاتهم الضالة يرجع إلى كتب

---

(١) راجع: الأصول من الكافي. الكليني جـ ١ ص ٤٢٠.

(٢) راجع: تفسير القمي. علي بن إبراهيم القمي جـ ٢ ص ١١٥، ط: ٣ مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر – قم – إيران ١٤٠٤هـ.

التفسير المعتمدة عندهم كتفسير القمي، والعياشي وغيرهما، وإلى كتب الحديث الخاصة بهم كالكافي للكليني، والبحار للمجلسي؛ ليكتشف الجهل الفاضح بكتاب الله، ومدى تكفيرهم لصحابة رسول الله لا سيما أبا بكر وعمر عثمان ومعاوية وأمهات المؤمنين، رضوان الله عليهم.

ويقرر (الصَّدوق) رأي الشيعة الإمامية الاثني عشرية في براءتها من الشيخين والعديد من أكابر الصحابة فيقول في باب الاعتقاد في الظالمين: «اعتقادنا فيهم أنَّهم ملعونين، والبراءةُ منهم واجبة»[(١)].

- وعن براءتهم من عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول الكركي: «إنَّ مَنْ لم يجدْ في قلبه عداوة لعثمان، ولم يستحلْ عرضه، ولم يعتقد كفره، فهو عدوٌ لله ولرسوله، كافر بما أنزل الله»[(٢)].

- وأمَّا عن براءتهم وتكفيرهم لكل من قاتل عليّاً يقول المفيد: «اتَّفقَ الإمامية على تكفير الذين قاتلوا عليّا...ووصفهم بالنَّاكثين والقاسطين، والكفار، والضَّلال الملعونين المخلدين في النار»[(٣)].

- أيضًا أخذت زوجات النبي الأطهار نصيبًا وافرًا من قبل الشيعة الاثني عشرية من اللعن والبراءة. يقول أحدهم: «عائشة وحفصة مثل أبويهما كانتا

(١) راجع: الاعتقادات. محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الملقب بـ الصدوق ص ١١٢، ط: مركز نشر الكتاب – إيران ١٣٧٠هـ.

(٢) راجع: نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت، الكركي، ص ١٤٠.

(٣) راجع: أوائل المقالات، المفيد، ص٤٥.

موجودات خبيثة وسببتا كثيرًا من الفتن، والتي من جملتها إعطاء السم لرسول الله ﷺ.... وعندما نقف أمام هذه النتيجة لا بدّ لنا من بغض هاتين الخبيثتين ولعنهما»[١]. والله إن هذا إلا اختلاق! فلم يثبت في أي مصدر سوى هذه الكتب الاثني عشرية شيئًا من هذه الافتراءات والأكاذيب على أُمَّهات المؤمنين.

هذا ويحكم بعض علماء الاثنَي عشرية على السيدة الطاهرة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالكُفْرِ والرِّدَّةِ بعد رسول الله ﷺ، يقول يوسف البحراني عن السيدة عائشة: «إنَّها ارتدَّتْ بعد موت النبي ﷺ كما ارتدَّ الجَمُّ الغفيرُ المجزوم بإيمانهم سابقًا.... وأنَّها مُسْتحقَّةٌ للنَّارِ واللَّعْنِ والعَذَابِ، وأنَّ ذلك من مُستلزم مذهَبِ الشِّيعَةِ وأحقيَّةِ أئمتهم الاثنَي عشر»[٢].

فهو بذلك يُبيِّنُ موقف الاثني عشرية من السيدة عائشة، وهو الحكمُ عليها بالكُفْرِ، وبالتَّالي التَّبرُّؤ منها، وذلك لأنَّها والتْ الخُلفَاءَ بعدَ رَسُولِ اللهِ، يقول الشيرازي: «وممَّا يدلُّ على إمامة أئمتنا الاثنَي عشرية أنَّ عائشَةَ كافِرَةٌ مُستحقَّةٌ للنَّارِ، وهو مُستلزمٌ لحقيقَةِ مذهَبِنَا، وحقيقةِ أئمتِنَا الاثني عشر؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ قال بخلافة الثلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان) اعتقد إيمانها، وتعظيمها، وتكريمها، وكلَّ مَنْ قال بإمامَةِ الاثنَي عشر قال باستحقاقها

---

(١) المرجع السابق.

(٢) راجع: الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب، يوسف البحراني، ص٢٣٦، تحقيق: مهدي الرجائي، ط ١ قم – إيران، ١٤١٩هـ.

اللَّعْنَ والعَذَابَ»[١].

إذن: عائشة بين فريقين؛ فريق أعطاها مكانتها كما أمرنا الله ورسوله، ووالاها، وهي أم المؤمنين وزوج رسول الله، وأقرب زوجاته إليه، وفريق جعل من مستلزمات مذهبه وعقائده لعنها والحكم عليها بالكفر والردة واستحقاقها دخول النار يوم القيامة والتبرُّؤ منها. وهناك العديد من الروايات التي تقرر تكفير عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتثبت براءة الاثنَي عشرية منها، ولكن يعفُّ القلمُ عن ذكرها، وقد اكتفيتُ بما أشرتُ إليه؛ باعتبارها أمثلة تدلُّ على ما تُكنُّه نفوسُهم البَغيضَةُ وقلوبُهُمْ الحَاقِدَةُ.

وخلاصة القول في هذا أنَّ الشِّيعَةَ الإماميَّةَ الاثنَي عشرية ترفضُ إمامَةَ مَنْ تقدَّمَ على عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتُقرِّرُ كُفْرَ كُلِّ مَنْ تقدَّمَهُ؛ لأنَّهُمْ خالَفُوا النَّصَّ مِنْ القُرْآنِ والوَصيَّةَ من رسول الله بإمَامَةِ عليّ، ومِنْ ثَمَّ فقد ارتدُّوا بعدَ الرَّسُولِ، لذا تجِبُ البرَاءَةُ منهم، من أجل ذلك تبرَّأَتْ الإماميَّةُ الاثنا عشرية من أكَابِرِ الصَّحَابَةِ، وكذَا من كُلِّ مَنْ اختلفَ مع عليٍّ مِنْ الصَّحَابَةِ أو قاتله فلهم اللَّعْنَةُ والتَّكفيرُ والبرَاءَةُ أيضًا، وكانَ نصيبُ أُمَّهَاتِ المؤمنين اللَّعْنَ والبَرَاءَةَ مِنْ قِبَلِ الاثنَي عشريَّةِ.

بَقِيَ أَنْ نُبيِّنَ براءتهم من عامَّةِ المسلمين المُخالفين لهم في الرَّأْيِ.

---

(١) راجع: الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي النجفي القمي، ص٦١٥، ٦١٦، تحقيق: مهدي رجائي، ط: ١، مطبعة الأمير ١٤١٨هـ.

❑ ثالثًا: البَراءُ مِنْ المُخَالِفِيْنَ:

للشِّيعَةِ الإماميَّةِ الاثنَي عشرية مبادئُ وعقائدُ يقومُ عليها مذهبُهُم. هذه المبادئ، وتلك العقائد مَنْ لم يتبنَّها لم يكُنْ من مذهبهم، وليس بمُؤمنٍ حَسْبَمَا يعتقدُونَ، ومِنْ ثَمَّ يجبُ التَّبرُّؤُ مِنْهُ.

وأهم مبادئ مذهبهم: (الإمامةُ، والبراءَةُ من الصَّحَابَةِ)، وعلى هذا فهم يتبرَّأُونَ مِنْ جميعِ فِرَقِ المسلمين من أهل السنة والزيدية من الشِّيعَةِ، ويتبرَّأُونَ مِنْ آلِ البَيْتِ أَنْفُسِهِمْ. وسيكونُ التنويه في السطور القادمة على براءة الاثنَي عشرية من مُخالفيهم في عقيدتي (الإمامة، والطَّعنِ في أكابرِ الصَّحابَةِ)، وهاتان العقيدتان مَنْ لم يعتقِدْ مُعتقدهم فيهما استحقَّ أنْ يُعَامَلَ مُعَامَلَةَ البَرَاءَةِ، إذ هو -من وجهة نظرهم- قد خرج من الإيمانِ.

١- الإِمَامَـةُ:

إنَّ مكانَةَ الإمامَةِ عندَ الاثنَي عشرية مكانَةٌ عاليَةٌ، إِذْ يعدُّونَهَا من العَقَائِدِ التي لا يتمُّ الدِّينُ إلا بِها، والاعتقادُ بالإِمَامَةِ معناه أنَّ ولايَةَ الإمامِ عليٍّ بالخلافَةِ بعدَ رَسُولِ الله بلا فَصْلٍ قد جاءَتْ بنصٍّ ووصيَّةٍ، وكذا كُلُّ الأئمَةِ الاثنَي عشرَ، والإمامُ الثَّاني عشر قد غَابَ، ولكن أخذ صفاته نائبُ الإِمَامِ، بحسب نظرية (ولايةُ الفَقِيْهِ)، فلكُلِّ إمامٍ -بزعمهم- صِلةٌ بالله فيأخُذُ عِلْمَهُ مِنْ اللهِ عَنْ طريقِ الوَحْيِ والإلهَامِ، وله من العِصْمَةِ مَا للأنبياءِ، ومَنْ خَالَفَ هَذَا الاعتقادَ تجبُ البَرَاءَةُ مِنْهُ؛ لأَنَّهُ حينئذٍ يُصبحُ كافرًا من وجهة نظرهم، يقول محمد باقر المجلسي: «ولا ريبَ في أنَّ الوُلايَةَ والاعتقادَ بإمامَةِ الأئمَّةِ

عليهم السَّلام، والإذعانَ لهم مِنْ جُمْلَةِ أُصُولِ الدِينِ»،[١]

ويقول محمد رضا المظفر وهو من مُنظِّري المذهَبِ عندهم: «نعتقدُ أنَّ الإمامَةَ أصلٌ من أُصُولِ الدِّينِ، لا يتمُّ الإيمَانُ إلا بالاعتقادِ بِهَا»[٢].

ومكانة الإمام عندهم كالنبي، والإمامة كالنبوة؛ لها ما للنبوة من خصائص واصطفاء، والاعتقاد بوجوب طاعة الإمام هو ما نراه واضحًا في كلام علمائهم، كالاعتقاد بوجوب طاعة النبي، يقول المظفر: «نعتقدُ أنَّ الإمامَةَ كالنُّبُوَّةِ لُطْفٌ من الله تعالى... لا يجوزُ أَنْ يَخْلُوَ عَصْرٌ مِنْ العُصُورِ مِنْ إمامٍ مفروضِ الطَّاعَةِ منصوبٍ من الله تعالى... سواءً كان حاضرًا أم غائبًا عن أعينِ النَّاسِ»[٣]. هذا الاعتقاد كفيلٌ بأنْ يجعلَ الإمامَةَ هي الحُكْمَ على إيمانِ الرَّجُلِ أو كُفْرِه، وأنْ يجعلَ المُسْلِمَ مُعَرَّضًا للاتِّهَامِ بالكُفْرِ لِمُجَرَّدِ اختلافه مع الشيعة الإمامية في عقيدة الإمامة التي يعتقدونها، ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يُصَرِّحُونَ بهذه الحقيقة المُرَّةِ.

يقولُ ابن بابويه القمي الملقب بالصدوق: «واعتقادنا فيمَنْ جَحَدَ إمامَةَ أميرِ المؤمنين عليّ بن أبي طالب، والأئمة من بعده عليهم السلام، أَنَّهُ كمَنْ جَحَدَ نُبُوَّةَ جميعِ الأنبياء، واعتقادنا فيمَنْ أقرَّ بأمير المؤمنين، وأنكر واحدًا

---

(١) راجع: مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، جـ ٧ ص ١٠٢، دار الكتب الإسلامية – طهران ١٤٠٤هـ

(٢) انظر: عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، ص ١٠٢.

(٣) راجع: عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، ص ١٠٢، ١٠٣.

مِنْ بعده من الأئمة أَنَّهُ بمنزلَةِ مَنْ أَقرَّ جميع الأنبياء، وأنكر نبوة محمد ﷺ»(١).

فمناطُ الحُكْمِ على الإيمَانِ والكُفْرِ هوَ الاعتقادُ في الأئمة كالاعتقاد في الأنبياء؛ من الإيمان بهم والإيمان بنبوتهم هذا للأنبياء، وبإمامتهم هذا للأئمة. بل جعلوا الإيمان بإمامة الأئمة كالإيمان بالله وبرسوله، والكفر بهم كالكفر بالله ورسوله.

يقول يوسف البحراني: «وليت شعري أيُّ فرقٍ بين مَنْ كَفَرَ بالله سبحانه وتعالى ورسوله، وبين مَنْ كَفَرَ بالأئمَّةِ -عليهم السلام- مع ثُبُوتِ كونِ الإمامَةَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ»(٢).

ويقولُ المجلسي: «اعلم أنَّ لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وفضّل عليهم غيرهم»(٣)، هذا، وينسبُون أصل هذا الاعتقاد إلى حديثٍ مكذوبٍ على رسول الله ﷺ، إذ ينسبُ مُحدِّثُهُم الملقَّبُ بالصَّدوقِ إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «الأئمةُ من بعدي اثنا عشر، أوَّلُهم أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم

---

(١) راجع: الاعتقادات، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالصدوق، ص ١٠٣، ط: مركز نشر الكتاب – إيران، ١٣٧٠هـ.

(٢) راجع: الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، يوسف البحراني، جـ ١٨ ص ١٥٣، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي – قم – إيران.

(٣) راجع: بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، جـ ٢٣ ص ٣٩٠.

القائِمُ، طاعَتُهم طاعَتِي، ومعصيتُهُم معصيتِي، مَنْ أنكرَ واحدًا منهم فقد أنكرني»[(١)].

وعليه فإنَّ من أنكر واحدًا من الأئمة الاثنَي عشر فهو كافرٌ مُستحقٌّ للبَرَاءَةِ؛ لِمُخالفته النَّصَّ السَّابِقَ، واستدلُّوا أيضًا بمقالٍ منسوبٍ إلى جعفر الصَّادقِ أنَّهُ قال: «المُنْكِرُ لآخرِنَا كالمُنكرِ لأولنا»[(٢)].

وينقل شيخهم المفيد اتِّفاقهم على هذا المذهبِ وعلى تكفيرِ مَنْ خالفَ اعتقادهم في الأئمةِ فيقولُ: «اتَّفقتْ الإماميَّةُ على أنَّ مَنْ أنكرَ إمامَةَ أحدٍ من الأئمَّةِ، وجحَدَ ما أوجبه الله تعالى لهُ مِنْ فرضِ الطَّاعَةِ فهو كافرٌ ضالٌّ مُستحقٌّ للخلُودِ في النَّارِ»[(٣)].

يُؤخَذُ ممَّا سبق أنَّ الشِيعَةَ الإماميَّةَ الاثني عشريَّةَ مِنْ أهمِّ عقائدها أنَّ الإمامةَ صنوُ النُّبوَّةِ أو أعظمُ، وهي أصلٌ من أصُولِ الدِّينِ، ولهذا جاءَ حكمهم على مَنْ أنكرَ إمامَةَ واحدٍ من أئمتِهم الاثني عشر أنه كافرٌ يجبُ التبرُّؤُ منه ويخلدُ في النَّارِ.

وبما أنَّ جميع فئات المسلمين -ما عدا الاثنَي عشرية- يعتقدون خلافَ ذلك في مبدأ الإمامة، وأنَّها ليست داخلةً في العقائِدِ، فقد كان نصيبُهُم التَّكفيرَ والتَّبرُّؤَ من قِبلِ الاثنَي عشرية، فهم بذلك يتبرؤون من أغلب أمة الإسلام

(١) راجع: الاعتقادات، للقمي الملقب «بالصدوق» ص ١٠٣.

(٢) راجع: المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٣) راجع: المسائل، الشيخ المفيد، جـ٣ ص ٣٩١.

ويلقبونهم بالمُخالفين. ومَنْ قال برأيهم في مسألة الإمامة فهو المؤمنُ الذي يستحقُّ المُوالاةَ والأخوَّةَ. وهذه الأحكام ذكرت بأقلام علمائهم.

يقولُ محمد حسن النجفي وهو من شيوخهم: «وعلى كُلِّ حالٍ فقد ظهرَ اختصاصُ الحُرْمَةِ بالمؤمنين القائلين بإمامة الأئمة الاثنَي عشر دون غيرهم من الكافرين والمخالفين، ولو بإنكار واحد منهم عليهم السلام»(١).

ويُصرِّحُون بكُفرِ المُخالِفِ لهم في عقيدةِ الإمَامَةِ، ويُلحقونه بالمشركين، يقولُ محمد حسن النجفي: «الظَّاهرُ إلحاقُ المُخالفين بالمشركين في ذلك»(٢)؛ يقصدُ: المُخالفين لهم في مبدأ الإمامة.

ويُصرِّحُون بأنَّ المؤمن هو مَنْ اجتمع فيه الإسلامُ مع الإيمانِ بإمامة الأئمة. قال أبو القاسم الخوئي من علمائهم: «المؤمن هنا [يقصد: من وجهة نظرهم] مَنْ آمن بالله وبرسوله وبالمعاد وبالأئمة الاثنَي عشر (ع)، أولهم علي بن أبي طالب (ع)، وآخرهم القائم الحجة – عجَّل الله فرجه، وجعلنا من أعوانه وأنصاره- ومَنْ أنكر واحدًا منهم جازت غيبته لوجوه؛ أنه ثبت في الروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين [يقصد أهل السنة ومن عدا الاثنَي عشرية] ووجوب البراءة منهم، والإكثار من سبهم»(٣).

يُلاحظُ أنَّ المُخالِفَ لهم في الإمامة:

---

(١) راجع: جواهر الكلام، محمد حسن النجفي، جـ ٢٢ ص ٦٣.

(٢) المرجع نفسه، جـ ٢٢ ص ٦٣.

(٣) راجع: مصباح الفقاهة، أبو القاسم النجفي جـ ٢ ص ١١، دار الهادي – بيروت.

١ – لا يُسمَّى مؤمنًا بل مُخالِفًا.

٢ – يستحقُّ اللَّعْنَ والسَبَّ.

٣ – تجبُ البرَاءَةُ منه.

وتجدرُ الإشارةُ هنا إلى تعريفِ المُخالِفِ لهم الذي يستحقُّ التَّكفيرَ واللَّعْنَ والسَبَّ والبَرَاءَةَ والخُلُودَ في النَّارِ.

يعرف آيتهم العظمى الكبايكاني المخالف في إجابته عن معناه حين سئل عن سؤال: مَنْ هو المُخالفُ: هل هو من مخالف الشيعة في الإمامة؟ أو مَنْ خالف بعض الأئمة، ووقف على بعضهم؟ فيدخل في ذلك الزيدية وغيرهم؟ وهل حكم المخالف حكم الخارج والناصب والغالي أم لا؟ فأجاب بقوله: «المُخالفُ في لساننا يطلق على مُنْكِرِ خلافَةِ أميرِ المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بلا فصلٍ، وأمَّا الواقف على بعض الأئمة عليهم السلام فهو وإن كان معدودًا من فرق الشيعة إلا أنَّ أحكام الاثنَي عشرية لا تجري في حقِّه»(١).

وبعد النظر في إجابة السؤال السابق الوارد على لسان أئمتهم يمكن القول بأنَّ مصطلحَ المُخالِفِ يعني عند الإماميَّةِ الاثنَي عشرية كلَّ مَنْ عَدَاهُمْ مِنْ المسلمين، وتحديدًا أهل السنة الذين لا يعتقدون بوجوب إمامة الأئمة الاثنَي عشر، ولا يعتقدون أنَّها ركنٌ من أركان الدين، فالمُؤمنُ المُستحقُّ للولاء عندهم هو مَنْ اعتقد اعتقادهم في الإمامة، يقولُ محمد بن

(١) راجع: إرشاد السائل الكبايكاني، ص ١٩٩، رقم السؤال ٧٤٢.

علي الموسوي العاملي: «المؤمن هو المسلم الذي يعتقد إمامة الأئمة الاثنَي عشر»[١].

وخُلاصَةُ الأَمْرِ أَنَّ الإماميَّةَ الاثنَي عشرية ترى أنَّ المُخالِفَ لهم في مسألةِ الإمامة في أنَّها ركنٌ من أركانِ الدِّينِ، وأنَّها نَصٌّ ووصيَّةٌ من رسول الله لعليّ بن أبي طالب، وتسلسلت في اثني عشر إمامًا حتَّى وصل إلى الإمام الغائب المنتظر والذي يُنتظرُ رجعتُهُ، والاعتقاد في وجود خصائص الإمام في الولي الفقيه، نائب الإمام، ومَنْ لم يعتقدْ ذلك فقد خرج من دائرة الإيمانِ، واستحقَّ اللَّعنَ والبَرَاءَةَ منهم.

إذًا مَنْ يُخالفُ الشِّيعَةَ الاثني عشرية في مذهبهم في مسألة الإمامة يُعدُّ غيرَ مؤمنٍ، ويستحقُّ البراَءَةَ، فغير المؤمنِ، يقولون بكفرِهِ وإخراجِه من مِلَّةِ الإسلامِ؛ شأنُهُ شأنُ الكافِرِ باللهِ ورسولِهِ.

▢ رابعًا: موقفهم ممّنْ يترضّى عن الصَّحَابَةِ:

كما عدَّ الإمامية الاثنا عشرية المخالف لهم في مذهبهم في الإمامة داخلاً في دائرة البراءة والعداوة = أعطَوا الحكم نفسه لمَنْ خالفهم في مذهبهم في تكفير وردَّة ولعنِ الصَّحابَةِ. وقد مرَّ ذكرُ نتفٍ من أقوالهم في سبِّ ولعنِ وتكفيرِ الصَّحابَةِ، وبالتَّالِي البَرَاءة منهم على ألسنة علمائهم، وآياتهم،

---

(١) راجع: مدارك الأحكام في شرائع الإسلام، محمد بن علي الموسوي العاملي، جـ ٤ ص ١٥٠، ت مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بمشهد، ط: ١ مطبعة مهر بقم – إيران، ١٤١٠هـ

ومراجعهم الدينية، وليس من آحادهم.

وذُكِرَ أَنَّهم لم يُوالوا صحابَةَ رسول الله، بل تبرَّأوا منهم، واعتقدوا كفرهم، لا سيَّما أكابرَ الصَّحابَةِ أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وأمهات المؤمنين، فمَنْ لم يعتقدْ ذلك -من وجهة نظرهم- فهو مثلهم كافرٌ ضالٌّ تجبُ البراءَةُ منه، إذْ يُصْبِحُ حَسْبَ مصطلحهم كافرًا.

يقول آيتهم العظمى محمد سعيد الحكيم: «الظَّاهرُ أنَّ المُرَادَ بالعامَّةِ المُخالفون الذين يتولُّون الشَيخين، ويرون شرعية خلافتهما على اختلاف فرقهم»(١).

وكما أطلقت الاثنا عشرية على مَنْ تولى أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اسمَ المُخالِفِ، -وقد ذُكِرَ مِنْ قبل أنَّ المخالف تجب البراءة منه- فقد أطلقوا عليه اسم الناصب، قال حسين بن الشيخ محمد آل عصفور الدرازي البحراني الشيعي، وهو من شيوخهم: «على أنَّك قد عرفتَ سابقًا أنَّهُ ليسَ النَّاصِبُ إلا عبارة عن التَّقديمِ على عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ غيره»(٢). فالنَّاصِبُ عندهم يعني الذي يرى تقديمَ أحدٍ في الإمامة على عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو المرادف للفظِ المُخالف. قال يوسف البحراني: «فالناصبُ حينما أُطلقَ في الأخبَارِ وكلامِ القُدَمَاءِ فإنَّمَا يُرَادُ به المُخَالِفَ»(٣).

---

(١) راجع: المحكم في أصول الفقه، محمد سعيد الحكم، جـ٦ ص ١٩٤.

(٢) انظر: المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخرسانية، ص ١٥٧، ط: بيروت.

(٣) انظر: الحدائق الناضرة، يوسف البحراني، جـ١٨ ص ١٥٧.

فكُلُّ مَنْ تولَّى الشَّيخين، وأثبتَ إمامتهمَا، ولم يُكفِّرْهما يصبحْ كافرًا، ويُسمَّى ناصبًا ومُخالفًا للاثني عشرية، ومِنْ ثَمَّ يُطلقُ اسم المخالف عندهم على جميعِ أهلِ السُّنَّةِ، أو غيرِ الشِّيعي الاثني عشري، فهذه مسألةٌ يُكَفِّرُ فيها الشِّيعةُ الاثني عشرية عمومَ المسلمين.

وقد أورد أحدُ أهمِّ مراجِعِهم الدينية -وهو محمد باقر المجلسي- عددًا من الرُّوايَاتِ التي تُصَرِّحُ بكُفْرِ الشَيخين وكُفْرِ مَنْ تولَّاهُمَا؛ فقال: «عن علي الخراساني عن مولى لعلي بن الحسين قال: كنت معه في بعض خلواته فقلت: إنَّ عليك حقًّا ألا تُخبرني عن هذين الرجلين – عن أبي بكر وعمر – فقال: كافران، كافرٌ مَنْ أحبهُمَا»(١).

فهذه روايةٌ ينسبونها إلى آل البيت زورًا وبُهتانًا، يستدلون بها على تكفير الشيخين وتكفير عموم المسلمين؛ لأنَّ عُمُومَ المسلمين يُحبُّون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِحُبِّ رسول الله لهما، بل ولحبِّ الله لهما، إذ أوحى إلى نبيه ليبشرهم بالجنَّةِ.

وينسبون إلى آل البيت أنهم أوصوا بالتبرؤ من أبي بكر وعمر فقال أبو علي الأصفهاني: «أهل البيت -عليهم السلام- إضافة إلى لعنهم الأعداء، خُصُوصًا أبا بكر وعمر، أمروا محبيهم وشيعتهم بالتبري منهم»(٢).

أيضًا ينفون الأخوّة – أخوّة الدين ورابطة الإسلام التي ربط الله بها بين

(١) راجع: بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، جـ ٦٩ ص ١٣٧.
(٢) انظر: فرحة الزهراء، أبو علي الأصفهاني، ص ٦٤، ط: ١، لسنة ١٤٢٢هـ.

المسلمين- بينهم وبين ومخالفيهم، وهذا حكم مقرر عند الاثنَي عشرية أنه لا أخوّة بين المؤمنين -يعني الاثنَي عشرية- وبين المخالفين -يعني من غير الاثنَي عشرية- وهو ما يشرحه أحد علمائهم بقوله: «ومعلومٌ أنَّ الله عقد الأخوّة بين المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] دون غيرهم، وكيف يتصور الأخوّة بين المؤمن والمخالف بعد تواتر الروايات، وتضافر الآيات، ووجوب معاداتهم والبراءة منهم»(١).

والمُلاحظُ هُنَا تأكيدهم على وُجُوبِ مُعَادَاةِ كُلِّ مَنْ عَدَاهم والبراءة مِنْ كُلِ مَنْ يُخالفهم، مُستندين إلى رواياتٍ مُختلفَةٍ منسوبةٍ إلى آل البيت، مُدلَّسة عليهم، فيها إعلانٌ صريحٌ بالعداوةِ والبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ مَنْ يُوالِي الشَّيخين. يقولُ أبو جعفر الطوسي: «عن ميثم قال: ألا أحدثكم بحديث عن الحسين بن علي، فقلت: بلى، قال: دخلت عليه وسلَّمت... ثم قال لي يا حبابة: إنَّهُ ليس أحدٌ على مِلَّةِ إبراهيم في هذه الأُمَّةِ غيرُنا، وغير شيعتنا، ومَنْ سِوَاهُمْ منها براءٌ»(٢).

لعمري لا أدري من أين جاؤوا بهذه العبارات التي لا أساس لها من الصحة أو الدليل، ولكن هذا نتاج ضلال العقول والتعصب البغيض. وقد وصل الأمر بأحدِ علمائهم إلى أنَّه نفى أن تجتمع الاثنا عشرية مع مَنْ خالفهم في عقائدهم

---

(١) راجع: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، محمد حسين النجفي، جـ ٢٢ ص ٦٢، ٦٣، ط: دار الكتب الإسلامية - طهران - بازار سلطاني، طبع ١٣٦٧هـ.

(٢) راجع: رجال الكشي، ص ١٩٨.

على إله أو نبي أو إمام. فقال نعمة الله الجزائري: «لم نجتمع معهم على إلهٍ، ولا نبيٍّ، ولا على إمامٍ، وذلك أنَّهم يقولون: إنَّ ربَّهم هو الذي كان محمد نبيه، وخليفته أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرَّبِّ، ولا بذلك النبي!! بل نقول إنَّ الرَّبَّ الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا»(١).

فهم يعتبرون أنَّهم هم وحدهم المؤمنون ومن عداهم فلا، ويذكرني النَّصُّ السَّابق بما تعتقده اليهود بأنَّهم شعب الله المختار، وأنَّ إلههم غير إله البشر، هذا الاعتقاد من المُوالاة للفكر الشيعي والبراءة من مُخالفيه هو السَّائدُ بين مُفكريهم، ويزعمون أنَّ مَنْ جمع بين موالاة آل البيت وموالاة الأئمة قبل علي -وهم أبو بكر وعمر وعثمان- فهو كاذبٌ. وينسبون هذا المعنى إلى الإمام جعفر، فقد أورد المجلسي في بحار الأنوار: «قيل للصادق: إنَّ فُلانًا يُواليكم إلا أنَّهُ يضعف عن البراءة من أعدائكم، فقال: هيهات!! كذب مَنْ ادَّعى مَحبَّتنا ولم يتبرَّأ من عدونا»(٢).

فعندهم لا ولاءَ إلا ببراءٍ؛ أي: لا ولاء لعليٍّ، وللأئمة، وللمذهب الشيعي إلا بالبراء من الخلفاء الثلاثة قبل عليٍّ، وكُلِّ مَنْ قاتلَ عليًّا، وكُلِّ مَنْ لم يعتقدْ عقائدهم في الإمامَةِ والطَّعْنِ في الصَّحَابَةِ.

بل ألزموا أتباعهم بالتبرُّؤ مِنْ كُلِّ مَنْ يترضَّى عن هؤلاء الصَّحابَةِ أبي بكر وعمر وعثمان، جاء في الكافي: ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم، ولا يزكيهم ولهم

(١) راجع: الأنوار النعمانية، نعمة الله الجزائري، جـ ٢ ص ٢٧٩.

(٢) راجع: بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، جـ ٢٧ ص ٥٨.

عذاب أليم:

١- مَنْ ادَّعى إمامَةً مِنْ الله ليستْ لَهُ (كُلُّ مَنْ كان إمامًا غير أئمتهم) وهذا الحكمُ شاملٌ لجميعِ خُلفاءِ المسلمين، بدءًا بأبي بكر ومَنْ تولَّى الخِلافةَ بعده.

٢- مَنْ جَحَدَ إمامًا من الله؛ أي: مَنْ أنكر إمامًا من أئمتهم. وهذا الحكمُ شاملٌ لجميعِ شُعُوبِ العالَمِ، بدءًا بخلافَةِ أبي بكر إلى نهاية الدنيا، ماعدا الشيعة الاثنَي عشرية طبعًا.

٣- مَنْ زعم أنَّ لهما [يعنون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] في الإسلام نصيبًا[1]؛ فهو كافر، ولاشكَّ أنَّ هذا يشملُ جميعَ المسلمين، ماعدا الإمامية الاثنَي عشرية، فهذا حكمٌ شنيعٌ لأُمَّةِ الإسلامِ مِنْ قِبَلِ أئمَّةِ الشِّيعَةِ الاثني عشرية بحكمهم على جميع أهل الأرض من المسلمين بالكُفْرِ والبَرَاءَةِ.

◻ خَامِسًا: بَرَاءَتُهُمْ مِنْ فِرَقِ الشِّيْعَةِ الأُخْرَى:

لا يقفُ الحالُ عندَ البراءَةِ من الصَّحابَةِ، ومِنْ كُلِّ مَنْ اعتقدَ صحَّةَ خِلافتهم وتولاهما من المسلمين، بل وصلَ الأمرُ بالشِّيعَةِ الاثنَي عشرية إلى أنْ تبرَّأوا مِنْ بقيَّةِ الشِّيعَةِ الأخرى؛ مثل: الزيدية وغيرها. فقد روى الكشي عن ابن أبي عمير عمن حدثه قال: سألت محمد بن علي الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) راجع في ذلك الكافي، للكليني، جـ ١ ص ٣٣، وأيضًا بحار الأنوار، المجلسي، جـ ٨ ص ٢١٨.

عن هذه الآية: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الغاشية: ٢-٣] قال: نزلت في النَّاصبةِ والزَّيديَّةِ من النَّاصبَةِ»[١].

وقد أشرتُ من قبل إلى معنى النَّاصبِ عندهم؛ أي: المُخالِفِ الذي لا يعتقدُ مُعتقدهم في الصَّحابَةِ.

وقال المجلسي: «كتب أخبارنا مشحونة بالأخبار الدَّالة على كُفْرِ الزَّيدية»[٢].

ويُقرِّرُ محمد الشيرازي -وهو من مُفكّريهم- كُفْرَ كُلِّ مَنْ عدا الاثنَي عشرية من الشيعة فيقول: «وأمَّا سائر أقسام الشيعة غير الاثنَي عشرية فقد دلَّت نصوصٌ كثيرة على كفرهم، كالنُّصوصِ الدَّالةِ على أنَّ مَنْ جحد إمامًا كان كمن قال إن الله ثالث ثلاثة»[٣].

ولا يقفُ الأمر على تكفير الاثنَي عشرية لمَنْ عداهم، حتى باقي فرق الإمامية الأخرى، بل افترقت الاثنَي عشرية إلى فرقتين كبيرتين كُلٌّ منهما تُكفِّرُ الأخرى وتتبرَّأُ مِنْ أتباعِ الفِرْقَةِ الأخرى. وإذا كان هذا هو حالها فمع غيرها أولى، وهاتان الفرقتان هما:

أ- الأصولية. **ب- الإخبارية.**

وقد «بلغ الصِّراعُ والعِدَاءُ والتَّبرِّي في عصرنا بين أهم فرق الاثني عشرية

---

(١) راجع رجال الكشي، ص ٣٠٣.

(٢) راجع: بحار الأنوار للمجلسي، جـ ٢٧ ص ٣٤.

(٣) راجع: موسوعة الفقه، محمد الشيرازي، جـ ٤ ص ٢٦٩.

-وهما: الأصولية، والإخبارية- أن من شيوخ طائفة الإخبارية من لا يلمس مؤلفات الأصوليين بيده تحاشيًا من نجاستها، وإنما يقبضها من وراء ملابسه، ويفتي بعضهم بتحريم الصلاة خلف البعض الآخر، ويتقاذفون تهم الزندقة والتكفير».[1]

وبهذا يتَّضحُ لنا أنَّ الأحكام التكفيرية -بما يترتب عليها من البراءة ممّن عدا الاثنَي عشرية- مشحونةٌ بها كتبهم، وتنطق بها كتاباتهم وتكتظُّ بها مؤلفاتهم، وتقطر بها سموم أقلام أكثر علمائهم الثقات في مذهبهم.

هذا وتتَّفقُ كتبهم القديمة والمعاصرة على الاهتمام بمسألة (البراءة)، ففي كتاب (عقيدة الشيعة في الإمامية) لشيخهم محمد باقر الأصفهاني جاءت مجموعةٌ من نصوصهم المُسندة إلى أئمتهم -على حدِّ زعمهم- تُقرِّرَ أنَّ الدِّينَ عندهم ينحصِرُ في الولاء لأئمتهم، وشيعتهم، والبراءة من مُخالفيهم، وحين ساق الأصفهاني نصوصَ الولاء والبراء بالمفهوم الشيعي الاثنَي عشري عقَّب عليها بقوله: «وقد ثبت بما مرّ من الأخبار الكثيرة الصريحة الأصلان: التولِّي والتَّبرِّي، وهما أصلان من أصول المذهب عند الإمامية، ومحل اتفاقهم»[2].

---

(١) راجع: البراءة من المشركين بين المعنى الشرعي والتأويل الشيعي، عبد الرحمن بن عبد الله آل علي، ص ١٦٧، ط: دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ م

(٢) انظر: عقيدة الشيعة في الإمامية، محمد باقر الأصفهاني، ص١٤٥، نقلًا عن المصدر السابق ص٦١.

ويمكن إيجاز ما سبق في عقيدة الولاء والبراء عند الإمامية الاثني عشرية فيما يلي:

١- أهمية هذه العقيدة عندهم؛ إذ مذهبهم وعقائدهم مبنيَّةٌ على أساس هذه العقيدةِ؛ أعني: لمَنْ يكون ولاؤهم، ولمَنْ يتوجَّهُ إليه براءتهم.

٢- الولاء عندهم ينصرف إلى أئمتهم، بدءاً بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه المنصوص عليه بالولاية بعد رسول الله وكذا بالوصيَّةِ، ثُمَّ لأولاده من نَسْلِ فاطمَةَ، ثُمَّ يتسلسل إلى اثني عشر إمامًا، فلهم الولاءُ التَّامُّ، ثُمَّ الولاء للإمام الثاني عشر حتى في غيبته؛ لأنهم يعتقدون أنَّه موجودٌ وُلِدَ ولَمْ يَمُتْ، ودخل سردابًا في سامراء، ثُمَّ الولاء لمَنْ ينوبُ عنه (الولي الفقيه) فله من الولاء والطَّاعَةِ ما للإمام؛ لأنَّه نائبه. ثم الولاء لهذه العقيدة (عقيدة الشيعة في الإمامة) ولمن يعتقدها؛ أي: يجبُ الوَلاءُ لمَنْ هو على المذهب الشيعي الإمامي الاثني عشري دون سواه؛ لأنَّهُ المؤمن الذي يستحقُّ الأخوة، أمَّا من عداه فلا.

٣- البراء عندهم يُوجَّهُ إلى مَنْ خالفهم في مبدأي الإمامة وتكفير الصَّحابةِ؛ لأنَّهُ خَالفهم فيما هو من ضروريّ المذهب، ومعنى ضروري المذهب؛ أي: ركنٌ من أركان مذهبهم، فهم يعتقدون أنَّ الإمامَةَ أصلٌ من أُصُولِ الدِّينِ، وأنَّ الإمامة كالنُّبوَّةِ وهي منصبٌ إلهيٌّ، ويعتقدون أنَّها للإمام عليّ بعد رسول الله بلا فصل؛ حقًا خالصًا بنصٍّ ووصَّيةٍ، بالشَّخصِ لا بالوصْفِ، وبالنَّصِّ الجليِّ لا الخفيِّ، ولمّا خالفَ الخُلفاءُ الثَّلاثةُ بعد رسول الله هذا النَّصَّ وتلك الوصيَّةَ؛ ارتدُّوا واستحقُّوا البَرَاءَةَ منهم لعدم تنفيذ ما هو منصوصٌ عليه من إمامة عليّ

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فتجبُ البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان، وكذا معاوية وكُلِّ مَنْ حَارَبَ عليًّا، وكذا أُمَّهَاتِ المؤمنين لا سيَّما عائشة وحفصة.

ويجب التبرؤ ممَّن أحبَّ هؤلاء الصَّحابة ووالاهم، وكُلِّ مَنْ رضِيَ بخلافَةِ الصَّحابَةِ قبلَ عليٍّ من الصَّحابةِ ومَنْ جَاءَ بعدهم.

وتجب أيضًا البراءة مِنْ كُلِّ الفِرَقِ الأخرى، سواءً كانت من الشيعة كالزيدية أو من غير فرق الشيعة، ما دامت لا تتَّفقُ مع الاثنَي عشرية في كُلِّ شيءٍ، فإذا اختلفتْ فرقةٌ شيعيَّةٌ مع الاثنَي عشرية في إمامٍ واحدٍ من الأئمَّةِ فهو مُخالفٌ لهم. فكُلُّ مَنْ خالفهم في مبدأَي الإمامة والطَّعنِ في الصَّحابةِ فهو بحدِّ تعبيرهم ناصبٌ ومُخالفٌ وكافرٌ يجبُ التَّبرُّؤُ منه.

الْفَصْلُ الثَّاني
تَقْوِيْمُ مُرْتَكَزَاتِ الوَلاءِ والبَرَاءِ عِنْدَ الرَّافِضَةِ الاثني عشريَّةِ

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ
نَقْضُ مُرْتَكَزَاتِ الرَّافِضَةِ فِي الوَلاءِ

ممَّا لاشكَّ فيه أنَّ عقيدة الولاء والبراء لدى الشيعة تنطلق من عقيدتهم في الولاء لعليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والأئمة من بعده، وقبل مناقشة رأي الشيعة في الولاء والبراء، نُؤكِّدُ على حقيقةٍ يقرِّرُها علماءُ الشِّيعَةِ وغيرهم من أهل السنة، وهي أنَّ أوَّلَ مَنْ وضعَ بذرَةَ هذه العقيدة في علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بمفهوم الشيعة هو عبد الله بن سبأ اليهودي.

يقولُ أحدُ عُلماءِ الشِّيعَةِ في إطارِ ترجمة عبد الله بن سبأ: «وذكر بعضُ أهلِ العلم أنَّ عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم، ووالى عليًّا ، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون: وصيّ موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله في عليّ مثل ذلك، وكان أول مَنْ شهر بالقول بفرض إمامته، وأظهر البراءة من أعدائه وكفرهم»[1].

هكذا يكون ابن سبأ أول مؤسس لمبدأ (التَّولِّي والتَّبرِّي) بالمفهوم الشيعي في البيئة الإسلامية، ولا تكاد تخالف فرق الشيعة هذا المبدأ إلا القليل النادر منهم، على درجات متفاوتة. أمَّا عن مناقشة آراء الشيعة في عقيدة الولاء والبراء فهو على النحو التالي:

أولًا: زعمهم أنَّ الولاء لا يكون إلا لعليّ والأئمة وللمذهب الشيعي الإمامي الاثنَي عشري فحسب، هذا الولاء غير مُسلَّمٍ به، ومُخالفٌ لعقيدة الولاء التي أقرَّها القرآن الكريم، وبيّنها الرسول ﷺ؛ ذلك أنَّ الولاء في الإسلام ينبغي أن يكون لله، ولرسوله، ولجميع المسلمين بداية من كبار الصحابة ولمن جاء بعدهم، وللإسلام كدين، أمَّا حصر الولاء بعلي والأئمة فحسب فهذا مخالف لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله ﷺ: «لا يُؤمنُ أحدُكُم حتَّى يحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِهِ»[2].

---

(١) انظر: معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين (المعروف برجال الكشي)، أبو عمر الكشي، ص ١٠٨.

(٢) صحيح البخاري، ك: الإيمان، ب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، جـ ١ ص ١٣.

وهذا الولاء من لوازم الحب، وهذا الولاءُ يكونُ لجميع المؤمنين ولجميعِ الصَّحابَةِ، لا يخصُّ فئةً من المؤمنين دون فِئةٍ، ولا يخصُّ صحابيًّا دون آخر. فالولاءُ يكونُ لجميعِ الصَّحابَةِ ومنهم عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، على معنى أنَّ الولاء ليس خاصًّا بعليٍّ وحدَهُ دون غيره، أو لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون غيره، بل نحن المسلمين مأمورون بالولاء لجميع صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالولاء أيضًا لجميع المسلمين لا نخصُّ فرقَةً دون غيرها أو مذهبًا دون غيره.

و الناس في باب الولاء والبراء ثلاثة أصناف كما لا يخفى، فمنهم من يوالى مطلقـًا كالأنبياء والصحابة، ومنهم من يعادى مطلقـًا كالكفار، ومنهم من يوالى من جهة ويعادى من جهة بحسب ما معه من طاعة ومعصية.

فكل مسلم، وكل فرقة من فرق المسلمين لهم حظ من الموالاة والمعادة بحسب ما معهم.

ثانيًا: أمَّا عن مكانة الولاية –واعتبارها مناط الولاء– عند الشيعة لعلي ولأولاده فيزعمون أنَّها من أركان الإسلام كما مرَّ، فإذا كان الأمر كذلك فلِمَ لمْ يذكرها الله جَلَّ في كتابه بآياتٍ صريحةٍ كما ذكر غيرها من أركان الإسلام، كيف يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ الصَّلاةَ والزَّكاةَ والصَّومَ والحجَّ في آياتٍ عِدَّةٍ، ولم يذكرْ (الولاية) حتَّى في آيَةٍ واحدةٍ، وكيف لم يذكرها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثٍ صحيحٍ، وهي بهذه المكانة عندهم، التي عليها مناط الأعمال وقبولها كما يزعمُ الشيعة الاثنَا عشرية، ووضعها في هذه المكانة الكبيرة، وأنَّها ركنٌ من أركان الدينِ، يكفرُ مَنْ يُخالِفُها ويُؤمنُ مَنْ يتَّبِعُهَا.

ثالثًا: أمَّا عن مفهوم الولاء لعلي والأئمة لدى الشيعة فهو مُخالفٌ لِمَا عليه أهلُ السُّنَّةِ بل عامَّةُ المسلمين دونهم، فكأن الولاء لعلي والأئمة يعني التَّقديسَ والعِصْمَةَ، فمعنى الولاء عندهم: الولاء الشخصي يعني الولاء لهذه الذات، أو أن لهذا الشخص القداسة والعصمة، في حين كان لها عند أهل السنة والجماعة الحبُّ والإخلاصُ والولاءُ فقط دون عِصْمَةٍ أو قداسَةٍ، وكان ولاء هذه الأمة للكتاب والسنة فوق ولائها للجميع، في حين يرى الشيعة أنَّ الجماعةَ يُمكنُ أنْ تُخطئَ وأنْ تُصيبَ، بخلافِ الإمامِ الذي يُصيبُ ولا يُخطئُ؛ لأنَّهُ معصومٌ، هكذا جعلت الإمامة في مكانة النُّبُوَّةِ من العِصْمَةِ، على حين يرى أهل السنة العكس من ذلك؛ لأنَّ الأُمَّةَ لا تجتمعُ على ضلالَةٍ، كما أخبر بذلك المعصومُ ﷺ، فالإمامُ يُخطئُ ويُصيبُ؛ لأنَّه غير معصومٍ، فالعِصمَةُ من خُصُوصيَّاتِ الأنبياءِ، لا يُشاركُهُم فيها أحدٌ من البَشَرِ.

رابعًا: أمَّا عن رأيهم في الولاء لعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونسله من الأئمة، فأساسه هو رأيهم في الإمامة، لذا يجب الوقوف على رأي الشيعة في مفهوم الإمامة؛ لأنَّ رأيهم فيها تنبني عليه عقيدتهم في الولاء والبراء، فمَنْ لم يعتقدْ بهذا المبدأ عندهم تجبُ البراءة منه، ومَنْ أيَّده وآمن به فهو منهم يجبُ الولاء له.

«يرى الشِّيعَةُ أنَّ الإمامَةَ وصَايَةٌ، ورُكنٌ مِنْ أركانِ الدِّينِ، ولا يجوزُ لنبيٍّ إغفالَها، ولا تفويضها للأُمَّةِ، بل يجب عليه أن يعين الإمام لتعرفه؛ لأنَّ الإيمان بالإمام يعدل في نظرهم أهمية الإيمان بالنبي ورُبَّما يزيدُ عليه، ويقولون: إنَّ النبيَّ عيَّن عليًّا وصيًّا بعده بأمرِ الله، من هنا كانت عصمة الإمام

من الكبائِرِ والصَّغائِرِ»[١]. ومن هنا كان الاعتقاد بالإمامة على معنى:

١ – أنَّها مَنْصبٌ إلهيٌّ كالنُّبوَّةِ.

٢ – أنَها نصٌّ ووصيَّةٌ من النبي ﷺ بأمر من الله.

٣ – أنَّ الإمامَ معصومٌ من الخطأ والخطيئة حتى لا تزول الثقة به كالنبي، وبناءً على هذا الاعتقاد كان قولهم في الولاء والبراء، وأدَّى هذا الاعتقاد إلى أمور عظيمة وخطيرة لدى الشيعة، منها ما يلي:

١– تقديس الأئمة وادعاء العصمة لهم.

٢– تضليل الأمة، وتكفير الصحابة، وصب اللعنات عليهم، وامتهان كرامة أمهات المؤمنين، والنيل منهن، وعدم رعاية حق رسول الله ﷺ في شأنهن.

٣– تأويل القرآن الكريم على غير وجهه، بما لا يشهد له عقل أو نقل أو لغة، وجعله رموزًا وإشارات، وهو الذي أنزله الله هداية ورشادًا للعباد.

٤– القول بتحريف القرآن، وادِّعاء حذف ما يتعلَّق منه بالإمامة، وإضافة ما ليس منه إليه، والزعم بوجود غيره لدى الأئمة –رضوان الله تعالى عليهم–، هكذا يكون للمسلمين كتابان؛ كتابٌ مُحرَّفٌ، وكتابٌ نزلَ على الأئمَّةِ، وهو الصَّحيحُ، وهذا أمرُ لا يؤمن به سوى الشيعة.

---

(١) راجع: العقائد الشيعية، ناصر الدين شاه، ص ٤٧، ط: الأولى، ١٩٨٧م، بدون.

٥- الكذب على رسول الله بوضع أحاديث تتعلق بالأئمة والصحابة، وغيرهما، وهي كاذبة لا أصل لها في الإسلام.

٦- الكذب على الأئمة الأعلام الأطهار بنسبه كثير من الافتراءات إليهم، حتى شوهت بين الناس صورتهم، ولوثت سيرتهم، وأهينت كرامتهم من حيث يريدون الكرامة لهم.

٧- بذر بذور الخصومة والعداء بين الشيعة وغيرهم.

وربَّما كان هذا الأمر هو أعظم الأمور شأنًا من جرَّاء ذلك، حيثُ وضعت بذور الخلاف والشِّقاقِ، وبثت البغضاء والشَّحناء، وانتشرت العداوة بين المسلمين، وهذا واضحٌ وجليٌّ، وما يجري في الفرق الآن جزءٌ منه كبيرٌ يعودُ إلى هذه الطَّائفيَّةِ البغيضَةِ، هذا بعضُ ما يترتَّبُ على زعم الشيعة أنَّ الإمامةَ منصبٌ إلهيٌّ ونصٌّ ووصيَّةٌ، وما يترتَّب عليه من منطلق الولاء والبراء لدى الشيعة، وهو مخالفٌ لِمَا عليه المسلمون؛ إذ يذهبُ «أهل السنة والجماعة إلى أنَّ الإمامة أو الخلافة هي رئاسةٌ عامَّةٌ في أمرِ الدِّينِ والدُّنيا؛ خلافة عن النبي ﷺ، وأنَّ المسلمين في كُلِّ عصرٍ يختارون خليفتهم بِمُبايعَةِ مَنْ يرونَه أصلحَ لرئاستهم، بعد أن يختاره أهلُ الحلِّ والعَقْدِ فيهم»(١).

---

(١) راجع: حوار لا مواجهة، د. كمال أبو المجد، ص ٢٧٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.

ويمكنُ إجمالُ الرَّدِّ عليهم بما يلي:

١- لو كانت الإمامة جاءت بنصِّ القرآنِ لَمَا تجرَّأ المسلمون على إنكارها، ولو فرض أنْ تجرَّأ أصحابُ الأهواءِ وقليلو الإيمان على إنكارها؛ فإنَّ عامَّةَ المسلمين لم يكونوا ليرضوا بذلك، وهم الذين قال أحدهم لعمر: لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوَّمناه بسيوفِنَا، ثُمَّ لكان صاحب الحقِّ وهو عليٌّ -بزعمهم- أولى بأن يدَّعيها ويحتج لها، ولكنَّه لم يفعل ذلك مرَّةً، بل ولا في مُناسبَةٍ من المُناسبَاتِ.

٢- فهل نقول مع الشيعة: إن المسلمين كلهم كانوا منافقين كذابين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم بسبب تهاونهم في أمر الخلافة بالنسبة لعلي، وهذا القول لا يقول به إلا معتوه بعد أن رأينا محبة المسلمين لرسول الله وإخلاصهم لعقيدتهم، مع حبهم وإخلاصهم للأئمة الأربعة بعد رسول الله ﷺ، وعدم تكفير أحد من أهل القبلة.

٣- لو كان في الإمامة نص أو أن النبي أوصى بها لعلي لكان عليّ أول من يحتج على ذلك، ونحن لم نره فعل ذلك أبدًا، فإن العكس هو الذي حصل، حتى إن كتب الشيعة نفسها لم تذكر أنه احتج بالوصاية أبدًا[1].

وعدم احتجاج علي بن أبي طالب لأجل الإمامة بعد رسول الله ﷺ يدل على أنه لا توجد وصية أصلًا، ولو كان الحق مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لانتصر لرأيه،

---

(١) راجع: العقائد الشيعية، ناصر الدين شاه، ص ٤٩، ط: الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

ولنازع أبا بكر في الخلافة كما نازع معاوية.

هذا بالنسبة للإمام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كذا الأمر لصحابة رسول الله؛ لأنّهم أجلُّ مَنْ أنْ يكتموا أمرًا أوصى به رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول الجويني: «إنَّ مثل هذا الأمر العظيم لا ينكتم في مستقرِّ العادَةِ، كما لا ينكتم تولية رسول الله ﷺ معاذاً اليمن، وزيدًا وأسامة بن زيد، وعقد الولاية بهم، وتفويض الجيوش إليهم،...وكما لا يخفى تولية أبي بكر وعمر، وجعل عمر الأمر شورى بينهم...فهذا إنْ ادَّعوا نصًّا شائعًا لا اعتلال فيه، فيضطر إلى استمالة كتمانه، لا سيَّما في عصر أصحاب رسول الله ﷺ، وقرب العهد بالنصَّ المُدَّعَى، والاختلاف في عين الإمام يوم السقيفة»[(١)].

بان من ذلك أنَّه لا نصَّ أصلًا ولا وصيةَ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من رسول الله ﷺ، وكل ذلك يبطل رأي أو عقيدة الشيعة التي يدينون بها من أن الإمامة بعد رسول الله هي لعلي نصًّا ووصية، فيتبرَّأون ممن خالف ذلك، وقد أشرنا إلى أنهم بذلك يطعنون في خير الناس بعد رسول الله وهم صحابته، بل هم بذلك يطعنون في الإمام علي نفسه؛ لأنه -حسب رأيهم- خالف أمر رسول الله؛ إذ إنه لم يدافع عن وصيته أمام أبي بكر، بل إن هذه الفكرة ذاتها تنعقد ذاتيًا من داخل الشيعة أنفسهم على لسان الشيعة. فنجد أن أحد علماء الشيعة يرد على

---

(١) راجع: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني، ص ٤٢٠ ط: ١ تحقيق: محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر ١٩٥٠ م.

مبدأ الإمامة بالمفهوم الشيعي وأنها منصب ديني سماوي بقوله: «فحتى في أوائل القرن الرابع الهجري، وهو عصرُ الغيبة الكبرى، لا نجد أي أثر لفكرة اغتصاب الخلافة من الإمام عليّ أو أنَّها حقٌ إلهيٌّ اغتصب منه، أو أنَّ صحابة رسول الله ﷺ اشتركوا أو ساهموا في هذا الأمر، لكن فيما بعد تغَّيرت فكرة الأولوية لخلافة عليّ إلى فكرة الخلافة الإلهية ومخالفة النص الإلهي»[١]؛ أي: أنَّها فكرةٌ مُستحدثَةٌ ولم تكن على عهد عليٍّ والصَّحابَةِ، وتحول رأي الفريق الذي كان يقول بأن علياً أولى بالخلافة إلى أنها منصب إلهي.

ويرد عليهم أيضًا أنَّه:

- «لو كان هناك نص في شأن الخلافة لأظهره عليّ للناس حتى يبايعوه، ويكفُّوا عن بيعةِ غيره لكنَّهُ لم يفعل، فدلَّ على أنَّهُ لا نصّ ولا وصيَّة، وإلا لكان آثمًا.

- لو كان هناك نصٌّ ما تابع عليٌّ غيرَه من الخلفاء ولا عاونهم، ولا صاهرهم، ولا أكل فَيأهم، ولا أثنى عليهم، ولا بايعهم.

- لو كان هناك نص صريح من الكتاب والسنة على إمامة عليّ من بعده ما أجمع المسلمون على بيعة أبي بكر وعمر وعثمان؛ لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، وكيف يسوغ لنا أن نتهم كبار الصحابة الذين سبقوا ووصفهم ربي في كتابه بأنهم آووا ونصروا وهاجروا وقاتلوا، ونشروا الإسلام بأنهم قد

---

(١) راجع: الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي، ص ٣٨ – القزويني – دار الغدير.

خالفوا النص، وخرجوا عن أمر الله ووصيته.

ويرد أحد علماء الشيعة على عقيدة الاثنَي عشرية في الإمامة بقوله: «إذا كانت الإمامة إلهية – أي: منصبًا إلهيًّا- كما تذهب هذه الفرقة، وأنها في أولاد عليّ حتى الإمام الثاني عشر، لعيَّن الإمام عليّ ابنه الحسن خليفةً وإمامًا مِنْ بعده، وهو ما لم يحدثْ، فقد اتَفقَ الرُّوَاةُ والمُؤرِّخُون على أنَّ الإمامَ عندما كان على فراشِ الموتِ، بعد أن ضربه ابن ملجم المرادي بالسيف المسموم وسئل عن الشخص الذي يستخلفه قال: «أتركَكم على ما تركَكم رسول الله ﷺ»، وبعد وفاة الإمام اجتمع المسلمون، واختاروا ابنه الحسن وبايعوه خليفة على المسلمين، ولكنَّ الإمام الحسن صالحَ معاوية، وتنازل له عن الخلافة، فهل يا ترى لو كانت الخلافة منصبًا إلهيًّا هل كان يستطيع الإمام الحسن أن يتنازل عنها بذريعة حقن دماء المسلمين؟!»[(١)] هل كان يرد وصية رسول الله وأمر الله من أجل حقن الدماء؟!

• أمَّا كون الإمامة أصلاً من أصول الدين، وأنَّها منصبٌ إلهيٌّ فإنَّه لم يُؤثرْ عن الإمام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه ذهب إلى تقديسِ الخِلافَةِ، أو أنَّهُ جعل الإمامة ركنًا من أركانِ العقيدةِ، ولكنَّ الذي أثر عنه –طبقًا للمصادر الإسلامية الشيعية وغير الشيعية– أنَّه كان زاهدًا فيها غير حريصٍ عليها، هذا فضلًا عن حُبِّه للخُلفاءِ الرَّاشدين الذين سبقوه ومودته لهم، وإصهاره لهم، ورثائه إيَّاهم عندما تُوفُّوا إلى رحمة الله، وممَّا روي عن الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) راجع: الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي، ص ٤٤، ٤٥.

في بيان زهده في الخلافة وبغضه لها ما يرويه ابن أبي الحديد عنه من قوله في الخلافة: «دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، واعلموا أنِّي إنْ أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أُصغِ إلى قول القائلِ وعتبِ العاتبِ، وإنْ تركتموني فأنا كأحدكم، ولعليِّ أسمعكم وأطيعكم لمَنْ وليتموه، وأنا لكم وزيرٌ خيرُ لكم مني أميرٌ»[1].

ولا يقفُ الأمر عند هذا الحدِّ، بل نجد ابن أبي الحديد يُؤكِّدُ هذا الرأي بكلامٍ آخرَ ينقله عن الإمام عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا، وذلك قوله: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبةٌ، ولا في الولاية إربَةٌ، ولكنَّكم دعوتمُوني إليها، وحملتمُوني عليها، فلمَّا أفْضَت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا، وما أمرنا بالحكم به فاتبعته، وما يستسن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله فاقتديته»[2].

وهكذا تحمّل سيدنا عليّ أمانةَ الخلافة استجابةً لطلب المسلمين، ولم يخطر بباله أنها منصب إلهي، أو أنَّها ركنٌ من أركان العقيدة الإسلامية. وفي ذلك يقول الشيعي المنصف موسى الموسوي: «وإنَّ عليًّا أولى بالخلافة، وليس بالإمامة على الصورة التي رسمها الشيعة المتأخرون زمانًا، ولكن المسلمين بايعوا الخلفاء الراشدين وعليٌّ بايعهم، ثم بايع المسلمون علياً بعد عثمان، فلا

---

(١) راجع: نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، جـ ١ ص ١٨٢، تحقيق حسن تميم - مكتبة الحياة - بيروت، ١٩٦٤ م.

(٢) انظر: المصدر السابق، جـ ١ ص ١٨٤.

غبار على شرعية خلافة الخلفاء الراشدين من أبي بكر إلى عليّ»[١].

ومِنْ ثَمَّ تكون انطلاقات الشيعة في عقيدة الولاء والبراء لديهم في مسألة (الإمامة) تتنافَى مع النقد الموضوعي لقضية النص والوصية، كما رأينا أن الإمام عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يطلبها، ولم يحتجّ بوصية، كذلك صحابة رسول الله لم يُؤْثرْ عنهم أنهم سمعوا من رسول الله ﷺ قولًا يثبت وصية خلافة الإمام على بعده.

• نأتي إلى قضية أخرى، وهي الغلو في موالاة عليّ والأئمة، وهذا أمر ينافي ما أمر الله به من وجوب موالاة المسلمين عمومًا. وكذا الغلو في البراءة من الصحابة -كما سيتبين فيما بعدُ- بحجة توليتهم لأبي بكر وعمر وعثمان دون عليّ = أمر منافٍ لمكانة الصحابة التي أثبتها القرآن الكريم، وبينتها السنة النبوية المطهرة.

وسنحاول أن نقف على أدلة الشيعة في مسألة الإمامة ونناقشها.

❑ أهم أدلة الشيعة ومناقشتها:

ذكرنا قبلُ أن الشيعة الامامية الاثنَي عشرية قد استدلُّوا على إمامة عليٍّ بعد رسول الله مباشرة بعدد من آيات القرآن، وأحاديث رسول الله ﷺ، وببعض أقوال نسبوها إلى بعض أئمتهم، ونحاول أن نذكر أهم دليل لهم من القرآن، وكذلك أهم دليل لهم من السنة النبوية.

---

(١) راجع: الشيعة والتصحيح، موسي الموسوي، ص ١٤.

أولًا: من القرآن الكريم:

من أبرز الأدلة التي يعتمد عليها الإمامية في أحقية عليّ في الخلافة بعد رسول الله ﷺ من القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وممَّا جاء في استدلالهم بهذه الآية أنَّهم ذكروا في تفسيرها ما يدلُّ على زعمهم أنَّها في إمامة عليٍّ. قال الطبرسي: «وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة عليّ بعد النبي بلا فصل»[١]، ويُلاحظُ أنَّ في هذا ليٌّ لعُنُقِ النَّصِّ، فالآيةُ عامَّةٌ لكنهم جعلوها خاصَّةً في عليّ بلا دليلٍ أو بيِّنةٍ.

وقال صاحب المراجعات: «فالمرادُ بالذين آمنوا هو عليٌّ، وقد أجمع أهل التفسير على نزولها في حقِّ عليٍّ؛ لأنَّه تصدَّقَ بخاتمه، وهو راكعٌ في الصلاة»[٢]، ويكاد شيوخهم يتفقون على أنَّ هذا أقوى دليل عندهم، حيث يجعلون له الصدارة في مقام الاستدلال في مصنفاتهم»،[٣]

أمَّا كيف يستدلُّون بهذه الآية على مُبتغاهُمْ، فإنَّهم يقولون: «اتَّفق المُفسِّرون والمُحدِّثون من العامَّةِ والخاصَّة أنَّها نزلت في عليٍّ لمّا تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة، وهو مذكور في

---

(١) مجمع البيان، للطبرسي، جـ ٢ ص ١٠.

(٢) راجع: المراجعات، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، ص ١٨٠ – ١٨٢، دار الأندلس، ط: ٥

(٣) ينظر: عقائد الإمامية الانثى عشرية، ١/ ٨١، ٨٢.

الصحاح الستة[1]. (وإنَّما) للحصر باتِّفاقِ أهلِ اللُّغةِ، والوالي بمعني الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة»[2].

- **مناقشتهم في هذا الدليل:**

واضح أنهم يعتمدون في استدلالهم بالآية بما روي في سبب نزولها، لأَنَّهُ ليس في نصها ما يدلُّ على مُرادهم، فصار استدلالهم بالرّواية لا بالقرآن، فهل الرواية ثابتة؟ وهل وجه استدلالهم سليم؟ هذا ما سنحاول توضيحه فيما يلي:

١- زعمهم أنَّ أهل السنة قد أجمعوا على أنَّها نزلت في عليٍّ من الدَّعَاوى الكاذبة، بل الثَّابتُ هو غير ذلك، فقد «أجمع أهل العلم بالحديث على أنَّ القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع»[3].

وقولهم: إنَّها مذكورة في الكتب الصِّحاحِ الستَّة كذب[4] أيضًا؛ إذ لا وجود لهذه الرواية في الكتب الستة.

وقد ساق ابن كثير الآثار التي تروى في أنَّ هذه الآية نزلت في عليّ حين

(١) راجع: أصول مذهب الشيعة الإمامية، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، جـ ٢ ص ٨٢٣، ط: ٣ دار الرضا للنشر – الجيزة – مصر ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

(٢) راجع: عقائد الإمامية الانثى عشرية، جـ ١ ص ٨١ ، ٨٢.

(٣) راجع: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، لابن تيمية، جـ ٤ ص ٤، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) راجع: أصول مذهب الشيعة الإمامية،عبد الله بن عليّ ناصر القفازي، جـ ٤ ص ٨٢٤.

تصدَّق بخاتمه، وعقَّب عليها بقوله: «وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها»(١). إذن كُلُّ ما يُروى في شأنها فهو كذبٌ وافتراءٌ لا أساس له من الصِّحَّةِ، وتظلُّ الآيةُ على عمومها لكُلِّ المؤمنين.

٢- والصحيح في سبب نزولها. أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول ﷺ ذهبوا إلى عبادة بن الصامت وأراد أن يكون معهم، فتركهم، وعاداهم، وتولى الله ورسوله، وقال: أنا بريء من حلف قريظة والنضير، وأتولى الله ورسوله، نزلت في هذه الآية وَفق قوله، إذن هذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت(٢) للسبب السابق ذكره؛ معاداته لليهود.

وبعد أن ذكر الإمامُ الرازي سبب نزول هذه الآية -وهو قصة عبادة بن الصامت مع اليهود عندما لم يوفوا بعهودهم مع رسول الله ﷺ- قال: «فعلى هذا: الآية عامة في حق كل المؤمنين، فكل من كان مؤمنًا فهو ولي كل المؤمنين، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، والمعلوم من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [المائدة: ٥٥] أنَّها صفةٌ عامَّةٌ في كُلِّ المؤمنين، وإنَّما ذكرت هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين»(٣).

بَانَ إذن واتَّضح أنَّ سبب نزول هذه الآية كان في موقف عبادة بن

---

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، جـ ٢ ص: ٧٦ ، ٧٧.

(٢) راجع: تفسير الطبري، ٦/ ١٧٨، والتفسير الكبير، للرازي، جـ ١١ ص ٦٠.

(٣) راجع: التفسير الكبير، للرازي، جـ ١١ ص ٦٠.

الصامت من اليهود، وليس كما تدَّعي الإمامية برواية أثبت العلماء عدم صحَّتها.

أضف إلى ذلك أنَّ العبرةَ بعمُومِ اللَّفظِ لا بخصُوصِ السَّببِ، فالآيةُ داعيةٌ إلى مُوالاةِ المؤمنين بصفة عامَّةٍ، والنَّهي عن مُوالاةِ الكافرين، فعلى فرضِ أنَّها نزلت في سيدنا عليّ فإنها عامة في كل المسلمين، وهذا يُناقضُ التَّبريَّ الذي فرضوه على كُلِّ المسلمين فيما عدا الاثنَي عشرية.

٣- تأوليهم معنى (الولي) في الآية (بالإمارة) و(التصرف) لا بمعنى (الحب والنصرة)، وهذا التفسير لا يتَّفقُ مع معنى الآية، ولا يتفق مع سياق الآيات ذلك؛ لأنَّ الله تعالى يقول في الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥]، فإنَّ الله لا يُوصفُ بأنَّهُ مُتَوَلٍّ على عباده، وأنَّه أميرٌ عليهم، فلا يقال: إنَّ الله أمير المؤمنين، أمَّا معنى الولاية في الآية الكريمة فهو الولاية المُخالفة للعداوة، فإنَّه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه، فهذه الولاية هي المقصودة في الآية، وهذا المعنى هو ما أكده المفسرون وعلماء الأمة، يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية: «إنَّ اللائق بما قبل هذه الآية وبما بعدها ليس إلا معنى الناصر والمحب، أمَّا قبل هذه الآية فلأنه تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]، وليس المراد: لا تتَّخذوا اليهود والنصارى أئمة مُتصرفين في أرواحكم وأموالكم؛ لأن بطلان هذا كالمعلوم بالضرورة، بل المراد: لا تتخذوا اليهود والنصارى أحبة وأنصارًا، وتخالطوهم، ولا تعاضدوهم، وبعد أنْ بالغ في

النهي عن ذلك قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[المائدة: ٥٥]؛ أي: الموصوف بهذه الصّفاتِ، والظَّاهر أنَّ الولاية المأمور بها ههنا في هؤلاء هي المنهي عنها فيما قبل في حقِّ اليهود، ولما كانت الولاية الصفات المنهي عنها فيما قبل هي الولاية بمعنى النصرة كانت الولاية المأمور بها هي الولاية بمعنى النصرة. وأمَّا ما بعد هذه الآية فهو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٧] فأعاد النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى والكفار أولياء، وقد تبيَّن فيما سبق بما لا يدع مجالًا للشكِّ أنَّ الولاية المنهي عنها هي الولاية بمعنى النُّصرةِ والمحبَّةِ، فكذلك الولاية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ يجب أن تكون هي بمعنى النُّصرةِ والمحبَّة، وكُلُّ مَنْ أنصفَ وتركَ التَّعَصُّبَ، وتأمل في مقدمة الآية وفي مؤخرها قطع بأن الولي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ليس إلا بمعنى الناصر والمحب، ولا يمكن أن يكون بمعنى الإمام»(١)، كما تدَّعي الإمامية الاثنَي عشرية.

أضف إلى ذلك فهماً آخر يوحي به نص الآية، وهو «أنا لو حملنا الولاية على التصرف والإمامة كما ادَّعى هؤلاء تعسفًا لما كان المؤمنون المذكورون في الآية موصوفين بالولاية حال نزول الآية، لأن عليَّ بن أبي طالب ما كان نافذ التصرف حال حياة الرسول ﷺ، والآية تقضي كون هؤلاء المؤمنين موصوفين بالولاية في الحال، أمَّا لو حملنا الولاية على

---

(١) راجع التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، جـ ١١ ص ٦٣، ٦٤ بتصرف.

المحبة والنصرة كانت الولاية حاصلة في الحال وفي المآل، فتثبت أن حمل الولاية على المحبة أولى من حملها على التصرف»(١).

والذي يؤكد هذا أنه تعالى منع المؤمنين من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، ثم أمرهم بموالاة هؤلاء المؤمنين، فلا بدّ أن تكون موالاة هؤلاء المؤمنين حاصلة في الحال حتى يكون النفي والإثبات متواردين على شيء واحدٍ، ولمَّا كانت الولاية بمعنى التصرف غير حاصلة في الحال امتنع حمل الآية عليها(٢)، إذًا سياق الآيات يدل على أمرٍ واحدٍ؛ وهو النَّهي عن مُوالاةِ اليهودِ والنَّصارى، والأمر بموالاة المؤمنين بعضهم لبعض.

يُؤكِّدُ ذلك بيان الفرق بين الوَلاية والوِلاية، كما فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الفرق بين الوَلاية بالفتح والوِلاية بالكسر معروف، فالوَلاية ضد العداوة، وهي المذكورة في النصوص، ليست هي الوِلاية بالكسر التي هي الإمارة، وهؤلاء الإمامية الاثنا عشر يجعلون الولي هو الأمير، ولم يفرقوا بين الوَلاية والوِلاية، والأمير يُسمَّى الوالي.... فبيّن أنَّ الآية دلت على الموالاة المخالفة للمعاداة الثابتة لجميع المؤمنين بعضهم لبعض، وهذا مما يشترك فيه الخلفاء الأربعة»(٣).

وهكذا يتبيَّن لنا أنَّ أقوى دليل يستدل به الإمامية على إمامة عليّ بعد

(١) راجع: المصدر السابق، جـ ١١ ص ٦٤.

(٢) راجع: التفسير الكبير، للإمام الرازي، جـ ١١ ص ٦٥.

(٣) راجع: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، لابن تيمية، جـ ٤ ص ٨.

رسول الله ليس على شيء؛ إذ اعتمدوا في تأويل الآية وأسباب نزولها على أشياء انفردوا بها عمن سواهم، ولم يصح شيء منها، كما حققه أرباب هذا الفن من علماء الحديث والتفسير المعنيون بذلك.

- **ثانيًا: أدلتهم من السنة.**

يعتمد الإمامية في إثبات اعتقادهم في الإمامة على أحاديث هي إمَّا باطلة ومكذوبة وإما مؤولة عن ظاهرها، فهم يذكرون أنَّ الرسول ﷺ قد أوصى بالإمامة بعده لعلي بن أبي طالب، مستدلين على ذلك بحديث غدير خم، وغدير خم هو «موقع بين مكة والمدينة بالجحفة»(١)، ففي هذا الموقع خطب النبي ﷺ في الناس، وذكر فضل علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، واتخذت الإمامية هذه الحادثة أساسًا يعتمدون عليه في أحقية علي بالخلافة بعد رسول الله بلا فصلٍ، وأعطوا لهذه الحادثة من الأهمية ما لم يعطوه لغيرها في عصر النبوة.

والصحيح في هذه الحادثة ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد ابن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «أنه قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيبـًا بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: أمَّا بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. قال له

(١) راجع: معجم البلدان ٢/ ٢٨٩، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر – بيروت.

حصين –أي الراوي عن زيد بن أرقم– ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقةَ بعده، قال ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، قال: كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم»[(١)].

وجاء عند غير مسلم كالترمذي وأحمد والحاكم وغيرهم رواية جاءت بأسانيد صحيحة عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه»[(٢)]، وفي زيادة: «اللهم والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه»، فهذه الزِّيادَةُ صحَّحَها بعضُ أهل العلم[(٣)].

والاختلاف بين أهل السنّة والشِّيعة الإماميّة في مفهوم قول النبي ﷺ لا في الثبوت، فالإماميَّةُ قالت: مَنْ كنت مولاه فعليٌّ مولاه، أي: مَنْ كُنْتُ والِيه فعليٌّ والِيه، وأهل السنة يقولون: إنَّ المراد قول النبي ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه؛ هو الموالاة التي بمعنى النصرة والمحبة وعكسها المعاداة، وذلك للأمور التالية:

١– للزيادة التي وردت وصححها بعض أهل العلم: وهي قول النبي

---

(١) رواه مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جـ ٤ ص ١٨٧٣، رقم ٢٤٠٨.

(٢) راجع: سند الترمذي رقم ٣٧١٣، مسند أحمد رقم ٦٧٠، الحاكم في خصائص علي رقم ٧٩.

(٣) راجع: السلسلة الصحيحة، للألباني (١٧٥٠).

ﷺ: «اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»، والمعاداة هي شرح لقوله: «فعلي مولاه» فهي في محبة الناس لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه[١].

٢- كلمة (مولاه) تدل على معان متعددة، قال ابن منظور: «المولى يقع على معنى الرَّبِّ، والمالك، والمنعم، والناصر، والمحب، والحليف، والعبد، والمعتق، وابن العم والصهر»[٢]، كل هذه المعاني يحتملها لفظ (مولى) في لغة العرب، فيحتملُ أنَّ المُرادَ من كنت حبيبه وناصره، فعلي حبيبه وناصره.

٣- أو يراد به ولاء الإسلام، يقول البيهقي في معنى هذا الحديث: «والمراد به ولاء الإسلام ومودته، وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضًا ولا يُعادي بعضهم بعضًا» وينقلُ عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله في معنى قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ«من كنت مولاه فعلي مولاه»: «يعني بذلك ولاء الإسلام، وذلك قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١]»[٣]. فالحديثُ لا يدلُّ على أنَّ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الخليفةُ بعد رسول الله ﷺ، وإنَّما يدلُّ على أنَّ عليًّا من أولياء الله تبارك وتعالى، تجب له الموالاة وهي المحبة والنصرة والتأييد.

---

(١) انظر: حقبة من التاريخ، عثمان بن محمد الخميس، ص٢٥٠، ط: ٤، مكتبة البخاري للنشر بالقاهرة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، جـ ١٥ ص ٤٠٦.

(٣) راجع: الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة. للبيهقي ص ٢٢٤، ط: السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع ١٩٨٤ م.

٤- من الثابت حتمًا أنَّ رسول الله ﷺ أوتي جوامع الكلم، وأمرنا الله أن نأخذ شرعنا من رسوله، ولو أراد رسول الله أن يوصي بالخلافة من بعده لعلي، ليبيّن ذلك بحديث صريح، والحديث الذي معنا لا يدل على ذلك، ولذلك ورد من حديث فضيل مرزوق قال سمعت الحسن بن الحسن يسأله رجل: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ قال لي: بلى والله، ولو يعني بذلك رسول الله الإمارة والسلطان لأفصح لهم بذلك، فإن رسول الله ﷺ كان أفصح للمسلمين، فقال: يا أيها الناس هذا ولي أمركم، والقائم عليكم من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا، والله لئن كان الله ورسوله اختار عليًّا لهذا الأمر وجعله القائم به للمسلمين من بعده، ثم ترك عليّ أمر الله ورسوله لكان عليّ أول من ترك أمر الله ورسوله»[1].

ويشير البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن عدم تنفيذ عليّ لأمر رسول الله بالإمامة من بعده يُعدُّ جُرمًا؛ لأنَّهُ مُخالفة لأمر رسول الله، وحاشا عليًّا أن يعصي أمر ربه. ويعلق البيهقي بقوله: «ولو كان الأمر كما يقولون: إن الله ورسوله اختار عليًّا لهذا الأمر، وللقيام على الناس بعد رسول الله ﷺ...؛ لكان عليّ أعظم الناس خطية وجرمًا في ذلك؛ إذ ترك أمر رسول الله ﷺ كما أمره، ويعذر فيه إلى الناس»[2].

وبخصوص خطبة الرسول ﷺ في موقع غدير خم الذي جعلتها الإمامية

(١) راجع: المصدر السابق ص ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٥.

عمادًا لهم في المسألة، فالرد على زعمهم وافتراءاتهم هو:

أن هذه الخطبة التي خطبها النبي ﷺ في (غدير خم) أراد بها تبرئة ساحة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورفع مكانته، والتنبيه على فضله؛ ليزيل ما كان وقر في نفوس الناس من أصحابه الذين كانوا معه في اليمن وأخذوا عليه بعض المآخذ، ومن هؤلاء بريدة بن الحصيب حينما قام ينتقص من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد روى البخاري في صحيحه عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أرسل خالد بن الوليد إلى النبيﷺ ليرسل له من يقبض الخمس، فجاء علي وقبض الخمس، ثم اختار جارية من الخمس، ودخل بها، وقال بُريدة: وكنت أبغض علياً وقد اغتسل –وذلك أنَّ عليًّا لمَّا أخذ امرأة من السبي فدخل بها ثم خرج واغتسل– فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟! فلما قدمنا إلى النبي ﷺ ذكرت ذلك له، فقال النبي ﷺ لبُريدة: «يا بُريدة أتبغضُ عليًّا؟ فقلت: نعم، فقال النبي ﷺ: لا تبغضه فإن له من الخمس أكثر من ذلك»[1].

وفي رواية أخرى أنَّ النبي ﷺ قال: «يا بريدة، ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقال بريدة: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه»[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: بعث علي وخالد إلى اليمن، جـ ٤ ص١٩٨١، حديث رقم ٤٣٥٠.

(٢) راجع: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، جـ ٤ ص ٣٣٦، وقال هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

وفي رواية زيد بن أرقم: «كان الأمرُ بالتَّمسكِ بكتاب الله، والوصية بأهل البيت كما مرّ فأوصى بكتاب الله، وحثَّ على التَّمسُّكِ به، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، فالذي أمر به كتاب الله، وأمَّا أهل بيت النبي ﷺ فأمر برعايتهم وإعطائهم حقوقهم التي أعطاهم الله تبارك وتعالى إياها»[1] من حُبٍّ ومودَّةٍ لأهل بيته، فهم عترته، فالحديث لا يدلُّ على أنَّ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ، وإنَّما يدلُّ على أنَّ عليًّا ولي من أولياء الله تبارك وتعالى، تجب له الموالاة، وهي المحبة والنصرة والتأييد، كما تجب لغيره من الصحابة.

وممَّا سبق يتَّضح لنا أنَّ ما استدلَّ به الإمامية الاثنا عشرية من القرآن والسنة، كان مِنْ تأويلهم للقرآن، وكذلك لعدم فهم للسنة وتأويلهم لها تأويلًا مُخالفًا لصريح نصوص الإسلام من القرآنِ والسُنَّةِ. هذا وقد أثبت العُلماءُ أنَّ ما استدلُّ به الإمامية فيه من الوهنِ والضَّعفِ، بحيثُ لا يُعدُّ دليلًا قاطعًا على ما يستدلون به.

إذن أدلة الشيعة على هذا النحو «لا تخرج في قيمتها عن واحدٍ من ثلاثة، فهي:

١- إمَّا صحيحةٌ مؤولةٌ على غير وجهها من الكتاب أو السنة، أو محتملة لوجوه أخرى.

---

(١) راجع: حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، ط: ٢٥.

٢– وإمَّا ضعيفةٌ لا تنهضُ حجَّة لهم.

٣– وإمَّا موضوعةٌ أو مكذوبةٌ على رسول الله ﷺ أو على الأئمة الأطهار، رضوان الله عليهم.

ومن هنا بطل النَّصُّ الذي يستدلُّون به، ولم يبق إلا الحب والصفاء الذي يجب أن يدوم بين المسلمين بدوام إيمانهم بالله تعالى وتصديقهم بما جاء على لسان نبيهم، ومن ثم فإن مبدأ الإمامة بالمفهوم الشيعي، وما ترتب عليه عندهم من البراء ممَّن لم يؤمن بها = مبدأ باطل ومخالف لِمَا عليه جمهور المسلمين من أنَّ «الإمامة مصلحة من المصالح العامة، أمرها موكول إلى جماعة المسلمين، يختارون لها من يرونه صالحًا للتولية، ويصحُّ أن يتولَّى الإمامة من المسلمين من تتوافر فيه رعاية حقوق الله، ومصالح الناس مع تقوى الله، ومتى توفر هذا في مسلم صح توليته الإمامة دون اعتبارات أخرى، سوى اعتبار أن يكون من قريش متى تيسر ذلك[(١)].

فتنصيب الإمام عند جمهور أهل السنة من الواجبات التي يكون أمرها موكولًا إلى الأمة، وأول من أقام ذلك هم الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهو ما يوضحه الإمام ابن حجر الهيتمي بقوله: «اعلم أنَّ الصَّحابة –رضوان الله عليهم– أجمعوا على أنَّ تنصيب الإمامِ بعد انقراضِ زمَنِ النُّبُوَّةِ واجبٌ، بل جعلوه أهمَّ الواجبات»[(٢)].

---

(١) انظر: تاريخ الفرق الإسلامية، د.محمود مزروعة، ص ٢٣٠.

(٢) راجع: الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيتمي، ص ١٥، =

الْمَبْحَثُ الثَّانِي
نَقْضُ مُرْتَكَزَاتِ الرَّافِضَةِ فِي الْبَرَاءِ

☐ نَقْدُ الشِّيْعَةِ الإِمَامِيَّةِ الاثني عشريَّةِ فِي بَرَاءَتِهِمْ مِنْ الصَّحَابَةِ:

لقد ذكرنا نماذج ممَّا تذخرُ به أُمَّهَاتُ كُتُبِ الشِّيْعَةِ في سبِّ ولَعْنِ وتكفيرِ صحابة رسول الله ﷺ، وخصُوصًا كِبَارَ الصَّحَابَةِ، ولم تسلم أُمَّهات المؤمنين من هذا الطَّعن وذلك التبرُّؤ، وجعلوا ذلك قُربةً لله يدينون بها له، وهو مسلكٌ يتنَافَى مع الحقِّ الذي يجب أن يكون عامة المسلمين عليه.

إنَّ ممَّا يُؤْسَفُ عليه أنْ يوجدَ مِنْ أبناء جلدة المسلمين مَنْ يطعنون في كِرامِ النَّاسِ في الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ، وفيمَنْ اختصَّهُمْ الله لحملِ رسالةِ الإسلامِ، ونشرها في ربوع المعمورة، فالطَّعنُ فيهم طعنٌ في الإسلامِ ذاتِهِ؛ لأنَّ الذي حمله إلى العالم هم صحابة رسول الله، فالطَّعنُ فيهم طعنٌ في الدِّينِ ذاتِهِ. ولا يشكُّ أحدٌ من المسلمين أنَّ هؤلاءِ الصَّحَابَةَ الأفاضلَ مشهودٌ لهم بالعَدْلِ، إنَّهُمْ قومٌ اختَّصَهُمْ الله تعالى لصُحْبَةِ نبيِّهِ، وإقامَةِ دينِهِ وشرعِهِ، وجعلهم وزراء نبيه وورثته من بعده في حمل الأمانة، وتبليغ الدعوة حتى وصل الدين إلينا غضًّا طريًّا، على ما أراده الله لهم ولِمَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ، وقد حفظ الله بهم الدِّينَ تحقيقًا لوعده: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، لذلك جعل الله تعالى حبهم دينـًا وإيمانًا، وبغضهم كفرًا ونفاقًا،

=

ط: ١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٣ م.

وأوجب على الأمة موالاتهم جميعًا وذكر محاسنهم وفضائلهم، والسكوت عما شجر بينهم لسابق فضلهم، وكريم فعلهم، وصدق تضحيتهم، وعظيم منزلتهم، ومقامهم عند الله ﷻ[١]، ينطق بفضلهم وكرمهم.

على أيَّةِ حالٍ رَدُّنا على الشيعة في براءتهم من كبارِ الصَّحابَةِ وأُمَّهاتِ المؤمنين والعديدِ من صَحَابةِ رسول اللهِ سيكون باتِّبَاع الأسلوبِ الآتي، سائلين الله التوفيق لما قصدنا إن شاء الله تعالى، فإلى الرد عليهم:

سبق أنْ أشرتُ إلى مكانةِ الصَّحابَةِ الكِرَامِ في القُرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ المُطهَّرةِ، وقد سار المسلمون على نهجِ القُرْآنِ والسُنَّةِ في إعطاءِ صَحَابَةِ رسولِ الله مكانتهم السَّامِقَة، وأعطوهم جميعًا كُلَّ مفاهيم الولاءِ؛ من الحُبِّ والمُتابَعَةِ والنُّصرةِ لهم أمام مَنْ يُحاولُ النَّيْلَ منهم، لا سيَّمَا أبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وما أجمل ما ذكره الإمام ابن كثير عنهم في قوله: «فقد أخبر الله العظيم أنَّهُ قد رضي عن السَّابقين الأولين من المُهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسانٍ، فيا ويل مَنْ أبغضهم، أو سبَّهم، أو أبغض أو سَّب بعضَهم، ولاسيَّما سيد الصَّحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم؛ أعني: الصِّدِّيقَ الأكبرَ، والخليفة الأعظم (أبا بكر) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ»[٢].

وينتقد ابنُ كثير الرافضةَ في مُعاداتهم للصَّحابة، ويبيِّن أنَّ أهلَ السُّنَّةِ

---

(١) انظر حتى لا تنخدع: حقيقة الشيعة، عبد الله الموصلي، ص ٨، ط: مكتبة البخاري، الإسماعيلية، ط: ١ لسنة ٢٠٠٦ م.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، جـ ٢ ص ١٦٦.

يُوالون الصَّحابَةَ دونهم بقوله: «فإنَّ الطَّائفةَ المَخذولَةَ مِنْ الرَّافضةِ يُعادُونَ أفضلَ الصَّحابَةِ، ويُبْغضُونَهُم ويَسُبُّونَهُمْ؛ عياذًا بالله من ذلك، وهذا يدلُّ على أنَّ عُقولهم معكوسَةٌ، وقلوبَهم مَنكوسَةٌ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يَسبُّون مَنْ رضي الله عنهم، وأمَّا أهل السنة؛ فإنَّهم يترضون عمَّن رضي الله عنه، ويسبُون مَنْ سبَّهُ الله ورسوله، ويُوالون مَنْ يُوالي الله، ويُعادون مَنْ يُعادِي الله، وهم مُتَّبِعُون لا مُبْتَدِعُون، ويقتدون ولا يَبتدئؤن، وهؤلاء هم المُفلحون»[1].

وروى شارحُ الطَّحاويَّةَ أنَّ الرَّافِضَةَ قد زادُوا على كُفْرِ اليهودِ والنَّصَارى بأنَّهُم حملوا في قلوبهم الغِلَّ لأصحابِ النَّبيِّ وكفَّرُوهم، فقال: «فمَنْ أضلَّ مِمَّنْ يكون في قلبه غِلٌّ لخيارِ المؤمنين، وسَادَاتِ أولياءِ الله تعالى بعد النَّبيين، بل قد زدتم على اليهودِ والنَّصَارَى بِخِصْلَةٍ، قيل لليهودِ: مَنْ خيرُ أهلِ مِلَّتِكُمْ؟ قالوا: أصحابُ موسى، وقيل للنَّصارى: مَنْ خيرُ أهل مِلَّتِكم؟ قالوا: أصحابُ عيسى، وقيل للرَّافِضَة: مَنْ شَرُّ أهلِ مِلَّتكم؟ قالوا: أصحابُ مُحَمَّدٍ!! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمَنْ سبُّوهم مَنْ هو خيرٌ مِمَّنْ استثنوهم بأضعافٍ مُضاعفَةٍ»[2].

ثُمَّ يبيِّنُ شارحُ الطَّحاويَّةِ موقفَ أهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ تِجَاهَ أصحاب رسول الله، وهو موقفُ المُوَالاةِ بِمَا تحملُ مِنْ حُبٍّ ونُصْرةٍ، فقال: «ولا نتبرأ

---

(١) المرجع نفسه، الصحيفة نفسها.

(٢) راجع: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص ٢٦٥.

مِنْ أحدٍ منهم كما فعلتْ الرَّافِضَةُ، فعندهم: (لا ولاء إلا ببراءٍ)؛ أي: لا يُتولَّى أهلُ البيتِ حتَّى يُتبرَّأ من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا!! وأهل السنة يُوالونهم كُلَّهم، ويُنزلُونهم مَنَازلهم التي يستحقُونها بالعَدلِ والإنصافِ، لا بالهَوَى والتَّعصُّبِ، فإنَّ ذلك كُلَّه مِنْ البَغْي الذي هو مُجاوَزَةُ الحَدِّ»(١).

• **أوَّلًا: الرَّدُّ علَى الشِّيْعَةِ الإِمَامِيَّةِ فِي تَكْفِيْرِهِمْ وَبَرَاءَتِهِمْ مِنْ أَبْي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.**

١ – مَكَانَةُ أَبي بكرٍ عِنْدَ رسولِ الله:

إنَّ مكانةَ أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الله، وعند رسول الله مكانةٌ لم يسبقه أحدٌ فيها، فكُلُّ الآياتِ القرآنية التي تُعلِي من شأنِ أصحَابِ رسول الله؛ أوَّلُ مَنْ تنطبقُ عليه هو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو أولُ مَنْ آمَنَ مِنْ الرِّجَالِ مع رسولِ الله، وكان الصَّدِيقَ والصِّدِّيق لرسول الله ﷺ، ورفيقه وصاحبه في الهجرة من مكة إلى المدينة، وقد أنزل الله فيه قوله: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما

---

(١) راجع: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص ٤٦٦.

ظنُّك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟»[١]، وقد تزوج النبي من ابنته إكرامًا له، وذب عن رسول الله الأذى في مكة، ولما له من مكانة عالية عند النبي ﷺ، قال فيه قبيل وفاته: «إنَّ مَنْ أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنتُ مُتَّخذًا خليلًا من أمتي لاتَّخذت أبا بكر، إلا خلَّة الإسلام»[٢].

وكان أبو بكرالصِّدِّيقُ ﷺ أحبَّ الرِّجالِ إلى رسول الله ﷺ، فقد سأل عمرو بن العاص رسول الله ﷺ: «أيُّ الناس أحبُّ إليك، قال: عائشةُ، فقال: من الرجال؟ قال: أبوها»[٣].

وقد أشار النَّبيُّ ﷺ إلى استخلافِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ بعد رسول الله، وذلك في الحديثِ المُتَّفقِ عليه عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَرِضَ النبيُّ ﷺ فاشتدَّ مرضه فقال ﷺ: «مُرُوا أبا بكر فليصلِّ بالنَّاسِ»، قالت عائشةُ: إنَّهُ رجلٌ رقيقٌ؛ إذا قامَ مقامَك لم يستطعْ أن يُصلِّي بالنَّاسِ. قالﷺ: «مُرُوا أبا بكر فليصلِ بالنَّاسِ» فعادت، فقالَ: «مُري أبا بكر فليصلِ بالنَّاسِ، فإنَّكُنَّ صَوَاحِبَ يوسفَ»، فأتاه الرسولُ فصلَّى بالنَّاسِ في حياةِ النَّبيِّﷺ»[٤]. إلى غير ذلك مما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، مناقب المهاجرين وفضلهم، جـ٣ ص ١٣٣٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: فضائل الصحابة، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، جـ٣ ص ١٤١٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ،ب: قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلًا، جـ١ ص ٢٣٦.

(٤) متفق عليه؛ صحيح البخاري، ك: الأذان، ب: أهل العلم والفضل أحقُّ بالإمامةِ، حديث =

يدل على مكانة أبي بكر عند الله وعند رسوله، أضف إلى ذلك ما كان له من يدٍ في تثبيت النَّاسِ بعدَ وفاةِ النَّبيِّ ﷺ، فقد جعله الله سببًا في تذكيرِ النَّاسِ بأنَّ الله كتب الموت على كُلِّ الأنبياء بمَنْ فيهم مُحَمَّدٌ ﷺ، ومن مناقبه حربه للمُرتدِّين ولمانعي الزكاة... إلى غير ذلك من شمائله ومناقِبِه.

- **ثانيًا: مَكَانَةُ أَبِي بكرٍ عندَ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:**

كان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوقِّرُ أبَا بكرٍ، ويعترفُ له بالفَضْلِ، وكان مِنْ الذين بايعوا أبا بكر على إمامته للمسلمين.

فيذكرُ الإمامُ عليُّ بن أبي طالب بيعتَهُ لأبي بكر فيقولُ: «... فمشيتُ عند ذلك إلى أبي بكر فبايعتُهُ ونهضتُ في تلك الأحداثِ حتَّى زاغَ الباطِلُ وزهقَ، وكانت (كلمةُ الله هي العُليَا ولو كَرِهَ الكافِرُون) فتولَّى أبو بكر تلك الأمور، فَيَسَّرَ، وسدَّد، وقاربَ، واقتصدَ، فَصَحِبْتُهُ مُنَاصِحًا، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدًا»(١).

ففي هذا النَّصِّ -كما هو واضحٌ- يُخبرُ الإمامُ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن مُبايعتِهِ لأبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومُناصَحَتَهُ، وطاعَتَهُ له، ومُوالاتَه له، ثُمَّ يشهدُ عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي بكر بأنَّهُ الأحقُّ بالخلافَةِ والأجدرُ بها بعد رسول الله ﷺ بقوله: «وإنَّا لنرى أبا بكر أحقَّ بها، إنَّهُ لصاحِبُ الغَارِ، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ

=

٦٧٨، وصحيح مسلم، ك: الصلاة، ب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، حديث ٤٢٠.

(١) راجع: الغارات، للثقفي، جـ ٢ ص ٣٠٥.

بالصَّلاةِ خَلْفَهُ وهو حَيٌّ»[(١)]، فهذه شهادةٌ من عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على مكانة أبي بكر في الإسلام، وعلى أحقيَّتِه بالخِلافَةِ ومُبايعَتِه بِهَا، أبعد ذلك يقول مَنْ ينتسب إلى عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في مُبايعته ومُناصرته: إنَّ أبا بكر كافرٌ وارتدَّ عن الإسلام ويجبُ التَّبرُّؤ منه؟

وممَّا يزيدُ الأمرَ طُمأنينةً إلى هذا الحكم؛ أعني: بيعتة عليٍّ لأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وترضّيه عنه = ما حكاه الإمامُ البخاري في صحيحه عن محمد بن الحنفية – وهو محمد بن علي بن أبي طالب – قال: «قُلتُ لأبي: أيُّ النَّاسِ خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: عمرُ، وخشيتُ أن يقولَ: عثمان. قلتُ ثُمَّ أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المُسلمين»[(٢)].

وإلى القارئ الكريم جُملةٌ من النُّصُوصِ الصَّحيحَةِ المَرْويَّةِ عن الثِّقاتِ في كُتُبِ الأكَابِرِ مِنْ رجَالِ الحَديثِ وأصْحَابِ السُّنَنِ والمَسَانيدِ، تشهدُ بفضلِ أبي بكر وعمر على لسانِ سيدنا عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال أبو جُحيفة – الذي كان عليٌّ يُسمِّيه وهبَ الخيرِ – قال: قال لي علي: يا أبا جحيفة، ألا أُخبركَ بأفضلِ هذه الأُمَةِ بعد نبيِّهَا؟ قال: قلتُ بلى، قال: ولم أكن أرى أنَّ أحدًا أفضلُ منه، قال: أفضلُ هذه الأُمَّةِ بعد نبيِّهَا أبو بكر وبعد أبي بكر عمرُ، وبعدهما آخرُ ثالثٌ ولم يُسَمِّه»[(٣)].

(١) راجع: نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، جـ١ ص ١٣٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٧١) بإسناده عن محمد بن الحنفية.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٨٣٣)، (٨٣٧)، (٨٧١).

وعن عبد الله بن سلمة قال: سمعتُ عليًّا يقولُ: «خيرُ النَّاسِ بَعْدَ رسولِ الله ﷺ أبو بكر، وخيرُ النَّاسِ بعد أبي بكر عمرُ»(١).

وعن عبد خير قال: سمعتُ عليًّا يقولُ: «قُبِضَ رسولُ الله ﷺ على خيرِ مَا عليه نبيٌّ من الأنبياء، قال: ثُمَّ استُخلِفَ أبو بكرٍ، فَعَمِلَ بِعَمَلِ رسولِ الله ﷺ وبِسُنَّتِه، ثم قُبِضَ أبو بكر على خيرِ ما قُبِضَ عليه أحدٌ، وكان خيرَ هذه الأمة بعد نبيها، ثُمَّ اسْتُخْلِفَ عمرُ، فعمل بعملهما وسنتهما، ثُمَّ قُبِضَ على خيرِ مَا قُبِضَ عليه أحدٌ، وكان خيرَ هذه الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر»(٢).

ولقد «ورد عن عليٍّ -وهو معصومٌ عندهم، والمعصومُ لا يجوزُ عليه الكذِبُ- أنَّ أبا بكرٍ وعُمَرَ أفضلُ الأُمَّةِ»(٣). هذا ولقد بيَّن عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكانَةَ الشَّيخين عنده، ونهى عن النَّيلِ منهما. وردَّ أنَّهُ توعَّدَ مَنْ أبغضهما بالجَلْدِ والتَّعزيرِ»، وروي عنه أنَّهُ قال: «فو الذي فَلَقَ الحَبَّةَ وبرأَ النِّسمَةَ لا يُحبُّهما إلا مُؤمنٌ فاضلٌ، ولا يُبْغضُهُمَا ويُخالِفُهما إلا شقيٌّ مارقٌ، حُبُّهما قُرْبةٌ، وبُغضُهُمَا مُرُوقٌ، ثُمَّ ذَكَرَ أَمْرَ النَّبيِّ ﷺ لأبي بكر بالصَّلاةِ، وهو يرَى مكانَ عليٍّ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ بايَعَ أبَا بكرٍ، ثُمَّ ذَكَرَ استخلافَ أبي بكر لعُمَرَ، ثم قال: ألا ولا يبلغني عن أحدٍ أنَّهُ يُبغضهما إلا جلدته حدَّ المُفتري»(٤). هذه مكانةُ الشَّيخين عند الإمام

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه (١٠٦)، وصحَّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، ٧/ ٤٣٤ رقم (٧٠٥٣).

(٣) راجع: الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزنقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي، ص ٩٠ ط: دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

(٤) المرجع السابق ص ٩٥، وراجع: الاعتقاد، للبيهقي، ص ٢٣١، والصارم المسلول، لابن تيمية، ص ٥١٧.

عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلم يُؤْثَرْ عنه أنَّهُ سبَّهُمَا أو تبرَّأَ منهما.

- **ثالثًا: مَكَانَةُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ عِنْدَ آلِ البَيْتِ:**

نجدُ أنَّ آلَ البيت -عليهم الرضوان- قد نهجُوا نهجُ الإمام عليٍّ فـ«عن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر؛ أنَّ رَجُلًا جاء إلى أبيه زين العابدين عليّ بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقال: أخبرني عن أبي بكر، فقال: الصديق، فقال: وتسمية الصديق، فقال: ثكلتك أمك قد سمَّاه رسول الله ﷺ صدِّيقًا والمهاجرون والأنصار، ومن لم يُسَمِهِ صدِّيقًا فلا صدق الله عَزَّ وَجَلَّ قوله في الدنيا والآخرة، اذْهَبْ وأَحِبَّ أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[١].

وروي أنهم: تقرَّبوا إلى الله بتولِّيهم أبا بكر وعمر، فعن سالم بن أبي حفصة؛ وهو شيعيٌّ، أنَّه قال: دخلت على جعفر بن محمد، وهو مريضٌ، فقال: «اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّ أبا بكر وعمر وأتولَّاهُمَا، اللَّهُمَّ إنْ كان في نفسي غير هذا فلا تنالني شفاعة محمد ﷺ»[٢].

وورد أيضًا عن بسَّام الصَّيرفي، قلت لأبي جعفر: ما تقولُ في أبي بكر وعمر؟ فقال: والله إنِّي لأتولَّاهُمَا، وما أدركتُ أحدًا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما»[٣].

---

(١) راجع: اعتقاد أهل السنة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، جـ ١ص١٣٠١، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، ط: دار طيبة – الرياض، ١٤٠٢هـ. وراجع: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لابن حجر الهيتمي، ص ٧٨.

(٢) راجع: الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيتمي، ص ٨٠.

(٣) راجع: المصدر السابق، ص ٨١.

• رابعًا: مَكَانَةُ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عنْدَ اللهِ وعِنْدَ رسُولِهِ:

ما سبق كان في بيان مكانة أبي بكر عند رسول الله، ومكانته عند الإمام عليٍّ، أما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فهو الذي فرح رسول الله بإسلامه فرحًا شديدًا، وتزوَّج من ابنته، وقد عُرفت مكانته عند الله وعند رسوله، وعُرف بعدله، ولقد كان الوحي ينزل موافقًا لرأيه، واشتهر بقوة إيمانه، لدرجة أن رسول الله ﷺ أخبره بمخافة الشيطان منه فقال له في الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص: «والَّذي نفسي بيده، ما لقيكَ الشَّيطانُ قَطّ سالكًا فجًّا إلا سلكَ فَجًّا غيرّ فَجِّكَ»[1].

ولقد بشَّره رسول الله بالجنَّةِ، وبما أعدَّهُ الله له في الجَنْةِ، فقال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله: «بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأةٌ تتوضَّأ إلى جانبِ قصرٍ، فقلتُ لمَنْ هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته، فوليت مدبرًا، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟»[2].

• خَامِسًا: مَكَانَةُ عُمَرَ بن الخَطَابِ عِنْدَ الإِمَامِ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

أمَّا عن مكانَةِ عُمَرَ بن الخطاب عند الإمام عليٍّ، فهي مكانةٌ عاليةٌ، فلقد ورد أنَّ الإمام عليًّا كان يُوقِّرُه ويعرف له فضله ومكانته، وورد أنَّه قال في

(١) أخرجه البخاري، ك: بدء الخلق، ب: صفة إبليس وجنوده (٨/ ٣٤٥/ح: ٣٢٩٤).

(٢) أخرجه البخاري، ك: بدء الخلق، ب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، جـ ٣ ص ١١٨٥.

حقِّه: «لقد أقام السنة، وذهب نقيَّ الثوب، قليلَ العيب، أصاب خيرها، وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق مُتشعِّبة لا يهتدي فيها الضال، ولا يستيقن المهتدي»(١).

ولقد نعاهُ الإمامُ عليّ بعد أنْ قُتل، وتمنَّى أنْ يلقى الله بصحيفة مثل صحيفته فلقد ورد: «عن عليٍّ أنَّهُ دخل على عمر وهو مُسجَّى فقال: رحمة الله عليك، ما من أحدٍ أُحبُّ أن ألقى الله بما في صحيفته بعد صحيفة النبي ﷺ من هذا المُسجَّى»(٢).

وروى البخاري عن ابن عباس أنه قال: «وُضعَ عمرُ على سريره، فتكنَّفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يُرفع وأنا فيهم، فلم يَرُعني إلا رجل آخذ منكبي فإذا عليّ ابن أبي طالب، فترحَّم على عُمَرَ، وقال: ما خلّفتُ أحدًا أحبَّ إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله! إن كنتُ لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبتُ أنّي كثيرًا أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»(٣).

ولقد وُطدت العلاقة بين عليّ وبين الخلفاء قبله عن طريق النَّسب، ومن

---

(١) راجع: نهج البلاغة، جـ١ ص ١٣٢.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه، رقم ٤٥٢٣، ط: ١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م، والصواعق المحرقة، ص ١٥٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: فضائل الصحابة، ب: مناقب عمر بن الخطاب، جـ ٣ ص ١٣٤٨.

ذلك أنَّ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زوَّج بنته أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولك أن تقول: زَوْجُ عمرَ بن الخطاب هي بنتُ فاطمة بنت النبي زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، ولمَّا تزوجها عمر أصدقها أربعين ألف درهم فضة، وأنجبت منه زيدًا ورُقيَّةَ»[١].

«ولو أردنا أن نستقصي علائق النسب، والرحم، والقرابة، والمُصاهرة بين آل البيت وبين أصحاب رسول الله ﷺ رجالًا ونساءً عامة، وبين أبي بكر وعمر خاصَّةً لدخلنا في باب عريض من المودَّةِ والحُبِّ والتَّعظيمِ، وعرفانِ الفَضْلِ والحقِّ بين أطيبِ الأعرَاقِ وأطهرِ البُيُوتَاتِ، وقومٌ هذا شأنُهُم حُقَّ للحاسدين والحاقدين أن يرموهم بأعين الكراهية، وأسهم الخيانة والتدليس، فهل هناك أقوى دليلًا وأسطع بيانًا، وأعلى في الحُجَّةِ على نفي فرية العداوة، وانتهاك الزعم من سعي أولئك الأطهار، لأنْ يُدلِيَ كُلٌّ منهم للآخرِ بالنِّسَبِ والمُصَاهرةِ»[٢].

- **سَادِسًا: مَكَانَةُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنْدَ رَسُول الله ﷺ:**

أمَّا عن عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلقد كان من أكرم الناس وأفضلهم، ولمكانته عند رسول الله قد زوجه النبي من ابنتيه، وأخبره بأنه لو كانت هناك ثالثة لزوجه إياها، وقد بشَّره النبي بالجنة، وهو الذي جهَّز جيش العُسْرَةِ، وحفر

(١) راجع: القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية، د. محمد نعيم محمد هاني ساعي ص ٣٥٤، ط: ٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، سنة ٢٠٠٧م.

(٢) راجع: القانون في الفرق، ص ٣٥٥.

بئر رومةَ، وقد أخرج البخاري عن أبي عبد الرحمن السِّلمي أنَّ عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال: «أنشدكم بالله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزته؟، ألستم تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قال: مَنْ حفر بئر رومةَ فله الجنَّةَ، فحفرتُها؟ فصدَّقوه بما قال»،[1]

• سَابِعًا: فَضْلُ أُمَّهَاتِ المُؤمنين رضي الله عنهنّ:

أمَّا عن الطعن والتبرؤ من أُمَّهَاتِ المؤمنين لا سيَّما عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فقد ورد عَنْ رسولِ الله ﷺ حُبُّه لها، وتفضيلها على بقية زوجات النبي في قلبه، فقد ورد في حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ كَمُلَ من الرِّجَالِ كثيرٌ، ولم يكملْ من النِّسَاءِ إلا آسيةُ امرأةُ فرعون، ومريمُ بنت عمران، وإنَّ فضلَ عائشة على النِّسَاءِ كفضلِ الثَّريدِ على سائر الطعام»[2].

وليس هناك ردٌّ أبلغُ من تطهيرِ القرآنِ لها ولغيرها من زوجات رسول الله ﷺ، وشهادته بأَنَّهُنَّ أُمَّهَاتِ المؤمنين، وهل هناك أعظم من هذا الثَّناءِ عليهنَّ، وقد جاء في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وكان الوحي ينزل على رسول الله وهو في لِحَافِ عائشة كما قال النبي

---

(١) رواه البخاري، ك: فضائل الصحابة، ب: مناقب عثمان بن عفان، جـ٣ ص ١٣٥١

(٢) أخرجه البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: فضل عائشة، جـ٣ ص ١٣٧٤.

ﷺ لأم سلمة: «لا تُؤذينِي في عائشةَ، فإنَّهُ لم ينزلْ عليَّ الوحيُ وأنا في لِحَافِ امرأةٍ مُنكُنَّ إلا في لِحَافِ عائِشَةَ»[١].

وتُوفِيَ النَّبيُّ ﷺ وهو بين سحرها ونَحْرِها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت آخر مَنْ اجتمع ريقُها بريقِهِ ﷺ قبل رحيله، وتوفي في بيتها، ودُفن في حجرتها، كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «توفي النبي ﷺ في بيتي وفي نوبتي، وبين سحري ونحري، وجمع الله بين ريقي وريقه، دخل عبد الرحمن بسواك فضعُف النبي ﷺ عنه، فأخذته فمضغته ثم سننته به»[٢].

- أمَّا عن تكفير الشيعة لمَنْ قاتل وحاربَ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبراءتهم منه فهذا مُخالفٌ لما ورد عَنْ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رأيهم فيهم؛ فالإمامُ عليٌّ قد شهد بالإيمان والأخوَّة في الدِّين للذين حاربوه وقاتلوه؛ لأنَّ الخِلافَ والقِتَالَ إنَّما كان في السِّياسيةِ والخِلافَةِ، وهي من الفُرُوعِ التي يُؤجَرُ حتَّى المُخطئ فيها... ولم يكن الخلاف في أصول الاعتقاد الديني[٣]. وقد سُئل عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رأيه في أهلِ الشَّامِ؛ معاوية ابن أبي سفيان وأنصاره، إبَّان قِمَّةِ الصِّرَاعِ بينهما في موقعة صفِّين ٣٧ هـ - ٦٥٧ م، فأجاب: «لقد التقينا وربنا واحدٌ، ونبيُّنا واحدٌ، ودعوتنا في الإسلامِ واحدةٌ، ولا نستزيدهم بالإيمان في الله، والتصدق برسوله، ولا يستزيدوننا والأمرُ واحدٌ إلا ما اختلفنا فيه من دمِ

---

(١) رواه النسائي (٣٩٥٠)، وأحمد (٢٥٩٧٣)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، رقم ٧١١٦ جـ ١٦ ص ٥٣، تحقيق: شعيب الأرناؤوط،ط: ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(٣) راجع: فتنة التكفير، د.محمد عمارة، ص ٧٧.

عثمانَ، ونحنُ منه براءٌ، إنَّنا والحمدُ لله ما قاتلنا أهلَ الشَّامِ على ما توَهَّم هؤلاء -الخوارج- من التَّكفيرِ والافتراقِ في الدِّينِ، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة وإنَّهم لإخواننا في الدِّين، قِبلتُنَا واحدةٌ، ورأينا أنَّنا على الحقِّ دونهم»[١].

فلم يُكَفِّرْ عليٌّ أحدًا ممَّن قاتله، ولم يتبرَّأْ من أحدٍ من أصحاب رسوله الله ﷺ، ولم تخرج من فمه كلمةُ سبٍّ أو لعنٍ أو براءَةٍ لأحدٍ من خصومه، بل قرر وجود الأخوة الدينية بينه وبين مقاتليه ومحاربيه. وإجماعُ الاثنَي عشرية على تكفير مَنْ حارب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعني تكفير آلاف الصَّحابة الكرام البَرَرَةِ، وتكذيب الرسول ﷺ الذي شهد لهم بالخيرية، وبشّر بعضهم بالجنة، وكذلك يصطدم مع كتاب ربنا عَزَّ وَجَلَّ، فمنهم من شهد الله -سبحانه وتعالى- بأنه رضي عنهم، ولم يثبت أنه عاد فسخط عليهم، فمن أين إذن جاءوا بهذه الفرية؟[٢].

- **ثَامنًا: مَوْقِفُ أَهْلِ البَيْتِ مِنْ الشِّيْعَةِ الرَّافِضَةِ:**

أئمةُ أهل البيت كسائر أهل السنة في موقفهم من الرافضة ومن عقائدهم، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السنة، وبُعدهم عن الحقِّ، وهم من أشد الناس ذمًا ومقتًا لهم، وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم، إذ

---

(١) راجع: التمهيد، للإمام الباقلاني، ص٢٣٧، ٢٣٨، تحقيق: محمود الخضري، د.محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط: القاهرة، ١٩٤٧م.

(٢) انظر: مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع، د.علي أحمد السالوس، جـ١ ص ٥١، ط: ١، دار التقوى للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٧ م.

وضعت بعض الأقلام الشيعية معتقدات وكلامًا على ألسنة آل البيت لا يمكن أن يصدر عن مثلهم في فضلهم، وقد تعدَّدت عبارات أهل البيتِ، وتنوَّعت في ذمِّ الرَّافضة وبراءتهم من عقيدتهم، فمما جاء عنهم في براءتهم من عقائد الشيعة الرافضة، وتأصيلهم عقيدة أهل السنة = ما ثبت عن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه قال –كما سبق وبيَّنَّا–: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[(١)]، وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «لا يُفضِّلُني أحدٌ على الشَّيخين إلا جلدته حدَّ المُفتري»[(٢)].

وقد مرَّ من الآثار الواردة والثابتة عن أمير المؤمنين علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ما يناقض عقيدة الشيعة في الشيخين كما تقدَّم، ويدل على براءة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من الشيعة الرافضة وعقيدتهم، وعلى تولِّيه للشَّيخين وسائر أصحاب النبي ﷺوحبّه لهم، وأنَّهم خيرُ النَّاسِ، وقد أثنى عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على أصحاب رسول الله ﷺ بصورةٍ كفيلةٍ بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسبِّ صحابة رسول الله ﷺ والقول بردَّتهم، وانقلابهم على أعقابهم من بعده كما تدَّعي الشِيعةُ الرَّافضةُ، فهذا أميرُ المؤمنين عليٌّ يُصوِّرُ لنا بنفسه صحابة رسول الله ﷺ كما رآهم؛ إذ يقول: «لقد رأيت أصحابَ محمد فما أرى أحدًا يُشبههم، لقد كانوا يُصبحون شُعثًا غُبْرًا وقد باتوا سُجَّدًا وقيامًا، يُراوحون بين جِبَاهِهم وخُدُودِهم، ويقفون على مثل الجَمْرِ من ذِكْرِ مَعَادِهم، كأنَّ بين أعينهم ركبُ المعزى من طول سجودهم، إذا

---

(١) راجع: اعتقاد أهل السنة اللالكائي، جـ ٧ ص ١٣٣٦.

(٢) راجع: السنة، لابن أبي عاصم، ص ٥٦١.

ذكر الله هَمِلَتْ أعينُهم حتى تُبلَّ جيوبهم»[١].

فيا مَنْ يعتقد أنَّهُ أحبَّ أميرَ المؤمنين عليًّا عليه أن يتأمَّلَ في نظرته إلى أصحاب رسول الله ﷺ، ثُمَّ من بعد عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاءت أقوال أبنائه وأهل بيته في البراءة من الرافضة، ومن عقيدتهم.

وإلى القارئ بعض أقوالهم:

قول الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن: إنَّ الشِّيعةَ تزعمُ أنَّ عليًّا مبعوثٌ قبل يوم القيامة، قال: «كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنَّهُ مبعوثٌ، ما زَوَّجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله»[٢].

قول علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: ثبتَ عَنْهُ أنَّهُ «جاءه نفرٌ من العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فلمَّا فرغُوا قال لهم: ألا تُخبروني: أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون مَنْ هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجَةً ممَّا أُوتوا، ويُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ، ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون؟ قالوا: لا، قال: أشهدُ أنَّكُمْ لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا

(١) راجع: نهج البلاغة، ص ١٨٣.

(٢) راجع: سير أعلام النبلاء، للذهبي، جـ ٣ ص ٢٦٣.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] أخرجوا فعل الله بكم»[١].

قول محمد بن علي الباقر: عن محمد بن علي أنه قال: «أجمع بنو فاطمة على أنْ يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون من القول»[٢].

وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَنَّهُ قال لجابر الجعفي: «إنَّ قومًا بالعراق يزعمون أنِّي أمرتهم بذلك –أي: التَّبرُّؤ من الشَّيخين– فأخبرهم أنِّي أبرأ إلى الله منهم، والله بريءٌ منهم، والذي نفسُ مُحمَّدٍ بيده لو وُلِّيْتُ لتقرَّبتُ إلى الله بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد إنْ لم أكنْ أستغفر الله لهما، وأترحم عليهما»[٣].

– وعن بسام الصيرفي قال: سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال: «والله إني لأتولاهما وأستغفر لهما، وما أدركت أحدًا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما»[٤].

– وروي عن محمد بن الفضل عن سالم بن حفصة قال: سألت أبا جعفر وابنه جعفر عن أبي بكر وعمر فقال: «يا سالم تولَّهما وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامَي هدى، ثم قال جعفر: يا سالم أيسب الرجل جده؟ أبو بكر جدي، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن

---

(١) راجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، جـ ٣ ص ١٣٧، ط: ٤، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٢) راجع: سير أعلام النبلاء، للذهبي، جـ ٤ ص ٤٠٦.

(٣) راجع: الاعتقاد، للبيهقي، ص ٣٦١.

(٤) راجع: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، جـ ٤ ص ٤٠٣،ط: ١ مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠١هـ.

أتولاهما، وأبرأ من عدوهما»[١].

- لقد تزوج الإمام الباقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ومنهما ولد الإمام الصادق[٢]،«وكان الإمام جعفر الصادق يفتخر بانتسابه إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ويقول: ولدني أبو بكر مرتين؛ ولذلك لأن والدته هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأم والدته هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر»[٣].

- وعن الإمام جعفر الصادق أنه قال: «برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر»[٤]. قال الإمام الذهبي معقبًا على هذا الأثر: «قلتُ: هذا القولُ مُتواترٌ عن جعفر الصادق، أشهد بالله إنَّه لبارٌّ في قوله غيرُ مُنافقٍ لأحدٍ، فقبَّح الله الرَّافِضَةَ»[٥].

يُفهم ممَّا سبق أنَّ آل البيت قد أدركوا مَنْ غَالَى في الوَلاءِ لهم والبراءة من الصَّحابَةِ، فقاموا -ما استطاعوا في حياتهم- بردِّ هذا الغلو في الولاءِ، لكن بقيت بعد موتهم أقوالٌ أفلتت من جهودهم في هذا، ونُسبِتْ إليهم زُورًا وهم منها براءٌ.

يقول الشهرستاني: «إنَّ جعفرًا الصَّادقَ تبرَّأ ممَّا كان ينسبه إليه بعضُ الغُلاةِ،

(١) راجع: سير أعلام النبلاء، جـ٦ ص ٢٥٨.

(٢) راجع: الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، لابن الصباغ المالكي، ص ٢٠٩.

(٣) راجع: سير أعلام النبلاء، جـ٦ ص ٢٦٠.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، جـ٦ ص ٢٦٠.

(٥) راجع: سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، جـ٦ ص ٢٦٠.

وبَرِئَ منهم ولعنَهم، وبرِئَ من خصائص مذهب الرافضة وحماقاتهم في الغيبة والرجعة.... لكن الشيعة بعده افترقوا، وانتحل كُلٌّ واحدٍ منهم مذهبًا وأراد أن يروجه على أصحابه، فنسبه إلى جعفر وربطه به، وهو منها براء من ذلك، بينما يبرأ جعفر من القول بالغيبة والرجعة، -من زعم أنه يغيب ثم يرجع- إذ تنسب الناووسية -وهم من فرق الإمامية- أنَّ الصَّادقَ حيٌّ ولن يموت وسيعود للظُّهور ويعلو أمره، ويرون عنه أنه قال: لو رأيتم رأسي يدهده عليكم [يدحرج من الجبل] فلا تصدقوا فإني صاحبكم صاحب السيف»[1].

هذه هي أقوال أئمة أهل البيت الطيبين الطاهرين الذين تدعي الشيعة الرافضة إمامتهم وولايتهم والانتساب إليهم، وينسبون إليهم عقيدتهم. هذه الأقوال واضحة في بيان موقفهم من الشيعة الرافضة ومن دينهم، وتدل على براءتهم منهم ومن كُلِّ ما يفعلونه بهم من التَّدليس عليهم عقائدَ فاسدة ومطاعنَ على خيار الصحابة، وأمهات المؤمنين، وتدل على أن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة أهل السنة ظاهرًا وباطنًا في كل كبيرة وصغيرة، فهي عقيدتهم التي بها يدينون، وعليها يوالون ويعادون، ومن نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم، ظالم لهم، فرحمهم الله رحمة واسعة، وأخزى الله من ألصق بهم الأكاذيب.

فآل بيت رسول الله قد أحبوا صحابة رسول الله ووالوهم، كذلك أصحاب

---

(١) راجع: الملل والنحل، ص١٤٨. وراجع أيضًا: المسلمون من التبعية والفتنة إلى القيادة والتمكين، د.عبد الحليم عويس، ص ٨٤، ط: ١ العبيكان، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

رسول الله والوا آل بيت رسول الله وأكرموهم، وهذا ما سنبينه فيما يلي.

- **تَاسِعًا: إِكْرَامُ الصَّحَابَةِ لِآلِ البَيْتِ الأَطْهَارِ:**

أحبَّ الصَّحابةُ النَّبيَّ ﷺ حُبًّا جَمًّا، وقد علم الصَّحابةُ شدَّة حُبِّ النَّبيِّ ﷺلآله، فكانوا لأجل ذلك يُجلُّونهم ويُعظِّمُونهم؛ على خلاف ما يروجه أعداء الصحابة وآل البيت من أنَّ الصحابة كانوا يبغضون آل بيت المصطفى ﷺ وينتقصون حقوقهم، وقد ورد في تعظيم الصحابة وإجلالهم لعترة المصطفى أخبار كثيرة، نذكر بعضًا منها فيما يلي:

أولًا: مَحَبَّةُ أَبِي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لآلِ النَّبِيِّ ﷺ:

أخرج ابن الأعرابي عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد وقد أحاط به أصحابه، إذ أقبل عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسَّلم ثُمَّ وقف فنظر مكانًا يجلس فيه، فنظر رسول الله ﷺ على وجوه أصحابه أيهم يُوسِّع له، وكان أبو بكر عن يمين رسول الله ﷺ فتزحزح أبو بكر في مجلسه، وقال: هاهنا يا أبا الحسن، فجلس بين رسول الله ﷺ وأبي بكر، فرأينا السُّرورَ في وَجْهِ رسول الله ﷺ، ثُمَّ أقبلَ على أبي بكر فقال: يا أبا بكر، إنَّمَا يعرفُ الفَضْلَ لأهلِ الفَضْلِ أهلُ الفَضْلِ»(١). فهذا يدل على تقدير أبي بكر لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين يدي رسول الله ﷺ، وانشراح صدر رسول الله لهذا الموقف. أَبَعدَ هذا يفتري بعض المنتسبين لشيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيذكر أن أبا بكر كان يبغض عليًا!؟

---

(١) انظر: البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير الدمشقي، ٧/ ٣٥٩،ط: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

ثانيًا: مَحَبَّةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لآلِ النَّبِيِّ:

كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجلُّ آل بيت النبي ﷺ ويعرف لهم فضلهم وسابقتهم، ويدل على ذلك أن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زجر رجلًا نال من علي في محضره. فلقد أخرج ابن عساكر عن عروة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلًا وقع في عليّ بمحضر من عمر فقال عمر: «تعرف صاحب هذا القبر محمدَ بن عبد الله بن عبد المطلب، وعلي هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب، لا تذكر عليًّا إلا بخيرٍ، فإنَّك إنْ آذيته آذيت هذا في قبره»(١).

ولقد تزَّوج عمر أمَّ كلثوم بنتَ علي وأختَ الحسن والحسين؛ رغبةً في مصاهرة آل البيت، فلمَّا تزوجها خرج إلى مجلس المهاجرين فقال: «رفِّئوني [أي: هنئوني]، فقالوا: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: لقد صاهرت رسول الله ﷺ، وإني سمعته يقول: كل سبب، ونسب، وصهر، ينقطع يوم القيامة إلا سببي، ونسبي، وصهري»(٢).

ثَالثًا: مَحَبَّةُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لآلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ:

قال ابن كثير في تاريخه: «كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما، وقد كان الحسن بن علي يوم الدار عنده –وعثمان محصور–

---

(١) راجع: كنز العمال، للهندي،١٣/ ٥٠٤، والحديث رقم (٣٧٢٩٧)، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.

(٢) راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٤/ ٤٩٢، ط: ١، السعادة – مصر.

ومعه السيف متقلدًا به يدافع عن عثمان حتى جرح وخاف عليه عثمان فأقسم عليه ليرجعُنَّ إلى منزلهم»[١]. فهذا يدلُّ على أن هناك تبادلًا للمحبة بين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآل بيت رسول الله، ممثلًا في الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المحبين لعثمان، ومن جُملة المُدافعين عنه يوم حاصره الثَّائرون عليه.

هذا وغيره كثيرٌ يدلُّ على تقديرِ الصَّحابةِ لآلِ البيتِ، والولاء لهم جميعًا، كذلك تقدير آل البيت لصحابة رسول الله والولاء لهم جميعًا لا سيَّما أبا بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم جميعًا –، وهذا كُلُّهُ يردُّ على ما تقطرُ به أقلامُ الشِّيعةِ سُمًّا ودعوة إلى البراءة من ساداتِ الصَّحابَةِ.

- **عَاشِرًا: تَحْرِيْمُ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ:**

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الإسلام ينهي عن اللَّعنِ والسَّبِّ مِنْ قِبَلِ المسلمين لإخوانهم المسلمين، وهناك العديد من الأدلة على ذلك. وإذا كان هذا في حقِّ عامَّةِ المُسلمين فهو بالنسبة لأصحاب رسول الله أوكد وأشدُّ، فيُحرِّمُ سبَّ الصَّحابةِ، وذلك بأدلة من الكتاب والسنة:

١ – قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[الأحزاب: ٥٧]، وهذه الآية تضمَّنت التَّهديدَ والوعيدَ بالطَّردِ والإبعادِ من رحمة الله والعذاب المهين لمَنْ آذاه –جلَّ وعلا–

(١) راجع: البداية والنهاية، لابن كثير، ٥/ ٥٢٤.

بمُخالفَةِ أوامِره وارتكابِ زَوَاجِره وإصرارِه على ذلك، وإيذاءُ رسوله يشمل كل أذية قولية أو فعلية، من سب وشتم أو تنقص له ولدينه، أو ما يعود عليه بالأذى، وممَّا يُؤذيه ﷺ سبُّ أصحابه، وقد أخبر أنَّ إيذاءهم إيذاءٌ له، ومَنْ آذه فقد آذى الله، وأيُّ أذيَّةٍ للصَّحابَةِ أبلغُ مِنْ سبِّهم؟! والآية فيها إشارةٌ قويَّةٌ ظاهرةٌ إلى أنَّه يحرُمُ سبُّهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1].

٢ – قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وهذه الآية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما يُنسَبُ إليهم ممَّا هُمْ منه براءٌ لم يعملوه ولم يفعلوه[2]، ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو أنهم في صدارة المؤمنين؛ فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آية مفتتحة بقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، ومثل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [الكهف: ١٠٧] في جميع القرآن، فالآيةُ دلَّتْ على تحريمِ سَبِّ الصَّحابَةِ؛ لأنَّ لفظَ المؤمنين أول ما ينطبق عليهم؛ لأنَّ الصَّدارة في المؤمنين لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وسبُّهم والنَّيْلُ منهم مَنْ أعظمِ الأذَى.

يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير للآية السابقة ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾...الآية: «ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد

(١) راجع: فكر الخوارج والشيعة، د.علي محمد محمد الصلابي، ص٢٢٥، ط: دار الإيمان – بالإسكندرية، ٢٠٠٥ م.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، جـ٣ ص ١١٣.

الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برّأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله ﷻ قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء يسبونهم وينتقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن منهم ولا فعلوه أبدًا، فهم في الحقيقة منكّسو القلوب»(١).

أمَّا عن الأدلَّةِ التي تُحرِّمُ سبَّ الصَّحابَةِ مِنْ السُّنة فنكتفي بالحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَه»(٢)، فهذا الحديث فيه النهي والتحذير من سبِّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وفيه التصريح بتحريم سبِّهم.

كذلك وردت نصُوصًا عن سلف الأمة وأئمتها تقضي بتحريم سبِّ الصحابة منها ما قاله الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام»(٣). ومن هنا نُقرِّرُ أنَّ تحريمَ سبِّ الصَّحابةِ قد دلَّتْ عليه آياتُ القُرآنِ والأحاديثُ النَّبويَّةُ وإجماعُ سَلَفِ الأُمَّةِ، وكذلك آلُ بيتِ النَّبيِّ ﷺ كما مرَّ قبل ذلك.

---

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، جـ٣ ص ١١٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، ك: فضائل الصحابة، ب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا»، جـ٣ ص ١٣٤٣.

(٣) راجع: مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ص ١٦٠.

الْخَاتِمَةُ

أَهَمُّ نَتَائِجِ البَحْثِ:

١- إنَّ الولاءَ والبَرَاءَ مِنْ المَسَائلِ التي اعْتَنَى بِهَا الإِسْلامُ في مَصْدَرَيْهِ القرآنِ والسُّنَّةِ، وهو من لوازم الشهادتين.

٢- الوَلاءُ في عقيدَةِ أهلِ السُّنَّة لله ولرسوله ولدينِ الإسلامِ وللمُؤمنين.

٣- مِنْ خِلالِ سَبْرِ أَغْوَارِ كُتُبِ الرَّافِضَةِ الاثنَي عشريَّةِ نَجِدُ انْحِرَافَهُمْ في فَهْمِ عَقيدَةِ الوَلَاءِ، فقد اسْتَغَلَّتْ عَاطِفَةَ الولاءِ لآلِ البَيْتِ وأقامتْ لنفْسِهَا مبادِئَ فِرْقَةٍ جعلتْ أهمَّ توجُّهِهَا الوَلاءَ لآلِ البيتِ؛ لدرجَةِ ادّعاء العِصْمَةِ لَهُمْ.

٤- وجدنا مفهوم الولاء عند الرافضة لأئمتهم يعني الولاء لهذه الذات أو لهذا الشخص يعني القداسة والعصمة، في حين كان مفهوم الولاء عموماً عند أهل السنة والجماعة هو الحبّ والإخلاص والولاء فقط دون ادّعاء عِصْمَةٍ.

٥- تبين لنا من خلال عرض أدلة الرافضة تأويلاتهم الفاسدة لبعض آيات القرآن الكريم؛ للتدليل على فهمهم المغلوط لآيات الولاء في القرآن الكريم.

٦- ظهر لنا من خلال عرض مرتكزات الرافضة وأدلتهم على رأيهم في الولاء والبراء؛ مدى كذبهم على رسول الله ﷺ وتأويلهم لأحاديث صحيحة تبعاً لمذهبهم المنحرف، وأحاديث أخرى مكذوبة وضعوها عليه، وروايات افتروها على آلِ البَيْتِ.

٧- ما لوحظ مِنْ براءَتِهِم مِنْ الصَّحَابَةِ عامَّةً -لا سيَّمَا أكابرهم وأُمَّهَاتِ المُؤمنين- سببه عقيدة فاسدة يعتقدونها، وهي: لا ولاء لعليّ وآل البيت إلا بالبراء من الصحابة الذي أخذوا الخلافة قبله.

٨- مذهب الرَّافِضَة في بَرَاءَتهم مِنْ الصَّحَابَةِ وبيانِ مكانتهم في الاسلامِ لا سيَّما أكابرهم وأمَّهات المؤمنين = مذهب مرفوض؛ فالواجب موالاة الصحابة جميعًا، ولا يُتبرأ من أحد منهم.

٩- تبين لنا مدى بُعد الرافضة عن آل البيت في موقفهم من كبار الصحابة، فإذا كانوا صادقين في دعواهم حبَّ آل البيت؛ فعليهم اتباعهم في هذا الأمر، لكن بُعدهم عن منهج الله وعن منهج رسوله ﷺوعن منهج السلف وآل البيت هو الذي أوقعهم في غيهم هذا.

١٠- سَبِّ الصَّحَابَةِ فعل محرّم، والطعن فيهم طعن في الدين نفسه؛ لأنهم هم الذين حملوا الدين وبلغوه لمن بعدهم بعد رسول الله ﷺ.

١١- خطر هذه الفرقة الضالة على الإسلام والمسلمين لفساد عقائدهم، وفكرهم، وبغضهم الشديد لكل من خالفهم، فلا يؤمَن مكرهم، لذا يجب التصدي لهم في كل المجالات، وفضحهم، وكشف زيغهم؛ حفاظًا على الأمة الإسلامية من فساد أفكارهم، وتصحيح صورة الإسلام أمام غير المسلمين، إذ تنشر الرافضة أفكارهم على أنها هي الإسلام الصحيح.

فِهْرِسُ المَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

- **القرآن الكريم.**

- **كتب التفسير.**

١ -أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي، ط: عيسى الحلبي-الثانية، مصر.

٢-تفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدين أبي الفداء ابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٩٩٩م.

٣-التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار الغد، ط: الثانية، ١٩٩٢م.

٤-تفسير العياشي. محمد بن مسعود العياشي، تحقيق وتعليق: هاشم المحلاتي المكتبة العلمية، طهران.

٥-تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الكتاب للطباعة والنشر - قم - إيران ١٤٠٤هـ.

٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ١٩٨٨ م.

٧- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٣ م.

- **كتب الحديث وعلومه:**

٩ - سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ط: دار الحديث

١٠ – سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ط: دار الحديث.

١١ – شرح النووي على صحيح مسلم، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الدار الثقافية الغربية – بيروت.

١٢ – شعب الإيمان، البيهقي، ط: دار الكتب العلمية

١٣ – صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط: دار محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية – بمصر – بدون.

١٤ –صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية – بمصر – بدون.

١٥ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني، ط: دار المعرفة، وط: دار الفكر.

- **كتب متنوعـة:**

١٧ – الإرشاد في معرفة الأحكام، عبد الرحمن السعدي، مكتبة المعارف – الرياض سنة ١٤٠٠هـ.

١٨ – الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسى، مطبعة السعادة – مصر، ط: الأولى، ١٩٥٠م.

١٩ – الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين، محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي النجفي القمي، تحقيق: مهدي رجائي، مطبعة الأمير، ط: الأولى ١٤١٨هـ.

٢٠- إسلام بلا مذاهب، مصطفي الشكعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٥م.

٢١- أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ط: الأولى - مطبعة الفرقان - طيبة سنة ١٩٣١ م.

٢٢- أصول مذهب الشيعة الإمامية، عبد الله بن علي ناصر القفاري، ط: الثالثة - دار الرضا للنشر - الجيزة - مصر سنة ١٤١٨هـ، ١٩٩٨ م.

٢٣- الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام ابن حجر العسقلاني، ط: الأولى مطبعة السعادة - مصر.

٢٤- الاعتصام، أبو اسحق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، دار الحديث.

٢٥- الاعتقادات على مذهب السلف لأهل السنة والجماعة، للبيهقي، ط: السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع، سنة ١٩٨٤ م.

٢٦ - اعتقادات فرق المسلمين المشركين، محمد بن عمر الرازي ، تحقيق علي سامي النشار - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٢هـ.

٢٧ - الاعتقادات، محمد باقر المجلسي، دار الهداية، ط: الأولى، ١٩٩٣ م

٢٨ - العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ، الشيخ صالح ابن مهدي المقلبي، نسخة مكتبة الأزهر، ١٩٧٥ م.

٢٩ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية مكتبة الإيمان، ط: الثالثة - المنصورة، ١٩٩٣ م.

٣٠ - امتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع. للمقريزي، تحقيق وتعليق: محمد بن عبد الحميد النميس، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: الأولى ٢٠٠٠ م.

٣١ - الأنوار الفصحائية، نعمة الله الجزائري، منشورات الأعلى.

٣٢ - أهل البيت في الكتاب والسنة، محمد الرّي شهري، مؤسسة دار الحديث، ط: الثالثة ١٤١٧هـ.

٣٣ - أوائل المقالات في المذاهب المختارات، محمد النعمان المفيد، تعلي: الزنجائي - الناشر عباسقلي، مكتبة حقيقت - بتبريزح١٣٧١هـ.

٣٤ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، ط: الثالثة، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٣ هـ

٣٥ - بحوث في الإمامة والولاية. حسين نجيب محمد، دار الهادي - بيروت، ط: الأولى ٢٠٠١ م.

٣٦ - البراءة من المشركين بين المعنى الشرعي والتأويل الشيعي، عبد الرحمن بن عبد الله آل علي، ط: دار إحياء المجتمع للنشر والتوزيع ٢٠٠٧ م.

٣٧ - تاريخ الرسل والملوك، لابن جرير الطبري، دار الفكر، ط: الأولى - بيروت ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.

٣٨ - تاريخ المذاهب الإسلامية، الشيخ محمد أبو زهرة، ط: دار الفكر العربي ١٩٨٦ م.

٣٩ - التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة، لأبي المظفر

طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق / كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – بيروت، ط: الثالثة ١٩٨٣ م.

٤٠ – تحكم القوانين، لمحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، مع شرحها لسفر الحوالي، مكتبة الطيب، ط: الأولى – القاهرة، سنة ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م

٤١ – تصحيح الاعتقاد، محمد بن النعمان المفيد – الناشر عباسقلي، مكتبة حقيقت بتبريز، ط: الثالثة ١٣٧١هـ.

٤٢ –التكفير في القرآن والسنة، د.نعمان عبد الرازق السامرائي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٤٣– التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين محمد المطلي، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط: الثانية ١٩٠٧م.

٤٤– تيارات الفكر الإسلامي، د.محمد عمارة، دار الشروق، ط: الثانية ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

٤٥– تيارات إسلامية معاصرة، إعداد لجنة الفكر الإسلامي، ط: الأولى – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠٠٨ م.

٤٦– جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، محمد حسين النخعي، ط: دار الكتب الإسلامية – طهران، طبعة ١٣٦٧هـ.

٤٧– حتى لا تنخدع (حقيقة الشيعة)، عبد الله الموصلي، مطبعة البخاري الإسماعيلية، ط: الأولى ٢٠٠٦ م.

٤٨- الحدائق الناضرة، يوسف البحراني، طبعة مؤسسة النشر بقم - إيران - بدون.

٤٩- حقبة من التاريخ، عثمان بن محمد الخميس، ط: الرابعة، مكتبة البخاري للنشر بالقاهرة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٥٠- حوار لا مواجهة، د. كمال أبو المجد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.

٥١- الخوارج تاريخهم وآثارهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، د. غالب عواجي، مكتبة مكة - دمنهور - البحيرة، ط: الأولى سنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

٥٢- الخوارج والشيعة، فلهوزن، ترجمة: د.عبد الرحمن بدوي، ط: وكالة المطبوعات – الكويت، ١٩٧٦ م.

٥٥- رسالة في الرد على الرافضة، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: ناصر بن مسعود الرشيد، ط: مركز البحث العلمي وإحياء التراث.

٥٦- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط: السابعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٥٧- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشوكاني، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٩٨٥م.

٥٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسين بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق: د.أحمد سعد حمدان، ط: دار طيبة – الرياض، ١٤٠٢هـ.

٥٩- شرح المواقف، للجرجاني، مكتبة الكتب العلمية - بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٧٨ م.

٦٠- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، عبيد الله محمد بن ابن بطة العكبري، تحقيق: رضا بن نعسان معطي - المكتبة الفيصلية - مكة.

٦١- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ط: دار ابن رجب، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٦٢- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ط: مكتبة وهبة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م.

٦٣- الشبهات الثاقب في بيان معني الناصب، يوسف البحراني، تحقيق: مهدي رجائي، ط: الأولى - قم - إيران ١٤١٩هـ.

٦٤ - الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي، القزويني – دار الغدير.

٦٥- الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، لابن تيمية - دار الاعتصام ١٤١٧هـ.

٦٦- صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات، أبو القاسم الخوئي - طبعة مكتبة الفقيه - الكويت ١٩٩٦ م.

٦٧- الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، سليمان بن عبد الوهاب - مكتبة التهذيب - القاهرة.

٦٨- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، لابن حجر الهيتمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى ١٩٨٣ م.

٦٩- صيحة نذير من فتنة التكفير، المفكر الإسلامي د.محمد عمارة – مكتبة البخاري للنشر والتوزيع – الأولى ١٤١٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٧٠- الاعتقاد، للبيهقي، دار الأوقاف الحديثة - بيروت، ط: الأولى ١٤٠١هـ.

٧١- العدة في شرح العمدة، بهاء الدين المقدسي، تحقيق: عبد الله التركي مؤسسة الرسالة - بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢١ هـ

٧٢- عقائد الأمامية، محمد رضا المظفر، ط: دار الزهراء للطباعة والنشر.

٧٣- عقائد الإمامية الاثني عشر، للزنجاني، ط: الثالثة – بيروت، ١٩٧٣م.

٧٤- عقيدة أهل السنة والجماعة حتى الصحابة الكرام، د.ناصر على عائض حسن الشيخ - مكتبة الرشد – الرياض،١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٧٥- العقائد الشيعية، ناصر الدين شاه، ط: الأولى، سنة ١٩٨٧م- بدون.

٧٧- العلاقة بين أهل السنة والشيعة، د.محمد سليم العوا، ط: سفير – الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.

٧٨- غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام، د.فتحي محمد الزغبي، ط: المكتبة الأزهرية بطنطا، ط: الأولى،١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٨٠- فرق الشيعة، أبو محمد الحسين بن موسي النوبختي، ط: دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٨١- الفروق، للإمام شهاب الدين أبي العباسي القرافي، ط: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٤٦هـ.

٨٢- الفرق الإسلامية وأصولها الدنية، د.عبد الفتاح فؤاد، دار الوفاء بالإسكندرية، ٢٠٠٣م.

٨٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حرم الظاهري الأندلسي، تحقيق: د.محمد إبراهيم نصر، د.عبد الرحمن عميرة، ط: الثانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.

٨٤- فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: د.عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت.

٨٥ - فكر الخوارج والشيعة، د.علي محمد الصلابي، ط: دار الإيمان بالإسكندرية، ٢٠٠٥ م.

٨٦- القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية، د.محمد نعيم هاني ساعي، دار الإسلام، ط: الثانية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٨٧- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق ابن النديم - الهيئة المصرية لقصور الثقافة، ٢٠٠٦ م.

٨٩- الكافي، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، صحَّحه وعلَّق عليه: على أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ط: الثالثة.

٩٠- كشف الشبهات، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مؤسسة النور بالرياض، ط: الثالثة ١٣٨٨هـ.

٩١- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في

عقيدة الفرق المرضية، محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩٢- مجموعة التوحيد، شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن عبد الوهاب وآخرون - دار اليقين، ط: الثالثة، ١٩٩٣م.

٩٣- مجموعة الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الوفاء، المنصورة، ط: الثالثة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٩٤ - مدارك الأحكام، محمد بن على الموسوي العاملي، مطبعة أمير بقم - إيران، ط: الأولى ١٤١٠هـ.

٩٥- المراجعات، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، دار الأندلس، ط: الخامسة

٩٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، على بن سلطان محمد القاري ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٩٧- مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٤هـ.

٩٨- مصباح الفقاهة، أبو القاسم الخوئي، دار الهادي - بيروت - الطبعة الأولى.

٩٩- مع الشيعة الاثني عشر في الأصول والفروع، د.علي أحمد السالوس، دار التقوى للنشر والتوزيع - مصر، ط: الأولى، ١٩٩٧م.

١٠٠- معارج القبول، حافظ حكمي، دار ابن القيم - بيروت، ط: الثالثة، ١٩٩٥م.

١٠١- معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين المعروف «برجال الكشي»، مؤسسة النشر - جامعة مشهد.

١٠٢- مقالات الإسلاميين، للإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط: الأولى.

١٠٣- مقدمة التوحيد، لأبي حفص عمر بن جميع، المطبعة العربية - غارادنية - الجزائر، ط: الثانية، ١٩٧٣ م.

١٠٤- الملل والنحل، للشهرستاني، دار الفكر، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٠٥- منهاج السنة المحمدية في نقض كلام الشيعة والقدرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط: مؤسسة قرطبة، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٠٦-نظرية الحرب في الإسلام، للشيخ محمد أبو زهرة، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الثانية، ٢٠٠٨ م.

١٠٧- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الخامسة، ١٤٠٣هـ.

• **كتب المعاجم واللغة:**

١٠٩-أساس البلاغة، الزمخشري، ط: دار صادر، بيروت،١٩٧٩م.

١١٠-تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: أحمد بن عبد الحليم البردوني.

١١١-لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بدون.

١١٢-المختار من صحاح اللغة، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، ومحمد عبد اللطيف السبكي - مطبعة الاستقامة - القاهرة.

١١٣-مختار الصحاح، الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، ط: دار المنار، ١٩٩٣م.

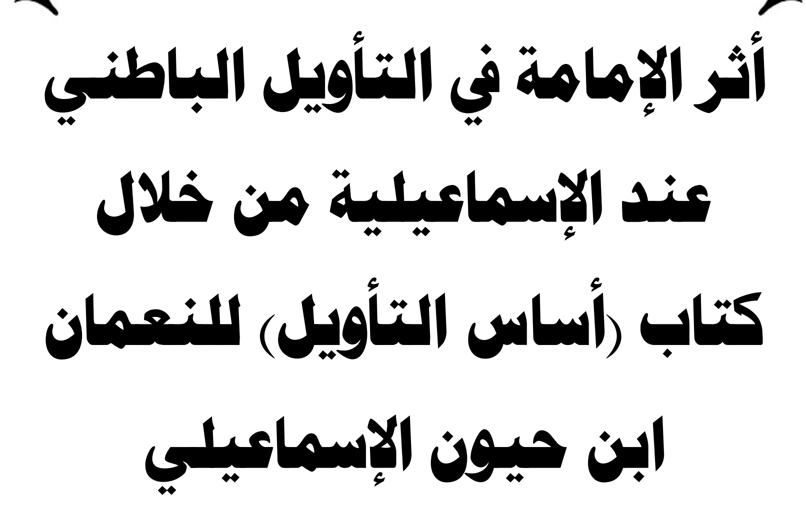
١١٤-المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ط: دار الكتاب اللبناني – بيروت، ١٩٧٩م.

١١٥-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن على الفيومي، مطبعة مصطفي البابي - ط: الثانية - بدون.

١١٦-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - الطبعة الثانية، القاهرة.

١١٧-المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ط: مصطفي الحلبي، ١٩٦١ م.

فهرس الموضوعات



أثر الإمامة في التأويل الباطني عند الإسماعيلية من خلال كتاب (أساس التأويل) للنعمان ابن حيون الإسماعيلي

د. يوسف بن علي بن عبد الله الطريف

أكاديمي سعودي، أستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

ملخص البحث

تعمد هذه الدراسة إلى إظهار أثر معتقد الإمامة عند الإسماعيلية في (التأويل الباطني) وإلى أي مدى يقف هذا التأويل من ظاهر النص القرآني؟ وذلك من خلال إجراء تطبيقي على كتاب: (أساس التأويل) للداعي قاضي قضاة الدولة العبيدية: ابن حيون، النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ)؛ إذ يُعَدّ هذا الكتاب أحد أهم مصادر الفكر الإسماعيلي إلى يومنا هذا. واقتضت طبيعة الدراسة أن يكون منهجها استقرائيـًا نقديـًا، واشتملت على: تمهيد يعِّرف بالكتاب وبمؤلفه، وفصلين؛ الأول: في أصل الإمامة وصلتها بالنبوة، والثاني: في أهمية التأويل الباطني ودور الإمام فيه، والموقف الباطني من ظاهر النص القرآني؟ ثم ختمت الدراسة بمستخلص يبرز نتائج البحث؛ ومنها: أن الإسماعيلية يعتقدون بأنه لا إيمان لمن أخذ بظاهر النص ولم يعلم باطنه، وأن باطن النص لا يعلمه إلا الأئمة وحدهم، وهم مؤيدون من لدن الله تعالى تأييداً لا ينقطع حتى قيام قائم يوم القيامة صاحب الزمان.

الكلمات المفتاحية: الإمامة، التأويل الباطني، الإسماعيلية، أساس التأويل، ابن حيون.

د. يوسف بن علي الطريف

yaat33@gmail.com

The Impact of Imamate on the Esoteric Interpretation by the Isma'iliyyah according to the Book "Asas al-Ta'wil" by al- Nu'man Ibn Hayyun al-Isma'ili

Dr. Yosuf bin 'Ali bin Abdillah at-Turayf

Saudi Academic, Professor at the section of Creed and Modern Ideologies, in the Faculty of Shari'ah and Islamic Studies, in the Qassim University

Abstract

The purpose of this thesis is to explain the impact of the belief in *Imamate* by the *Ismai'iliyyah* on esoteric interpretation, and how this interpretation is related to the apparent meaning of the Qur'an. The study is made through an applied procedure on the book "*Asas al-Ta'wil*" *by* the chief judge of the Fatimid Caliphate *Al - N`uman Ibn Hayyun Al-Tamimi Al – Maghrbi* (died. 363 H.), because it's the most important source of *Isma`ili* thought until today. The nature of the study required that the method is inductive and critical. The thesis contained an introduction about the book and its author and two chapters. The first chapter is about the principle of *Imamate* and its relation to prophecy, and the second chapter is about the importance of esoteric interpretation and the role of imam in it, and esoteric attitude to the apparent meaning.

I ended the study with a summary where I mentioned the most important results, from them is that the *Isma'iliyyah* believes that you cannot have faith if you only accept the apparent meaning of the texts without knowing the esoteric interpretation. They also believe that their imams are the only ones that knows the esoteric meaning and Allah supports them until the *Qa'im* will come on the Day of Judgement, and he is *Sahib ul-Zaman*.

Key Words: *Imamate,* Esoteric Interpretation, *Ismaʾilism*, *Asas al-Ta'wil*, *Ibn Hayyun*.



مقدمةٌ

الحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمدٍ، وعلى آله الطيبين، وصحبه أجمعين، وسلم تسليمـًا كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد أجمع المسلمون قاطبةً على اعتبار القرآن الكريم المصدرَ الأساس لعقائد الإسلام وشرائعه، ولم تختلف الفرق الإسلامية؛ وكذا المنتسبة إلى الإسلام في اعتباره مصدراً لتعاليم الإسلام، ويبقى هنا الكلام على منهج كل فرقة في التعامل مع نصوصه؛ خاصة فيما يتعلق بظواهر الآيات، والكلام على محكمه ومتشابهه، ولم يكن ذلك محلَّ خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، فقد آمنوا بظاهره، ولم يتمحلوا تأويلاً، وعلى نهجهم سار سلف الأمة من التابعين فمن بعدهم، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

لكن أقوامـًا لم يُذعنوا لظاهر النص، وصاروا فيه فرقـًا شتى؛ فبعضهم حكَّم العقل ونحا إلى التأويل بصرف الظاهر بلا دليل، وبعضهم جنح جنوحـًا غنوصيـًا[١] فادعى أن ظاهر النص ما هو إلا مثال لباطنٍ لا يعلمه إلا

---

(١) يقصد بـ: (الغنوصية) أو (Gonse) كلمة يونانية، تعني: المعرفة. ثم استعملت بمعنى التوصل إلى المعارف بنوع من الكشف، فكأن المعارف تلقى إلى النفس بلا استدلال ولا نظر، ومن ذلك المعارف الإلهية، وتستمد الغنوصية أصولها الفلسفية من ديانات وثنية وأخرى فلسفية أبرزها الفلسفة الأفلاطونية الحديثة. انظر: الغنوصية في الإسلام، =

الوصيُّ والأئمة من ذريته! فخرجوا ببدعة: (التأويل الباطني) واستتر خلف هذه النظرية المخترعة عددٌ من الفرق؛ عُرفت في التاريخ الإسلامي بلقب: (الباطنية) والتي كانت ولا تزال أخطر الفرق على الإسلام وأهله، ويشتد خطرها ويعظم خطبها كلما قويت شوكة أتباعها، وكانت لهم دولة، فحينها ترفع شعار التشيع، وتصرخ بالتعظيم والتبجيل لآل البيت، لتصرف إليها أفئدةَ الأغمار والسُّذَّج.

وكان من بين الفرق الباطنية الخطيرة، والمنتشرة في العالم اليوم (فرقة الإسماعيلية) والتي تَعتبر (التأويلَ الباطنيَّ) أصلاً من أصولها، ومنهجاً مطّرداً لفكرها ولدعوتها أيضاً؛ زاعمةً أن التأويل الباطني إرثٌ إماميٌّ محض! وإن المطلع على كتب الإسماعيلية المعتبرة عندهم ليدرك خطورة المنهج التأويلي الباطني الذي زرعه مفكروهم، ونظَّروا له بطرق غنوصيةٍ لا تمت إلى العقل بصلة؛ معتبرة التأويل سراً مكتوماً يختص بالحجة القائم الذي لا يمكن أن يخلو منه الزمان! وهنا مكمن الخطر؛ إذ يعني هذا أن التأويل الباطني دائم لا ينقطع، وهو ما ألمح إليه أحد المستشرقين في معرض ثنائه على التشيع ووصفه له بأنه باطنية الإسلام، وزعمه أن «الشريعة إذا تجردت من الحقيقة والباطن تصبح عبودية وكدارة، ولا يتبقى منها سوى جدول للمعتقدات والتعاليم، بدل أن تظل منفتحةً لنشأة المعاني الجديدة الطارئة»[1].

=

هاينس هالم، ترجمة: رائد الباشا، نشر دار الجمل، ٢٠٠٣م.

(١) تاريخ الفلسفة منذ الينابيع، هنري كوربان (ص٨٥).

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الكتب الإسماعيليةَ التي عُنيت بالتأويل الباطني متقاربةٌ في منهجها، متشابهةٌ في مادتها، إلا أن كتاب: (أساس التأويل) للداعي الإسماعيلي: النعمان ابن حيون المغربي (ت ٣٦٣هـ) قد لفت نظري واسترعى اهتمامي؛ لأنه الكتاب الوحيد الذي خصصه مؤلفُه لتأويل الآيات تأويلاً باطنياً مَبْنِيًّا على أصل الإمامة، وللكتاب -كما لمؤلفه- منزلةٌ كبيرة عند الإسماعيليين حتى اليوم[١].

ويعد ابن حيون حامل لواء نظرية (التأويل الباطني)، فقد اقتطع من كتبه لهذا الغرض قدراً كبيراً، وأولاه اهتماماً بالغاً[٢].

لذا رأيت أهمية إفراد دراسةٍ تختص ببيان أثر الإمامة في التأويل الباطني من خلال كتاب (أساس التأويل).

وإن كان من صعوبة في هذه الدراسة فلكونها تبحث في أحد كتب الإسماعيلية الباطنية التي دأبت الطائفة على إخفائها وسترها؛ كما قال أحد المستشرقين ممن كتب في تاريخها: «إن تكتم الحركة ونظامها الشبيه بالماسونية، والحجاب الكثيف الذي يخفي عقائدها وأشخاصها على غير المنتمين إليها؛ كل ذلك صعَّب مهمة المؤرخ...»[٣]، ويقول -أيضًا- عن

---

(١) انظر: التمهيد.

(٢) فكل كتابه (أساس التأويل) في تأويل القرآن، وكذلك كتابه: تأويل دعائم الإسلام، وكتابه: الرسالة المذهبة، وسائر كتبه لا تخلو من التأويل الباطني.

(٣) أصول الإسماعيلية، برنارد لويس (ص٣١).

مؤلفاتها: «إن الكتب الإسماعيلية في العقائد باطنيةٌ؛ وُضعت لنخبة خاصة من الناس؛ ولذا فقد تنطوي على معلومات خافية على الجمهور»، وذكر أن الحركة الإسماعيلية لا تخفي عقائدها وشخصياتها على أعدائها فحسب؛ بل على قسم كبير من أتباعها الذين لم يطلعوا على الأسرار الداخلية(١).

وتكمن خطورة التأويل الباطني في أنه العلم الذي عمِل الإسماعيليون -كما يقول أحد أبرز كتابهم- على تعميمه بين طبقات المسلمين بحذر شديد، وهو نتيجة تعلمهم الأساس ونظامهم الفكري؛ وأن من لم ينهل من المعرفة الباطنية فهو من العامة والمُعْدمين...!(٢).

❒ مشكلة الدراسة:

إذا كان التأويل الباطني ذا خطورة بالغة على عقائد المسلمين، وهو من أسباب الضلال والانحراف، وربما اتخذه أعداء الإسلام ذريعةً للنيل من القرآن العظيم، فهل كان لمعتقد الإمامة أثر فيه من حيث التأصيل والديمومة؟ وكيف لنا أن نكتشف تلك الحقيقة من واقع أهم الكتب الإسماعيلية المعتبرة عندهم؟ وما الذي احتواه كتاب الأساس -بالتحديد- من تأصيل لنظرية التأويل الباطني؟ وهل استطاع هذا الكتاب أن يعطيَ تصوراً منطقياً للعلاقة بين الظاهر والباطن؟

---

(١) المصدر السابق (ص٥١).

(٢) انظر: مقدمة كتاب أساس التأويل، لمحققه: عارف تامر (ص ١٥).

في هذه الدراسة محاولة للإجابة عن تلك التساؤلات.

❐ أهداف الدراسة:

تهدف الدراسةُ إلى بيان أثر الإمامة في التأويل الباطني من خلال إجراءٍ تطبيقيٍ على أحد أهم مصادر الفكر الإسماعيلي، وعرض نماذج من التأويل الباطني؛ تبرز أهمية هذا الأصل، وإلى أي مدى يقف التأويل الباطني الإسماعيلي من ظاهر النص؟

❐ حدود الدراسة:

تختص هذه الدراسة بإبراز أثر معتقد الإمامة عند الإسماعيلية على التأويل الباطني للنص، معتمدةً في الأصل على كتاب: (أساس التأويل) للنعمان بن حيون الإسماعيلي، مع ذكر ما تقتضيه طبيعة الدراسة من نقلٍ عن مصادر إسماعيلية أو أخرى لمخالفيهم.

❐ الدراسات السابقة:

لم أجد في الأدبيات السابقة عن (الإسماعيلية) ما يحمل موضوعَ هذه الدراسة بمحدداتها المذكورة آنفًا، غير أنه لا يخفى على المهتمين بأن الدراسات حول الفكر الإسماعيلي كثيرةٌ ومتنوعةٌ؛ فبعضها كتبها إسماعيليون[1] وبعضها كتبها مخالفوهم[1]، وبين هذه وتلك جاءت كتب

(١) منها: كتب ابن حيون المغربي وسيأتي ذكر شيء منها في التمهيد، وسرائر النطقاء، =

المستشرقين[٢] التي يدعي مؤلفوها الموضوعية والحيادية في الطرح! والحق أنها جانبت الصواب في بعض آرائها، وكشفت وجهاً من الحقيقة في بعض آخر، مما جعل الباحث في الفكر الإسماعيلي مضطراً للرجوع إليها والإفادة منها.

❑ منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن يكون منهجها استقرائياً نقدياً.

❑ إجراءات الدراسة:

ـ نقلت نصوص كتاب (أساس التأويل) لابن حيون وفقاً للطبعة التي

=

والكشف، كلاهما لجعفر اليمن، وإثبات النبوة، والينابيع، كلاهما لأبي يعقوب السجستاني، وراحة العقل، للكرماني، وكنز الولد، للحامدي، وسمط الحقائق، لعلي بن حنظلة...وغيرها...وتاريخ الإسماعيلية، لعارف تامر الإسماعيلي، وأعلام الإسماعيلية، لمصطفى غالب الإسماعيلي.

(١) من أبرزها: فصول في كتب الأديان والفرق؛ مثل: الفصل، لابن حزم، والملل والنحل، للشهرستاني، والفرق بين الفرق، للبغدادي، والتنبيه والرد، للملطي...وكتب خاصة بالباطنية؛ مثل: فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي، وكشف أسرار الباطنية، للحامدي، وبيان مذهب الباطنية وبطلانه، للديلمي...ومن الكتب المعاصرة: طائفة الإسماعيلية، لمحمد كامل حسين، والإسماعيلية، لإحسان إلهي ظهير، وأصول الإسماعيلية، للسلومي...وغيرها.

(٢) منها: أصول الإسماعيلية، والدعوة الإسماعيلية الجديدة، كلاهما لبرنارد لويس، والمنتخب من كتب الإسماعيلية، لإيفانوف.

اعتمدتُ عليها؛ وهي من تحقيق: عارف تامر، ونشر: دار الثقافة، في بيروت.

ـ كتبت الآيات بالرسم العثماني؛ وقصدت إهمال ما وقع في الآيات المذكورة في كتاب الأساس من تحريف لا يحصى، يعجب منه كل قارئ للكتاب.

ـ ذكرت النقد والتعليق إثر كل نص أنقله من كتاب الأساس؛ كلما احتاج المقام، إلا ما كان بطلانه ظاهراً وهو كثير.

ـ أشرت إلى بعض كتب الإسماعيلية المعتمدة في مذهبهم، كلما رأيت أن في الإشارة إليها فائدةً، ولم أشأ أن أنقل عنها نصوصاً دفعاً للإطالة، وكلامهم على قضية التأويل فيه تماثل كبير.

ـ إكمالاً للفائدة قصدت الإشارة إلى بعض ما ذكره علماء الفرق من نقد للعقائد الإسماعيلية، ونقلت شيئاً من أقوالهم مما رأيت ضرورة نقله، وجعلته خاتمةَ هذه الدراسة.

❑ خطة الدراسة:

اشتملت الدراسة على مقدمةٍ وتمهيدٍ وفصلين وخاتمة.

تمهيد: ابن حيون وكتابه الأساس.

الفصل الأول: الإمامة وصلتها بالنبوة.

المبحث الأول: أصل الإمامة.

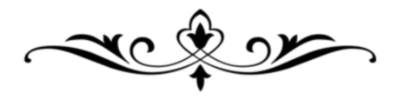
المبحث الثاني: بين الإمامة والنبوة.

الفصل الثاني: التأويل الباطني ودور الإمام.

المبحث الأول: أهمية التأويل الباطني.

البحث الثاني: بين الباطن والظاهر ودور الإمام.

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج الدراسة.



تمهيد

ابن حيون وكتابه «أساس التأويل»

۞ ابن حيون:

يعد النعمان بن محمد ابن حيون التميمي، المغربي، أبوحنيفة، أحدَ أبرز علماء المذهب الإسماعيلي، بل هو المنظِّر الأول لمذهب الدولة العبيدية[1]. ولد في المغرب، وتوفي في القاهرة سنة (٣٦٣هـ)، وهذا يعني أنه لم يدرك مرحلةَ الانقسام الإسماعيلي الكبير الذي حدث بعد وفاة المستنصر العبيدي سنة (٤٨٧هـ)، حين انقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين؛ هما: المستعلية الغربية، والنزارية الشرقية[2]، وعليه فإن ابن حيون معتبر الإمامة والمكانة عند الفرقتين.

كان ابن حيون لصيقَ المعزِّ العبيدي، قدم معه من أفريقية إلى مصر، وتقلد منصب قاضي القضاة في مصر في عهد العزيز، وكانت له رئاسة في العلم والفقه الإسماعيلي، عُرف عند الإسماعيلية بلقب: (قاضي القضاة وداعي الدعاة) واشتهر أيضـًا عند الكتاب الإسماعيليين بلقب: (القاضي

---

(١) انظر الثناء عليه وعلى تآليفه، من الداعي الإسماعيلي: علي بن الوليد اليماني (ت٦١٢هـ) في كتابه الذخيرة في الحقيقة (ص ١١٥).

(٢) انظر تفاصيل أوسع في: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين، للمقريزي (٣/ ٢٧)، وطائفة الإسماعيلية لمحمد كامل حسين (ص٤٢ وما بعدها).

النعمان)، ويطلق عليه الشيعة لقب: (أبي حنيفة الشيعي)؛ لتمييزه عن الإمام الشهير أبي حنيفة النعمان.

ومن العجب أن الإمامية على اختلافهم مع الإسماعيلية اختلافاً يصل إلى حد التكفير المتبادل؛ يعظمون ابن حيون المغربيَّ هذا ويقرُّون له بالإمامة والعلم؛ بل وصل الأمر ببعضهم أن جعله من الاثني عشرية! وأنه كان يُظهر لأتباعه المذهبَ الإسماعيلي تقيةً[1]! ولعل هذا يعود إلى ذكاء ابن حيون في التأليف على المذهب الشيعي، يقول الحافظ الذهبي -عند ترجمته لابن حيون-: «ويُعدُّ من الأذكياء»[2].

ولابن حيون مؤلفات كثيرة على مذهب الإسماعيلية في الأحكام والعقائد؛ من أبرزها: (دعائم الإسلام) الذي قال فيه بعض الباحثين الإسماعيليين: إنه «أقوم مصدر لدراسة القانون عند الفاطميين»[3]، ومنها: (تأويل دعائم الإسلام) و(افتتاح الدعوة) و(الهمة في آداب أتباع الأئمة) و(الأجوبة المختارة)[4]، ولكثرة كتبه وغزارة علمه على مذهبه المنحرف؛

---

(١) انظر: طبقات أعلام الشيعة، لآغا بزرك الطهراني (ص ٣٢٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٥٠).

(٣) مقدمة: آصف علي أصغر فيضي لكتاب: دعائم الإسلام (ص٩).

(٤) انظر في ترجمته: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٥/ ٤١٥) والأعلام، لخير الدين الزركلي (٨/ ٤١) ، والقاضي النعمان مؤلف وفقيه فاطمي، لآصف علي أصغر، منشور في: مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، لندن، عدد: يناير، ١٩٣٤(ص١-٣٢) ، دائرة المعارف الإسلامية، مادة: نعمان، مجلد ٣، ص٩٥٣.

قال فيه الحافظ الذهبي: «كان له يد طولى في فنون العلوم والفقه والاختلاف، ونفس طويل في البحث، فكان علمه وبالاً عليه»[١].

۞ كتاب: «أساس التأويل»:

صنف ابن حيون كتابه (أساس التأويل) وجعله مختصاً بموضوع التأويل الباطني تنظيراً وتطبيقاً، ويذكر محققه -وهو أحد أبرز الباحثين في التراث الإسماعيلي- أن كتاب الأساس هذا يعتبر «الكتاب الوحيد بين مجموعة المخطوطات الإسماعيلية الذي يعالج موضوعاً معيناً هو: التأويل»، فالكتاب إذاً ذو أهمية بالغة من بين الكتب الباطنية الموغلة في الباطن.

وأوضح المحقق أيضاً أن هذا الكتاب يعتبر لدى الإسماعيليين من الكتب الثمينة، والذخائر الغالية؛ التي تقضي تعاليم الإسماعيلية العقائدية بالمحافظة على سريته، وكتمان تعاليمه، والسهر على منع تسرب المواد العقائدية التي وردت فيه لمن هم من غير الطائفة؛ زاعماً أن ذلك العلم الباطن الذي احتوى عليه هذا الكتاب يخرج عن المفهوم العام لدى طبقات العامة الذين لم ينالوا من الثقافة إلا قشورها، ومن العلوم إلا ظواهرها[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٥٠)

(٢) مقدمة كتاب أساس التأويل، لمحققه: عارف تامر (ص ٦) والعجيب أن الكتاب مليء بالأخطاء اللغوية والمطبعية، وفيه تحريف شنيع لآيات القرآن، فعامة الآيات فيها أخطاء فادحة، وهو يشير إلى قلة اهتمام هؤلاء القوم بكتاب الله تعالى.

فالكتاب إذاً في غاية الخطورة، حتى على عوام الطائفة الإسماعيلية!

وقد ذكر المؤلف أنه صنف كتابه هذا بعد كتابه: (دعائم الإسلام) الذي كان في ظاهر علم الشريعة، وكذلك بعد كتابه: (حدود المعرفة) الذي لم يجسر فيه المؤلف على التأويل الصريح؛ بل اكتفى فيه بذكر الرموز والإشارات الباطنية، أما في هذا الكتاب فقد صرح مؤلفه بأنه بلغ في درجات التأويل مبلغاً عظيماً بات من الواجب عليه أن يبسط كتاباً للمستجيبين للدعوة الإسماعيلية الباطنية في حدٍّ من حدود التأويل والباطن يلي حدَّ الرمز[1]، وليكون المستجيب -كما يقول المؤلف- «يعلم حقائق ظاهر ما في كتاب (الدعائم) من الأعمال المفروضة، ويعلم حقائق العلم والأحكام من قبل الإمام؛ فيصلح ظاهره، ثم يتهيأ بما يسمع، وتتقدم عنده المعرفة...ويعلم حقيقة ذلك العلم الظاهر الذي فرض عليه والأحكام التي تعبد بها...ثم يرقى بعد ذلك في حدود العلم والحكمة بقدر قبوله واستحقاقه حداً بعد حدّ، ودرجةً بعد درجةٍ[2].

وقد بدأ المؤلف كتابه بذكر جوامع القول في تثبيت التأويل، ثم ذكر تأويل الإيمان والإسلام، وأن لكل رسول أصلين لشريعته: أصلاً في الظاهر

---

(١) انظر: (ص ٢٧)، والرمز: ما يخالف ظاهر النص، ويحتمله التأويل، وهو دون التأويل الباطني. انظر: الرمزية دراسة تقويمية، أنابلكيان، ترجمة: الطاهر مكي، دار المعارف،١٩٩٥م.

(٢) (ص ٣١٥-٣١٦)

وأصلاً في الباطن، ثم ذكر بأن أصل محمدٍ ﷺ: شهادة ألا إله إلا الله، ثم أخذ بتأويلها تأويلاً باطنيـاً[1]، كما أن الكتاب تضمن تأويلاً لقصص الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، واستغرق ذلك جزءاً كبيراً من الكتاب[2]، ورتبهم في فصول ستةٍ بحسب المعتقد الإسماعيلي؛ وهم الرسل النطقاء: آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد عليهم الصلاة والسلام، وفي دَور كل رسول ذكر الأنبياء الآخرين ممن ورد ذكرهم في القرآن.

ولما وصل المؤلف إلى الفصل الأخير من الكتاب جعله في تأويل قصة محمد ﷺ؛ وقصتُه -حسب معتقد المؤلف- تدور حول الإمامة في كل أحوالها وتفاصيلها!! ثم ذكر بعض نصوص التوراة والإنجيل التي جاءت -كما يزعم- بالبشارة بالنبي محمد ﷺ، وأولها تأويلاً باطنيـاً كما فعل بآيات القرآن![3].

ومن تأمل هذا الكتاب أيقن بأن أحداً لن يستطيع أن يحرف معانيَ القرآن الكريم بمثل ما فعل ابنُ حيون في كتابه هذا؛ ولذا قال ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) -عندما ذكر ابن حيون-: «له كتب كثيرة تدل على انسلاخه

(١) انظر: (ص ٣٣-٤٩)

(٢) انظر: (ص ٥٠-٣١٤)

(٣) انظر: (ص ٣٢٠-٣٢٦)

من الدين؛ يبدل فيها معانيَ القرآن ويحرفها»[(١)].

ولذا فإن هذا الكتاب من أخطر كتب الباطن؛ التي تكشف بجلاء شناعة المذهب الإسماعيلي الباطني، وغنوصيته، وبُعده عن مقتضى المعقول، مما سيتضح من خلال هذه الدراسة في أثر الإمامة في التأويل الباطني؛ ليعلم أصحاب الدعوة الإسماعيلية خطورة ما هم عليه من اعتقاد أصل الإمامة، وأن هذا الأصل ما هو إلا معول هدم لأصول الإسلام كلها؛ باسم التأويل الباطني المعصوم! فإلى فصول الدراسة.



(١) شذرات الذهب (٣/ ٤٧)

الفصل الأول

الإمامة وصلتها بالنبوة

المبحث الأول

أصل الإمامة

يعتبر أصلُ الإمامة في الفكر الإسماعيلي غايةَ الغايات ومنتهى الإرادات، وأصلَ الأصول؛ بل الإمامة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين كله، وهي القطب الذي تدور عليه جميع أحكام الإسلام، ولا يصح إيمان عبد حتى يعرف إمام زمانه، ويؤمن به ويذعن له ويطيعه، ومن أخل بهذا الركن العظيم فلا يُقبل منه صرف ولا عدل.

والقول بأن الإمامة قضية أصولية، وأنها ركن الدين الذي لا يجوز للرسل إغفاله، ولا تفويضه للعامة؛ عقيدةٌ تجمع عليها سائر فرق الشيعة[١]، إلا أن الإسماعيلية أسرفوا في التأويل لإرساء هذا المعتقد، وما كتاب (الأساس) هذا إلا أنموذجاً ضخماً لتأويلاتٍ لا منتهى لها.

وابن حيون بنى كتابه (أساس التأويل) على هذا، ورسمه لتثبيت أصل الإمامة، وجعل موضوعه من أوله إلى منتهاه في تأويل آيات القرآن من منطلق (سرّ الإمامة)، وأورد فيه عبارات التبجيل والتمجيد لهذا المعتقد الخطير في نظر الإسماعيليين قديماً وحديثاً؛ وها هو ابن حيون يعبر عن

(١) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ١٤٦)

أهمية أصل الإمامة؛ فيقول: «هي قطب الدين الذي يدور عليه، ولا يجزى العمل ولا يقبل إلا بعد معرفته إمام الزمان»[(١)]، وإنما يقال «للمؤمن: مؤمن؛ لأنه آمن بالله وبالرسول وبولي الزمان»[(٢)]، والأئمة عند الإسماعيلية فوق الخلق، والذي يجب لهم أعظم وأجل من أن يُدرك بعلم أو عقل[(٣)]، ويجب لهم من التوقير والطاعة والتسليم بالنية والقول والعمل ما كان يجب منه لرسول الله ﷺ![(٤)]، ومغفرة الله للمذنب لا تكون إلا من قبل الإمام[(٥)]، ويجب على العبد أن يخاف منهم كما يخاف الله، ويتقيهم كما يتقي الله[(٦)]، وأن يُقبِّل الأرضَ بين أيديهم ويعتقدَ ذلك تعظيماً لهم وتقرباً إلى الله[(٧)].

ويذكر ابن حيون في كتابه (الأساس) أن الإمام هو الصراط المستقيم المذكور في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، فالصراط في اللغة: الطريق، فمثَّل الإمامَ بالطريق؛ لأن من لزم الطريق لن يضل،

---

(١) (ص ٣١٥) وقارن مع: دعائم الإسلام، لابن حيون (١/ ٥١) وانظر نحوه في: المصابيح في إثبات الإمامة، لحميد الدين الكرماني (ص ١٢) وتاج العقائد، لعلي بن الوليد (ص ٦٥) وإثبات الإمامة، للنيسابوري (ص ٢٧)

(٢) (ص ٣٤١)

(٣) الهمة في آداب أتباع الأئمة، لابن حيون (ص ١٥)

(٤) المصدر السابق (ص: ٢٢) وانظر: الصفحات: ٣٥، ٩٣، ١١٥، ١٩٣.

(٥) المصدر السابق (ص ٤٥)

(٦) المصدر السابق (ص ٩٩).

(٧) المصدر السابق (ص ١٤٩).

وكذلك من لزم الإمام لن يضل![1].

ويؤكد المؤلف -على المعتقد الإسماعيلي- أن الله تعالى لم يُخلِ أرضَه من (حجة) على عباده[2]، فالإمامة تنتقل ولا تزول، ولا بد من وجود إمامٍ ظاهرٍ أو مستقرٍ؛ ولذا ابتدأ أول فصول الكتاب بالتأويل الباطني لقصص الأنبياء والأئمة في أدوارهم، ويقول: إن الله تعالى أقام «في كل أمة رسولاً للقيام بظاهر شريعتها، وأساسًا لباطن دعوتها، وأئمةً تترى بين كل رسول ورسول؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»[3]. وتتفاضل درجاتهم ومراتبهم، فالنطقاء[4] أعلاهم درجةً؛ وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وسابعهم قائم الزمان، ثم يليهم في الفضل الأسس الذين أقامهم من أقامهم من الأئمة في حياته لتأدية الباطن، والأساس يقوم بعد الناطق ويخلفه من بعده فيكون إمامًا، ويقيم حجةً لنفسه ليقوم مقامه، وهكذا حتى يدور دَور ذلك الناطق، ويأتي بعده ناطق آخر بشريعة أخرى،

(١) (ص٦١) وكذلك (ص٩٠).

(٢) (ص٤٠)، وانظر: الهمة في آداب أتباع الأئمة، لابن حيون (ص ٤٦) وقارن مع: إثبات الإمامة، للنيسابوري (ص٢٧-٢٨).

(٣) (ص ١٠٥)، وانظر: الهمة في آداب أتباع الأئمة (ص ٤٦).

(٤) (الناطق) في المصطلح الإسماعيلي يطلق على الرسول الذي ينطق بظاهر الشريعة؛ وقد يقع اسم الناطق على الإمام؛ لأنه ينطق بما كان الرسول الناطق ينطق به في دوره من ظاهر الشريعة التي بعث بها. انظر: كتاب (أساس التأويل) ص ٥٠، والرسالة المذهبة، لابن حيون (ص٣٧)، و(الافتخار) للسجستاني، ص ٦١ وما بعدها، والذخيرة في الحقيقة، لعلي بن الوليد (ص ١١٦).

ويجري كذلك كما جرى أولاً؛ لأنه لا تخلو الأرض من قائم لله بحجته طرفة عين[١]، وآخر قائم بالإمامة في هذه الدار هو (صاحب القيامة) الذي يجمع الله به العباد فيستوون عنده في الثواب والعقاب، فيثيب المؤمنين ويعاقب الكافرين[٢].

وبناءً على معتقدهم أن (الإمامة) هي قطب الدين الذي عليه يدور! فقد أوجب المؤلف على نفسه أن يذكر في هذا الكتاب بيانها، وتأويلها، واحتاج -كما يقول- بأن يبتدئ بذكر ذلك من لدن آدم! فكان ابتداؤه فيه؛ فذكر قصته، ودور كل ناطق بعده، ومن ذكره الله تعالى من الأئمة الذين كانوا في أدوار الأنبياء، ومن اختصه الله منهم بالنبوة والرسالة...[٣].

وفي سياق المؤلف لقصص الأنبياء أبرزَ نظرية تسلسل الإمامة من مبدأ التاريخ إلى منتهاه؛ حسب الفكر الإسماعيلي؛ وذلك باستعمال التأويل الباطني الذي لا يتوقف عند حدٍّ[٤]، وسأذكر فيما يلي بعض النماذج لما أورده في هذا الكتاب.

---

(١) (ص ٥٢).

(٢) انظر: (ص ٣١٣) وقارن مع: فضائح الباطنية، للغزالي (ص ٤٧).

(٣) انظر: (ص ٣١٦).

(٤) ومثله الداعي: جعفر اليمن، الذي بنى كتابه (سرائر أسرار النطقاء) من أوله إلى آخره في تأويل قصص الأنبياء على المنهج الباطني، وفيه من المخاريق والمخازي أشد مما في كتاب الأساس لابن حيون. وكذا لحاتم ابن زهرة في رسالته (الأصول والأحكام) (ص١٠٥ وما بعدها).

فقد ابتدأ القصص -كما قال- بأصل الإمامة في الحد السفلي، وهو آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فآدم هو الناطق الأول للدور الأول، والمسمى دور الستر[١]، وأساسه[٢] الصامت شيث، وبعده ستة أئمة، ثم أخذ يؤول الآيات الواردة في قصة آدم؛ تأويلات يطول ذكرها، ولأهمية ما ذكره من تلك التأويلات الباطنية -مما له علاقة بترسيخ (نظرية الدَور) عند الإسماعيلية وبدايتها وأساسها- أورد شيئًا منها؛ فقد ذكر المؤلف بأن الله تعالى لما أراد خلق آدم الخلق الثاني الذي هو خلق العلم، وأن ينصبه إمامًا = ندب من الملائكة اثني عشر ملكًا نقيبًا يأخذون منه، ويبلغون عنه أهل الأرض؛ فلما عرف الملائكة أنه يخلق من طين، والطين في التأويل الباطني هو: العلم الظاهر، والملائكة خلقوا في خلق العلم اللطيف الروحاني، قالوا لربهم سبحانه: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠]، فأراد الله أن يُري الملائكة عجزها، فبعد أن خلق آدم من طين -أي: ابتدأه بالعلم

(١) الأدوار عند الإسماعيلية نوعان: الأدوار الكبيرة وهي التي تبتدئ من آدم وتنتهي بالقائم، والأدوار الصغيرة؛ وهي التي تبتدئ بقيام الناطق المرسل بشريعة، وتنتهي بالناطق الذي يليه. ولكل دور إمام مقيم وإمام متم وأساس وناطق وسبعة أئمة، والمقيم هو الذي يربي الناطق في دعوته، والمتم هو الذي يختم الدور، والأساس هو حجة الناطق في حياته، ويتسلم الوصية من بعده، وهو صاحب التأويل الباطني، كما أن الناطق صاحب التنزيل الظاهري. انظر: إثبات النبوات، للسجستاني الإسماعيلي ص ٢٠١، والأنوار اللطيفة لطاهر الحارثي، ص١٣٠، وانظر: الذخيرة في الحقيقة، لعلي بن الوليد (ص ١٠٤ وما بعدها).

(٢) (الأساس) ومعناه: أنه أساس المؤمنين لبناء آخرتهم بما يقفون به على بيان الوحي، واشتق للوصي اسم الأساس. انظر: تحفة المستجيبين، للسجستاني الإسماعيلي (ص ١٧).

الظاهر- نفخ فيه الروح -يعني: العلم الباطن- وهو المذكور في قوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:٢٩]، أي أذعنوا له بالطاعة؛ إذْ أمددته بالعلم الروحاني، وأن رفض إبليس أن يكون تبعـًا لآدم سببه أن آدم نشأ بعلم جسداني بخلاف إبليس فإنه نشأ في العلم التأييدي الروحاني[1]. ويوغل ابن حيون في التأويل الباطني فيجعل الخلق في قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء:١] معناه: خلق التأييد، وليس خلق الجسد، أي: أمر الله آدم فتولى تأييدها وتعليمها وقرنها به، وجعلها زوجته وحجته، عوضـًا عن إبليس الذي كان مؤهلاً ليكون حجة لآدم!! وأن الجنة التي أُسكنها آدم في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥] هي: التأييد بالعلم الحقيقي الروحاني...

ويقول المؤلف: إن الله تعالى قد أباح لآدم وزوجه حدود الرسل على شرائطها وواجباتها التي أوجبها الله فيها من تحليل ما أحله وتحريم ما حرمه، وجعل الشجرة المذكورة في قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٣٥] مثلاً لحد قائم الزمان الذي هو صاحب القيامة، والذي يكون التكليف في حده مرفوعـًا[2]، فصار قائم الزمان -كما يرى ابن حيون- هو الذي يُجرِّد الباطن ويظهره، وذلك ممنوع على الرسل من قبله، وهذا يعني بوضوح تام أن قائم الزمان أفضل ممن قبله من الرسل

---

(١) (٥٤-٥٧).

(٢) (٦٣-٦٦).

وأعظم!! بل إنّ قول إبليس: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الإسراء:٦٢] يعني بذلك صاحب القيامة!. وتأول قوله تعالى: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [طه: ١٢١] بارتفاع التأييد عنهما، وأنهما لمّا تابا رجع إليهما، واشتد إنكاره على من قال إنهما تعرَّيا، وجعل ذلك مأخوذاً عمن أسلم من أسلافهم من اليهودِ عبدِالله بن سلامٍ وكعبِ الأحبار وغيرِهما[1]، وأن الهبوط المذكور في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨] هو هبوط آدم من حدّ التأويل بلا حجاب، إلا أنه لم يزل متصلاً بالحدود العلوية الروحانية، وجرى ذلك كذلك في النطقاء من ولده[2].

وفي نهاية قصة آدم أراد ابن حيون أن يوضح قضيةً تعتبر أساسًا لفكرة الإسرار بعلم الباطن وإيداعه لأساسه ووصيه، فيقول: إن آدم -وهو أول النطقاء- أراد أن يوصي لابنه هابيل فحسده قابيل وقتله، ثم زعم أن الله وهب آدم (شيئًا) فسماه: هبة الله، فأودعه للعلم وأسره إليه وأمره بكتمانه تقيةً عليه من قابيل أن يقتله، قال: فجرت بذلك السنةُ في إسرار العهد وحفظه!

هكذا يفترض المؤلف ويخترع هذه الفكرة حتى يؤصل لنظرية الاستيداع عند الإسماعيلية. ويذكر أن شيثاً قام بأمر الإمامة من بعد آدم، وهو وصيُّه، قال: «وكان ممن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو

(١) (٦٦-٦٨).
(٢) (ص ٧٠).

من دَور آدم صلوات الله عليه ثم انتهى الأمر إلى نوح صلوات الله عليه...» وهكذا لم يجد المؤلف ما يسعفه في سرد أئمة دور آدم فلم يذكر غير شيث وإدريس!! فانتقل إلى دور نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ[1].

وفي قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو (الناطق الثاني) في المعتقد الإسماعيلي، بالغ ابن حيون في التأويل الباطني كعادته، فجعل الفلك المذكور في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ [المؤمنون: ٢٧] مثلًا على أساس دعوته، وأن ركوبها يعني: نجاة المستجيبين للدعوة بحياة العلم الروحاني النوراني، وأن الغرق في البحر يعني: غرق الكفر والضلال، وأن السفينة تجري وترسو على سبعة أشياء؛ وهي تدل في الباطن على (السبعة النطقاء) والسبعة الأئمة بين كل ناطق وناطق، ثم شرع في ذكر تفاصيل صناعة السفينة من ألواح وحبال وغيرها؛ فالألواح -كما يقول- اثنا عشر لوحـًا وهي تدل على اللواحق الاثني عشر[2]، وهكذا يمضي في وصف السفينة بطريقة تخمينية عجيبةٍ.

إذاً فسفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ليست -في المعتقد الإسماعيلي- إلا مثالاً

---

(١) (ص ٧٠).

(٢) (ص ٧٦-٨٠)، و(اللاحق) في المعتقد الإسماعيلي مصطلح يطلق على الداعي المكلف بشؤون إحدى (الجزر الاثني عشر)، فهم يرون أن العالم ينقسم إلى ١٢ قسمـًا، على غرار أشهر السنة، وسموا كل قسم: جزيرة، وجعلوا على كل جزيرة داعيـًا...انظر تفصيل ذلك في: الحركات السرية في الإسلام، محمود إسماعيل (ص١٢٧) الانتشار العربي، بيروت ١٩٩٧م.

تضمَّن الدلالة على الدعوة، وعلى النطقاء، والأئمة في أدوارهم، واللواحق أيضـًا!! وتأول المؤلف قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [المؤمنون: ٢٧] بقوله: «يعني: جاء علم التأييد، وتكلم به الأساس، وصدر عنه علم التأويل ذي النور»[١]، وأوّل قوله تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود:٤٢] بقوله: «يعني: جرى الأساس في دعوته بالمستجيبين له في العلوم من حد إلى حد؛ ليوقفهم على حدود المعرفة ومراتبها»[٢]. وأن ابن نوح الذي أبى أن يركب معه في السفينة كان يأمل أن يكون الأمر إليه، فلما أقام نوح غيره أساسـًا للدعوة حسده، وأنف عن الدخول في حكمه.! وأنه لاذ إلى علماء الظاهر...!! وتأول الأرض والسماء في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود:٤٤] بأنّها «مثل للأساس الذي أقامه نوح لدعوته الباطنة، وأمره أن يستر ما صار إليه من العلم الباطني، وصيانته عن غير أهله، والاستيلاء عليه، وجمعه عنده، والسماء: مثل للناطق»[٣] والناطق هنا هو نوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فأمر نوحـًا أن يدع العلم الباطن إلى أساسه ويُقبل على الظاهر!! وذكر بأن السنين المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] أنها مدة دَوره، ولُبث شريعته، وليس المراد أنه عاش

---

(١) (ص ٨٢).

(٢) (ص ٨٣).

(٣) (ص ٨٥).

كل هذه السنين[١].

ثم ذكر ابن حيون في كتابه هذا قصة هود وصالح عليهما السلام[٢] وجعلهما من دَور نوح، وأنهما أنذرا بشريعته ودعيا بدعوته. ومن عجيب ما ذكر في تأويلاته لقصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ تأويله للناقة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةً﴾ [هود: ٦٤] أنها مثل للحجة، وأن الله أمر ألا تمسَّ بسوء؛ وذلك لما نصبها لحمل الباطن، وبسط الدعوة، وأن عقرهم للناقة معناه: دفعهم الحجة عن مقامه، والتغلب عليه في ظاهر أمره...وأن قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾ [الأعراف:٧٧] أي امتنعوا عن مسائل صاحب الزمان، وحججه التأييدية[٣].

ولما انقضى عهد نوح، وكمل عدد أئمته؛ بعث الله تعالى إبراهيم (الناطق الثالث) في الفكر الإسماعيلي، ولما كان إبراهيم مجتبى من الله وواجب أن يكون لكلِّ مخصَّصٍ مجتبى معلمٌ يعلمه ويرشده؛ أطلعه الله على أقرب الحدود الأرضية، وهو الداعي المذكور في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦]، وبحسب التأويل الباطني فإن (الليل) مثلٌ لكتمان العهد الذي أخذه الداعي على إبراهيم، والمراد بقوله: هذا ربي؛ أي: متولي أمري، والقمر في قوله: ﴿فَلَمَّآ رَءَا ٱلۡقَمَرَ

---

(١) (ص ٨٧).

(٢) انظر: (ص ٩٦-١٠٦).

(٣) انظر: (ص ١٠٠) و (ص ١٠٢).

بَازِغًا ﴾ [الأنعام:٧٧] هو: الحجة، والشمس في قوله: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾ [الأنعام:٧٨] :الإمام، وهكذا حتى وقف إبراهيم على حد صاحب الزمان، ووصفه لمن فوقه من الحدود العلوية فأخلص في توحيده، وتبرأ من الشرك!(١).

وكان إسماعيل أساساً لشريعة إبراهيم عليهما السلام، والبيت الحرام الذي بناه إبراهيم، ودعا ربه أن تهوي إليه أفئدة الناس = جعله المؤلف مثلاً لوجوب إتيان الإمام من كل مكان، ثم أخذ المؤلف يذكر الكعبة المشرفة وتفاصيل بنائها...جاعلاً القواعد المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [البقرة:١٢٧] :أربعةَ قواعد؛ والمراد: النطقاء الأربعة من بعد إبراهيم؛ وهم: موسى وعيسى ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- والقائم، وأن الصفا والمروة مثل الإمام والحجة، والطواف بينهما؛ مثل: لطاعتهما. وأول المؤلف الطائفين في قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٧] بأنهم: اللواحق الاثنا عشر أصحابُ الجزائر، وهم الطائفون بالإمام، والعاكفون هم: الأئمة الملازمون المقيمون، والركع هم: النطقاء!! بل إن قول إبراهيم لأبيه: ﴿ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ٤٣] أي: أدلك على إمام زمانك(٢). وأول ابن حيون قول إبراهيم للذي حاجَّه في ربه: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) ص (١١٠-١١١).

(٢) انظر: (ص ١١٧-١١٨).

يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة:٢٥٨] بأن الشمس: كلمة الله التي أظهرها من ناطق الزمان، وجعل غروبها في أساسه، وأوَّل الذبح المذكور في قول إبراهيم لابنه إسماعيل: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾ [الصافات:١٠٢] بقوله: «أي: آخذ عليك ميثاق الإمامة، وأقيمك إماماً لشريعتي»(١)، وكان إسماعيل هو الأساس، وإسحاق دونه في حدِّ الإمامة. ويرى أن قول إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] الآية؛ أراد من ذلك أن يسأل مرتبة الحجة، وكان دونها، وكان الله قد وعده بالإمامة...وأن الطير المراد بهم المأذونون بالمفاتحة، وقد أُمر إبراهيم بأن يبلغهم حدود النقباء، وقوله: ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً أي: اجعل بكل جزيرة من جزائر الأرض واحداً من النقباء الاثني عشر(٢). بل جعل ابن حيون امرأة إبراهيم المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ ﴾ [هود:٧١] أنها في الباطن: أساسه!!

وتأول قصة يوسف مع أبيه يعقوب عليهما السلام؛ أن يعقوب كان إماماً، وأن يوسف اتصل به التخيُّل من التأييد؛ فأراه الله أن الإمامة تصير إليه، وأن الإمام الذي هو يعقوب، وحجته المرموز له بأم يوسف! وإخوته الذين هم مثل للواحق؛ كل هؤلاء سيخضعون له...وأول قصة يوسف مع إخوته -حتى تقلده منصب عزيز مصر- بتأويلات تدور كلها حول الإمامة،

---

(١) (ص ١٢٤).

(٢) (ص ١٢٨).

وجعل الأرباب المذكورين في قوله يوسف: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [يوسف:٣٩] أي: أأئمة تفرقوا، واختلفوا يعني: أهل الظاهر. خير أم إمام واحدٌ قام بأمر الله، لا اختلاف بما جاء به؛ بل هو واحد الزمان!! بل تأول السبع البقرات التي رآها الملك: بالسبعة النطقاء، والأئمة السبعة بين كل ناطق وناطق، وكل القصة تدور حول الإخبار عن أدوار النطقاء والأئمة كيف تكون! وقول يعقوب لبنيه: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ [يوسف:٨٧] يعني: اختبروا الإمامة أين حلَّت؟ والبابيةَ لمن صارت؟!![1].

ويمضي مؤلف الكتاب بلا كلل يؤول كل الآيات الواردة في قصص الأنبياء بهذه الصورة الغريبة، فأم موسى في الباطن: الداعي الذي دعا موسى، وأخته: مثل للمأذون، والنار التي رآها: حدّ الناطق، وعصا موسى: حدّ الإمامة...والقرية التي أُمر بنو إسرائيل بدخولها؛ هي: الإمام...بل يؤول قول موسى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف:١٤٣] بأن الرب هنا المراد به: مربيه بالحكمة، وهو حده العلوي!! وأن موسى سأل النظر في حده الذي يتصل به من فوقه... فسأل موسى زيادةً في رؤيا العلم فوق الذي أوتيه وحُدِّد له، والألواح؛ هم: اللواحق، الذي يُثبِتُ الأساسُ عندهم علمَ التأويل...[2]. والجبال التي تسبح مع داود: أمثال اللواحق، والطير: أمثال

(١) (ص ١٣٥-١٦١).

(٢) انظر: (ص ١٨٠-٢٤٦).

الدعاة، والنمل في قصة سليمان: أمثال المأذونين الذين يأذن لهم الدعاة في كسر الظاهر...والجن الذين يعملون معه هم: أهل الباطن الذين يسترونه؛ وهم حجج سليمان ولواحقه، والصافنات الجياد هم: حججه عرضوا عليه ما يجري من دعوتهم المستورة، بل الرب المذكور في قول سليمان: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ [ص:٣٢] هو: الإمام السابق قبله الذي علَّمه!![1].

والعجب أن المؤلف عند ذكره لقصة زكريا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ ومريم نسج من مخيلته ترتيبـًا للإمامة؛ وصاغ من جعبته مسلكـًا غريبـًا في انتقال الإمامة إلى عيسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ؛ وأطال في ذلك بما لا طائل تحته؛ وملخصه أن عمران كان هو صاحب الزمان، ولم يتهيأ له إقامة إمام من دعوته فأقام زكريا الذي هو على غير دعوته! وضم إليه رجلاً من دعوته؛ كان قد ظن أنه يقوم بالإمامة من بعده، ولكنه لم يلق به القوة؛ لذلك ضمه إلى زكريا، وهو الذي كنى الله عنه بمريم! وهي أم عيسى من الناحية التربوية، وأحد حجج زكريا، ولما لم يلق زكريا في حجته القوة الكافية لاستلام الإمامة، أقام إمامـًا له وهو يحيى، إلا أن المادة الإلهية اتصلت بذلك اللاحق المسمى (مريم) من غير أن يعلم زكريا ويحيى، وأن حجته المسمى (مريم) لا يزال في حده القديم من حدود اللواحق؛ إذ لم يكن له من البيان ما يؤديه إلى حد الإمامة، وبقي في درجته، واتصلت به الحدود العلوية من قبل الله... ثم بشرته الملائكة بأنه يدعو

---

(١) انظر: (ص ٢٥٣-٢٦٧).

رجلاً يستجيب له يعلو شأنه، ويكون نبيـًا ناطقـًا بشريعة من بعده، فتكون النبوة من نسل دعوته...

وهكذا يمضي المؤلف بتأويل قصة البشارة لمريم عليها السلام من الملائكة الكرام، وما جرى من قصة حملها ووضعها بتأويلات لا ينقضي منها العجب!! همُّه أن يرسخ عقيدة تسلسل الإمامة وانتقالها من شخص لآخر، وفق المعتقد الإسماعيلي، وتجرأ على إنكار القصة وإبطالها، وأن اللاحق (مريم) وهو من الدور الموسوي قام بتربية وإعداد عيسى، الذي جهر بالإمامة والنبوة بقوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم:٣١] وأن الله تعالى أوصاه بإقامة الدعوة ونصب الأساس...[١].

ثم يصور المؤلف انتقال الإمامة إلى محمد ﷺ؛ فيذكر أن دور عيسى انتهى قبل ظهور السابع، وهذه التي تسمى -في نظر المؤلف- الفترة؛ حيث بعث محمد ﷺ على فترة من الرسل! وأن المؤمنين هم الذين اعتقدوا وحدة الباري سبحانه، وأقروا بالرسول وأساسه، والإمام وحجته...فتكون الأمة في (الفترة) غير منفكة عن الطاعة!! وأن الله تعالى لما ابتعث محمداً اتصل به لواحق المتمِّ في دور عيسى، وكشفوا له ما عندهم، وسلموا إليه...!![٢].

---

(١) انظر: (ص ٢٩١-٣١٠).

(٢) انظر: (ص ٣١٩-٣٢٠) وقارن مع: كتاب (سرائر أسرار النطقاء) لجعفر اليمن (ص ٢٢٩ وما بعدها) ففيه تصريح أكثر جرأة.

وتوسع المؤلف في موضع آخر من كتابه فذكر أن الذي استخلفه متمّ عيسى قد اتصل بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام لما انتهى أمره وأوقفه على صنعته ونعته، وأطلعه على أمره، وأخذ ميثاقه، وأدى إليه هو ولواحق المتمّ الذي استخلفهم وأسبابه، ويزيد المؤلف في نسجه هذا الخيالَ فيقول: «وكان ذلك المستخلف أعجمياً...»(١). والعجيب أنه يستدل على أسطورته هذه بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣] مع أنّ الآية واضحة وضوح الشمس أنها سيقت للإنكار الشديد على من قال إن محمداً كان قد أخذ علم ما يخبِر به عن بعض البشر.

وهنا يصل المؤلف إلى بغيته عبر التأويل الباطني فيقول: إن سنة الله تعالى اقتضت أن الرسول الناطق يقيم أساساً له من أقرب الناس إليه؛ ممن استجاب لدعوته، وامتحنه، ورضي عنه؛ وكان الأساس هو ابن عمه: علي بن أبي طالب، وأن الرسول تعجل في بيان ذلك؛ وهو سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]، فعلم أن البيان لا يكون إلا من قِبل الله بمن يأمر الرسول أن يقيمه! هكذا يريد المؤلف أن يصل إلى تقرير عقيدة الوصية لعلي؛ وأنها كانت من لدن الله عَزَّوَجَلَّ... ثم يؤكد أن النبي ﷺ خص علياً بالوصية وألقى عليه من العلم والحكمة ما لا يحتمله غيره...فعلي الوصي، وبعده سبعة أئمة من ذريته؛ هم -حسب تأويل

---

(١) (ص ٣٣٠).

المؤلف- المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر:٨٧] والسابع هو القائم الذي يجمع الله له أمر العباد! وإن تعجب فعجب قوله إن القرآن العظيم؛ هو: علي.! بل إن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [النحل:٩٥] يعني: أن الله كفى نبيه الذين استهزؤا بإقامة أساسه الذي هو: علي، وعزّاه بهذه الآية إذ ضاق صدره من صدهم عمن أقامه...![1]، وقوله: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ [الشرح:٧]؛ أي: انصب أساسك الذي أقمته، وقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [النحل:١٢٥]؛ أي: ادع إلى أساسك الذي نصبته وأقمته بأمر ربك! وعليٌ هو: الصراط المستقيم، والفتح المبين، وبه تمام النعمة، وحصول المنة[2].

ثم جعل المؤلف يؤول آيات لا يحتملها هذا الموضع مؤكداً أنها تدل على الأئمة من ذرية الوصيِّ علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ ومن ذلك تأويله لقوله سبحانه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ... ﴾ [الفتح:٢٩] الآية؛ فالذين معه هم: الأئمة من ذريته، وكل الصفات الواردة في الآية صفاتهم، وهم الشهداء والصديقون، وهم جند الله في أرضه...، وأوَّل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] أن الشاهد هو: الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عصره، وإمام كل زمان من بعده يكون في تلك المرتبة شاهداً على أهل زمانه، و(مبشراً) : الأساس في عصر الرسول، والحجة في عصر الإمام في تلك المرتبة، و(النذير): اللاحق من الحجج في كل جزيرة؛ كل

(١) (ص ٣٣٠-٣٣٦).

(٢) (ص ٣٤٩) قارن مع: رسالة الإيضاح، لعلي بن الوليد (ص١٤٩).

واحد منهم في هذه المرتبة، ينذر أهل جزيرته بمن يقيمه فيها من الدعاة من عذاب الله لمن يتخلف عن الاستجابة إليها... و(الداعي): الذي يطلق له الدعوة صاحب كل جزيرة؛ وهم الدعاة، وكل واحد منهم في هذه المرتبة. و(السراج المنير) هو: المأذون الذي يطلقه الداعي ليكسر له من يرى كسره، ويبين له السبيل إليه. وهؤلاء هم الحدود الخمسة السفلية؛ التي أمر الله نصبها في الأرض لعباده[1]. وهكذا خلع المؤلف الصفات المحمدية الواردة في الآية وجعلها دالةً -بالتأويل الباطني- على الأئمة من ذريته.

وأول المؤلف قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة:٧٢] بقوله: «يعني: في حق الإمام وليكم، وهذه كانت سبيلَ أمة محمد ﷺ في وصيه وأساسه علي»[2].

وبهذا يتبين مما تقدم أن المؤلف لم يألُ جهداً في تأويل آيات القرآن الكريم تأويلاً باطنياً؛ ليصل بذلك إلى تأكيد ما قرره في أول هذا الكتاب من أن الإمامة هي أصل الدين وقطب رحاه، وأن كل ما ساقه من الآيات دال على هذا الأصل الأصيل والركن العظيم.!!

فإذا كانت الإمامة بهذه المنزلة العظيمة من حيث التأييد الإلهي كما يصوره المؤلف في هذا الكتاب؛ فما الصلة بين الإمامة والنبوة؟ هذا ما يمكن للمبحث التالي أن يجيب عنه.

---

(١) انظر: (ص ٣٤٠-٣٥١).

(٢) (ص ٢٤٣). وقارن ما تقدم في إثبات الوصية عند الإسماعيلية مع: المصابيح في إثبات الإمامة للكرماني ص١٠٩.

المبحث الثاني
بين النبوة والإمامة

إن القارئ للتأويلات الباطنية لآيات القرآن في هذا الكتاب لا يستطيع أن يهتدي إلى التمييز بين النبوة والإمامة، ولا أن يقف على الفرق بينهما؛ لكن المؤلف لم يصرح بالتساوي بينهما؛ بل أكد أن حد الإمامة دون حد النبوة[١]، ويقول في غير هذا الكتاب: «درجة النبوة أعلى وأجل، وفوق درجة الإمامة، وفضل الأنبياء أعظم من فضل الأئمة»[٢]. ويقول: «لا نقول ما قاله الغلاة الضالون المبطلون الصادون عن أولياء الله الدافعون إمامتهم الزاعمون أنهم يعلمون غيب الله وما تخفي صدور عباد الله الذي تفرد بعلم ذلك دون خلقه...وذلك لاستخبار الأئمة عما غاب عنهم»[٣]، وما أنكره المؤلف من أن الأئمة لا يعلمون الغيب لا يسعفه مع ما ذكره في كتابه هذا من عبارات وتأويلات تؤكد أن علم الإمامة لا يمكن أن ينفصل عن علم النبوة؛ بل علم الإمامة إنما هو امتداد للنبوة؛ كما سيظهر فيما يلي من كلام المؤلف.

وأنبه هنا إلى أمر في غاية الأهمية وهو أن إنكار المؤلف على من زعم أن الأئمة يعلمون الغيب لا يكفي في توضيح الفارق بين النبي والإمام؛ وذلك

---

(١) انظر: (ص ٥٢).

(٢) الهمة في آداب أتباع الأئمة (ص ٢٣).

(٣) المصدر السابق (ص ٥٠).

لأن المنكرين لنظرية الإمامة أصلاً لا يقولون إن النبي يعلم الغيب! بل لا يعلم من الغيب إلا ما أوحى الله إليه به؛ وقد جاء التصريح بذلك في القرآن الكريم؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقوله: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

وحينئذٍ يقال: إن كان الإمام والحجة يعلمان ما علمه النبي ﷺ، ويُكشف لهما من الحجب ما يُكشف له، فكيف لنا أن نفرق بين ما للأئمة وما للنبي؟ ولهذا الإشكال الكبير حاول المؤلف أن يختلق فرقاً فيقول: «لم يطلق اسم النبوة إلا لمن اتصلت به المادة العلوية من غير توسط حد سفلي بينه وبينها»[١]، فالنبي إذاً يأخذ عن الحدود العلوية بلا توسط، أما الإمام فإنه يأخذ عن الحدود العلوية بواسطة حد سفلي! وهنا يتبين بأن النتيجة واحدة وإن اختلف الطريق الموصل إليها، ولذا تأتي عبارات المؤلف مشعرةً بتلافي الفرق بين درجة النبوة والإمامة؛ حتى إنه ذكر في بعضها أن اسم الإمام يقع على الناطق، واسم الناطق يقع على الإمام؛ وإنما سمي الإمام ناطقاً لأنه ينطق بما كان الرسول الناطق ينطق به في دوره من ظاهر الشريعة التي بعث بها، وسمي إماماً لأن العباد تقتدي به...[٢].

ولم يستطع المؤلف أن يخفي ما يعتقده من اتصال الإمام بالتأييد

---

(١) (ص ٥٠) وقارن مع: إثبات النبوة، لأبي يعقوب السجستاني (ص٦٧ وما بعدها).

(٢) (ص ٥٠) وقارن مع: الافتخار، لأبي يعقوب السجستاني (ص٧٠).

الإلهي؛ الذي لم يجرؤ على تسميته: وحياً؛ فيؤكد أن الإمام تتصل به مادة الله!! وأولياء الله يؤيدون بالعلم والحكمة على ما يصلح لكل واحد منهم...! والاتصال الإلهي ليس للإمام فحسب؛ بل اللواحق والدعاة يحملون عن الإمام ما يلقيه إليهم من مجمل الحكمة؛ فيريحونه من تعب الفكر والجوارح في بيان ذلك وشرحه[١] بل إن التأييد قد يتم بلا واسطة كما وقع ذلك -بزعم المؤلف- للاحق المسمى (مريم)، حيث اتصلت به المادة من قبل الله؛ فتجلى له الملك يأمره عن الله أن يأخذ العهد على عيسى؛ فاستراب ذلك اللاحق (مريم) من هذا الأمر؛ لأن ذلك لا يحل للمتصل به أن يسمعه؛ لأنه ليس من حده؛ ولذا قال له الملك: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ [مريم: ٩] أي: إني أنشأتك بالتأييد بلا توسط إمام! فأيقن ذلك اللاحق بالأمر وعرف عيسى؛ فدعاه، فاستجاب له؛ وأخذ عليه العهد، وأقبل على تربيته بالعلم والحكمة[٢].

ومع إقرار المؤلف بختم النبوة[٣] وهو الأمر الذي لا يستطيع إنكاره؛ إلا أنه يؤكد في غير ما موضع من كتابه أن الأئمة مؤيدون بمادة الله التي لا تنقطع؛ فالناطق يؤدي إلى أساسه، والأساس يؤدي إلى حدوده؛ ومن الحدود إلى المستجيبين على اختلاف مراتبهم ومقادير ما لكل واحد

(١) انظر: (ص ٢٧٧).

(٢) انظر: (ص ٣٠٠-٣٠٦).

(٣) انظر: (ص ٣٢٨).

منهم[١]. وقول الله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء:١] أي: لنطلعه على الحدود العلوية، ونصب بإزائها حدوداً سفلية؛ فأفضى الرسول من ذلك العلم الذي أوتيه إلى أساسه -وهو علي- بما يجب أن يفضي به إليه، وعلمه إياه، ثم عهد إليه أن يؤدي من ذلك إلى من يفضي إليه بسره، ويقيمه بعده مما يجب لمثله، وأن ينقله كذلك من واحد إلى واحد...[٢]. ويصف المؤلف الأئمة بأنهم: «حبل الله المتصل؛ طرفه بيد الله، وطرفه بيد العباد...والرسول هو أول حد من الحبل في العالم السفلي، والأساس متصل به؛ والأئمة يتصلون بالأساس واحداً بعد واحدٍ، والطرف الأدنى الذي هو بيد العباد إمام كل زمان في زمانه، فمن تمسك به فقد تمسك بحبل الله، وكل واحد منهم في زمانه هو العروة الوثقى التي لا انفصام لها، كالسلسلة؛ كل عروة منها متصلة بالأخرى، فمن تمسك بأدناها فقد تمسك بها كلها...»[٣].

فالختم إذاً إنما هو للنبوة، أما التأييد الإلهي، والعلم الروحاني فدائم لا ينقطع...[٤].

۞ اتصال الأئمة بالعالم الروحاني:

ويذكر المؤلف كلاماً خطيراً يتعلق باتصال الأئمة بالعالم الروحاني؛

---

(١) انظر: (ص ٣٥٥).

(٢) انظر: (ص ٣٤٠).

(٣) (ص ٣٤٥) وقارن مع: إثبات النبوات، للسجستاني (ص٨٥ وما بعدها).

(٤) انظر: تاريخ الفلسفة، كوربان (ص ٩١ وما بعدها).

فيقول: إن النبي ﷺ أقام حدوده في الباطن، وجرد سيف التأويل، واتصل بالحدود العلوية؛ وهو عالم العقل الرباني، عالم اللذة والبقاء...! وأقام أساسه من دونه على مقابلة التالي في عالم النفس، وبالتالي تظهر كلمة السابق في عالم النفس الروحاني، وبنور عالم البقاء واللذة يعيشون ولا يموتون؛ لأن موادهم من بقاء؛ هو: العقل الكلي[1] بواسطة التالي في عالم النفس الروحاني، وكذلك في عالم التركيب لا يصل أحد من الجسمانيين إلى معرفة حقائق ممثولات الشريعة ورموزها، ومحكم تأويل ذلك إلا دعوة الأساس الباطنة، التي هي على مقابلة العالم الروحاني، ومنها يرقى إلى عالم النفس الروحاني، فكان الناطق (محمد) مثلاً على العقل الكلي في عالم الترتيب، والأساس (علي) مثلاً على النفس الكلية الناطق بحكمة التأويل...والإمام نتاج بين الناطق والأساس...وعلي يظهر فضائل الناطق ويكشف رموزه وممثولاته في ظاهر تنزيله وشريعته...

ولما غاب الناطق (محمد) وارتقى إلى العالم الروحاني ارتقى أساسه (علي) إلى درجته، وورث منزلته! فأقام نفسه مقام السابق، وأقام الإمام

---

(١) «ما يقوله المسلمون عن الله خلعه الإسماعيلية على العقل الكلي؛ فهو الإله عند الإسماعيلية...والعقل الكلي في العالم العلوي يقابله الإمام في العالم الجسماني» طائفة الإسماعيلية، محمد كامل حسين (ص ١٥٨)، ولما كان المذهب الإسماعيلي ذا صبغة فلسفية يونانية؛ فقد جعل (العقل الكلي) أحد العقول العشرة؛ التي يؤمن بها الإسماعيلية، ولها مثل وممثول وتفاصيل تجدها في: راحة العقل، للكرماني (١٢٧-١٢٩).

المستودع دونه مقام التالي في عالم النفس، ولما غاب الأساس ارتقى المتمُّ إلى درجة الأساسية، وأقام الإمامَ، ودلَّ عليه، وسلم إليه ما كان له في يده من الوديعة من مواريث الأنبياء والأئمة، وغاب المتمُّ وارتقى الإمام إلى منزلة الناطق! وقابل منزلة السابق؛ فكان هو عقل جميع ما في عالم التركيب، وأقام الحجة من دونه بالبيان عنه على مقابلة التالي في عالم النفس، وأقام الحجة صاحب جزيرة الدعوة من دونه...فلا يصل أحد إلى حكمة التنزيل والشريعة إلا من جهة الوصي (علي)، وتأول المؤلف قول الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨] أنّهم الأئمّة... الذين لا يُعرَفُ ما جاء به الرسولُ ورمزه إليه وستره إلا عن طريقهم... ويقول المؤلف -أيضـًا-: إن حكمة الله محفوظة مكنونة في بيوته، وأفضل بيوته (محمد) وأفضل أبواب بيوته هو أساسه (علي) فأخبر بمضمرات القلوب؛ وهو المخبر عن محجوبات الغيوب... و(الكتاب) المذكور في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩] هو: الأساس (علي) الذي كُتب فيه بيان تأويل الشريعة وممثولاتها المكنونة المستورة؛ والمطهرون هم: الأئمة من ذرية (علي)...[1].

وهكذا يؤكد المؤلف أن باطن الشريعة مستور لا يعلمه إلا علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والأئمة من ذريته؛ وهم في المعتقد الإسماعيلي: الحسن بن علي أول المتمين في دور محمد ﷺ، والقائم بالإمامة بعد الوصية، والحسين، ويأتي

(١) انظر: (ص ٢٦٢-٢٦٨).

بعدهما المتم الثالث وهو: زين العابدين علي بن الحسين، والمتم الرابع: الباقر محمد بن علي، ثم الصادق جعفر بن محمد، والمتم السادس: إسماعيل بن جعفر، وهو صاحب الفترة بالاستتار، وقائم الدور السابع: محمد بن إسماعيل...هؤلاء الأئمة السبعة، وعلي؛ عندهم هو: الوصي والأساس[١] وعلم حقائق الشريعة ومكنوناتها عندهم. يقول ابن حيون: «علم الناطق الحقيقي الذي هو التأويل الباطني المبيِّن للتنزيل الظاهر هو عند الأساس، وعنه ينتقل إلى الأئمة، ويضع ذلك كل إمام في حجته»[٢].

ويا ليت المؤلف اختصر الطريق فأخبرنا بأن الأئمة يوحى إليهم كما يوحى إلى الأنبياء؛ فعباراته هذه وغيرها تجعل منزلة الأئمة مساوية لمنزلة الأنبياء تماماً؛ وها هو يقول: «أنبياء الله وأولياؤهم كلماته؛ بهم خاطب خلقه، وبهم أبان لهم مراده»[٣]، ولم يستطيع المؤلف أن يراوغ في عقيدته بامتداد الوحي إلى الأئمة في موضع آخر من كتبه؛ حيث يقول: «...إذا لحق الناطق بعالمه سكنت مواده، وصار التأييد لأساسه من التالي بواسطة الجد والفتح والخيال، فإذا لحق الأساس بعالمه قام الإمام مقام الناطق، وأيدته الحدود العلوية الكروبية، وأقام حجته مقام الأساس...»، ثم ذكر بأن الناطق

---

(١) انظر: تحفة المستجيبين، للسجستاني الإسماعيلي (ص ١٧) والكافية، لمحمد بن سعد الرفنة الإسماعيلي (ص ٢٨)، والأصول والأحكام، لحاتم ابن زهرة الإسماعيلي (ص ١٢٤) ورسالة الأسابيع، لقيس بن منصور الإسماعيلي(ص١٧٢).

(٢) (ص ٢٤٤).

(٣) (ص ٢٩٧).

إذا وفى دوره فإنه يودع أساسه معاني ما نصب من شريعته، فيكون مستودعه، فإذا لحق الناطق بعالمه ظهرت المنزلة في أساسه فينطق بالتأويل(١).

وإذا كانت الإمامة مطلوبةً في الباطن؛ في حين أن نبوة الرسول (المشرع) مطلوبةٌ في الظاهر -وللباطن الصدارة على الظاهر على ما سيأتي بيانه في الفصل الثاني- فالنتيجة الحتمية لذلك هي: أن الإمام مقدم على النبي!!(٢).

بل إن عبارات المؤلف في هذا الكتاب المؤسس على التأويل الباطني تؤكد صحة ما ذهب إليه الدكتور/ محمد كامل حسين -مع تعاطفه تجاه الإسماعيلية- حين قال بعد دراسته لهذا المذهب الباطني دراسة واسعة: «الإسماعيلية جعلوا للأئمة صفاتٍ لم تعرفها فرق الشيعة الأخرى، وهي صفات باطنية؛ بحيث أصبح الأئمة عندهم في مرتبةٍ لا تمت إلى البشرية بصلة؛ بالرغم من إلحاح كتاب الإسماعيلية في القول بأن الأئمة من البشر...»(٣)، ويقول أيضًا: «العقل الكلي في العالم العلوي يقابله الإمام في العالم الجسماني؛ فكل الأسماء والصفات للعقل الكلي هي -أيضًا- صفات وأسماء للإمام...، فالإمام إذاً هو الواحد الأحد الفرد الصمد...، وهكذا أخذ الشعراء يمدحون أئمتهم بهذه الصفات الباطنية التي لم يقل بها سواهم...، وهذه الصفات التي سبغوها على الأئمة، والتي جعلته مثلاً

---

(١) انظر: الرسالة المذهبة، لابن حيون (ص٥٢) وفيها طامات.

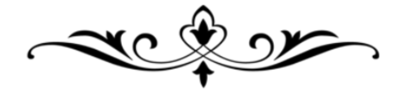
(٢) انظر: تاريخ الفلسفة، هنري كوربان (ص ٩٣-٩٤).

(٣) طائفة الإسماعيلية، محمد كامل حسين (ص ١٥٦).

للعقل الكلي لا يصرحون بها للعامة والمبتدئين...»[١].

فالنزعة الباطنية عند الإسماعيلية تتضمن في جوهرها علم نبوة وعلم إمامة، وبقاء الوسيط الذي يُظهر علم النبوة أمر ضروري، وهو المشار إليه في الفكر الإسماعيلي بمصطلح (حجة)، ولا ينحصر في حقبة زمانية، فحضوره يجب أن يكون مستمراً، حتى ولو كان حضوراً غير منظور، أو مجهولاً من العامة، وتتضمن فكرة (الحجة) عدم انفصال علم النبوة عن علم الإمامة[٢].

وإذْ قد تبين ما للإمامة من منزلة عظيمة عند الإسماعيلية من خلال كتاب الأساس لابن حيون؛ وتبين كذلك أنها لا تقل عن منزلة النبوة؛ إن لم تتفوق عليها! فيبقى أن نبين مفهوم التأويل الباطني وعلاقته بالظاهر ودور الإمام فيه؛ وذلك في الفصل التالي.



---

(١) المصدر السابق (ص ١٥٩-١٦٠).

(٢) تاريخ الفلسفة، هنري كوربان (ص ٨٦-٨٨).

الفصل الثاني

التأويل الباطني ودور الإمام

المبحث الأول

أهمية التأويل الباطني

يأخذ (التأويل الباطني) لدى الإسماعيلية بصفة عامة، ولدى الداعي الإسماعيلي: النعمان بن حيون منزلةً عظيمة، ومكانة عالية؛ ولذا صنف كتابه: (أساس التأويل) الذي يعدُّ من أخطر كتب الإسماعيلية التي تمثل الباطنية المحضة في تأويل آيات القرآن الكريم.

وقد أكد ابن حيون في أول هذا الكتاب على قاعدة من قواعد العقائد الإسماعيلية في قوله: «إنه لا بد لكل محسوس ظاهر وباطن، فظاهره ما تقع عليه الحواس، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه...»[(١)]، ويزعم أن ذلك من سنة الله في كونِ كل موجودٍ لا بد له من زوج؛ ليتبين بذلك وحدة الباري سبحانه البائن عن خلقه...! ويستدل على ذلك بقول الله سبحانه: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات:٤٩]، ثم يوضح ذلك في خلق الإنسان؛ ويقول: إن شخص الإنسان واحد؛ إلا أنه جسد وروح، فالجسد هو الظاهر، والروح هي الباطن، ثم يذكر أمثلة لذلك[(٢)].

---

(١) (ص ٢٨).

(٢) انظر: (ص ٢٨ وما بعدها) وقارن مع: رسالة المبدأ والمعاد، للحسين بن الوليد (ص١٢١).

۞ التأويل الباطني يحقق التوحيد!:

ومما يبرز أهمية التأويل الباطني عند الإسماعيلية أن المؤلف يرى أن العبد لن ينال توحيد الله تعالى إلا من جهة الباطن! معللاً ذلك بأن «طلب معرفة الله عَزَّوَجَلَّ بلا تأويل لا يخلو من أحد وجهين: إما أن يصير إلى التشبيه، أو يخرج إلى التعطيل إذا نفاه من التشبيه بريبة ومبلغ علمه بلا تأويل»[١]، ومراده أن من أجرى النص الدال على وصف الله تعالى بصفات الكمال على ظاهره؛ وقع في التشبيه، ومن تأوله برأيه وقع في التعطيل؛ لأنه لم يأخذ بالتأويل الباطني للنص وفق المفهوم الإسماعيلي. ولذا يقول مؤكداً هذا المعنى: إن من تركوا التأويل «أخرجهم إلى تشبيه الباري جل ذكره بخلقه، وإلى استعمال آرائهم وقياسهم وأهوائهم في دين الله، وتحريم ما أحله والكذب على رسول الله، وتحريف التأويل بآرائهم إلى ما زينته لهم عقولهم، وهذا سبيل العامة كلهم». أما من أخذ بالتأويل الباطني فهو الذي «وحد الله حق توحيده، ونفى عنه تشبيه المشبهين، وعلم حقيقة ما تعبد به عباده مما أحله لهم وحرمه عليهم، وعلم الصحيح من السقيم من الأخبار عن رسول الله، وغير ذلك مما اختلف فيه الناس؛ لأن يوضح ذلك ويبينه، وهو عياره وميزانه والشاهد عليه وله»[٢].

ويؤكد المؤلف أهمية التأويل الباطني، ومكانته في الفكر الإسماعيلي،

---

(١) (ص ٩٩).

(٢) (ص ٢٣٠) قارن مع: سمط الحقائق، لابن حنظلة (ص٣٣).

ويضفي عليه وصفـًا عاليـًا؛ فيقول: إنه «أحسن الحديث وأفضل العلوم»، وإن الله أمر موسى بأن يأمر قومه بالأخذ به، وهو الذي عناه بقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا﴾ [الزمر:٢٣] وقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥][(١)].

والتأويل الباطني في نظر ابن حيون «به تثبت الحجة على من أنكر أحكام الشريعة وطعن في ظاهر تُعُبِّدَ أهلُها به من أهل الملل والزنادقة وغيرهم؛ الطاعنين في شريعة الإسلام»[(٢)].

هكذا وبهذه العبارات الصارمة يؤكد المؤلف أهمية التأويل الباطني للنص القرآني، بل ولفهم الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ؛ وهو أصل عظيم لا يمكن أن يصح إيمان عبد فيكون من المستجيبين للدعوة إلا إذا أخذ به وأذعن له.

والحاجة إلى التأويل الباطني -بحسب المؤلف- لا تقتصر على فهم حقيقة القرآن وحقيقة أخبار الرسول؛ بل حتى التوراة والإنجيل فيهما «مثلما في القرآن من الأمثال والإشارات والرموز والظاهر المُحتاج إلى التأويل؛ الذي هو العلم المخزون»[(٣)].

والعجيب أن المؤلف لِهَوَسِه بالتأويل الباطني انتقد -في معرض ذكره

---

(١) (ص٢٣٠).

(٢) (ص ٢٢٩).

(٣) (ص ٦٩).

قصصَ الأنبياء- ما أسماه بـ(تأويل العامة)، فإذا نقل من تفاسيرهم شيئًا فإنه يختار ما ذكره بعضهم من أخبار بني إسرائيل التي لا يُشَكّ في ثبوتها؛ كما فعل ذلك في ذكره القصةَ المختلقةَ من أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ تعلق بامرأة أحد قادته فأراد أن يتزوجها...! وهي قصة يبطلها علماء أهل السنة، ومن ذكرها من المفسرين فللتنبيه على بطلانها(١)، والعجب أن ابن حيون لفتنته وتعلقه بمبدأ التأويل الباطني جعل يؤول تلك القصص الأسطورية تأويلاً يدل على تسليمه بثبوتها، كما في قصة داود، وقصة سليمان مع ملكة سبأ وغيرهما.!!(٢).

ولخطورة التأويل وأهميته البالغة في الدين الإسماعيلي يؤكد المؤلف في تأويله الباطني للشهادتين على أن (الحشوية) وهم من سوى الإسماعيلية من المسلمين! لم يكملوا الشهادة، فكانت غير مقبولة منهم؛ وذلك لأنهم أقروا بالأنبياء بلا معرفة صحيحة، ولم يقروا بالأئمة وما جاؤوا به من علم الباطن، فهؤلاء -في نظر ابن حيون- لا تنفعهم شهادتهم إلا بحقن دمائهم، وعصمة أموالهم فحسب، ولن تنجيهم في الآخرة(٣)، ويقول عند تأويله قصةَ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٨٧) تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٧٦) دار إحياء التراث،١٤٠٥، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣١) دار المعرفة،١٤٠٠هـ.

(٢) انظر: (ص ٢٥٦) و (ص ٢٧٣)

(٣) انظر: (ص٤٢).

[هود:٤٨]: «يعني: الداخلين في ظاهر الدعوة غير المعتصمين بباطنها، أي: سيمتعهم بظاهرهم في عاجلهم، بما يحقن دماءهم، ويصون به أموالهم؛ إلا بحقها، ويدفع عنهم من صَغَار الجزية ومذلتها، ثم يمسهم في آجلهم عذاب أليم، لتخلفهم عن حقائق الإيمان، ونقضهم العهد والميثاق، وإيمانهم بالغيب، وإقامة الظاهر دون الباطن، وعدمهم التأييد بالحكمة، والعلم المكنون الروحاني المصون»(١).

المبحث الثاني

بين الباطن والظاهر، ودور الإمام

ذكر المؤلف في كتابه (أساس التأويل) أنه لم يقصد من تأليفه له ذكر (تأويل العامة)، ويعني به: ما يعرفه المسلمون بمصطلح (تفسير القرآن) وكل ما صنفه المسلمون في تفسير القرآن الكريم عبر القرون، فإن تفاسيرهم لا تتعدى -في نظره- علم الظاهر، وهو تأويل بمحض الرأي؛ لأنه لم يُؤخذ عن مصدره، والظاهر لا يعدو أن يكون مثلاً يراد به الباطن(٢).

والمؤلف لم يستطع إنكار الظاهر؛ فقد أقر به لكنه يعتقد أن لكل ظاهر باطنـاً يخالفه، وما من شيء من الأشياء إلا وله باطن وظاهر، فهو إذاً لا يلغي الظاهر؛ بل يجعله مثلاً مضروبـاً لممثولٍ باطن، وهذه تسمى نظرية (المثل

---

(١) (ص٨٧).

(٢) انظر: (ص١١٣-١١٤).

والممثول)[١] وهي التي اختص بها الفكر الإسماعيلي، وأجمع عليها علماء الإسماعيلية، وهي التي بنى عليها ابن حيون كتابه الأساس.

فالظاهر علامة رمزية على الباطن، وهو -أعني الظاهر- مهمة الرسل من النطقاء، فالرسول ينطق بالظاهر، فاختص الأنبياء بتأدية الظاهر، كما اختص الأئمة بالباطن، وبالنسبة للنص القرآني؛ فإن ظاهره أداه الرسول محمد ﷺ، وجعل باطنه إلى الأئمة! يقول ابن حيون: «لا يستطيع أحد أن يأتي بظاهر الكتاب إلا محمدٌ، ولا يستطيع أحد أن يأتي بباطنه إلا الأئمة من ذريته»[٢].

ومن هنا فإن الفكر الإسماعيلي يعطي مهمة التفسير بالظاهر للناطق، ومهمة التأويل الباطني للإمام، فالناطق يمثل الشريعة والأحكام الظاهرة، والإمام يمثل الحقيقة، وعلم الباطن.

ويرى المؤلف أن التأويل الباطني لا يلغي الظاهر ولا يبطله، ثم يقرر قاعدة مفادها: أنه لا يقوم ظاهر إلا بباطن، ولا باطن إلا بظاهر[٣]، ويقول: إنه لا يمكن الأخذ بالظاهر دون الباطن؛ فهما متزاوجان كتزاوج الروح والبدن، فالجسد هو الظاهر، والروح هي الباطن، وهكذا كل ما في العالم لا بد له من الازدواج! ويرى كذلك أن كل آية في القرآن لها ظاهر وباطن،

(١) سيأتي تفصيلها في المبحث التالي.

(٢) (ص٤٠).

(٣) انظر: (ص٦٠).

ويروي في ذلك الحديث الذي تنسبه الإسماعيلية إلى النبي ﷺ؛ أنه قال: «ما نزلت عليَّ من القرآن آيةٌ إلا ولها ظهر وبطن»[١]، ويرى المؤلف أن من معجزات القرآن وغرائب تأليفه «أنه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره، ومعنى في باطنه»[٢].

والظاهر والباطن يعتبرهما ابن حيون أصلين لشريعة كل واحد من أولي العزم من الرسل، أصل في الظاهر وأصل في الباطن، «فأصل نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ السفينة...، وأصل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الكعبة...، وأصل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ العصا...، وأصل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الصليب...، وأصل محمد ﷺ شهادة ألا إله إلا الله»[٣]، ثم يبين أن ظواهر هذه الأصول مختلفةٌ، لكن باطنها واحد، اشتمل على حدود الشريعة جميعها، وما تعبد الله به أمته التي بُعث إليها ذلك الرسول، فالأصل الظاهر والإقرار به مطلوب...[٤]، ثم أخذ ابن حيون

---

(١) (ص٢٩) قد رُوي نحوه في بعض كتب السنة بلفظ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف؛ لكل آية ظهر وبطن...»، كما أخرجه بهذا اللفظ ابن حبان في صحيحه (ح٧٥) والطبراني (١٠١٠٧) وأبو يعلى (ح٥٤٠٣) وأوله إلى قوله: (أحرف) مخرج في الصحيحين، أما بقية الحديث فضعيف، انظر تفصيل ذلك في السلسلة الضعيفة للألباني (برقم٢٩٨٩)، وقد ذكر بعض أهل العلم أن معناه على فرض صحته: أن الظهر منها ما يظهر من معناها، والبطن منها ما يبطن من معناها...انظر: شرح مشكل الآثار، للطحاوي (٨/ ٨٧) مؤسسة الرسالة،١٤١٥هـ. وتفسير البغوي (١/ ٦٨) دار إحياء التراث١٤٢٠هـ.

(٢) (ص٣١).

(٣) (ص٣٣).

(٤) انظر: (ص٣٤).

يقرر أن الإقرار بأصل الشهادة في الظاهر لا ينفع صاحبه حتى يقر بالباطن وفق المفهوم الإسماعيلي بطبيعة الحال، الذي يجعل علم الباطن حكراً على (الحجة)، ولذا أول المؤلف أصل الشهادة بما يتوافق مع مذهبه الباطني.

فالحاصل أن الإقرار بظواهر النصوص -في نظر المؤلف- لا ينفع صاحبه حتى يقر ببواطنها، بل يؤكد أن الأخذ بالظاهر يوقع في الكفر؛ ومن ذلك أن الأخذ بظواهر نصوص الصفات يُفضي إلى التشبيه؛ يقول ابن حيون: «من طلب معرفة الله بلا تأويل وقع في التشبيه»[1].

ويرى أن الظاهر فتنة، فيقول في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [الأعراف:١٣٦]؛ أي: في البحر، وهو: مثلٌ للظاهر؛ أي: أغرقناهم في فتنة الظاهر»[2].

ويؤكد المؤلف أن الأمثال المضروبة في القرآن، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الروم:٥٨] ليست من سبيل الظاهر والباطن؛ لأن المثل والممثول لا يكونان مفروضين ثابتين، بل إنما يكون الثابت والمفروض (الممثول) كالمثل، نظير قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] فالصراط في اللغة: الطريق، فمثل الإمام هاهنا بالطريق؛ لأن من لزم الطريق لن يضل، وكذلك من لزم الإمام لن يضل،

---

(١) (ص٩٩).

(٢) (ص١٠٨) وقارن مع: الفرق بين الفرق، للبغدادي (ص٢٩٤).

والمراد بالطريق هنا الإمام لا الطريق المسلوك في الأرض[١].

وإذا كان الظاهر لا يدل على المعنى المراد، ولا يمكن الأخذ به دون العلم بالباطن، فأين دور العقل إذاً في فهم كلام الله تعالى؟ إن دور العقل والحالة هذه يكون لاغيـاً بلا شك، ولا يجوز الاعتماد عليه! إذْ كيف له أن يصل إلى معرفة الباطن؟ وإذْ كان العقل عاجزاً عن معرفة التأويل الباطني فمن الضروري أن يعتمد على مصدر العلم الباطني، وهو: الإمام أو الحجة، فهذا المصدر الوحيد لمعرفته.

۞ نظرية المثل والممثول:

ويقرر ابن حيون في كتابه هذا كله بطريقة تطبيقية (نظرية المثل والممثول)، فالظاهر: مثلٌ، والباطن: ممثول[٢]، وعلى هذا يُبنى الأصل الإسماعيلي العظيم؛ وهو: (التأويل الباطني)، وليس هذا في المعاني والصفات فحسب؛ بل حتى في المحسوسات، فالظاهر من العبادات الدينية التي وردت في القرآن من الصلاة والزكاة والحج وغيرها -مما يفهمه عامة المسلمين- لها تأويل باطني، ولما كانت معرفة الإمام وحجته أهم الفرائض وأصل الأصول؛ وجعل (الآيات) المذكورة في قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ

---

(١) انظر: (ص٦١).

(٢) انظر: كشف أسرار الباطنية، للحمادي (ص٢٣ وما بعدها)، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، للخطيب (ص٨٩)، والمدخل إلى دراسة علم الكلام، حسن الشافعي (ص٨٩).

ﵟءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِﵞ [فصلت:٥٣]، وقوله سبحانه: ﵟوَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَﵞ [الذاريات:٢٠]، أمثالاً للأئمة والحجج، والسماء مثلٌ؛ وممثولها: صاحب الزمان؛ ناطقـاً كان أو إمامـاً، والأرض مثلٌ؛ وممثوله: الحجة! فمن السماء ينزل الماء الذي هو مثل للعلم = فكذلك يصير العلم من الناطق إلى الإمام، والشمس مثلٌ؛ وممثولها: الناطق، والقمر مثلٌ؛ وممثوله: الحجة! وكما أن القمر يستمد نوره من الشمس فكذلك الحجة يستمد علمه من الإمام...[1].

وقد مرّ كثير من النماذج التي تُقرر هذه النظرية، وأن الظاهر إنما هو مثل لممثول مستفاد من العلم المخزون لدى الأئمة...، فالصراط مثَل للإمام، والذبح مثَل لأخذ العهد والميثاق، وناقة صالح مثل للحجة، وذكور الإبل أمثال الأئمة، وإناثها أمثال الحجج... إلى آخر ما ذكره المؤلف[2].

وتأول ابن حيون قوله تعالى: ﵟفَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًاﵞ [الشرح:٥] أي: مع التنزيل الظاهر بيانٌ باطن يوضحه وييسره لمن عسُر عليه، وإن مع الدعوة الظاهرة دعوةٌ باطنة فيها بيان وتيسير[3]، ويؤكد أن كل من خالف دعوة الأساس (علي) الباطنة وأقام على الظاهر بغير الباطن فهو في ظاهر العذاب[4].

---

(١) انظر: (ص٤٣).

(٢) راجع المبحث الأول من الفصل الأول من هذا البحث.

(٣) انظر: (ص٣٤٨).

(٤) انظر: (ص٣٦٥).

۞ دور الإمام في التأويل الباطني:

لاشك أن دور الأئمة في التأويل الباطني دور عظيم فهم -بحسب المعتقد الإسماعيلي- مصدره ومنبعه، ولذا يقرر ابن حيون في كتابه هذا أن تأويل ما أنزل الله من القرآن الكريم، ومعرفة حقيقة ما به تعبد عباده، وباطن التنزيل الذي أخبر الله عنه في كتابه؛ لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم من أوليائه؛ وهم الأئمة[١]، وهم أولياء الله وكلماته؛ بهم خاطب خلقه وبهم أبان لهم مراده!!.

وعلم الباطن معجزة للأئمة؛ يقول المؤلف: «من معجزات القرآن أنه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره ومعنى في باطنه؛ فجعل عَزَّوَجَلَّ ظاهره معجزةَ رسوله، وباطنه معجزةَ الأئمة من أهل بيته، لا يوجد إلا عندهم، ولا يستطيع أحد أن يأتي بظاهر الكتاب إلا محمد، ولا يستطيع أحد أن يأتي بباطنه إلا الأئمة من ذريته»[٢].

ويؤكد المؤلف على الصورة القدسية التي يتصف بها التأويل الباطني؛ وأنه لا يمكن لأحد من الجسمانيين أن يصل إلى معرفة حقائق وممثولات الشريعة ورموزها ومحكمها إلا عن طريق الإمام، فهو الذي بيده مواريث الأنبياء، فإذا غاب الناطق (الرسول) ارتقى (الأساس) إلى منزلته، وأقام

---

(١) انظر: (ص٧٤) وقارن مع: تاج العقائد ومعدن الفوائد، علي بن الوليد (ص٨٩ وص١١٣ وما بعدها).

(٢) (ص٣١ و ص٤٠) وقارن مع: ديوان المؤيد (ص٨٨).

(الحجة) من دونه بالبيان، وأقام الحجةُ الداعيَ من دونه...وهكذا بلا انقطاع، فالإسماعيلية تعتقد أن التأويل الباطني مأخوذ من مصدر موثوق يعتبر (ممثول العقل الكلي)[١].

وبين المؤلف في غير ما موضع في كتابه أن الظاهر للناطق، والباطن للأساس، «كل واحد منهما مقدَّر على الأمر الذي جُعل له لا يتعداه إلى غيره، فالتقليدي للرسول، والبيان للحجة»[٢].

ويرى المؤلف أن العلم الباطني يجري من قبل الناطق إلى الأساس، ولا يستقر فيه بل يجري منه إلى الأتمَّاء وهم الأئمة، ولا يستقر فيهم بل يجري إلى الحجج، وأيضاً إلى النقباء الذين هم اللواحق، ثم إلى الأجنحة الذين هم الدعاة، ثم إلى المستجيبين...[٣]، ويقول: إنه «قضت سنة الله عَزَّوَجَلَّ في جميع من أرسله من رسله أن يكون الرسول الناطق يقوم بظاهر الشريعة والتنزيل، ويُقيم أساساً من أقرب الناس إليه، فمن استجاب لدعوته وامتحنه ورضي عنه للقيام بالباطن والتأويل...»[٤].

وليس للناطق أن يتجاوز حدَّه الذي أبيح له في البيان إلى حدِّ صاحب القيامة؛ وهو الذي حظره الله على آدم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ

(١) انظر: (ص٣٦٢) وانظر أيضاً: (ص٢٤٤ و ص٣٦٢).

(٢) (ص٩٢) وراجع أيضاً (ص٢٦٨).

(٣) وانظر: في تفسير هذه المصطلحات: الأسس، الحجج، اللواحق، النقباء، الدعاة، المأذونون وغيرها: تحفة المستجيبين، للسجستاني الإسماعيلي (ص ١٧ وما بعدها).

(٤) (ص٣٣٣) وقارن مع: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٩٦).

فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٣٥]، فالشجرة في التأويل الباطني: مثلٌ لحدٍّ قائم الزمان الذي هو صاحب القيامة، والذي يكون التكليف في حده مرفوعـًا، وهو الحدُّ الذي زينه إبليس لآدم وحواء وقال لهما: إن حد العمل بالفرائض هو حد التعب والنصب، ولو تركتماه لصرتما في حد الملائكة الروحانيين اللطيف، وتجردتما من العالم الجسماني الكثيف، ولكنتما ملكين خالدين فيما تشتهيان...![(١)].

وعلم الباطن الذي اختُصّ به الأئمة لا يقتصر على تأويل القرآن الكريم؛ بل إن إقامة التوراة والإنجيل التي أمر الله أهل الكتاب بها في قوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة: ٦٨] لا تكونُ إلّا بالتأويل الذي أودعه الله آدم، ونقله في النطقاء والأسس والأئمة ولواحقهم من ذريتهم...[(٢)].

۞ متى يسقط الظاهر؟

يرى المؤلف أن الظاهر يسقط حينما يقوم الإمام قائم الزمان صاحب القيامة؛ فـ«يتجرد حينئذٍ الباطن، ويكون الباطن ظاهراً على خلاف ما هو في حدود الرسل قبل ذلك؛ لأنه في حدودهم مدفوع إلى حججهم، مستور عندهم، محمول من واحد إلى واحد، وهو معجزة لهم، وعلم يُستضاء به حتى يصل إلى صاحبه؛ أي: صاحب القيامة، فيظهر ويجرده، وذلك محظور

---

(١) انظر: (ص٦٠-٦٦).

(٢) انظر: (ص٦٩).

ممنوع قبله، فمنع الله عَزَّوَجَلَّ آدم في ابتداء الأمر من ذلك؛ لتجري سنة الله التي لا تبديل لها عليه، وسأل إبليس إنظاره إلى يوم الوقت المعلوم، وعنى باليوم: صاحب الزمان»[١].

وهكذا نرى أن المؤلف أوّل كل الآيات القرآنية التي ذكرها في كتابه على رسم الإمامة وتفاصيلها، وَفق مذهبه الإسماعيلي الباطني، ولا يتورع في تأويل كل كلمة أو لفظة لنصرة فكرته الباطنية، التي تدور حول الإمامة وجوداً وعدمـًا، وكل ما فيه ذكر للمؤمنين فهم أهل الدعوة المستجيبون للأئمة، وكل ما فيه ذكر للكفر أو التكذيب أو الشرك أو الظلم فهي صفات لمن ترك اتباع الأئمة، وسفينة نوح وقرية لوط وغيرهما ترمز إلى الدعوة.

۞ خطورة التأويل الباطني وغاياته:

إن كتاب (أساس التأويل) للداعي ابن حيون ليجسد صورة واضحة لما وصل إليه الفكر الإسماعيلي من جرأة كبيرة على التأويل لآيات القرآن وتجهيل للأمة، وأن هذا القرآن الذي أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين لا يستطيع أحدٌ أن يقف على تأويله مهما بلغت معرفته بلغة العرب، بل حتى رسول الله ﷺ، إنما «يؤدي الظاهر بلا بيان»[٢]، فنظرية التأويل الباطني نظرية فلسفية ابتدعها الإسماعيليون لأغراض يأتي في مقدمتها هدم دين الإسلام، وذلك بتحريف مصدره وأساسه وهو القرآن الكريم.

---

(١) (ص٦٥).

(٢) أساس التأويل (ص ٣٤٨).

وقد ذكر البغدادي والغزالي وابن الجوزي وابن تيمية[١] وغيرهم من علماء المسلمين قدراً من تأويلات الإسماعيلية الباطنية لآيات القرآن، وما في كتاب (أساس التأويل) لابن حيون أشد وأعظم مما نقلوه؛ وهذا ما جعل أكثر العلماء يرى أن «غرض الباطنية الدعوةُ إلى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة»[٢]، ولما ذكر ابن حزم (ت٤٥٦هـ) الإسماعيلية والقرامطة؛ قال: «هما طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملةً، قائلتان بالمجوسية المحضة»[٣].

فإذا كان القرآن الكريم محفوظًا ولا يستطيع أحد أن يحرف لفظًا من ألفاظه، بل ولا حرفًا واحداً من حروفه؛ فليس على من أراد إضلال الناس وإبعادهم عنه إلا أن يحرف معانيه، وهو الأمر الذي حمل لواءه الإسماعيلية بما ابتدعوه من التأويل الباطني الذي لا يعلمه إلا الأئمة بزعمهم، وهذا ما أشار إليه أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) في فضحه لمذاهب الباطنية بقوله: إنهم «لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة؛ صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها، واستفادوا بما انتزعوه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ إبطالَ معاني الشرع، وبما زخرفوه من التأويلات تنفيذَ انقيادهم للمبايعة والموالاة، وأنهم لو صرحوا بالنفي المحض والتكذيب المجرد لم

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٩٣)، وفضائح الباطنية للغزالي (ص٥٩)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي (ص٩٥)، ودرء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٥/ ٣٨٣).

(٢) الفرق بين الفرق، للبغدادي (ص٢٩٣).

(٣) الفصل في الملل والنحل (٢/ ٩١).

يحظوا بموالاة الموالين، وكانوا أول المقصودين المقتولين»، ثم ذكر شيئًا من تأويلاتهم على نحو ما ذكره ابن حيون في كتابه الأساس[١]. وقال ابن القيم (ت٧٥١هـ): «إن الطاعن في حصول العلم بمعاني القرآن شر من الطاعن في حصول العلم بألفاظه»، ثم ذكر أن مذهب الباطنية شر من مذهب الرافضة[٢].

فغرض الإسماعيلية من التأويل الباطني يظهر بجلاء لكل مطلع على كتبهم التأويلية الباطنية، خاصة كتابَ الأساس الذي بين أيدينا، وهو الذي صرح به محمد كامل حسين بقوله: «والذي يظهر لي من التأويل الباطن في كل أدوار الإسماعيلية أنه وُضع لخدمة غرض واحد فقط؛ وهو إغداق صفات التمجيد والتفخيم على الأئمة وعلى الدعوة الإسماعيلية، بحيث سهل علينا أن نؤول على نحو ما كانوا يؤولون، فكل فضيلة وردت في القرآن أو في الأحاديث النبوية تؤول على أنها الإمام؛ لأنهم قالوا: إن القرآن الكريم نفسه تأويله: الإمام، والأهلة هم: الأئمة...، والطاغوت والأصنام والشياطين هم أعداء الأئمة، وهكذا كان تأويلهم الباطن»[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإسماعيلية باعتقادهم بنظرية التأويل الباطني قد أبطلوا النظر العقلي، وأوجبوا التعلم عن المعصوم، ولذا يقول

---

(١) فضائح الباطنية (ص٥٩).

(٢) الصواعق المرسلة (٢/ ٦٣٨).

(٣) طائفة الإسماعيلية (ص١٦٦)، وقد أكفرهم الديلمي؛ لغلوهم العظيم في أئمتهم! انظر: بيان بطلان الباطنية (ص٧٧).

أبو حامد الغزالي: إنهم يلقبون بـ(التعليمية)؛ «لأن مبدأ مذهبهم إبطالُ الرأي والعقل، والتعلم من الإمام المعصوم، وتنزيله في وجوب التصديق والاقتداء منزلة رسول الله ﷺ»(١).

واعتقاد الإسماعيلية أن تأويل القرآن لا يمكن إدراكه إلا عن طريق الإمام المعصوم هو ما جعل أبا حامد الغزالي يصل إلى نتيجة أجملها بقوله: «أما الجملة؛ فهو أنه مذهب ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض؛ ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم، وعزل العقول عن أن تكون مدركةً للحق لما يعتريها من الشبهات ويتطرق إلى النظار من الاختلافات، وإيجاب لطلب الحق بطريق التعليم والتعلم، وحكم بأن المعلم المعصوم هو المستبصر، وأنه مطلع من جهة الله على جميع أسرار الشرائع إلى الحق، ويكشف عن المشكلات، وأن كل زمان لا بد فيه من إمام معصوم يُرجع إليه فيما يُستبهم من أمور الدين»(٢).

هذا وقد ذكر هؤلاء العلماء وغيرهم أن الإسماعيلية قد ركَّبوا تأويلاتهم الباطنية لآيات القرآن وأخبار الرسول عليه الصلاة والسلام من مذاهب فلسفية منحرفة، وملل خارجة عن ملة الإسلام، وأن الطائفة الإسماعيلية تأثرت بشكل واضح بتلك المذاهب والملل؛ ولذا قال ابن تيمية

---

(١) فضائح الباطنية (ص٢٩) وقارن مع: إثبات الإمامة، للنيسابوري (ص٥٧) وانظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص٩٥).

(٢) فضائح الباطنية (ص٤٣)، وانظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٣/ ٢٣٦).

(ت٧٢٨هـ) فيهم: «وغايتهم أن يكونوا فلاسفةً على مذهب أرسطو وأمثاله، أو مجوسًا، وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس، ويظهرون التشيع نفاقًا»[١]، وقال أبو المظفر الإسفراييني (ت٤٧١هـ): «وذكر أهل التواريخ أن الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس؛ وكان ميلهم إلى دين أسلافهم، ولكنهم لم يقدروا على إظهاره مخافة سيوف المسلمين...»[٢]، وأشار عبدالكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ) إلى أن الباطنية قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على منهجهم[٣]، وقال الديلمي (ت٧١١هـ): «قلت أنا: لا شك أن مذهبهم لا يوافق إلا مذهب المجوس فقط، والمجوس هم إخوان الصفا[٤] وأهل الود والولاء؛ لأن العقيدة واحدة، والأفعال متعاضدة على مخالفة الشرع الشريف، والأصل متفق عليه...»[٥]، وقال عبدالقاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ): «والذي يصح عندي أنهم دهرية زنادقة»[٦]، وذكر أحد علماء اليمن ممن عاش في

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٥/ ١٦٢ و ١٢/ ٣٥٣) ودرء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٤/ ٣٤)، وانظر: كشف أسرار الباطنية، للحمادي (ص٣٢).

(٢) التبصير في الدين (ص١٤٢).

(٣) الملل والنحل (١/ ١٩٢).

(٤) هم: جماعة سرية باطنية، تأثرت بالمذهب الأفلاطوني الحديث، تهدف إلى الخلط بين العقائد، وتجعل التشيع والتصوف ستاراً لها، لهم رسائل مشهورة باسم: رسائل إخوان الصفا، صدرت أولى طبعاته في الهند سنة١٨١٢م.

(٥) بيان بطلان مذهب الباطنية (ص ٨٢)

(٦) الفرق بين الفرق (ص٢٩٤)

القرن الخامس الهجري شيئاً مما حوته كتبهم من تأويلات ومخازٍ ستروها عن الناس، وبالغوا في كتمانها وإخفائها؛ قال: فيجتهد بعض من اغتر بهم للكشف عنها فيقع في شَرَكها؛ وقال: «إني خبير بهم جداً؛ لقرب الدار من الدار، ولكثرة ما قرأت من كتبهم الشنيعة، وعرفت معناها ورموزاتها المؤدية إلى تعطيل الشريعة، المؤلَّفة في الأمور الوضيعة...»، ثم سرد عدداً كبيراً من كتبهم[1]، ويقول السكسكي: إن الإسماعيلية «أكثر الفرق تشكيكاً وتلبيساً، واستدراجاً لمن أحسوا منه جهلاً وقلة معرفة في أمر الدين؛ لكنهم لا يعالجونه بشيء ينفر عنه قلبه أولاً؛ بل يأتون كل أحد من حيث هو...»[2].

ويذكر برنارد لويس -بعد أن درس التاريخ الفكري لطائفة الإسماعيلية- أن وجهة نظر الكتاب الأقدمين مثل الغزالي والبغدادي وابن الجوزي وغيرهم تؤكد أن الإسماعيلية تمثل العقائد التي غلبها الإسلامُ لتندَسَّ فيه فتقضي عليه، أو تحلّ محلَّه إما بشكلها القديم أو بشكل إلحاديٍّ خالص، ويتبين هذا بالسعي لجعل موجدي الإسماعيلية زرادشتيين ومانوية وديصانية...[3]، هذا ما عبر به هذا المستشرق؛ من أن أولئك العلماء سعوا لجعل موجدي الإسماعيلية كما ذكر، وفي نظري أن العلماء لم يسعوا لهذا من عند أنفسهم؛ بل إنهم لما اطلعوا على أقوال الإسماعيلية وما احتوته

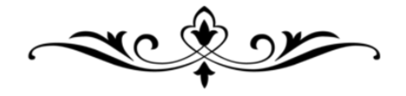
---

(١) عقائد الثلاث وسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني (٢/ ٢١٣-٢١٤)، وهو كتاب نفيس فيه نقض لمذاهب الباطنية وغيرهم.

(٢) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٨٢).

(٣) أصول الإسماعيلية (ص١٤٧).

مصنفات علمائها من انحراف خطير، وتأويلات باطنية مضللة؛ أيقنوا حينئذٍ أن ذلك لا يمكن أن يصدر ممن عرف أصول الإسلام، وآمن بالقرآن، واتبع سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وأن تلك الأقوال المبتدعة، والتأويلات الفاسدة لا يمكن أن تصدر إلا عن غير المسلمين؛ بل من قوم حاقدين على الإسلام وأهله.



الخاتمة

بعد أن أخذت مني هذه الدراسة جهداً كبيراً ووقتًا طويلاً؛ أسجل في ختامها أبرز ما توصلت إليه من نتائج؛ وهي:

- تبين من خلال الدراسة التطبيقية لكتاب (أساس التأويل) لابن حيون أن الاعتقاد الإسماعيلي في الإمامة قد أثر تأثيراً بالغًا في التأويل الباطني، وهو المحرك الأساس لنظرية التأويل.

- أن القرآن من أوله إلى آخره -في اعتقاد مؤلف كتاب الأساس- دال على الإمامة؛ بل القرآن في التأويل الباطني هو الإمام. وكل فضيلة وردت في القرآن فهي للأئمة وأتباعهم المستجيبين للدعوة الإسماعيلية، وكل ما ذُكر فيه من شرك وكفر وطغيان وشياطين فالمراد بهم أعداء الأئمة.

- لا يمكن فهم النص القرآني إلا بطريق الداعي المرتبط بالتأييد الإلهي؛ فيجب على الأتباع أن يلغوا عقولهم تمامًا، ولا ينفعهم سماع القرآن شيئًا؛ لأن الظاهر الذي يستمعون إليه لا فائدة منه إلا بالباطن المستور عند أهله المؤيدين من لدن الله.

- أن المطلع على كتاب (أساس التأويل) محلِّ الدراسة يوقن أن الإسماعيلية قد بالغوا في التأويل الباطني أشد المبالغة، وتجاوزوا في ذلك سائر الفرق التي تدعي التشيع من إمامية وزيدية ونحوهما؛ فهؤلاء تأولوا بعض الآيات للتدليل على أصل الإمامة، في حين أن الإسماعيلية تأولوا سائر آيات القرآن على رسم الإمامة. وتأويلهم لا يقف عند حدّ، خاصة هذا

المؤلف ابن حيون؛ فقد أسرف في التأويل الباطني في كتابه (أساس التأويل)، وجمع فيه كلَّ ما ذكره في عامة كتبه من تأويلاتٍ باطنيةٍ؛ مما جعل عدداً ممن ترجم له يصفه بالزندقة والانسلاخ من الدين، كالحافظ الذهبي وابن العماد وغيرهما[١].

- أتى الإسماعيلية في تأويلاتهم الباطنية للقرآن للدلالة على الإمامة بما تضحك منه العقول السليمة؛ وتشمئز منه النفوس المستقيمة؛ لا سيما في ضرب الأمثلة؛ كقول ابن حيون بأن الله تعالى ضرب في القرآن مثل أساسِ إبراهيم بالكبش، وأساس موسى بالبقر، وأساس محمد بالبعير[٢] وتأول: ناقة صالح، وامرأة إبراهيم، ومريم، وأم موسى، ودابة الأرض، وملكة سبأ وغيرها كثير بأنها أمثال للحجج!! والساعة والقيامة مثل للإمام قائم يوم القيامة.

- لم يكتف مؤلف الأساس بتأويل آيات القرآن؛ بل إنه لما ذكر البشارات بالنبي محمد ﷺ من التوراة والإنجيل أخذ يؤولها على النسق الإسماعيلي، بما يضحك منه العقلاء.

- زعم ابن حيون في كتابه الأساس أن لكل شيء ظاهراً وباطنًا، وكذلك القرآن ما من آية فيه إلا ولها ظهر وبطن، فالظاهر من علوم العامة،

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٦/ ١٥٠)، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (٣/ ٤٧)

(٢) أساس التأويل (ص٣٤٧).

والباطن لا يعلمه إلا الأئمة، والرسول صاحب الظاهر، والإمام إليه الباطن.

• يرى المؤلف أن الظاهر (الشريعة والأحكام) يسقط حينما يقوم الإمام قائم الزمان صاحب القيامة، فحينئذٍ يتجرد الباطن، ويكون الباطن ظاهراً.

• صرح المؤلف في كتابه هذا بالمعتقد الإسماعيلي الخطير؛ وهو أن قائم الزمان هو صاحب القيامة، الذي يكون التكليف في حده مرفوعًا! وهو الذي يُجرِّد الباطن ويظهره! وذلك ممنوع على الرسل من قبله! وهذا يعني -بوضوح تام- أن قائم الزمان أفضل ممن قبله من الرسل وأعظم!!

• إن كتاب (أساس التأويل) تضمَّن بعض الطوامّ، مع أن مؤلفه رسمه لأجل تأويل آيات القرآن، وجعل موضوعه في التأويل الباطني على المعتقد الإسماعيلي، من ذلك أنه أشار إلى أن علياً لما أعلن النبي ولايته وإمامته؛ حسده من حسده؛ كما حسد إبليسُ آدم؛ ثم قال: «وتبع إبليسَ كثيرٌ من الملائكة»!![1]، وقال أيضاً : «فأقام الأساسُ [أي: علياً] عليهم [أي: على الصحابة] الحجّةَ بالقرآن الذي نزل على محمد لما جمعه وجاءهم به، فقالوا: حسبنا ما معنا من كتاب الله، ولا حاجة لنا إلى ما معك، فأخذه وانصرف عنهم»[2]!! وهو بذلك يذكِّر بالقصة الرافضية الإمامية المختلقة،

---

(١) (ص ٣٥٩).

(٢) (ص ٣٦١) وهذه القصة الرافضية المختلقة تتردد كثيراً في كتب الإسماعيلية؛ انظر: تاج العقائد، لعلي بن الوليد (ص٨٠).

وأن القرآن الذي بين أيدينا اليوم ليس هو القرآن الذي نزل على محمد ﷺ.

- وأخيراً أؤكد أن أحداً لن يستطيع أن يحرف القرآن ويبدل معانيه مثل ما فعل ابن حيون في كتابه الأساس، وأن هذا الكتاب من أخطر كتب الباطن وأكثرها غنوصيةً، وجرأةً على كتاب الله، الأمر الذي تأنف منه نفس كل مؤمن بكتاب الله تعالى، بل يأنف منه كل عقل سليم.



المصادر

❑ مصادر إسماعيلية:

١. إثبات الإمامة، أحمد بن إبراهيم النيسابوري، تحقيق: مصطفى غالب، د.ط. بيروت: دار الأندلس،١٩٩٦.

٢. أساس التأويل، ابن حيون النعمان بن محمد المغربي، تحقيق: عارف تامر، د.ط. بيروت: دار الثقافة، د.ت.

٣. تاج العقائد ومعدن الفوائد، علي بن الوليد، تحقيق: عارف تامر، ط٢، بيروت: مؤسسة عز الدين، ١٤٠٣هـ.

٤. تأويل الدعائم، ابن حيون النعمان بن محمد المغربي، ط١، بيروت: مؤسسة الأعلى، ٢٠٠٦م.

٥. تحفة المستجيبين، للسجستاني، مطبوع ضمن كتاب: ثلاث رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، نشر: دار الآفاق، بيروت، ١٩٨٣.

٦. دعائم الإسلام، ابن حيون النعمان بن محمد المغربي، تحقيق: آصف علي أصغر، د.ط. مصر: دار المعارف، د.ت.

٧. ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تحقيق: محمد كامل حسين، د.ط. مصر: دار الكتاب المصري، ١٩٤٩م.

٨. الذخيرة في الحقيقة، علي بن الوليد اليماني، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، د.ط. بيروت: دار الثقافة،١٩٧١.

٩. رسالة الأسابيع، الداعي/ قيس بن منصور، مطبوعة ضمن مجموع

فيه خمس رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، د.ط. سوريا، دار الإنصاف، ١٣٧٥.

١٠. رسالة الأصول والأحكام، حاتم بن عمران بن زهرة، مطبوعة ضمن مجموع فيه خمس رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، د.ط. سوريا، دار الإنصاف، ١٣٧٥.

١١. الرسالة المذهبة، ابن حيون النعمان بن محمد المغربي، مطبوعة ضمن مجموع فيه خمس رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، د.ط. سوريا، دار الإنصاف، ١٣٧٥.

١٢. سرائر وأسرار النطقاء، جعفر بن منصور اليمن، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، بيروت: دار الأندلس،١٤٠٤هـ.

١٣. المصابيح في إثبات الإمامة، الكرماني حميد الدين أحمد، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، بيروت: دار المنتظر، ١٤١٦هـ.

١٤. الهمة في آداب أتباع الأئمة، ابن حيون النعمان بن محمد المغربي، تحقيق: مصطفى غالب، د.ط. بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٧٩م.

❑ مصادر أخرى:

١٥. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفاء، المقريزي أحمد بن علي، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، مصر: وزارة الأوفاف المصرية، ١٤١٦هـ.

١٦. أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة، برنارد لويس، ترجمة:

خليل أحمد، ط١، بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٠م.

١٧. أصول الإسماعيلية، سليمان بن عبدالله السلومي، ط١، الرياض: دار الفضيلة، ٢٠٠٢م.

١٨. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، ط٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

١٩. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس بن منصور السكسكي، تحقيق: بسام العموش، ط١، الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٨هـ.

٢٠. بيان مذهب الباطنية وبطلانه، محمد بن الحسن الزيدي الديلمي، عني به: ر. شتر وطمان، د.ط. الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.

٢١. تاريخ الفلسفة منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد، هنري كربان، ترجمة: نصير مروة وآخرين، ط٢، بيروت: عويدات للنشر، ١٩٩٨م.

٢٢. التبصير في الدين، أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال الحوت، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ.

٢٣. تلبيس إبليس، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢١هـ.

٢٤. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، ط٢، الأردن: مكتبة الأقصى، ١٤٠٦هـ.

٢٥. درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، الرياض: دار الكنوز الأدبية، ١٣٩١هـ.

٢٦. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب

الأرناؤوط، ط٩، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.

٢٧. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: علي الدخيل الله، ط٣، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٨هـ.

٢٨. طائفة الإسماعيلية، محمد كامل حسين، ط١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م.

٢٩. طبقات أعلام الشيعة، آغا بزرك الطهراني، تحقيق: علي تقي، د.ط. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٠هـ.

٣٠. عقائد الثلاث والسبعين فرقة، أبو محمد اليمني، تحقيق: محمد الغامدي، ط١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٤هـ.

٣١. الفرق بين الفرق، أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، ط٢، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٧م.

٣٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: عبدالرحمن عميرة وآخر، د.ط. بيروت: دار الجيل، د.ت.

٣٣. فضائح الباطنية، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي، اعتنى به: محمد علي قطب، د.ط. بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠١م.

٣٤. القاضي النعمان مؤلف وفقيه فاطمي، آصف علي أصغر، مجلة الجمعية الملكية الآسيوية: لندن، عدد: يناير، ١٩٣٤م.

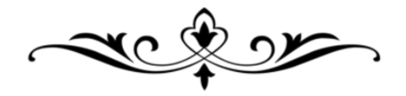
٣٥. كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم، محمد بن مالك اليماني الحمادي، تحقيق: محمد الخشت، د.ط. الرياض: مكتبة الساعي، د.ت.

٣٦. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، ط٣، بيروت: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ.

٣٧. المدخل إلى دراسة علم الكلام، حسن محمود الشافعي، ط٢، كراتشي: إدارة القرآن، ٢٠٠١م.

٣٨. الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، د.ط. بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٤هـ.

٣٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط. بيروت: دار صادر، ١٩٠٠هـ.



فهرس الموضوعات



(١)

إنجيل متى

د. تامر محمد متولي

أكاديمي مصري، أستاذ العقيدة المشارك

قسم الثقافة الاسلامية، كلية التربية، جامعة حائل

ملخص البحث

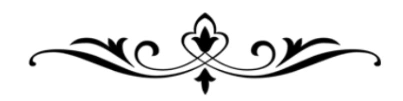
إن نشأة وتطور الدراسات النقدية كان له أثر واضح على نص العهد الجديد. إنّ نتائجَ هذه الدراسةِ النقدية لمتى بعيدة الأثر: إنها تكْشفُ عن أن لإنجيل متى نَصَّـاً ومتنـاً سابقـاً حُرّف بشكل فادح لكنه عشوائي؛ لمقاصد عقائدية وجدلية، وإن النسخة الناتجة دمجت فيما بعد بالنَصِّ الأصلي لإصدار الإنجيل كما نراه اليوم، فضلاً عن أن النَصِّ الأصلي نفسه كان نتَاجَ عملياتٍ سابقةٍ تَضمّنَت عدةَ مراحل وسلسلةً من الإضافاتِ الرئيسةِ.

كلمات مفتاحية:

الإنجيل طبقـاً لمتى، العهد الجديد، النقد النصي.

د. تامر محمد متولي

5343467@gmail.com



The Impact of Textual Criticism on the text of the New Testament

(1)

The Gospel According to Matthew

Dr. Tamer M. Metwaly

Egyptian Academic, Associate Professor in Islamic Creed, in the Department of Islamic Culture – the Faculty of Education

Abstract

The foundation and development of textual criticism had a big impact on the text of the New Testament. The results of this critical study of the Gospel according to Matthew discloses that an underlying text was severely re-edited in a chaotic way, with theological and polemical intent, and that the resulting edition was afterwards recombined with the underlying text to produce the Gospel as it exists today. The underlying text was itself the product of earlier processes which that involved many series of major additions.

Key words: New Testament, Matthew, textual criticism.

مقدمة

بيَّنت آيات القرآن الكريم أن أهل الكتاب كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون كذبًا وزورًا: إنها من عند الله، كما قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]، ولقد كان سؤال التحدي الذي يوجهه النصارى للمسلمين دائما في مناظراتهم وردودهم على انتقادات واتهام المسلمين لهم بالتحريف هو: من حرّف الكتاب المقدس؟ وكيف حُرِّف؟ ولماذا حُرّف؟

وفي أي عصر حُرّف؟ وهل كتب ذلك في أي تاريخ؟

ولقد وصلت نسخ الكتاب المقدس إلى كل أرجاء المسكونة، فكيف كان يمكن جمع نسخ الإنجيل من كل بلاد المسكونة، وجمع كل الترجمات، وتحريف كل ذلك معًا؟! فالأمر يبدو مستحيلًا من الناحية العملية! هذا لو فكر أحد في ذلك أصلً! ثم مَنْ يجرؤ على ذلك؟[1]. وردد

---

(١) انظر: ابن القيم، هداية الحيارى، ط دار الكتب العلمية بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ ص (٥١) وص (٥٨-٦٠) وص (١٣٧)، وأورده صاحب «ميزان الحق» ص (١٥٢) (عن رحمة الله الهندي، «إظهار الحق» ط دار الوطن، تحقيق محمد خليل ملكاوي، (١/ ٧٢-٧٤).و كتاب الميزان هو أصل وعمدة المنصرين حتى اليوم، انظر مقدمة خليل ملكاوي لإظهار الحق، ١/ ٢٤ – ٣١).

وانظر: كتاب سنوات مع أسئلة الناس –أسئلة خاصة بالكتاب المقدس– البابا شنودة الثالث وكتاب: الكتاب المقدس، هل يُعقَل تحريفه؟! –سلسلة اقرأ وافهم إيمان =

هذا السؤال والتحدي، عوض سمعان في كتابه (إنجيل برنابا في ضوء التاريخ)، وطالب بما يلي تفصيلاً:

١-الآيات التي أصابها التحريف، وماذا كانت قبل تحريفها؟

٢- أسماء الذين قاموا بالتحريف، وفي أي وقت قاموا به، وما هي غايتهم من ذلك؟

٣- كيف استطاع هؤلاء التحريف مع وجود آلاف النسخ منذ القرن الثاني؟

٤- الطريقة التي لجأ إليها المحرفون لإخفاء التحريف المزعوم ليكتشفه المسلمون بعد مئات السنين من وقوعه[1].

❐ أهمية البحث:

في هذا البحث سنعرض جواب كبار الباحثين الغربيين على هذه التساؤلات وَفق قواعد وضوابط علم نقد النصوص الذي أقره وطبقه الغربيون على نصوص الكتب المقدسة كما انعكس في اختلاف الطبعات النقدية الحديثة.

=

كنيستنا- كنيسة القديسين مرقس وبطرس بسيدي بشر، الإسكندرية، مكانة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه، وهو الفصل الثالث من كتاب سلسلة محاضرات تبسيط الإيمان لنيافة لأنبا بيشوي مطران دمياط.

(١) انظر: عبد البسيط أبو الخير: هل يمكن تحريف الكتاب المقدس؟على الشبكة العالمية http://www.massi7e.com/massi7e/is-it-possible-to-twist-the-bible

❑ منهج البحث:

نظرًا لطبيعة هذا العمل الذي يتعلق بدراسة نص له بعد تاريخي فإنني سأعتمد منهجين؛ هما: منهج النقد الأدبي الفيلولوجي (philology) ومنهج النقد التاريخي.

أولاً: الفيلولوجيا (علم النصوص القديمة): علم يُعنى بدراسة النصوص اللغوية دراسة تاريخية مقارنة، لفهمها والاستعانة بها في دراسة الفروع الأخرى التي يبحث فيها علم اللغة[١]، كدراسة النقوش وإعداد النصوص للنشر، ودراسة المعطيات الثقافية العامة، ونحو ذلك[٢].

فمجال الفيلولوجيا يتحدد في قسمين:

١-قسم اختص بفك الرموز القديمة والاهتمام بالآثار.

٢-وقسم اهتم بتحقيق النصوص والمخطوطات بغية نشرها.

ثانيًا: منهج النقد التاريخي: يعد المنهج التاريخي أول المناهج النقدية ظهوراً في العصر الحديث، فقد ارتبط بالفكر الإنساني وبالتطور الأساسي له، وانتقاله من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة. وانبثق المنهج التاريخي

---

(١) في القرن التاسع عشر لم يميز بين هذا المصطلح ومصطلح علم اللغة؛ وذلك لارتباط البحث اللغوي بالنصوص القديمة أيضـًا. أما علم اللغة فهو دراسة هذه المخطوطات والنصوص من خلال الجوانب اللغوية.

(٢) انظر: علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٣-٣٣.

داخل المدرسة الرومانسية[١]، ويقوم على دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر الذي ينتمي إليه الأدب، ويتخذ منها وسيلة لفهم الأدب وتفسير خصائصه واستجلاء كوامنه وغموضه. ويعنى المنهج التاريخي بدراسة العوامل المؤثرة في الأدب، بعبارة أخرى: إن الطابع التاريخي والسياسي والاجتماعي لازم لفهم الأدب وتفسيره، لذا لا يكون الأديب عبقرياً لو تقدم عصره أو تأخر عنه، ما دامت عوامل البيئة قد وجهته، وأفرزته إلى هذه الوجهة[٢].

❑ أدوات العمل:

ولاريب أن من أهم المصادر هو العهد الجديد نفسه؛ لكونه وثيقة تاريخية يمكننا من خلال منهج النقد النصي والتاريخي أن نتعرف على معالمها الرئيسة، مثل تاريخ التدوين واسم المؤلف واللغة التي كتب بها والتغييرات التي طرأت عليها...إلخ.

لقد استعملت بشكل أساسي الطبعات التالية للعهد الجديد:

أ- طبعة الإنجيل المقارن: ويشتمل على الطبعات التالية: طبعة الملك جمس(١٦١١). طبعة امبلفيد (١٩٦). طبعة الإنجيل الحي

---

(١) المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص٤٢.

(٢) المذاهب النقدية، ماهر فهمي، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ص١٨١.

(١٩٩٦). الطبعة القياسية المنقحة (١٩٩١.).

ب- طبعة نيو أمريكان بايبل (٢٠٠٦).

ت- نص وتعليق اينوك باول على إنجيل متى.

ث- نص وتعليق برس متزجر على إنجيل متى.

ج- عدد من الطبعات النقدية الحديثة مثل طبعة (الجمعيات المتحدة للكتاب المقدس اليوناني - الطبعةِ الثالثةِ) ويرمز لها بـ(UBSGNT3).

ح- بعض الطبعات التي اقتصرت على نص العهد الجديد بالاعتماد على مخطوطات متميزة مثل المخطوطة بيازا. منها: الأناجيل وسفر أعمال الرسل في ضوء المخطوطة بيازا:

The Gospel and the Acts of the Apostles According to Codex Bezae

وقد أدرجت صوراً منها في الملاحق.

❑ حدود البحث:

يشتمل العهد الجديد على سبعة وعشرين كتابـًا أو سفراً، ولكنني سأقتصر في هذا البحث على دراسة أثر الدراسات النقدية على إنجيل متى فقط، على أن أُتبعه -إن شاء الله- ببقية الأناجيل والرسائل موزعة حسب حجم المادة العلمية.

❑ خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث على التفصيل التالي:

المقدمة، وفيها أهمية البحث ومنهجه وأدواته وحدوده وخطته.

التمهيد، في تعريف العهد الجديد ونشأة النقد النصي وتطوره.

المبحث الأول: الفصلان الأولان من إنجيل متى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المشكلة العقائديةُ.

المطلب الثاني: سلسلة نسب المسيح.

المطلب الثالث: حذف سلسلة النسب من النص.

المبحث الثاني: نص متى ٩: ٢٧، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المشكلة النصية.

المطلب الثاني: رأي النقاد المتقدمين.

المبحث الثالث: نص مفقود من النص المطبوع لإنجيل متى، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المشكلة النصية.

المطلب الثاني: ثبوت النص في بعض الطبعات.

المبحث الرابع: آخر إنجيل متى، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وصية متى في المخطوطات.

المطلب الثاني: الترجمات والطبعات الحديثة لإنجيل متى.

التمهيد

المطلب الأول
تعريف العهد الجديد

العهد الجديد هو مجموعة من المؤلفات عددها سبعة وعشرون كِتابًا، كتبها باللغة اليونانية خمسة عشرَ أو ستّة عشرَ مُؤلِفًا مختلفًا، كَانوا يُخاطبونَ بها الأفرادَ أَو المجموعات المسيحيةَ بين سني ٥٠ و١٢٠م. وتنقسم هذه الكتب لعدة أقسام:

القسم الأول: هو الكُتُب الأربعة الأولى أو ما يسمونه: (الأناجيل)، التعبير الذي يعني بشكل حرفي: الأخبار السارة. هذه الكُتُب تنْسبُ إلى متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا. سواء في الترتيب القانونيِ: متى، مرقص، لوقا، ويوحنا، أَو ما يسمّى بالترتيب الغربيِ: متى، يوحنا، لوقا، ومرقص[1].

يعتقد المسيحيون بدءًا من القرن الثاني أنّ اثنين مِنْ هؤلاء المُؤلفين كَانوا من تلاميذ المسيح؛ هما: متى، المذَكور في الإنجيل الأولِ (متى ٩:٩)، ويوحنا المذكور في الإنجيل الرابعِ (يوحنا ١٩:٢٦). الإنجيلان الآخران كتبهما على ما يقول المسيحيون تلاميذ الحواريين المشهورينِ: مرقص؛ مساعد بطرس، ولوقا؛ رفيق بولس. لكن دعوى المسيحيين هذه لا تستند

(1) See: Metzger B. M.1987. The Canon of the New Testament: Its Origin, Development, and Significance. Oxford: Clarendon. pp 295.

إلى الأناجيلِ نفسها؛ لأن العناوين الموجودة على غلاف الكتاب المقدس (مثل: «الإنجيل طبقـًا لمتى») لا تُوجَد في نصوصِ هذه الكُتُبِ. هل نسيَ مُؤلفو هذه الكتب أو تعمدوا أَلاّ يذكروا أسماءهم؟!!

ثلاثة من هذه الأناجيل يتشابه -بشكل مثير- بعضها مع بعض[١]، وتختلف عن الرابع بشكل أكثر إثارة[٢].

القسم الثاني في العهد الجديدِ هو سفر أعمال الرُسل، الذي كَتبَه نفس مُؤلفِ الإنجيل الثالث (الذي ما زال العلماء المعاصرون يسمونه لوقا بالرغم من أنَّ هذا ليس مؤكداً)[٣]. هذا الكتاب تكملة للأناجيلِ في كونه يصِفُ تأريخَ المسيحيةِ المبكّرةِ بدءاً بالأحداثِ التي وقعت بعد المسيح مباشرة، ويهتم كذلك ببيان كَيفية انتشار الدينِ المسيحي في جميع أنحاء أجزاءِ الإمبراطورية الرومانيةِ، سواء بين الوثنيين أو بين اليهود، بسبب بولس وتلاميذه. ففي حين يصور الإنجيل بدايات المسيحيةِ (من خلال حياةِ المسيح)، يُصوّرُ سفر أعمال الرسل انتشارَ المسيحيةِ (من خلال حياة تلاميذه).

---

(١) See: Enoch, P. J.1994..The Evolution of the Gospel, YaleUniversity press, new Haven and London. pp xii-xx

(٢) بالنسبة للإنجيل الرابع توجد دراسة كاملة تقريبـًا: زهران، محمد علي. ١٩٩٢م. إنجيل يوحنا في الميزان، الأولى، دار الأرقم، مصر.

(٣) see Ehrman B. D,:.1991. A BRIFE INTRODUCYION TO THE NEW TESTAMENT, 2TH, Oxford university press, p 2.

القسم الثالث من العهد الجديدِ يتضمن واحداً وعشرين رسالة؛ ثلاث عشرة من هذه الرسائل يقال إن من كتبها هو بولس، وتسمى رسائل بولس، ويسمى الباقي منها: الرسائل العامة أو الكاثوليكية. وإذا كانت الأناجيل تصف بِدايات المسيحيةِ ويصف سفر أعمال الرسل انتشارها، فإن الرسائل ترَكّز أكثر على الاعتقاداتِ والعبادات والأخلاق التي يجب على المسيحيين التمسك بها.

القسم الأخير من العهد الجديد هو سفر الرؤيا، الرؤيا الوحيدة المعترف بها من الرؤى المسيحية. هذا الكتاب كتَبه شخص اسمه يوحنا، يَصِفُ سير الأحداث المستقبلية حتى دمار هذا العالم وظهور العالم الجديد، أي أنه يصف نهاية المسيحية[١].

(١) المصادر عربية؛ انظر: وافي، علي عبد الواحد. (بدون تاريخ)، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام، دار نهضة مصر- القاهرة، ص ٨٥-٨٩. وطعيمة، عبد الرحمن صابر، (١٩٨٥) الأسفار المقدسة قبل الاسلام، عالم الكتب، بيروت، ص ٢٥٢- ٢٦٧ وربيع، يحيى محمد. ١٩٩٤م. الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، الأولى، دار الوفاء، المنصورة، مصر. ومن المصادر الغربية:
Metzger, B. M..1987. The Canon of the New Testament: Its Origin, Development, and Significance, CLARENDON PRESS, OXFORD pp 11-13. and Ehrman, B. D. 2009. A BRIEF INTRODUCTION TO THE NEW TESTAMENT, OXFORD PRESS, pp 4-5.

المطلب الثاني
نشأة النقد النصي وتطوره

يجب تطبيق النقد النصي على كتب العهد الجديد لسببين:

أ- لأننا لا نملك النسخ الأصلية للعهد الجديد.

ب- أن النسخ الموجودة بين أيدينا اليوم تختلف كل واحدة عن الأخرى؛ لدينا ٥٤٠٠ نسخة للعهد الجديد، غالبها باللغة اليونانية، على هيئة مخطوطة، المخطوطات نُسخت يدويـًا، قبل اختراع آلةِ الطباعة سنة ١٤٥٠ تقريبـًا. ولا نسخة من النسخ التي نملكها أصلية، ولا نسخة منها نُسخ من نسخ أصلية. ولا حتى نُسِخ من نسَخٍ نُسخت من نسخٍ أصلية.

إن إنجيل متى هو أول الأناجيل ترتيبـًا، سواء في الترتيب القانوني (متى، مرقص، لوقا، يوحنا) أو ما يعرف بالترتيب الغربي (متى، يوحنا، لوقا، مرقص)، وهو أول الأناجيل كتابة، وقد استقى منه الآخران؛ مرقص ولوقا، وربما لم يستندا إلى مصدر آخر غيره، وهو ما نسميه نظرية: «أولية متى»[1].

يسعى الناقد النصي للبحث في نسخ متباينة للوصول لصيغة النص الذي يعتبر مطابقـًا تقريبـًا للنص الأصلي، لكن في بعض الحالات ينقسم الدليل بالتساوي فيكون من الصعب للغاية أن يختار الناقد بين اثنين من القراءات المختلفة. مع ذلك -في حالات أخرى- يمكن للناقد التوصل إلى قرار

---

(١) انظر هذا الرأي وأدلته عند: باول، اينوك، ١٩٩٤، تطور الإنجيل، ترجمة ايش؛ أحمد، دار قتيبة- بيروت- دمشق، الأولى، ص ٤٩.

يستند بصورة مقنعة لأسباب لتفضيل إحدى القراءتين ورفض الأخرى[١].

۞ نشأة النقد النصي:

مثل العديد من الحقائق المسلمة في الثقافة الغربية، نشأ النقد النصّي عند اليونانيين. إنّ ظهوره وتطوره ارتبط بملاحمِ هوميروس Homeric. نظراً إلى أن الرواة الذين يقرأون الإلياذة والأوديسا لهوميروس على الجمهورِ في أماكن ومناسبات مختلفة كانوا يعدلون النَصَّ أحيانا؛ ليلائم المناسبة الخاصّة أو تصورهم الخاص لتكون الرواية مؤثرة، وبناء عليه فقد أصبح هناك العديد مِن النسخِ للملحمة حتى في العصور المبكّرةِ جداً. فيما بعد ظهرت «إصدارات محلية» لهوميروس.

أراد المدراء الأوائِل للمكتبات اقتناء نسخاً دقيقةً دائماً مِنْ ملاحم هوميروس Homeric. أوّل هؤلاء المكتبيين العلميين كان Zenodotus مِنْ Ephesus (٣٢٥- ٢٤٠ قبل الميلاد)، فقد قام بمقارنة العديد مِن المخطوطاتِ لكي يُعيدَ النَصَّ الأصلي لكل من إلياذة والأوديسا لهوميروس. التصحيحات التي قام بها Zenodotus في نَصِّ هوميروس كَانتْ على أربعة أنواعِ:

---

(1) See: Metzger B. M.1991. The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration, 3ed. New York: Oxford. P xv

(١) أزالَ الفقرات التي اعتبرت مزوّرةً.

(٢) أشار إلى فقرات أخرى باعتبارها مريبة لكنه تَركها في طبعتِه.

(٣) نَقَلَ ترتيبِ الفقرات.

(٤) قدّمَ ترجمات جديدةً لَيستْ شائعة عمومـاً.

هكذا نشأ النقدِ النصّي والأدبيِ في العصر القديمِ، لقد كان بصورة رئيسة في الإسكندرية، وموجّهـاً بصورة أولية نحو ملاحمِ هوميروس(١).

۞ تطور النقد النصي:

وفيما يتعلق بالكتاب المقدس أول ما وصل إلينا هو ملاحظات أورجن:

أورجن Origen السكندري ثم القيصري، بَدأَ بدراسة نقدية لنَصِّ كامل العهد القديمِ باللغة العبريةِ وفي عِدّة ترجمات يونانية. نتيجة جهده كان هو Hexapla، الذي لا بدَّ وأنْه تطلب العديد مِن السَنَواتِ من العمل والمثابرة، كان هو الوسيلة المهمة التي احتكم إليها الكثير من العلماء الآباء في المكتبةِ المشهورةِ لـPamphilus في القيصرية Caesarea، حتى دمارِها في القرن السابعِ في أثناء الفتح الإسلامي للشرق الأدنى.

السؤال عما إذا كان أورجن Origen حاولَ نشر نَصّ نقدي للعهد

---

(١) انظر:

Metzger B. M.1991. The text of the New Testament p 197

الجديدِ له إجابات مختلفة كثيراً مِن قِبل العلماءِ الحديثينِ[١]؛ يَبْدو من المحتملَ بالنسبة إلى أكثر المحقّقين بِأَنَّ جُهودَه النصّيةَ لم تمتد إلى إِعْداد نسخة نقدية للعهد الجديدِ. في نفس الوقت، كشف أورجن Origen في كُلّ كتاباتِه -وخصوصـًا في أطروحاتِه التفسيريةِ- عن عناية قوية بالتفاصيلِ النقدية في نَصِّ الكتاب المقدس. إنه يَشتكي من أن:

«الاختلافات بين المخطوطاتِ [الإنجيل] أَصْبَحتْ عظيمة، إمّا بسبب إهمالِ بَعْض الناسخين أَو بسبب الجرأةِ المنحرفةِ للآخرين؛ إنهم إمّا يُهملونَ تدقيق ما نَسخوه، أَو أنهم في عملية التَدقيق يزيدون أَو ينقصونَ كما يشتهون».

إضافةً إلى أنه وضع تعليقات ذات طبيعة عامّة حول النَصِّ، بَحثَ أورجن Origen عن المعلوماتِ (مع أَنَّهُ لَمْ يستعمل هذه المعلوماتِ دائمـًا) التي تَتعلّقُ بالترجمات المختلفةِ في المخطوطاتِ اليونانيةِ للعهد الجديدِ. وعلى سبيل المثال يُلاحظُ أورجن Origen أن الترجمتين في الرسالة للعبريين . ٢.٩، «بمعزل عن الله» (χωρίς θεοῦ) و«بنعمةِ الله» (χάριτι θεοῦ) لكنه لَمْ يهتَمّ بالترجيح بينهما، نظراً إلى أنه يَجِدُ أهميةً معنوية في كلتا الترجمتين.

---

(١) لخلاصة هذه الآراء، انظر: . Metzger، «إشارات في أعمال أورجن Origen إلى الترجمات المختلفة في مخطوطات العهد الجديدِ، في الدراسات التوراتيةِ وكتابات آباء الكنيسية في ذاكرة روبرت كايسي»، نشره جْي. إن. Birdsall وآر. دبليو. تومسن (Freiburg، pp. 78-95 , 1963)

في أحيان أخرى أعلن أورجن Origen ترجيحه بين الترجمات المختلفةِ، لكن في أغلب الأحيان يَبْدو أن اختياره كان مستنداً على اعتبارات غير تلك التي لها طبيعة نقدية صرفة. هكذا، عندما يَرْفضُ الترجمة «المسيح براباس Barabbas» لمصلحة الاسم غير المركب «Barabbas» (متى. ١٦.٢٧-١٧)، فإنه يَعْملُ ذلك لأنه يَعتقدَ بأنّ اسمَ «المسيح» لم يكن أبداً لينطبقَ على فاعلي الإثم[١] مرة أخرى، تفضيل أورجن Origen المشهور للترجمة «Bethabara» بدلاً مِنْ «بيثاني» بَيْتَ عَنْيَا باعتباره المكان الذي يعمد فيه يحيى (يوحنا ١.٢٨) بنى على الأسبابِ الجغرافيةِ والاشتقاقيةِ[٢]، وتملي نفس أسبابِ تفضيلِه لـ«Gergesa» بدلاً مِنْ «Gerasa» أَو «Gadara» باعتباره اسم المكانِ، حيث دَخلتْ فيه الشياطين في قطيع الخنازيرِ[٣]. في مجموعة مختلف من الأمثلة، وبسبب بَعْض الصعوبات المتعلقة بالتفسير، يَدعي أورجن Origen أن كُلّ المخطوطاتِ الموجِودة في عصره كانت محرفة[٤].

---

(1) . **See:** Metzger B. M.1991. The Text of the New Testament 198.

(2) **See:** Metzger B. M.1991. The Text of the New Testament 199.

(3) Metzger B. M.1991. The Text of the New Testament 200.

(٤) للأمثلةِ، انظر Metzger , op. cit.

المبحث الأول

الإصحاحان الأول والثاني

هل من الممكن أن يكون إنجيل متى الأصلي -قبل التحريف- خالياً من أول فصلين في الكتاب «المقدس»؟ من أضاف الفصلين ولماذا؟ وإذا كانا أصلاً من أصل الكتاب فمن حذفهما ولماذا؟ مع باقي الأسئلة التي طولبنا بالجواب عنها:

المطلب الأول

المشكلة العقائديةُ

أنكر بعض المسيحيين عقيدة الولادة العذرية للمسيح، واتهموا بحذف هذه الفقراتِ مِن الكتاب المقدّسِ جملةً، أو بالعَبَث بالنصوصَ؛ لِكي يُزيلوا أيّ فكرة عن ولادة بتولية منها. هكذا اتهم الأبنيون Ebionites باستعمال النسخة الناقصة -ليس فيها الفصلان الأول والثاني- المشكوك فيها من إنجيل متى. علاوة على ذلك، استعملَ مركيون Marcion، الذي أنكرَ الولادة البتوليةَ نسخة للوقا اختصرَت بنفس الطريقة. (لأن المسيح لم يكَنْ جزءاً من العالمِ الماديِ، إنه لم يولد؛ بل نزل كاملاً من السماء، في السَنَةِ الخامسة عشرة مِنْ عهدِ القيصرِ تيبريوس Tiberius)[(١)]، وادعى بعض الأبنيون الذين أشار إليهم إرينوس Irenaeus قائلاً: «...الذين زَعموا بأنّ

(١) انظر أدولف فون: مرسيون: إنجيل الله الغريب، ٢٥-٥١.

المسيح ولدَ من يوسف» (إرينوس Irenaeus ضد البدع. الثّالث، ٢١). في حين عارض إرينوس Irenaeus (الأرثوذكسي) وجهةِ النظر هذه مستشهداً بنبوءةِ دانيال أنَّ مجيء المسيح سيَكُونُ مثل حجارة قطعت بلا يد (دانيال ٢:٣٤)، على أنها إشارة إلى ولادةِ المسيح حيث يكون فيها يوسف (الحجّار) لم يفعل أي شيء في الحجر (مريم) (الرد على الزنادقة. الثّالث، ٢١، ٧).

في حين أن هناك نصوصًا يمكن أن يتمسك بها هؤلاء. فمثلًا: نستطيع أن نُشير بصورة معقولة إلى المخطوطةِ السريانيةِ التي اكتشفت في ديرِ سانت كاترين على جبلِ سيناء. هل كاتب هذه المخطوطة أو مترجمها الذي عاش في القرن الخامس كَان يعتقد أن يوسف أبو المسيح فعلاً، لأنه يختم نسب متى للمسيح بقوله: «وَيَعْقُوبُ أَنْجَبَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ» (متى: ١:١٦). بنفس الطريقة، الفقرة التالية تنتهي لا بالتصريح بأن يوسف «لَمْ يَدْخُلْ بِهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنا»، بل تنتهي بالملاحظةِ الغريبة أن مريم «ولدت له [أي ليوسف] ابنـًا» (متى: ١:٢٥)، أيضـًا بنفس الطريقة في الفقرة ٢١، تتفق المخطوطة السينائية السريانية مَع مخطوطة أخرى سريانية أيضـًا هي كيوريتونيان Curetonian السريانية في صيغة بشرى الملائكة ليوسف بأن «[مريم] سَتَلِدُ لك ابنـًا».

لهذا كله فإننا وجدنا معركة عقائدية –سلاحها الحذف والإثبات– شنّتْ على الفصلين الأول والثاني مِنْ كتابَي متى ولوقا، فقرات العهد

الجديدِ الوحيدةِ التي تُؤكّدُ هذا الاعتقاد (الولادة البتولية).

في الواقع كُلّ حالة لبس محتملة في الفقرات موضع بحث، على سبيل المثال: كلما يدعى يوسف أبـاً للمسيح أَو عندما يلقب هو ومريم: أبوي المسيح فإن كاتبـاً أو آخرَ يعالج المشكلةَ المحتملةَ بوضع كلمة ملائمة موضع الكلمةِ المشكلة، (وبمعنى آخر:.، أرثوذوكسية بوضوح أكثر). دراسة شيء من هذه الفقراتِ سَيُمهد للدخول إلى دراستِنا.

يوسف سُميَ أبـاً للمسيح مرّتين في قصةِ ولادةِ المسح عند لوقا (٢:٣٣، ٤٨) في كلا الموضعين عدّل الكتّاب النَصَّ لإزالة ما بدا متعارضـاً بشكل تام مع الفكرةِ الراسخة أنه بالرغم من أن يوسف كَان خطيبـاً لمريم، إلا أنه لم يكن أبـاً للمسيح. هكذا نص لوقا ٢:٣٣، يقول: «٣٣ كَانَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ يَتَعَجَّبَانِ ἦν ό πατὴρ (αὐτοῦ καί ἡ μὴτηρ θαυμάξοντες) مِنْ هَذَا الْكَلاَمِ الَّذِي قِيلَ فِيهِ». أغلبية المخطوطاتِ اليونانيةِ، مع عدد مِن الوثائق القبطية والسريانية واللاتينية القديمة، غيّرَت النَصَّ ليقرأ هكذا: «يوسف وأمّه» (Ἰωςὴφ καί ἡ μὴτηρ αὐτοῦ) التغييرِ يعطي معنى سليمـاً؛ متفقـاً مع وجهة النظر المسيحية أن يوسف في الحقيقة لَيس أبـاً للمسيح. لكن تشكيلة واسعة من المخطوطاتِ المبكّرةِ والمتفوّقةِ تعطي بثبات القراءة المشكلة. الثبوت العريض للقراءة المختلفةِ وحشد النسخ القديمةِ التي يدعمها يبين أنّ النَصَّ كَانَ قَدْ غُيّرَ مبكراً، على الأقل في القرن الثالثِ، وعلى الأرجح في الثاني، وبالضبط في زمن الخلاف مع آريوس.

الحالةِ الأخرى التي يدعى فيها يوسف أبـاً للمسيح في قصةِ ولادةِ

المسيح عند لوقا في الفقرة ٢:٤٨، حين تبحث أمّ المسيح عنه بلهف ثم تَجِدُه في المعبدِ وتُوبّخُه بقولها: «يَا بُنَيَّ، لِمَاذَا عَمِلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ فَقَدْ كُنَّا؛ أَبُوكَ وَأَنَا (ἰδού ό πατὴρ σου κἀγώ) نَبْحَثُ عَنْكَ مُتَضَايِقَيْنِ!» مرةً أخرى النصّ غُيِّرَ، لكن هذه المرة في نمط غير متناسق مِن الاختلاف. وثيقة يونانية مهمة -لكنها ناقصة- مِنْ القرن الخامسِ والمخطوطتان اللاتينيتانِ القديمتانِ تقول: «أقرباؤك وأنا ((οἰ συγγενεῖς σου κἀγώ كنا متضايقين»(Cvid β) (e في حين أن عددًا مِنْ وثائق ترجمية قديمة تقول «نحن تضايقنا.. (a b ff 2 g1 1 r1, syrc)» هنا ثانيةً نوع الوثيقة - مجموعة المخطوطات السكندرية مع النصوصِ اللاتينيةِ والسريانيةِ القديمة- تبين أنّ القراءة عَانتْ من التحريف مبكراً؛ رغم ذلك بشكل مثير للانتباه لَمْ يكن التغيير في أغلبيةِ المخطوطاتِ التي تُثبتُ التحريف في الفقرة ٣٣.

نحصد صيداً مماثلاً عندما نلقي شباكنا أبعد قليلاً لندرس اثنين مِنْ أنواعِ الفقرات الوثيقة الصلةِ: أي هذه التي تتكلّمُ على والدَي المسيح ((γονεῖς في قصصِ الولادة، وتلك التي تسمّي يوسف أبـًا للمسيح لكن في سياقات أخرى. في كُلّ مِنْ الحالاتِ الثلاث التي يشير فيها لوقا إلى والدَي المسيح أحدثَ كتّاب مُخْتَلِفونَ تغييرات تُراوغُ سوء استعمال محتمل وتمنع اللَّبس، منها الحالةُ الثَابتةُ على نحو واسع في لوقا ٢:٤٣، حيث إنَّ «أبويه (γονεῖς αὐτοῦ)» غُيِّرَت إلى «يوسف وأمّه» (Ἰωςὴφ καέ ἡ μὴτηρ αὐτοῦ) في تشكيلة واسعة من المخطوطات اليونانية وتراجم المخطوطات. في الواقع نفس العبارةِ «أبويه» ((οἰ γονεῖς αὐτοῦ غُيّرت

بصورة أقل تكراراً في لوقا ٢:٤١، حيث قرئت مخطوطة يونانية واحدة متأخّرة وعدد مِنْ الوثائق اللاتينية القديمة: «كلاً من يوسف ومريم (ὁ τε Ἰωςὴφ καί Μαριάμ). أول مرة وردت فيها العبارةِ في ٢:٢٧، عدّلت فقط في عِدّة وثائق من نسخة تاتيان . Diatesseron ومَحْذُوفُة في عِدّة مخطوطات صغيرة يونانية متأخرة.

لقد أهملت الطبعات التقليدية غير النقدية هذه الخلافات، منها طبعة الملك جمس وما بني عليها، في حين أشارت الطبعات النقدية الحديثة إلى هذه الاختلافات؛ فطبعة نستله – ألاند أو (إن أي ٢٦) (NA26) تستشهدُ بمخطوطةِ رقم ٢٤٥، وطبعة المشروعِ الدولي للعهد الجديدِ اليونانيِ يَستشهدُ بالمخطوطاتِ ١٣٤٧، ١٥١٠، و٢٦٤٣. في إثبات هذه الاختلافات.

المطلب الثاني
سلسلة نسب المسيح
متى (١:١ – ١٨)

۞ أولاً: النقد الموضوعي:

على عكس مرقص، متى يذكر نسب عيسى، متتبّعـًا الآباء والأبناء بدءاً من إبراهيم (فقرة ٢) إلى داود (فقرة ٦)، ثم من داود الى السبي البابلي (فقرة ١٢)، ثم من السبي إلى يعقوب، أبو يوسف (فقرة ١٦). هنا تنشأ المشكلة: النسب واضح أنه ليوسف الذي هو رجل مريم، المرأة التي ولد منها عيسى. لكن وفقـًا

لمتى، يوسف ليس والداً للمسيح، لأنه في هذا الإنجيل أم عيسى عذراء. لهذا السبب، يكون متى مضطراً لتغيير صيغة العلاقات بين الأب والابن عندما يأتي إلى نهاية الفقرة ١٦ قائلاً: «ومتان ولدَ يعقوب، ويعقوب ولدَ يوسف، رجل مريم التي ولد منها يسوع، المدعو المسيح». وكان يجب أن يقول -طرداً للصيغة-: «.. ويوسف ولدَ عيسى..»!!!

فالمشكلة تكمن في تتبع سلالة نسب عيسى والعودة بها إلى داود وإبراهيم، في حين أنه لا علاقة للمسيح بهذه السلسلة؟ الصلة الوحيدة له هي من خلال يوسف، الرجل الذي هو في الحقيقة ليس والداً للمسيح.

إن الأمر محير، على الرغم من أن مؤلف الإنجيل يحاول أن يجعل المسألة واضحة. إنه يحاول إظهار أن عيسى له جذور يهودية، وبشكل أكثر تحديداً، من نسل داود، الذي هو ضرورة لكونه «ابن داود»؛ لأنه المسيح المنتظر. وهكذا، على الرغم من أن سلسلة النسب قد تبدو غير ذات صلة للوهلة الأولى، حيث إن عيسى لا ينتمي إلى السلالة التي يسردها، ويعني ذلك بوضوح أنه لا بد من شرح توضيحي: أي لأن يوسف كان بمعنى «الأب» لعيسى (عن طريق التبني؟)، ارتبط عيسى من خلاله بالعظماء في تاريخ إسرائيل.

لكن في سياقِ خطبةِ بطرس في (سفر الأَعمال ٢)، عند الكَلام على قيامة المسيح، يستشهد بطرس بدليل كتابي (مزمور ١٦) على أن الله سيقيم المسيح ليجلسه على عرشِ داود، وهو الإنسان الذي سيأتي «مِنْ ثمرة ذكره» أي داود (سفر الأفعال ٢:٣٠). (ἐκ καρποῦ τῆς ὀσφύος αὐτοῦ)،

وهو ما يعني البنوة الحقيقية الجسدية!! كيف اتصل المسيح بداود جسدياً وحقيقة في حين أنه ليس ابناً حقيقياً «من ثمرة ذكر» يوسف؟

عندما وضعت قائمة النسب هذه في بداية الكتاب استُبدل اسم ابراهيم باسم «يسوع المسيح» وأضيفت كلمات «ابن داود، ابن ابراهيم» وبالطبع كان وصف «ابن داود» مهمّاً، ولكن وصفه بأنه «ابن ابراهيم» لم يكن كذلك، حيث إن جميع اليهود من أبناء ابراهيم (قارن مع ٣: ٩)، ومن هنا تنشأ الحيرة التي يشعر بها القراء عندما يجدون قائمة نسب تبدأ بإبراهيم موجودة في بدء كتاب عن يسوع.

إن القسم من سلسلة نسب إبراهيم إلى داود يطابق سفر أخبار الأيام الأول ١: ٣٤ و٢: ١٥، أما من داود إلى يكنيا فيطابق سفر أخبار الأيام الأول ٣: ٥-١٦ ولكن مع حذف ثلاثة أسماء بعد أخزيا واسم رابع هو يهوياقيم بعد يوشيا. أما الأسماء التسعة بين زربابل ويوسف فليست كافية لسد الفجوة التي تمتد ٥٠٠ عام بين زربابل (٥٣٦ م) وبين هرودوس. وقد رأى مؤلف لوقا هذه الصعوبات وخصوصاً الأولى، وهي بدء كتابه بقائمة ذرية من إبراهيم، والثانية هي القائمة التي تضع يسوع في القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد. وقد تعامل مع الأولى بأن انتظر حتى بدأت قصته بشكل جيد (٣: ٢٣) ثم أدخل قائمة نسب تبدأ بيسوع وتمتد إلى آدم ابن الله»[١].

والجزء الذي يمتد من داود إلى إبراهيم عنده مطابق، عدا أنه يضم

---

(١) انظر: باول، اينوك. تطور الإنجيل، ص ١٤٦-١٤٧.

اسمين هما أرني وأدمين بدلاً من اسم ، ولكن السلسلة التي تصل إلى داود لم تمر عبر سليمان، وإنما عبر واحد آخر من أبناء داود هو ناتان، ربما لتجنب دعوة إرميا (٢٢: ٣٠) على نسل جيشونيا.

[١٤\١٤\١٤]: موضوع آخر في هذا الفصل يلفت النظر، هو الفقرة ١٧، إذ تلخص الفقرة سلسلة النسب بمثل هذه الطريقة: بين إبراهيم وداود كان هناك أربعة عشر جيلاً وأربعة عشر جيلاً بين داود والسبي البابلي، وأربعة عشر بين السبي البابلي والمسيح عيسى. هذه صدفة مدهشة.!! بين والد اليهود وأعظم ملك لليهود كان أربعة عشر جيلاً، وبين أكبر ملك لليهود وأعظم كارثة لليهود (تدمير دولتهم على يد البابليين) أربعة عشر جيلاً، وبين أكبر كارثة لليهود والمخلص «المسيح» أربعة عشر جيلاً!!

سلسلة النسب توحي -في الواقع- أن كامل تاريخ إسرائيل كان مرتباً وفقاً للعناية الإلهية، وهذا التاريخ والعناية قد توجت بعيسى. في كل جيل رابع عشر يحدث شيءٌ مهم في تاريخ إسرائيل: أعظم ملوكهم، أسوأ كارثة لهم، والآن خلاصهم. ولادة عيسى بعد أربعة عشر جيلاً من السبي البابلي تبين أن الله كان على وشك أن يفعل شيئاً كبيراً، شيئاً لا مثيل له لشعبه إسرائيل.

ولكن هل هذا التسلسل من ١٤- ١٤ – ١٤ قابل للحياة فعلاً؟ إن ما يقرب من ثلثي الأسماء في سلسلة النسب مذكورة في الكتاب المقدس اليهودي، مصدر متى نفسه للأجيال من إبراهيم إلى السبي. لسوء الحظ، عندما يُفحص تسلسل هذا المصدر يبدو أن هناك بعض المشاكل، الأكثر

وضوحـًا هو في الآية ٨، حيث تقول إن يورام هو أب عزيا. لأننا نعرف من ١ كرون ٣: ١٠-١٢ أن يورام لم يكن والد عزيا، ولكنه جد الجد الأكبر له. (كما يتبين من خلال مقارنة ٢ ملوك ١٤:٢١ مع ٢ كرون ٢٦: ١) لماذا إذن يقول متّى إنه كان والده؟

الإجابة واضحة: إذا كان متّى يريد أن تشمل السلسلة جميع الأجيال بين أورام وعزيا (أباه أمصيا، وجده يوآش، والجد أخزيا)، فإنه لم يعد قادراً على ادّعاء أن هناك أربعة عشر جيلاً بين داود والسبي البابلي! هذا من شأنه أن يعطل الفكرة بأكملها التي تقول: في كل أربعة عشر جيلاً حدثٌ كارثيٌّ يحدث في تاريخ الشعب. وهذا بدوره سيعود بالضرر على ادعائه الضمني أن المسيح عندما ولد كان شخصـًا مميزاً ومهمّـًا في الخطة الإلهية لشعب اسرائيل.

لهذا لا يمكن أن تكون سلسلة النسب صحيحة تاريخيـًا.

۞ ثانياً: النقد الظاهري:

هناك مشاكل كثيرة تتعلق بالإصحاح الأول لمتى في المخطوطات، مما جعل النقاد يعتبرونه فصلاً مدسوسـًا على أصل الكتاب، وضع بشكل عشوائي بناء على ملاحظات نقدية؛ منها:

[١: ١] بدأ مؤلف (متى) كتابه بالعنوان التالي:

«هَذَا سِجِلُّ نَسَبِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ....»

هذا العنوان حل محل البداية الأصلية، وأقحم لقب Χριστός

«المسيح» في افتتاحية العنوان على حساب قبول عبارة «الذي يدعى» (الذي يدعى المسيح، قارن مع متى ٢٧: ٢٢) وهذه هي المرة الوحيدة في الكتاب – عدا مخطوطات مخالفة في الفقرة ١٦: ٢١- يرد فيها تعبير «يسوع المسيح»[١].

[٢:١] «وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتَ لَحْمَ الْوَاقِعَةِ فِي مِنْطَقَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى عَهْدِ الْمَلِكِ هِيرُودُسَ،...» الحقيقة أنه من هنا تبدأ القصة الأصلية، كما أدرك لوقا (١: ٥)، فقد بدأت بالتاريخ الذي لا يمكن أن يترك ليذكر فيما بعد، وعلى ذلك فقد اجتُثّت البداية الأصلية للكتاب[٢].

[١: ١٦] إنّ الأغلبية الواسعة للمخطوطات تتكلّم على «مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ»، (Ἰησοῦς ὁ λεγόμενος Χριστός) عدة مخطوطات تفتقر إلى اسم الفاعل (وأداة تعريفه) (ὁ λεγόμενος) (المدعو)، مما يجعل النصّ الآن يشير إلى ولادة «عيسى المسيح» (k syrc Dial Tim and Aqu3[D]64)، يبدو أن هذا الاختلاف أيضـًا ثابت عند ترتليان Tertullian، الذي في اقتباسه الوحيد للفقرة، يستعملها ضدّ الفالنتيين المعرفيين ومسيحياتهم، في المجادلة بسبب ولادته الحقيقية من مريم، المسيح كان جسداً حقيقيـًا، ويلاحظ ترتليان Tertullian «أن متى أيضـًا، عند تتبعه نسب الرب من إبراهيم إلى مريم، يقول: «١٦وَيَعْقُوبُ

(١) انظر: باول، اينوك تطور الإنجيل، ترجمة أحمد أيبش، دار قتبة، دمشق –بيروت، الأولى ١٤٢٤=٢٠٠٣، ص ١٤٥.

(٢) انظر: باول، اينوك. تطور الإنجيل، ص ١٥٢.

أَنْجَبَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا الْمَسِيحَ» (دي carne كرستي ٢٠).

فيما يتعلق بالنصّ الذي بأيدينا، المخطوطات الباقية على قيد الحياة تعطي عدّة اختلافات: «ولادة عيسى» (دبليو ٤ ٧٤ و٢٧٠ pc)، و«ولادة المسيح عيسى» (B)، و«ولادة المسيح» (OL Vg syrs. c Theoph Iren Aug pc) و«ولادة عيسى المسيح» (أكثر المخطوطات).

على الرغم مِنْ تأييد المخطوطات لهذه التحريفات، إلا أن هناك أسباباً أخرى تجعلنا نميل إلى اعتبار أن هذه أخطاء نتيجة للإهمال وليست مقصودة، فمثلاً: إذا كان الكاتب يريد أن يبين أن يوسف كَانَ في الحقيقة أباً للمسيح، فيَبْدو غريباً أنّه لم يفعل شيئاً في الفقرة التالية، سواء بإزالة كلمة (عذراء) (παρθένος، الفقرة٢٣ إِنَّ الْعَذْرَاءَ تَحْبَلُ) أَو بتَعديل التصريح الواضح «أن يوسف لم يدخل بمريم حتى يكون طفلها مِنْ الروحِ القدس) (الفقرتان ١٨ و٢٠)[١]. ونظراً إلى أنه لا يوجد هناك سبب لتَفسير أيّ مِنْ قراءاتِ المخطوطة المختلفة باعتبارها أصلية في هذه الحالاتِ[٢]، يُمْكِنُ أَنْ يستنتج أنّ الكاتبَ كَانَ غافلاً حقّاً عن النتائجِ المذهبيةِ لتعديلاته[٣].

---

(١) انظر مُناقشاتَ بروس إم. Metzger، نَصّ متى ١:١٦، تعليق نصّي على العهد الجديدِ اليونانيِ، ٢-٧؛ وبراون، ولادة المسيح المنتظرِ، ٦١-٦٤؛ وجلوبل ألكساندر، «بَعْض الاختلافات المذهبيةِ في الفصل الأول لمتى ١ والثاني للوقا، وأصالة النَصِّ المحايدِ، ٦٣-٦٦.

(٢) مما هو جدير بالذكر أَنّني أستعملُ التعبيرَ «أصلي» للإشارة إلى قراءاتَ المخطوطات الأصلية.

(٣) إنّ التفسيرَ الأسهلَ للفقرة ١٦(١٦وَيَعْقُوبُ أَنْجَبَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ) هو أن الكاتبِ أرادَ أَنْ يَحتفظَ بصيغةِ سائر النسب بنفس =

[١: ١٧] إن سلسلة النسب التي تدعي أنها تحدد هوية عيسى على أنه «ابن داود» لم تكن تحتاج إلى أن تتضمن نسب داود إلى ابراهيم، وقد أُخفيت الحقيقة المحرجة بإقحام ادعاء أن سلسلة النسب تكشف عن نموذج ثلاثي مهم، نتج كما يظهر عن ذكر «السبي البابلي» مرتين، مرة في نهاية الجزء الثاني ومرة أخرى في بداية الجزء الثالث[١].

[١: ١٨] الوثائق الأخرى تقدم ترجمات مختلفة تماماً لنفس الفقرة، وتفيد بِأَنَّ هذه الترجمات هي لتَأكيد الأفكارِ المسيحية المَتعلّقة بولادةِ المسيح، فالنص يترجم في أكثر المخطوطاتِ هكذا: «١٦وَيَعْقُوبُ أَنْجَبَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ»، لكن عِدّة وثائق من ما يسمّى بالنص القيصريِ ترجمته هكذا: «ويعقوب أنجب يوسف، الذي هو خطيب مريم العذراء التي أنجبت يسوع، الذي يُدْعَى المسيح»[٢]. إنّ الترجمات القيصريةَ تقول بوضوح: إن النص الآن يسمي مريم بشكل واضح: «عذراء» (παρθένος) ثم هو لَمْ يَعُدْ يسمي يوسف «زوجها» (ἀνὴρ) (أنير)؛ بل: «خطيبها» (ᾧ μνηστευθεῖσα منيستييثيسا) هذه الترجمات لا تخدم فقط

=

خاتمته، حتى تنطبق الصيغة تلقائياً على يوسف والمسيح (انظر متجزر Metzger، تعليق نصّي، ٧). نظراً لفشل الكاتب في إفساد الفقرات ١٨-٢٥ بنفس الطريقة، يَظْهرُ أنْه فَهمَ صياغتَه الخاصةَ -إذا كان فهمه أصلاً- على معنى أن يوسف أصبحَ أبـاً للمسيح (بالتبني؟)، بالرغم من أنّه لم يكن أباه الفعلي.

(١) انظر: باول، تطور الإنجيل، ترجمة أحمد آيبش، دار قتيبة - دمشق الأولى، ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) المخطوطات: (.(Θ f13 OL arm [syrc]))

بقاء النص متوافقـًا مع بقيّة القصّةِ (لاسيما الفقرات ١٨-٢٥)، لكنه يفيد أيضـًا إزالة إمكانيةِ أي فهم خاطئ. وفق هذه الترجمة فإن مريم لم تكن تَعِيشُ مع رجل باعتبارها زوجته، بل هي كَانتْ خطيبته فحسب، وهي ما زالَتْ عذراء بالرغم من حبلها[١]، يَجِبُ أَنْ يُضافَ أنّ هناك سببـًا ضعيفـًا لافتراض أن ترجمة النص هي الكلمة الأصلية، لَيسَ فقط لكونها تفتقر للتأييد المبكر والعريض، بل إنها تُخفقُ أيضـًا في الاختبار الدقيق على أساس الاحتمالات النسخية. بالنظر إلى الفقرات ١٨-٢٥، من كَان يُريدُ تَغيير ترجمة النص القيصريِ الحميدة تمامـًا في الفقرة ١٦ إلى ترجمة مشكلة (بسبب تسمية يوسف زوج مريم (ἀνὴρ) وبإزالة كلمة عذراءِ)[٢]؟ هذه الترجمة أحسن ما تفسر به أنها تعديل مبكر قبل الترجمات الأخرى، ترجمة تهدف لمحاولة الالتفاف على تلاعب أصحاب «البدع» بالنص.

الترجمات الأخرى التي توظف لحِماية فكرةِ الولادة البتوليةِ في متّى الفصل الأول تُعدّلُ النصوص التي تَتكلّمُ على مريم باعتبارها زوجة يوسف («زوجة» تُغيّرُ إلى «مَخْطُوبةِ» أَو «رفيقِة» في الترجمات السريانية، والقبطية، ونسخة Diatesseronic لنص متى ١:٢٠؛ وغيّر الوصف إلى «مريم»، أَو ضمير «ها» في ترجمات سريانية، وقبطية، ولاتينية لمتى ١:٢٤)، وأيضـًا

(١) التعبير (عذراء) (παρθένος)، يُمْكِنُ أَنْ يَعْني «شابّةَ» أَو «جديد» أيضـًا، لكن في كتاباتِ الكنيسةِ المبكّرةِ، خصوصـًا عندما أصبح التعبير لقبـًا لأمِّ المسيح، واجهَ التضمين الحديث لكلمةِ «عذراء» دلالة على المرأة التي لم يسبق لها معاشرة الرجال.

(٢) انظر: Metzger، تعليق نصي.

أوصاف يوسف كزوج مريم عدّلت في الترجمات السريانية لمتى ١:١٩.

أسباب مماثلةَ وراء ترجمات متى ١:١٨ التي تحذف: «قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا مَعًا» و١:٢٥ تضيف: «لكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابنًا...»، هنا فقط، الرغبةُ المسيحية لإبْقاء فكرةِ بكارةِ مريم المستمرة هي السبب. الحشد من الدعم الوثائقي (ومثال على ذلك: -، سرياني ولاتيني) يفيد تأريخًا مبكّراً لهذه التعديلاتِ.

حافز مماثل قَدْ يكون وراء حذف (τόν πρωτότοκον (بروتوتوكون) (ابنهَا البِكْرَ) مِنْ لوقا ٢:٧ (٧فَوَلَدَتِ ابنهَا الْبِكْرَ، وَلَفَّتْهُ بِقِمَاطٍ، وَأَنَامَتْهُ فِي مِذْوَدٍ) في المخطوطة W. فلم يعد الآن المسيح ابنًا بكراً لمريم.

المطلب الثالث

حذف سلسلة النسب من النص

نتيجة لهذه الملاحظات النقدية ترجح أن إنجيل متى في الأصل كان بدون هذه السلسلة، وبناء عليه حُذفت هذه السلسلة من إنجيل متى على التفصيل التالي:

۞ حذف سلسلة النسب في إنجيل متى غير القانوني:

هناك إنجيل آخر يحمل اسم متى، كان مفقوداً ثم استطاع العلماء أن يجمعوا شتاته من بطون الكتب ومن بين أسطرها، هذا هو إنجيل متى

العبري[١].

هذا الإنجيل عرفه واستشهد به آباء الكنيسة الأوائل؛ منهم: آباء الكنيسة الذين اتصلوا مع مدينة الإسكندرية، مصر - كليمان، واوريجانوس، ديديموس الأعمى، وجيروم (الذي درس مع Didymns في الإسكندرية)؛ لهذا السبب، يفترض العلماء أن هذا الكتاب استخدم، وربما كتب هناك على الأرجح خلال النصف الأول من القرن الثاني. للأسف؛ فإن الكتاب لم يبق منه نسخة سليمة، ولكن نجده فقط في المراجع المنتشرة التي تشير إليه في كتابات هؤلاء الكتاب وآخرين.

۞ ملاحظة مهمة تتعلق ببداية إنجيل متى:

هنا تبدو ملاحظة مهمة يشير إليها (أبيفانيوس، Panarion، ٣٠، ١٤، ٣)؛ وهي أن إنجيل متى غير القانوني يختلف عن الإنجيل القانوني في بدايته، فبسبب حذفهم سلاسل النسب من متى فإن إنجيلهم يبدأ بعبارة: «وهكذا في أيام هيرودس ملك اليهودية، عندما كان قيافا رئيس الكهنة، ظهر رجل اسمه يوحنا...»[٢]، ويعني ذلك أنه كان بدون الفصل الأول والثاني أيضاً، حيث

(١) انظر: العهد الجديد غير القانوني، إنجيل متى، متولي، تامر محمد.
والذي ظهر للباحث أن هذا الإنجيل غير القانوني هو الإنجيل الأصلي الذي أضيف إليه لاحقاً وحذف منه، وأصبح قانونياً بعد التعديل.

(٢) المفاجأة التي توصل إليه علماء العهد الجديد أن هذه البداية مزيفة في الإنجيل القانوني، قال إينوك باول في دراسته المتميزة عن إنجيل متى معلقاً على هذا الموضع: «[١:١] ..هذا النسب حل محل البداية الأصلية التي بقي منها عناصر (انظر الفقرة ١\٢)...»
=

إن العبارة المشار إليها هي بداية الفصل الثالث من إنجيل متى.

۞ حذف سلسلة النسب عند أباء الكنيسة:

بين هؤلاء الكُتّابِ الآباء، تتيان Tatian السوري، مِنْ بلاد ما بين النهرينِ، المعروف بصورة رئيسية بسبب كتابه Diatessaron أو الأناجيل الأربعة المنسقة. لقد دمج عباراتِ الأناجيل مع الموجودة في الآخر، وساق الأناجيل المختلفة في سياق قصة واحدة. استطاع Tatian في الواقع أن يحفظ كامل محتويات الأناجيل المنفصلة وسبكها في إنجيل واحد فقط، الاسم الذي عرف به هذا العمل Diatessaron، مُشتَقّ مِن العبارةِ اليونانيةِ δια τεσσαρων، يعني: «بواسطة الأربعة [الأناجيل]».

سعى تتيان Tatian إلى صياغة كتابه Diatessaron بعناية كبيرة، لقد صاغه مِن أربع مخطوطات منفصلة، مخطوطة لكُلّ إنجيل، وكما صاغ العبارات في نسق، مرة مِنْ هذا الإنجيل وأخرى من ذلك، فهو بلا شَكّ حذف تلك العباراتِ التي كانت في المخطوطاتِ التي كَانَ يَنْسخُها.

لقد حذف تاتيان سلسلة نسب المسيح في متى وفي لوقا، الأولى التي ترجع نسب المسيح مِن إبراهيم فصاعداً، والأخيرة التي تعود به إلى آدم.

=

يشير إلى أن الفقرة التي تؤرخ بعصر هيردوس متفقة مع لوقا [١: ٥] انظر: اينوك باول، تطور الإنجيل، الترجمة العربية لأحمد أيبش، دار قتيبة، دمشق –بيروت، الأولى ١٤٢٤=٢٠٠٣، ص ١٤٥. وهناك مشاكل كثيرة تتعلق بهذا الفصل في الإنجيل القانوني.

۞ حذف سلسلة النسب في المخطوطات:

ليس تتيان وحده من حذف سلسلة النسب أو لم يجدها في أصوله بل في لوقا في اثنتين مِنْ المخطوطات اليونانية (Wو ٥٧٩) سلسلة أنساب يوسف تحذف بالكامل.

۞ حذف سلسلة النسب في الطبعات الحديثة:

لقد أعاد الدكتور إينوك باول Enoch pawell طبع وترجمة الإنجيل طبقا لمتى من اللغة (اليونانية) إلى اللغة الإنجليزية، مع دراسة نقدية رائعة ووافية بين فيها القيمة العلمية لفحوى هذا الإنجيل، وتتبع بدقة عالية مواطن النقل منه وإليه، وأهم ما توصل إليه من نتائج هو:

١- إن إنجيل متى هو أقدم الأناجيل المعروفة وليس إنجيل مرقص كما كان شائعـًا.

٢- بوجد متن أصلي لإنجيل متى مفقود، والإنجيل الأصلي قد تعرض لتحريفات وتعديلات جذرية على متنه خلال عملية إعادة صياغة إنجيل متى الجديد منه(١).

---

(1) See: Enoch pawell: the evolution of the gospel, yale university press new haven and London, pp xx- xxi

۞ سبب الحذف:

يبقى سؤال يجب علينا الجواب عنه: **لماذا دست –أو حذفت– هذه الفقرات:**

كما رأى بَعْض العلماءِ المعاصرين في سلسلة النسب ميولاً عقدية، وهي التحدي الضمني لفكرة أن المسيح لم يكن له أبٌ من البشر، مثل هذه المشكلةِ لَرُبَما أزعجتْ بعض الكتّاب الأوائل أيضـًا، فدسوا هذه المقدمة بشكل عشوائي.

السؤال: ما الذي يدفع الكتّابَ –سواء كتّاب المخطوطات أو كتاب أصولها– ليحذفوا نيفـًا وخمس عشرة فقرة مِن النَصِّ؟ إنهم ربما أدركوا تناقض تسلسل أسلاف يوسف إلى آدم في رواية حول المسيح، متى كان يوسف في الحقيقة ليس أبـًا للمسيح (كما يُشيرُ إليه نَصّ فقرة ٢٣ نفسه في لوقا).

ونجد تفسيراً بديلاً اقترحه تعليق إرينوس Irenaeus على نص متى؛ هو أن المسيح لم يكن بشكل حرفي ابن يوسف؛ لأنه كَانَ المسيح المنتظرَ؛ لأن بين أجداد يوسف في سلسلة أنساب متى يُوْجَد Jechoniah ابن جوكيم، الملك يعقوب Judah، مَن تنبّأ به في أرميا ٢٢:٢٨ بأن لا شيء مِنْ أبنائه يَجْلسُ على العرشِ (الرد على الزنادقة. ج الثّالث، ٢١، ٩) وهذه المشكلة لا يمكن أن تُتفادى ببساطة إلا بحَذْف سلسلة الأنساب مِنْ إنجيل متى.

المبحث الثاني

نص متى ٩ : ٢٧

المطلب الأول

المشكلة النصية

مقارنة بطول التحريف في النص السابق، الذي يتعلق بثمان عشرة فقرة، سندرس اختلافـاً نصيـاً يتعلق بكلمة واحدة. رغم أن هذا المبحث يتعلق بمفردة واحدة لكنه يمثل حالة فريدة في نص متى. هنا خطأ لا مهرب منه!! في نص يقال إنه كتب بإلهام من الروح القدس! والسؤال هنا: هل هذا النص في سفر زكريا أو في سفر أرميا؟ ومن الذي أخطأ في العزو؟ ولماذا لم يعدل حتى اليوم؟

نص الفقرة (٢٧.٩): «٩عِنْدَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِلِسَانِ النَّبِيِّ إِرْمِيَا الْقَائِلِ: «وَأَخَذُوا الثَّلاَثِينَ قِطْعَةً مِنَ الْفِضَّةِ، ثَمَنَ الْكَرِيمِ الَّذِي ثَمَّنَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، ١٠وَدَفَعُوهَا لِقَاءَ حَقْلِ الْفَخَّارِيِّ، كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ». ينسب النص نبوءة إلى أرميا في حين أنها في الحقيقة لزكَريا [١١ : ١٣].

المطلب الثاني

رأي النقاد المتقدمين

أول من أشار إلى هذا الخطأ العلامة أوغسطين الذي يَقترح أنّه يَجِبُ أَنْ يُلاحظ أولاً حقيقة أنّ عزو هذه الفقرة إلى أرميا ليس موجوداً في كُلّ مخطوطاتِ الإنجيل، وأن البعض مِنْها يقول فقط: كما قيل «بالنبي»، لذا

فإنه من الممكن أن يؤكد على أَنَّ هذه المخطوطاتِ تَستحقُّ في الواقع أن تُتْبع تلك التي لا تَحتوي على اسم أرميا. نظراً إلى أن هذه الكلماتِ قيلت بالتأكيد مِن قِبل نبي فقط (دون تسمية) وذلك النبي كَانَ هو زَكَريا.

لكن بصراحة جديرة بالثناءِ يصرح أوغسطين بأنّه لَيسَ راضيـًا تمامـًا عن هذا التفسيرِ؛ لأن أغلبية المخطوطاتِ تحتوي على اسم أرميا، وأولئك الذين دَرَسوا الإنجيل بعناية فائقة في الترجمات اليونانية أفادوا بأنّهم وجدوها ظاهرة في أكثر أصول المخطوطات اليُونانِيَّة القدِيمَةِ، عقب ذلك يضع أوغسطين القانون النقدي الذي يقول: إن الترجمة الأكثر إشكالاً يجب أن تقدم:

«... إنني أتطلع أيضـًا إلى اعتبارِ آخرِ، أعني أنه لا سبب لأن يضاف هذا الاسم [بعد ذلك إلى النَصِّ الأصلي] وبهذا يخلق تحريفـًا؛ بينما كان هناك بالتأكيد سبب معقول لمحو الاسمِ مِنْ العديد من المخطوطاتِ؛ نظراً لانعدامِ الخبرة المتعجرف، لَرُبَّمَا حدث ذلك بسهولة، عندما حيرتهم هذه المشكلةِ المعروضة بملابسة أَنَّ هذا الفقرة لا تُوْجَدَ في أرميا»[١].

أما نقاد العصر الحديث فيرون أن قراءة (إرميا) قوية ومؤكدة؛ إذ إنها مدعومة بأغلب وأفضل المخطوطات والترجمات اللاتينية والسيريانية وفولجاتا وغيرها، لكن المشكلة أن هذه القراءة التي اقتبسها مؤلف متى ليست في إرميا بل في زكريا (١١: ١٢-١٣) !! فليس مفاجأة أن نجد في بعض

(1) See: Metzger B. M.1991. The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration, 3ed. New York: Oxford. P 202

المخطوطات اسم زكريا، في حين أن مخطوطات أخرى تحذف الاسم كلية، المفاجأة أن هناك مخطوطتان تقولان بدل ذلك كله: «أشعيا»!![1].

لكن ماذا فعلت الطبعات الحديثة؟ في الحقيقة كل الطبعات أبقت الخطأ؛ لأنه موجود في المخطوطات التي لا يمكن أن ترد شهادتها، وتركوا الواقع وهو أن الاقتباس خطأ.

المبحث الثالث
نص مفقود من النص المطبوع لإنجيل متى

هنا يتعلق الأمر بنص موجود في المخطوطات ومحذوف من أخرى، وبناء عليه موجود في بعض الطبعات دون الأخرى!! لماذا؟ هل لأن النص مزيف؟ هذا احتمال يستبعده النصارى الذين نقلت أقوالهم قبل قليل.

المطلب الأول
المشكلة النصية

ما تفسير عدم إدراج نص في المخطوطات المحترمة والثمينة مثل المخطوطة بيازا Bezae والمخطوطة السينائية السريانية في النص المطبوع للعهد الجديد؟

تتفق المخطوطة Bezae التي هي المرجع الرئيس، ويدعمها المخطوط

(1) See: Metzger B. M.1971. A Textual Commentary on the Greek New Testament Stuttgart: United Bible Societies. p 55

الآخر وCuretonian السريانية (Φ) مع بعض نسخ وترجمات للفولجاتا اللاتينية، وبعض نسخ الفولجاتا Vulgate اللاتينية، في إدراج نص بعد نص متى. ٢٠.٢٨ هو الفقرة الطويلة التالية:

«لكن كُلَّ مَنْ يُرَفِّعُ نَفْسَهُ يُوضَعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يُرَفَّعُ. «عِنْدَمَا يَدْعُوكَ أَحَدٌ إِلَى وَلِيمَةِ عُرْسٍ، فَلاَ تَتَّكِيءْ فِي مَكَانِ الصَّدَارَةِ، إِذْ رُبَّمَا كَانَ قَدْ دَعَا إِلَيْهِ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْكَ مَقَاماً، ٩فَيَأْتِي الَّذِي دَعَاكَ وَدَعَاهُ وَيَقُولُ لَكَ: أَخْلِ الْمَكَانَ لِهَذَا الرَّجُلِ! وَعِنْدَئِذٍ تَنْسَحِبُ بِخَجَلٍ لِتَأْخُذَ الْمَكَانَ الأَخِيرَ. ١٠وَلكِنْ، عِنْدَمَا تُدْعَى، فَاذْهَبْ وَاتَّكِئ فِي الْمَكَانِ الأَخِيرِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الَّذِي دَعَاكَ، يَقُولُ لَكَ: يَا صَدِيقِي، قُمْ إِلَى الصَّدْرِ! وَهذا سيكون أفضل لك»[(١)].

المطلب الثاني
وجود النص في الطبعات النقدية

هذا النص موجود في الطبعات التي اعتمدت على هذه المخطوطات، فقد نشر الترجمات الإنجليزية لمخطوطةِ Bezae:

١- وليام Whiston (بداية العهد الجديد [لندن، ١٧٤٥١)

٢- يوهانز Greber (العهد الجديد: ترجمة وتفسير جديد مستندة على المخطوطاتِ الأقدمِ [نيويورك، ١٩٣٧١)[(٢)].

---

(١) إن الترجمة العربية لي معتمدة على ترجمة بروس متزجر الإنجيليزية في نص العهد الجديد.

(٢) اقتصر جْي. إم. Wilson على نَشرَ سفر أعمال الرُسلَ، بناء على المخطوطةِ Bezae =

المبحث الرابع
نهاية إنجيل متى

نهاية إنجيل متى هي ما يسمى «وصية متى المزيفة» وهي نَصُّ الفقرة ١٩ – ٢٠ من الإصحاح ٢٨ في إنجيل متى، ونصها: «١٩فَاذْهَبُوا وَعلموا كل الأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ؛ ٢٠ وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْتِهَاءِ الزَّمَانِ! ». لقد آمن المسيحيون بكلمات الوصية الكبرى حرفياً باعتبار أنها مِن كلام المسيح. وكذلك فعلت كنيسة ما بَعْدَ الإصلاح الديني، حتى جاء عصر التنويرِ، الذي أوجد منهج النقدِ التأريخيِ، وفي ضوئه أعيد النظر في الكتاب المقدس.

المطلب الأول
وصية متى في المخطوطات

في أقدم المخطوطاتِ التي كان من المفترض أنها تحفظ نصاً أقدمَ للعهد الجديد، أعني المخطوطة السينائية Sinaiticus السريانية والمخطوطة الفاتيكانية اللاتينية، الصفحات التي فيها نهاية متى غير موجودة، ولَيْسَ لَدينا مخطوطة أقدم مِنْ سَنَةِ ٤٠٠. وقبل مدة طويلة من هذا التاريخ كان الخلاف حول إدراجِ روحِ القدس بدرجة متساوية في الثالوثِ

=

مقارنة مع أصلِها في لوقا وأهميته (لندن، ١٩٢٣).

المقدس محل نزاع، ونصّ الوصية الذي يعد شيئا ثميناً جداً لحزبِ المثلثين الذين انتصروا في النزاع؛ لا يمكن إلا أَنْ يجد طريقه إلى كُلّ مخطوطة، بغض النظر عن أصالتهِ[١].

لذلك فإن وجود وصية متى في كُلّ المخطوطات، سواء في المخطوطات اليونانية أو اللاتينية، ليس غريباً. وصية متى موجودة في المخطوطات بدءاً من القرن الخامس، لكن رغم ذلك هناك صعوبات عظيمة وعقبات كأداء في سبيل قبولها[٢].

المطلب الثاني
الترجمات والطبعات الحديثة لإنجيل متى

وجدت وصية متى الشاذة في جميع الطبعات القديمة والحديثة لنص العهد الجديد، حتى جاء عصر النقد الحديث واكتشاف الحقائق والوثائق التي كانت مفقودة أو مخفية. أول طبعة وترجمة حديثة تشير إلى الشك في نص الوصية وتقدم النص الأصلي لمتى هي لأحد أكبر الباحثين في العهد الجديد واللغة اليونانية: الدكتور إينوك باول Enoch pawell.

---

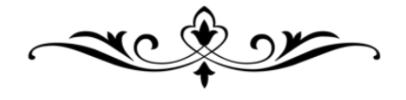
(١) See: Fred. C. Contbeare, A Doctrinal Modification Of A Text OF The Gospel, Oxford, The Hebert Journal, Vol. I. No. 1 OCTOBER 1902, PAGES 102-108.

(2) See: Bullinger E. W. (June 30, 1979) Word Studies on the Holy Spirit, Kregel Academic & Professional. pp 47, 48،

عندما وصل المؤلف في تعليقاته إلى وصية متى الشركية؛ الفقرات ٢٨/ ١٧-٢٠ محور اهتمامنا في هذا البحث، قال المؤلف:

«إن الكلمات الشاذة والإشارة الفريدة للثالوث تؤكد الانطباع بأن العمود الأخير من الكتاب مثله مثل نهاية إنجيل مرقص مفقودة، وتم التعويض عنها بلا مبالاة بخطبة الوداع المنسوبة لعيسى»[١].

وهذه أول طبعة وترجمة للإنجيل طبقا لمتى ترى أن هذه الفقرة غير قانونية ومزيفة ويجب أن تحذف من متن هذا الكتاب.



(١) هذه الترجمة للكاتب، وانظر الطبعة الإنجليزية:

Enoch pawell: the evolution of the gospel, p 221.

وانظر ترجمته العربية: ايبش، تطور الإنجيل، ص ٣٩٦.

الملاحق والفهارس

(١)

ملحق الصور

THE
LAYMAN'S
PARALLEL
NEW
TESTAMENT



KING JAMES VERSION

THE AMPLIFIED NEW TESTAMENT

THE LIVING NEW TESTAMENT

REVISED STANDARD VERSION

ZONDERVAN PUBLISHING HOUSE
Grand Rapids, Michigan

(١) صفحة العنوان للعهد الجديد المقارن

Publishers Preface

Out of the multiplicity of modern language translations of the Scriptures published in recent years has come one of the most thrilling and rewarding methods of Bible study. Bible students have discovered that by comparing translations they can gain new insights into Scriptural truth, and a new awareness of the relevancy of the Word of God to contemporary life. *The Layman's Parallel New Testament* offers the Bible student three of the most popular modern translations—*The Amplified New Testament, The Living New Testament* and the *Revised Standard Version, New Testament*—in parallel columns alongside the classic King James Version for comparison and amplification.

The King James Version has been, for centuries, the most loved and used translation of the Scriptures, and its ministry of blessing seems destined to continue for many years to come. Its majestic style and rich cadence give it an undying quality that will live on in our contemporary world. It remains a standard of excellence in Bible translation.

The Revised Standard Version is, basically, a revision commissioned for the purpose of maintaining the standard of the Tyndale-King James tradition based on present knowledge of the Hebrew and Greek texts, as well as the current English word meanings.

The Amplified New Testament is designed primarily as a Bible study *tool*. It employs a unique amplifying device built into the text which permits readers, even though unschooled in the original language in which the New Testament was written, to grasp the various shades of meaning in the original Greek—meanings which cannot be transcribed by individual English words.

The Living New Testament is a paraphrase rather than a translation. A paraphrase does not attempt to translate word by word, but rather, thought by thought. A good paraphrase is a careful restatement of the Biblical author's thoughts (examples of paraphrasing may be found in the Bible itself, where New Testament writers rephrase a quotation from the Old Testament). In this sense, a paraphrase can often communicate more vividly than a good translation, since it provides in contemporary conversational style, the gist of what the author would have said if he had spoken to us today.

The Layman's Parallel New Testament is an indispensable study tool, a work you will want to use both in the study and in the discussion group. It will also be an invaluable reference aid as you compare these translations in public reading and in the exposition of the New Testament Scriptures.

THE PUBLISHERS

King James Version

Epistle Dedicatory

TO THE MOST HIGH *and* MIGHTY PRINCE JAMES *by the Grace of God* KING OF GREAT BRITAIN, FRANCE, *and* IRELAND, DEFENDER OF THE FAITH, &C. *The Translators of this Bible wish Grace, Mercy, and Peace, through* JESUS CHRIST *our Lord*

Great and manifold were the blessings, most dread Sovereign, which Almighty God, the Father of all mercies, bestowed upon us the people of England, when first he sent Your Majesty's Royal Person to rule and reign over us. For whereas it was the expectation of many, who wished not well unto our Sion, that upon the setting of that bright Occidental Star, Queen Elizabeth of most happy memory, some thick and palpable clouds of darkness would so have overshadowed this Land, that men should have been in doubt which way they were to walk; and that it should hardly be known, who was to direct the unsettled State; the appearance of Your Majesty, as of the Sun in his strength, instantly dispelled those supposed and surmised mists, and gave unto all that were well affected exceeding cause of comfort; especially when we beheld the Government established in Your Highness, and Your hopeful Seed, by an undoubted Title, and this also accompanied with peace and tranquillity at home and abroad.

But among all our joys, there was no one that more filled our hearts, than the blessed continuance of the preaching of God's sacred Word among us; which is that inestimable treasure, which excelleth all the riches of the earth; because the fruit thereof extendeth itself, not only to the time spent in this transitory world, but directeth and disposeth men unto that eternal happiness which is above in heaven.

Then not to suffer this to fall to the ground, but rather to take it up, and to continue it in that state, wherein the famous Predecessor of Your Highness did leave it: nay, to go forward with the confidence and resolution of a Man in maintaining the truth of Christ, and propagating it far and near, is that which hath so bound and firmly knit the hearts of all Your Majesty's loyal and religious people unto You, that Your very name is precious among them: their eye doth behold You with comfort, and they bless You in their hearts, as that sanctified Person, who, under God, is the immediate Author of their true happiness. And this their contentment doth not diminish or decay, but every day increaseth and taketh strength, when they observe, that the zeal of Your Majesty toward the house of God doth not slack or go backward, but is more and more kindled, manifesting itself abroad in the farthest parts of Christendom, by writing in defence of the Truth, (which hath given such a blow unto that man of sin, as will not be healed), and every day at home, by religious and learned discourse, by frequenting the house of God, by hearing the Word preached, by cherishing the Teachers thereof, by caring for the Church, as a most tender and loving nursing Father.

There are infinite arguments of this right Christian and religious affection in Your Majesty; but none is more forcible to declare it to others than the vehement and perpetuated desire of accomplishing and publishing of this work, which now with all humility we present unto Your Majesty. For when Your Highness had once out of deep judgment apprehended how convenient it was, that out of the Original Sacred Tongues, together with comparing of the labours, both in our own, and other foreign Languages, of many worthy men who went before us, there should be one more exact Translation of the Holy Scriptures into the English Tongue; Your Majesty did never desist to urge and to excite those to whom it was commended, that the work might be hastened, and that the business might be expedited in so decent a manner, as a matter of such importance might justly require.

And now at last, by the mercy of God, and the continuance of our labours, it being brought unto such a conclusion, as that we have great hopes that the Church of England shall reap good fruit thereby; we hold it our duty to offer it to Your Majesty, not only as to our King and Sovereign, but as to the principal Mover and Author of the work: humbly craving of Your most Sacred Majesty, that since things of this quality have ever been subject to the censures of illmeaning and discontented persons, it may receive approbation and patronage from so learned and judicious a Prince as Your Highness is, whose allowance and acceptance of our labours shall more honour and encourage us, than all the calumniations and hard interpretations of other men shall dismay us. So that if, on the one side, we shall be traduced by Popish Persons at home or abroad, who therefore will malign us, because we are poor instruments to make God's holy Truth to be yet more and more known unto the people, whom they desire still to keep in ignorance and darkness; or if, on the other side, we shall be maligned by selfconceited Brethren, who run their own ways, and give liking unto nothing, but what is framed by themselves, and hammered on their anvil; we may rest secure, supported within by the truth and innocency of a good conscience, having walked the ways of simplicity and integrity, as before

(٢) مقدمة ط الملك جيمس

the Lord; and sustained without by the powerful protection of Your Majesty's grace and favour, which will ever give countenance to honest and Christian endeavors against bitter censures and uncharitable imputations.

The Lord of heaven and earth bless Your Majesty with many and happy days, that, as his heavenly hand hath enriched Your Highness with many singular and extraordinary graces, so You may be the wonder of the world in this latter age for happiness and true felicity, to the honour of that great GOD, and the good of his Church, through Jesus Christ our Lord and only Saviour.

Amplified New Testament

Preface

Those responsible for the publication of this work, after twelve thousand hours of diligent research and prayerful study, have peaceful confidence that the merits of the *Amplified New Testament* are sufficient justification for its existence. The richness and clarity in the translation from the Greek of multi-shaded meanings are destined to fascinate and intrigue the hearts and minds of readers. At the same time, it will prove infinitely more; it will become beneficially enlightening and helpfully instructive. It is nonetheless the glorious Bread of God, so indispensable to the abundant life and blissful hope of men, though it be served in a pleasantly different way. The Truth is here—authoritative, authentic and accurate, but in a new garb.

God's ways are past finding out, and never more so than in His inimitable manner of raising up the right servant at the right time for a particular purpose. Serving as Research Secretary, Frances E. Siewert, B. Lit., B. D., M. A., D. Lit., (with training far beyond the suggestion of these listed degrees), has spent the major portion of a long life in humble, thorough preparation for such hallowed endeavor as this represents, memorizing chapter after chapter of the Greek text—translating, collating and correlating in an amazing display of ability and accomplishment.

The Lockman Foundation, a California corporation, not for profit, established for the express and stated purpose of promoting Christian evangelism, education and benevolence, came into the picture in a remarkable and needful manner. The leaders of this Christian organization, both in the discovery of the preliminary work of this translation and in the subsequent developments, have recorded incidents again and again which bear the undeniable earmarks of supernatural direction. These have unfolded with the exactness and amazing wonder of the unfolding petals of a beautiful rose, and with similar order and timing. All of this contributed weighty impetus to the desire and determination to complete the undertaking, making possible the publication of the *Amplified New Testament* for the glory of God and the good of man.

An Editorial Committee gave dedicated and diligent attention to the manuscript. The edited and proofed translation was then submitted to three qualified Greek consultants.

Twenty-seven translations and versions of the New Testament in whole or in part were assiduously examined and the greatest lexicographers of all times continually consulted. The Greek text of Westcott and Hort was pursued with meticulous care. A fourfold aim for this translation has been kept in view:

1. That it should be true to the original Greek.
2. That it should be grammatically correct.
3. That it should be understandable to the masses.
4. That it should give the Lord Jesus Christ His proper place which the Word gives Him. No work will be personalized.

It is statedly God's will that all men shall "come unto the knowledge of the truth" (1 Tim 2:4.) It is equally emphasized that, "Knowledge is easy unto [esteemed by] him that understandeth" (Prov. 14:6).

To this end, the Author of divine Truth, amid changing languages and discovered dialects, permits His changeless Word to become accommodated to the comprehension and appreciation of finite minds in every era. Is it not prophesied that "knowledge [of the Lord] shall be increased" (Dan. 12:4)? Is not such an increase facilitated by clarification of the divine Precepts?

It is the hope and prayer of all who have had part in this translation's development and publication that it may be welcome everywhere. It is the Word of our blessed Lord, the Word of divine wisdom and infinite love, the Word of mercy and peace, the Word of everlasting life.

—Editorial Committee

(٣) مقدمة امبيليفيد

Revised Standard Version

Preface

The Revised Standard Version of the Bible is an authorized revision of the American Standard Version, published in 1901, which was a revision of the King James Version, published in 1611.

The first English version of the Scriptures made by direct translation from the original Hebrew and Greek, and the first to be printed, was the work of William Tyndale. He met bitter opposition. He was accused of willfully perverting the meaning of the Scriptures, and his New Testaments were ordered to be burned as "untrue translations." He was finally betrayed into the hands of his enemies, and in October 1536, was publicly executed and burned at the stake.

Yet Tyndale's work became the foundation of subsequent English versions, notably those of Coverdale, 1535; Thomas Matthew (probably a pseudonym for John Rogers), 1537; the Great Bible, 1539; the Geneva Bible, 1560; and the Bishops' Bible, 1568. In 1582 a translation of the New Testament, made from the Latin Vulgate by Roman Catholic scholars, was published at Rheims.

The translators who made the King James Version took into account all of these preceding versions; and comparison shows that it owes something to each of them. It kept felicitous phrases and apt expressions, from whatever source, which had stood the test of public usage. It owed most, especially in the New Testament, to Tyndale.

The King James Version had to compete with the Geneva Bible in popular use; but in the end it prevailed, and for more than two and a half centuries no other authorized translation of the Bible into English was made. The King James Version became the "Authorized Version" of the English-speaking peoples.

The King James Version has with good reason been termed "the noblest monument of English prose." Its revisers in 1881 expressed admiration for "its simplicity, its dignity, its power, its happy turns of expression . . . the music of its cadences, and the felicities of its rhythm." It entered, as no other book has, into the making of the personal character and the public institutions of the English-speaking peoples. We owe to it an incalculable debt.

Yet the King James Version has grave defects. By the middle of the nineteenth century, the development of Biblical studies and the discovery of many manuscripts more ancient than those upon which the King James Version was based, made it manifest that these defects are so many and so serious as to call for revision of the English translation. The task was undertaken, by authority of the Church of England, in 1870. The English Revised Version of the Bible was published in 1881-1885; and the American Standard Version, its variant embodying the preferences of the American scholars associated in the work, was published in 1901.

Because of unhappy experience with unauthorized publications in the two decades between 1881 and 1901, which tampered with the text of the English Revised Version in the supposed interest of the American public, the American Standard Version was copyrighted to protect the text from unauthorized changes. In 1928 this copyright was acquired by the International Council of Religious Education, and thus passed into the ownership of the churches of the United States and Canada which were associated in this Council through their boards of education and publication.

The Council appointed a committee of scholars to have charge of the text of the American Standard Version and to undertake inquiry as to whether further revision was necessary. For more than two years the Committee worked upon the problem of whether or not revision should be undertaken; and if so, what should be its nature and extent. In the end the decision was reached that there is need for a thorough revision of the version of 1901, which will stay as close to the Tyndale-King James tradition as it can in the light of our present knowledge of the Hebrew and Greek texts and their meaning on the one hand, and our present understanding of English on the other.

In 1937 the revision was authorized by vote of the Council, which directed that the resulting version should "embody the best results of modern scholarship as to the meaning of the Scriptures, and express this meaning in English diction which is designed for use in public and private worship, and preserves those qualities which have given to the King James Version a supreme place in English literature."

Thirty-two scholars have served as members of the Committee charged with making the revision, and they have secured the review and counsel of an Advisory Board of fifty representatives of the cooperating denominations. The Committee has worked in two sections, one dealing with the Old Testament and one with the New Testament. Each section has submitted

xii

its work to the scrutiny of the members of the other section; and the charter of the Committee requires that all changes be agreed upon by a two-thirds vote of the total membership of the Committee. The Revised Standard Version of the New Testament was published in 1946. The publication of the Revised Standard Version of the Bible, containing the Old and New Testaments, was authorized by vote of the National Council of the Churches of Christ in the U.S.A. in 1951.

The problem of establishing the correct Hebrew and Aramaic text of the Old Testament is very different from the corresponding problem in the New Testament. For the New Testament we have a large number of Greek manuscripts, preserving many variant forms of the text. Some of them were made only two or three centuries later than the original composition of the books. For the Old Testament, only late manuscripts survive, all (with the exception of the Dead Sea texts of Isaiah and Habakkuk and some fragments of other books) based on a standardized form of the text established many centuries after the books were written.

The present revision is based on the consonantal Hebrew and Aramaic text as fixed early in the Christian era and revised by Jewish scholars (the "Masoretes") of the sixth to ninth centuries. The vowel signs, which were added by the Masoretes, are accepted also in the main, but where a more probable and convincing reading can be obtained by assuming different vowels, this has been done. No notes are given in such cases, because the vowel points are less ancient and reliable than the consonants.

Departures from the consonantal text of the best manuscripts have been made only where it seems clear that errors in copying had been made before the text was standardized. Most of the corrections adopted are based on the ancient versions (translations into Greek, Aramaic, Syriac, and Latin), which were made before the time of the Masoretic revision and therefore reflect earlier forms of the text. In every such instance a footnote specifies the version or versions from which the correction has been derived, and also gives a translation of the Masoretic Text.

Sometimes it is evident that the text has suffered in transmission, but none of the versions provides a satisfactory restoration. Here we can only follow the best judgment of competent scholars as to the most probable reconstruction of the original text. Such corrections are indicated in the footnotes by the abbreviation *Cn*, and a translation of the Masoretic Text is added.

The discovery of the meaning of the text, once the best readings have been established, is aided by many new resources for understanding the original languages. Much progress has been made in the historical and comparative study of these languages. A vast quantity of writings in related Semitic languages, some of them only recently discovered, has greatly enlarged our knowledge of the vocabulary and grammar of Biblical Hebrew and Aramaic. Sometimes the present translation will be found to render a Hebrew word in a sense quite different from that of the traditional interpretation. It has not been felt necessary in such cases to attach a footnote, because no change in the text is involved and it may be assumed that the new rendering was not adopted without convincing evidence. The analysis of religious texts from the ancient Near East has made clearer the significance of ideas and practices recorded in the Old Testament. Many difficulties and obscurities, of course, remain. Where the choice between two meanings is particularly difficult or doubtful, we have given an alternative rendering in a footnote. If in the judgment of the Committee the meaning of a passage is quite uncertain or obscure, either because of corruption in the text or because of the inadequacy of our present knowledge of the language, that fact is indicated by a note. It should not be assumed, however, that the Committee was entirely sure or unanimous concerning every rendering not so indicated. To record all minority views was obviously out of the question.

A major departure from the practice of the American Standard Version is the rendering of the Divine Name, the "Tetragrammaton." The American Standard Version used the term "Jehovah"; the King James Version had employed this in four places, but everywhere else, except in three cases where it was employed as part of a proper name, used the English word LORD (or in certain cases GOD) printed in capitals. The present revision returns to the procedure of the King James Version, which follows the precedent of the ancient Greek and Latin translators and the long established practice in the reading of the Hebrew scriptures in the synagogue. While it is almost, if not quite, certain that the Name was originally pronounced "Yahweh," this pronunciation was not indicated when the Masoretes added vowel signs to the consonantal Hebrew text. To the four consonents YHWH of the Name, which had come to be regarded as too sacred to be pronunced, they attached vowel signs indicating that in its place should be read the Hebrew word *Adonai* meaning "Lord" (or *Elohim* meaning "God"). The ancient Greek translators substituted the word *Kyrios* (Lord) for the Name. The Vulgate like-

xiii

(٤) مقدمة الطبعة القياسية المنقحة

their announcement of Jesus' triumph and have themselves become his disciples (cf 28, 19). To them he is constantly, though invisibly, present (28, 20), verifying the name Emmanuel, "God is with us" (cf 1, 23).

The questions of authorship, sources, and the time of composition of this gospel have received many answers, none of which can claim more than a greater or lesser degree of probability. The one now favored by the majority of scholars is the following.

The ancient tradition that the author was the disciple and apostle of Jesus named Matthew (see 10, 3) is untenable because the gospel is based, in large part, on the Gospel according to Mark (almost all the verses of that gospel have been utilized in this), and it is hardly likely that a companion of Jesus would have followed so extensively an account that came from one who admittedly never had such an association rather than rely on his own memories. The attribution of the gospel to the disciple Matthew may have been due to his having been responsible for some of the traditions found in it, but that is far from certain.

The unknown author, whom we shall continue to call Matthew for the sake of convenience, drew not only upon the Gospel according to Mark but upon a large body of material (principally, sayings of Jesus) not found in Mk that corresponds, sometimes exactly, to material found also in the Gospel according to Luke. This material, called "Q" (probably from the first letter of the German word Quelle, *meaning "source"), represents traditions, written and oral, used by both Matthew and Luke. Mark and Q are sources common to the two other synoptic gospels; hence the name the "Two-Source Theory" given to this explanation of the relation among the synoptics.*

In addition to what Matthew drew from Mk and Q, his gospel contains material that is found only there. This is often designated "M," written or oral tradition that was available to the author. Since Mk was written shortly before or shortly after A.D. 70 (see Introduction to Mk), Mt was composed certainly after that date, which marks the fall of Jerusalem to the Romans at the time of the First Jewish Revolt (A.D. 66-70), and probably at least a decade later since Matthew's use of Mk presupposes a wide diffusion of that gospel. The post-A.D. 70 date is confirmed within the text by 22, 7, which refers to the destruction of Jerusalem.

As for the place where the gospel was composed, a plausible suggestion is that it was Antioch, the capital of the Roman province of Syria. That large and important city had a mixed population of Greek-speaking Gentiles and Jews. The tensions between Jewish and Gentile Christians there in the time of Paul (see Gal 2, 1-14) in respect to Christian obligation to observe Mosaic law are partially similar to tensions that can be seen between the two groups in Matthew's gospel. The church of Matthew, originally strongly Jewish Christian, had become one in which Gentile Christians were predominant. His gospel answers the question how obedience to the will of God is to be expressed by those who live after the "turn of the ages," the death and resurrection of Jesus.

The principal divisions of the Gospel according to Matthew are the following:

I. The Infancy Narrative (1, 1—2, 23)
II. The Proclamation of the Kingdom (3, 1—7, 29)
III. Ministry and Mission in Galilee (8, 1—11, 1)
IV. Opposition from Israel (11, 2—13, 53)
V. Jesus, the Kingdom, and the Church (13, 54—18, 35)
VI. Ministry in Judea and Jerusalem (19, 1—25, 46)
VII. The Passion and Resurrection (26, 1—28, 20)

I. THE INFANCY NARRATIVE*

CHAPTER 1

The Genealogy of Jesus. [1] [a] The book of the genealogy of Jesus Christ, the son of David, the son of Abraham.*

[2] [b] Abraham became the father of Isaac, Isaac the father of Jacob, Jacob the father of Judah and his brothers. [c] [3] Judah became the father of Perez and Zerah, whose mother was Tamar. [d] Perez became the father of Hezron, Hezron the father of Ram, [4] [e] Ram the father of Amminadab. Amminadab became the father of Nahshon, Nahshon the father of Salmon, [5] [f] Salmon the father of Boaz, whose mother was Rahab. Boaz became the father of Obed, whose mother was Ruth. Obed became the father of Jesse, [6] [g] Jesse the father of David the king.

David became the father of Solomon, whose mother had been the wife of Uriah. [7] [h] Solomon became the father of Rehoboam, Rehoboam the father of Abijah, Abijah the father of Asaph.* [8] Asaph became the father of Jehoshaphat, Jehoshaphat the father of Joram, Joram the father of Uzziah. [9] Uzziah became the father of Jotham, Jotham the father of Ahaz, Ahaz the father of Hezekiah. [10] Hezekiah became the father of Manasseh, Manasseh the father of Amos,* Amos the father of Josiah. [11] Josiah became the father of Jechoniah and his brothers at the time of the Babylonian exile.

[12] [i] After the Babylonian exile, Jechoniah became the father of Shealtiel, Shealtiel the father of Zerubbabel, [13] Zerubbabel the father of Abiud. Abiud became the father of Eliakim, Eliakim the father of Azor, [14] Azor the father of Zadok. Zadok became the father of Achim, Achim the father of Eliud, [15] Eliud the father of Eleazar. Eleazar became the father of Matthan, Matthan the father of Jacob, [16] Jacob the father of Joseph, the husband of Mary. Of her was born Jesus who is called the Messiah.

[17] Thus the total number of generations from Abraham to David is fourteen generations; from David to the Babylonian exile, fourteen generations; from the Babylonian exile to the Messiah, fourteen generations.*

The Birth of Jesus.* [18] Now this is how the birth of Jesus Christ came about.

a Gn 5, 1 / 1 Chr 17, 11 / Gn 22, 18 — b 2-17: Lk 3, 23-38 — c Gn 21, 3; 25, 26; 29, 35; 1 Chr 2, 1. — d Gn 38, 29-30; Ru 4, 18; 1 Chr 2, 4-9. — e Ru 4, 19-20; 1 Chr 2, 10-11. — f Ru 4, 21-22; 1 Chr 2, 11-12. — g 2 Sm 12, 24; 1 Chr 2, 15; 3, 5. — h 7-11: 2 Kgs 25, 1-21; 1 Chr 3, 10-15. — i 12-16: 1 Chr 3, 16-19.

1, 1—2, 23: The infancy narrative forms the prologue of the gospel. Consisting of a genealogy and five stories, it presents the coming of Jesus as the climax of Israel's history, and the events of his conception, birth, and early childhood as the fulfillment of Old Testament prophecy. The genealogy is probably traditional material that Matthew edited. In its first two sections (Mt 1, 2-11) it was drawn from Ru 4, 18-22 and 1 Chr 1—3. Except for Jechoniah, Shealtiel, and Zerubbabel, none of the names in the third section (Mt 1, 12-16) is found in any Old Testament genealogy. While the genealogy shows the continuity of God's providential plan from Abraham on, discontinuity is also present. The women Tamar (Mt 1, 3), Rahab and Ruth (Mt 1, 5), and the wife of Uriah, Bathsheba (Mt 1, 6), bore their sons through unions that were in varying degrees strange and unexpected. These "irregularities" culminate in the supreme "irregularity" of the Messiah's birth of a virgin mother; the age of fulfillment is inaugurated by a creative act of God.

Drawing upon both biblical tradition and Jewish stories, Matthew portrays Jesus as reliving the Exodus experience of Israel and the persecutions of Moses. His rejection by his own people and his passion are foreshadowed by the troubled reaction of "all Jerusalem" to the question of the magi who are seeking the "newborn king of the Jews" (Mt 2, 2-3), and by Herod's attempt to have him killed. The magi who do him homage prefigure the Gentiles who will accept the preaching of the gospel. The infancy narrative proclaims who Jesus is, the savior of his people from their sins (Mt 1, 21), Emmanuel in whom "God is with us" (Mt 1, 23), and the Son of God (Mt 2, 15).

1, 1: *The Son of David, the son of Abraham:* two links of the genealogical chain are singled out. Although the later, David is placed first in order to emphasize that Jesus is the royal Messiah. The mention of Abraham may be due not only to his being the father of the nation Israel but to Matthew's interest in the universal scope of Jesus' mission; cf Gn 22, 18, ". . . in your descendants all the nations of the earth shall find blessing."

1, 7: The successor of Abijah was not Asaph but Asa (see 1 Chr 3, 10). Some textual witnesses read the latter name; however, *Asaph* is better attested. Matthew may have deliberately introduced the psalmist Asaph into the genealogy (and in v 10 the prophet Amos) in order to show that Jesus is the fulfillment not only of the promises made to David (see 2 Sm 7) but of all the Old Testament.

1, 10: *Amos:* some textual witnesses read *Amon*, who was the actual successor of Manasseh (see 1 Chr 3, 14).

1, 17: Matthew is concerned with fourteen generations, probably because fourteen is the numerical value of the Hebrew letters forming the name of David. In the second section of the genealogy (6b-11), three kings of Judah, Ahaziah, Joash, and Amaziah, have been omitted (see 1 Chr 3, 11-12), so that there are fourteen generations in that section. Yet the third (12-16) apparently has only thirteen. Since Matthew here emphasizes that each section has fourteen, it is unlikely that the thirteen of the last was due to his oversight. Some scholars suggest that *Jesus who is called the Messiah* (16b) doubles the final member of the chain: *Jesus*, born within the family of David, opens up the new age as *Messiah*, so that in fact there are fourteen generations in the third section. This is perhaps too subtle, and the hypothesis of a slip not on the part of Matthew but of a later scribe seems likely. On *Messiah*, see the note on Lk 2, 11.

1, 18-25: This first story of the infancy narrative spells out what is summarily indicated in v 16. The virginal conception of Jesus is the work of the Spirit of God. Joseph's decision to divorce Mary is overcome by the heavenly command that he take her into his home and accept the child as his own. The natural genealogical line is broken but the promises to David are fulfilled; through Joseph's adoption the child belongs to the family of David. Matthew sees the virginal conception as the fulfillment of Is 7, 14.

(٥) بداية إنجيل متى القانوني وتعليقات النقاد على العنوان والفصل الأول، ببيان نتيجة الدراسات النقدية السابقة- طبعة نيو أمريكان بايبل.

Matthew 1 — NEW TESTAMENT

King James

THE GOSPEL ACCORDING TO

St. Matthew

CHAPTER 1

THE book of the generation of Jesus Christ, the son of David, the son of Abraham.
2 Abraham begat Isaac; and Isaac begat Jacob; and Jacob begat Judas and his brethren;
3 And Judas begat Phares and Zara of Thamar; and Phares begat Esrom; and Esrom begat Aram;
4 And Aram begat Aminadab; and Aminadab begat Naasson; and Naasson begat Salmon;
5 And Salmon begat Booz of Rachab; and Booz begat Obed of Ruth; and Obed begat Jesse;
6 And Jesse begat David the king; and David the king begat Solomon of her *that had been the wife* of Urias;
7 And Solomon begat Roboam; and Roboam begat Abia; and Abia begat Asa;
8 And Asa begat Josaphat; and Josaphat begat Joram; and Joram begat Ozias;
9 And Ozias begat Joatham; and Joatham begat Achaz; and Achaz begat Ezekias;
10 And Ezekias begat Manasses; and Manasses begat Amon; and Amon begat Josias;
11 And Josias begat Jechonias and his brethren, about the time they were carried away to Babylon:
12 And after they were brought to Babylon, Jechonias begat Salathiel; and Salathiel begat Zorobabel;
13 And Zorobabel begat Abiud; and Abiud begat Eliakim; and Eliakim begat Azor;
14 And Azor begat Sadoc; and Sadoc begat Achim; and Achim begat Eliud;
15 And Eliud begat Eleazar; and Eleazar begat Matthan; and Matthan begat Jacob;
16 And Jacob begat Joseph the husband of Mary, of whom was born Jesus, who is called Christ.
17 So all the generations from Abraham to David *are* fourteen generations; and from David until the carrying away into Babylon *are* fourteen generations; and from the carrying away into Babylon unto Christ *are* fourteen generations.
18 ¶ Now the birth of Jesus Christ was on this wise: When as his mother Mary was espoused to Joseph, before they came together, she was found with child of the Holy Ghost.
19 Then Joseph her husband, being a just *man*, and not willing to make her a public example, was minded to put her away privily.

Amplified

THE GOSPEL ACCORDING TO

Matthew

CHAPTER 1

The book of the ancestry (genealogy) of Jesus Christ, the Messiah, the Anointed, the son (descendant) of David, the son (descendant) of Abraham. [Ps. 132:11; Isa. 11:1.]
2 Abraham was the father of Isaac, Isaac the father of Jacob, Jacob the father of Judah and his brothers.
3 Judah the father of Perez and Zerah, whose mother was Tamar; Perez the father of Hezron, Hezron the father of Aram,
4 Aram the father of Aminadab, Aminadab the father of Nashon, Nashon the father of Salmon,
5 Salmon the father of Boaz, whose mother was Rahab; Boaz the father of Obed, whose mother was Ruth; Obed the father of Jesse,
6 Jesse the father of King David, King David the father of Solomon, whose mother had been the wife of Uriah; [Ruth 4:18-22; I Chron. 2:13-15.]
7 Solomon the father of Rehoboam, Rehoboam the father of Abijah, Abijah the father of Asa,
8 Asa the father of Jehoshaphat, Jehoshaphat the father of Joram, Joram the father of Uzziah,
9 Uzziah the father of Jotham, Jotham the father of Ahaz, Ahaz the father of Hezekiah,
10 Hezekiah the father of Manasseh, Manasseh the father of Amon, Amon the father of Josiah,
11 And Josiah became the father of Jechoniah and his brothers, about the time of the removal (deportation) to Babylon. [II Kings 24:14; I Chron. 3:15, 16.]
12 After the exile to Babylon, Jechoniah became the father of Shealtiel (Salathiel), Shealtiel the father of Zerubbabel,
13 Zerubbabel the father of Abiud, Abiud the father of Eliakim, Eliakim the father of Azor,
14 Azor the father of Sadoc, Sadoc the father of Achim, Achim the father of Elihud,
15 Elihud the father of Eliazar, Eliazar the father of Matthan, Matthan the father of Jacob,
16 Jacob the father of Joseph, the husband of Mary of whom was born Jesus Who is called the Christ.
17 So all the generations from Abraham to David are fourteen, from David to the Babylonian Exile (deportation) fourteen, from the Babylonian Exile to the Christ fourteen generations.
18 Now the birth of Jesus Christ took place under these circumstances: When His mother Mary had been promised in marriage to Joseph, before they came together she was found to be pregnant [through the power] of the Holy Spirit.
19 And her [promised] husband Joseph, being a just *and* upright man and not willing to expose her publicly *and* shame *and* disgrace her, decided to repudiate *and* dismiss (divorce) her quietly *and* secretly.

2

NEW TESTAMENT — *Matthew 1*

Living New Testament

Matthew

CHAPTER 1

These are the ancestors of Jesus Christ, a descendant of King David and of Abraham:
2 Abraham was the father of Isaac; Isaac was the father of Jacob; Jacob was the father of Judah and his brothers.
3 Judah was the father of Perez and Zerah (Tamar was their mother); Perez was the father of Hezron; Hezron was the father of Aram;
4 Aram was the father of Amminadab; Amminadab was the father of Nahshon; Nahshon was the father of Salmon;
5 Salmon was the father of Boaz (Rahab was his mother); Boaz was the father of Obed (Ruth was his mother); Obed was the father of Jesse;
6 Jesse was the father of King David. David was the father of Solomon (his mother was the ex-wife of Uriah);
7 Solomon was the father of Rehoboam; Rehoboam was the father of Abijah; Abijah was the father of Asa;
8 Asa was the father of Jehoshaphat; Jehoshaphat was the father of Joram; Joram was the father of Uzziah;
9 Uzziah was the father of Jotham; Jotham was the father of Ahaz; Ahaz was the father of Hezekiah;
10 Hezekiah was the father of Manasseh; Manasseh was the father of Amos; Amos was the father of Josiah;
11 Josiah was the father of Jechoniah and his brothers (born at the time of the exile to Babylon).
12 After the exile:
Jechoniah was the father of Shealtiel; Shealtiel was the father of Zerubbabel;
13 Zerubbabel was the father of Abiud; Abiud was the father of Eliakim; Eliakim was the father of Azor;
14 Azor was the father of Zadok; Zadok was the father of Achim; Achim was the father of Eliud.
15 Eliud was the father of Eleazar; Eleazar was the father of Matthan; Matthan was the father of Jacob;
16 Jacob was the father of Joseph (who was the husband of Mary, the mother of Jesus Christ the Messiah).
17 These are[1] fourteen of the generations from Abraham to King David; and fourteen from King David's time to the exile; and fourteen from the exile to Christ.

* * * * *

18 These are the facts concerning the birth of Jesus Christ: His mother, Mary, was engaged to be married to Joseph. But while she was still a virgin she became pregnant by the Holy Spirit.
19 Then Joseph, her fiancé,[2] being a man of stern principle,[3] decided to break the engagement but to do it quietly, as he didn't want to publicly disgrace her.

[1]Literally, "So all the generations from Abraham unto David are fourteen."
[2]Literally, "her husband."
[3]Literally, "a just man."

Revised Standard

THE GOSPEL ACCORDING TO

Matthew

1 The book of the genealogy of Jesus Christ, the son of David, the son of Abraham.

The genealogy of Jesus

2 Abraham was the father of Isaac, and Isaac the father of Jacob, and Jacob the father of Judah and his brothers, [3]and Judah the father of Perez and Zerah by Tamar, and Perez the father of Hezron, and Hezron the father of Ram,[a] [4]and Ram[a] the father of Amminadab, and Amminadab the father of Nahshon, and Nahshon the father of Salmon, [5]and Salmon the father of Boaz by Rahab, and Boaz the father of Obed by Ruth, and Obed the father of Jesse, [6]and Jesse the father of David the king.
And David was the father of Solomon by the wife of Uriah, [7]and Solomon the father of Rehoboam, and Rehoboam the father of Abijah, and Abijah the father of Asa,[b] [8]and Asa[b] the father of Jehoshaphat, and Jehoshaphat the father of Joram, and Joram the father of Uzziah, [9]and Uzziah the father of Jotham, and Jotham the father of Ahaz, and Ahaz the father of Hezekiah, [10]and Hezekiah the father of Manasseh, and Manasseh the father of Amos,[c] and Amos[c] the father of Josiah, [11]and Josiah the father of Jechoniah and his brothers, at the time of the deportation to Babylon.
12 And after the deportation to Babylon: Jechoniah was the father of Shealtiel,[d] and Shealtiel[d] the father of Zerubbabel, [13]and Zerubbabel the father of Abiud, and Abiud the father of Eliakim, and Eliakim the father of Azor, [14]and Azor the father of Zadok, and Zadok the father of Achim, and Achim the father of Eliud, [15]and Eliud the father of Eleazar, and Eleazar the father of Matthan, and Matthan the father of Jacob, [16]and Jacob the father of Joseph the husband of Mary, of whom Jesus was born, who is called Christ.
17 So all the generations from Abraham to David were fourteen generations, and from David to the deportation to Babylon fourteen generations, and from the deportation to Babylon to the Christ fourteen generations.

The birth of Jesus

18 Now the birth of Jesus Christ[f] took place in this way. When his mother Mary had been betrothed to Joseph, before they came together she was found to be with child of the Holy Spirit; [19]and her husband Joseph, being a just man and unwilling to

[a] Greek *Aram*
[b] Greek *Asaph*
[c] Other authorities read *Amon*
[d] Greek *Sala thiel*
[f] Other ancient authorities read *of the Christ*

3

(٦) الطبعات القديمة خالية تقريبـاً من الإشارة للخلافات حول الفصل الأول من متى [الطبعات الأربعة لمقارنة].

KEY

1. Text forming part of the underlying book is printed in standard type.
2. Text added to the underlying book by way of amalgamation with the derivative book is printed in small type.
3. Text added by way of introducing references to John the Baptist is printed in sanserif type.
4. Text, other than that to which paragraphs 2 and 3 above apply, which originated later than the surrounding text is inset thus.

   In some places (e.g. 4.5, 8) double inset denotes successive such additions.
5. Interpolations—that is, words added to an already completed text by way of interpretation or correction—*are italicized*. Where they are superfluous to the sense of the surrounding text, they may also be enclosed [*in square brackets*].
6. Omissions supplied conjecturally are enclosed <in angle brackets> (asterisks * * * within these brackets indicate that no restoration of the missing text is attempted).
7. Where a passage forming part of the underlying book and the passage which replaced it in the derivative book both exist (e.g. 14.15–21 = 15.32–8), they may, to facilitate comparison, be printed side by side in parallel columns.
8. Words which translate text conjecturally emended are denoted *thus*.
9. Corrupt words for which no emendation is suggested are surrounded by obelisks †thus†.
10. A row of asterisks

    * * * * *

    denotes a break in the text, e.g. created to accommodate a major insertion.

(٧) اصطلاحات باول في نسخته لإنجيل متى

1.1 Table of descent of Jesus Christ, son of David, son of Abraham

Abraham begot
Isaac, and Isaac begot
Jacob, and Jacob begot
Judah and his brothers, and Judah begot
Phares and Zara by Thamar, and Phares begot
Esrom, and Esrom begot
Aram, and Aram begot
Aminadab, and Aminadab begot
Naasson, and Naasson begot
Salmon, and Salmon begot
Boaz by Rachab, and Boaz begot
Jobed by Ruth, and Jobed begot
Jesse, and Jesse begot
David the king, and David begot
1.6 Solomon by Uriah's wife, and Solomon begot
Roboam, and Roboam begot
Abia, and Abia begot
Asaph, and Asaph begot
Josaphat, and Josaphat begot
Joram, and Joram begot
Oziah, and Oziah begot
Joatham, and Joatham begot
Ahaz, and Ahaz begot
Hezekiah, and Hezekiah begot
Manasse, and Manasse begot
Amos, and Amos begot
Josiah, and Josiah begot
Jechoniah and his brothers at the time of the
Babylonian captivity, and after the Babylonian captivity
Jechoniah begot
1.12 Salathiel, and Salathiel begot
Zorobabel, and Zorobabel begot
Abiud, and Abiud begot
Eliakim, and Eliakim begot
Azor, and Azor begot
Sadok, and Sadok begot
Achim, and Achim begot
Eliud, and Eliud begot
Eliazar, and Eliazar begot
Matthan, and Matthan begot
Jacob, and Jacob begot
Joseph, the husband of Mary, of whom was begotten Jesus called Christ.
1.17 *So there were in all fourteen generations from Abraham to David, fourteen from David to the Babylonian captivity, and fourteen from the Babylonian captivity to Christ.*
And the birth of Jesus Christ was as follows.

(٨) طبعة باول لإنجيل متى وقد استخدم فيها حروفاً طباعية صغيرة إشارة لزيف هذه الفقرات حسب اصطلاحه.

need have we of witnesses? You have now heard the blasphemy; [66] what is your opinion?" They said in reply, "He deserves to die!" [67] *Then they spat in his face and struck him, while some slapped him,[y] [68] saying, "Prophesy for us, Messiah: who is it that struck you?"

Peter's Denial of Jesus. [69] [z] Now Peter was sitting outside in the courtyard. One of the maids came over to him and said, "You too were with Jesus the Galilean." [70] But he denied it in front of everyone,* saying, "I do not know what you are talking about!" [71] As he went out to the gate, another girl saw him and said to those who were there, "This man was with Jesus the Nazorean." [72] Again he denied it with an oath, "I do not know the man!" [73] A little later the bystanders came over and said to Peter, "Surely you too are one of them; even your speech gives you away."* [74] At that he began to curse and to swear, "I do not know the man." And immediately a cock crowed. [75] Then Peter remembered the word that Jesus had spoken: "Before the cock crows you will deny me three times." He went out and began to weep bitterly.[a]

CHAPTER 27

Jesus before Pilate. [1] * When it was morning,[b] all the chief priests and the elders of the people took counsel* against Jesus to put him to death. [2] They bound him, led him away, and handed him over to Pilate, the governor.

The Death of Judas. [3] [c] Then Judas, his betrayer, seeing that Jesus had been condemned, deeply regretted what he had done. He returned the thirty pieces of silver* to the chief priests and elders,[d] [4] saying, "I have sinned in betraying innocent blood." They said, "What is that to us? Look to it yourself." [5] Flinging the money into the temple, he departed and went off and hanged himself.* [6] The chief priests gathered up the money, but said, "It is not lawful to deposit this in the temple treasury, for it is the price of blood." [7] After consultation, they used it to buy the potter's field as a burial place for foreigners. [8] That is why that field even today is called the Field of Blood. [9] Then was fulfilled what had been said through Jeremiah the prophet,* "And they took the thirty pieces of silver, the value of a man with a price on his head, a price set by some of the Israelites, [10] and they paid it out for the potter's field just as the Lord had commanded me."[e]

Jesus Questioned by Pilate. [11] [f] Now Jesus stood before the governor, and he questioned him, "Are you the king of the Jews?"* Jesus said, "You say so." [12] And when he was accused by the chief priests

y Wis 2, 19; Is 50, 6.—z 69-75: Mk 14, 66-72; Lk 22, 56-62; Jn 18, 17-18.25-27.—a Mt 26, 34.—b 1-2: Mk 15, 1; Lk 23, 1; Jn 18, 28.—c 3-10: Acts 1, 18-19.—d Mt 26, 15.—e Zec 11, 12-13.—f 11-14: Mk 15, 2-5; Lk 23, 2-3; Jn 18, 29-38.

26, 67-68: The physical abuse, apparently done to Jesus by the members of the Sanhedrin themselves, recalls the sufferings of the Isaian Servant of the Lord; cf Is 50, 6. The mocking challenge to *prophesy* is probably motivated by Jesus' prediction of his future glory (64).

26, 70: *Denied it in front of everyone:* see Mt 10, 33. Peter's repentance (75) saves him from the fearful destiny of which Jesus speaks there.

26, 73: *Your speech . . . away:* Matthew explicates Mk's "you too are a Galilean" (Mk 14, 70).

27, 1-31: Cf Mk 15, 1-20. Matthew's account of the Roman trial before *Pilate* is introduced by a consultation of the Sanhedrin after which Jesus is *handed over to . . . the governor* (1-2). Matthew follows his Marcan source closely but adds some material that is peculiar to him, the death of *Judas* (3-10), possibly the name *Jesus* as the name of *Barabbas* also (16-17), the intervention of Pilate's *wife* (19), Pilate's washing *his hands* in token of his disclaiming responsibility for Jesus' death (24), and the assuming of that responsibility by *the whole people* (25).

27, 1-2: There is scholarly disagreement about the meaning of the Sanhedrin's taking *counsel* (*symboulion elabon;* cf Mt 12, 14; 22, 15; 27, 7; 28, 12); see the note on Mk 15, 1. Some understand it as a discussion about the strategy for putting their death sentence against *Jesus* into effect since they lacked the right to do so themselves. Others see it as the occasion for their passing that sentence, holding that Matthew, unlike Mark (Mk 14, 64), does not consider that it had been passed in the night session (Mt 26, 66). Even in the latter interpretation, their handing *him over to Pilate* is best explained on the hypothesis that they did not have competence to put their sentence into effect, as is stated in Jn 18, 31.

27, 3: *The thirty pieces of silver:* see Mt 26, 15.

27, 5-8: For another tradition about the death of Judas, cf Acts 1, 18-19. The two traditions agree only in the purchase of a *field* with *the money* paid to Judas for his betrayal of Jesus and the name given to the *field, the Field of Blood.* In Acts Judas himself buys the field and its name comes from his own blood shed in his fatal accident on it. *The potter's field:* this designation of the field is based on the fulfillment citation in v 10.

27, 9-10: Cf Mt 26, 15. Matthew's attributing this text to Jeremiah is puzzling, for there is no such text in that book, and *the thirty pieces of silver* thrown by Judas "into the temple" (5) recall rather Zec 11, 12-13. It is usually said that the attribution of the text to Jeremiah is due to Matthew's combining the Zechariah text with texts from Jeremiah that speak of a *potter* (Jer 18, 2-3), the buying of a *field* (Jer 32, 6-9), or the breaking of a potter's flask at Topheth in the valley of Ben-Hinnom with the prediction that it will become a burial place (Jer 19, 1-13).

27, 11: *King of the Jews:* this title is used of Jesus only by pagans. The Matthean instances are, besides this verse, Mt 2, 2; 27, 29.37. Matthew equates it with "Messiah"; cf Mt 2, 2.4 and Mt 27, 17.22 where he has changed "the king of the Jews" of his Marcan source (Mk 15, 9.12) to "(Jesus) called Messiah." The normal political connotation of both titles would be of concern to the Roman *governor. You say so:* see the note on Mt 26, 25. An unqualified affirmative response is not made because Jesus' kingship is not what Pilate would understand it to be.

شكل (٩) طبعة نيو أمريكان بايبل تساير الخطأ الواضح وتعرض عن التصحيح

King James

73 And after a while came unto *him* they that stood by, and said to Peter, Surely thou also art *one* of them; for thy speech bewrayeth thee.

74 Then began he to curse and to swear, *saying*, I know not the man. And immediately the cock crew.

75 And Peter remembered the word of Jesus, which said unto him, Before the cock crow, thou shalt deny me thrice. And he went out, and wept bitterly.

CHAPTER 27

WHEN the morning was come, all the chief priests and elders of the people took counsel against Jesus to put him to death:

2 And when they had bound him, they led *him* away, and delivered him to Pontius Pilate the governor.

3 ¶ Then Judas, which had betrayed him, when he saw that he was condemned, repented himself, and brought again the thirty pieces of silver to the chief priests and elders,

4 Saying, I have sinned in that I have betrayed the innocent blood. And they said, What *is that* to us? see thou *to that*.

5 And he cast down the pieces of silver in the temple, and departed, and went and hanged himself.

6 And the chief priests took the silver pieces, and said, It is not lawful for to put them into the treasury, because it is the price of blood.

7 And they took counsel, and bought with them the potter's field, to bury strangers in.

8 Wherefore that field was called, The field of blood, unto this day.

9 Then was fulfilled that which was spoken by Jeremy the prophet, saying, And they took the thirty pieces of silver, the price of him that was valued, whom they of the children of Israel did value;

10 And gave them for the potter's field, as the Lord appointed me.

11 And Jesus stood before the governor: and the governor asked him, saying, Art thou the King of the Jews? And Jesus said unto him, Thou sayest.

12 And when he was accused of the chief priests and elders, he answered nothing.

13 Then said Pilate unto him, Hearest thou not how many things they witness against thee?

14 And he answered him to never a word; insomuch that the governor marvelled greatly.

15 Now at *that* feast the governor was wont to release unto the people a prisoner, whom they would.

16 And they had then a notable prisoner, called Barabbas.

Amplified

73 After a little while the bystanders came up and said to Peter, You certainly are one of them too, for even your accent betrays you.

74 Then Peter began to invoke a curse on himself and to swear, I do not even know the Man! And at that moment a rooster crowed.

75 And Peter remembered Jesus' words when He said, Before a [f]single rooster crows, you will deny *and* disown Me three times. And he went outside and wept bitterly.

CHAPTER 27

WHEN it was morning, all the chief priests and the elders of the people held a consultation against Jesus to put Him to death;

2 And they bound Him, and led Him away and handed Him over to Pilate the governor.

3 When Judas, His betrayer, saw that [Jesus] was condemned, (he was [h]afflicted in mind and troubled for his former folly; and) with remorse [that is, [i]an after care and little more than a selfish dread of the consequences] he brought back the thirty pieces of silver to the chief priests and the elders, [Exod. 21:32.]

4 Saying, I have sinned in betraying innocent blood. They replied, What is that to us? See to that yourself.

5 And casting the pieces of silver [forward] into the Holy Place *of* the [j]sanctuary of the temple, he departed, and he went off and hanged himself.

6 But the chief priests, picking up the pieces of silver, said, It is not legal to put these in the [consecrated] treasury, for it is the price of blood. [Deut. 23:18.]

7 So after consultation they bought with them the potter's field in which to bury strangers.

8 Therefore that piece of ground has been called the Field of Blood to the present day.

9 Then were fulfilled the words spoken by Jeremiah the prophet when he said, And they took the thirty pieces of silver, the price of Him on Whom a price had been set by some of the sons of Israel, [Zech. 11:12, 13.]

10 And they gave them for the potter's field, as the Lord directed me.

11 Now Jesus stood before the governor [Pilate]; and the governor asked Him, Are you the King of the Jews? Jesus said to him, You have stated [the fact].

12 But when the charges were made against Him by the chief priests and elders, He made no answer. [Isa. 53:7.]

13 Then Pilate said to Him, Do You not hear how many *and* how serious are the things they are testifying against You?

14 But He made no reply to him, not even to a single accusation, so that the governor marveled greatly.

15 Now at the feast (of the Passover) the governor was in the habit of setting free for the people any one prisoner whom they chose.

16 And at that time they had a notorious prisoner whose name was Barabbas.

f) Vincent.
h) Jeremy Taylor, and, i) Aristotle: both quoted in Trench's "Synonyms of the New Testament."
j) Trench.

Living New Testament

73 But after a while the men who had been standing there came over to him and said, "We know you are one of His disciples, for we can tell by your Galilean[a] accent."

74 Peter began to curse and swear. "I don't even know the man," he said. And immediately the cock crowed.

75 Then Peter remembered what Jesus had said, "Before the cock crows, you will deny Me three times." And he went away, crying bitterly.

CHAPTER 27

When it was morning, the chief priests and Jewish leaders met again to discuss how to induce the Roman government to sentence Jesus to death.[1]

2 Then they sent Him in chains to Pilate, the Roman governor.

3 About that time Judas, who betrayed Him, when he saw that Jesus had been condemned to die, changed his mind and deeply regretted what he had done,[2] and brought back the money to the chief priests and other Jewish leaders.

4 "I have sinned," he declared, "for I have betrayed an innocent man."

"That's your problem," they retorted.

5 Then he threw the money onto the floor of the Temple and went out and hanged himself.

6 The chief priests picked the money up. "We can't put it in the collection," they said, "since it's against our laws to accept money paid for murder."

7 They talked it over and finally decided to buy a certain field where the clay was used by potters, and to make it into a cemetery for foreigners who died in Jerusalem.

8 That is why the cemetery is still called "The Field of Blood."

9 This fulfilled the prophecy of Jeremiah which says, "They took the thirty pieces of silver—the price at which He was valued by the people of Israel—

10 And purchased a field from the potters as the Lord directed me."

11 Now Jesus was standing before Pilate, the Roman governor. "Are you the Jews' Messiah?"[3] the governor asked Him.

"Yes," Jesus replied.

12 But when the chief priests and other Jewish leaders made their many accusations against Him, Jesus remained silent.

13 "Don't you hear what they are saying?" Pilate demanded.

14 But Jesus said nothing, much to the governor's surprise.

15 Now the governor's custom was to release one Jewish prisoner each year during the Passover celebration—anyone they wanted.

16 This year there was a particularly notorious criminal in jail named Barabbas,

[a]Implied.
[1]Literally, "took counsel against Jesus to put Him to death." They did not have the authority themselves.
[2]Literally, "repented himself."
[3]Literally, "King of the Jews."

Revised Standard

Nazareth." [72]And again he denied it with an oath, "I do not know the man." [73]After a little while the bystanders came up and said to Peter, "Certainly you are one of them, for your accent betrays you." [74]Then he began to invoke a curse on himself and to swear, "I do not know the man." And immediately the cock crowed. [75]And Peter remembered the saying of Jesus, "Before the cock crows, you will deny me three times." And he went out and wept bitterly.

Jesus delivered to Pilate

27 When morning came, all the chief priests and the elders of the people took counsel against Jesus to put him to death; [2]and they bound him and led him away and delivered him to Pilate the governor.

The death of Judas Iscariot

3 When Judas, his betrayer, saw that he was condemned, he repented and brought back the thirty pieces of silver to the chief priests and the elders, [4]saying, "I have sinned in betraying innocent blood." They said, "What is that to us? See to it yourself." [5]And throwing down the pieces of silver in the temple, he departed; and he went and hanged himself. [6]But the chief priests, taking the pieces of silver, said, "It is not lawful to put them into the treasury, since they are blood money." [7]So they took counsel, and bought with them the potter's field, to bury strangers in. [8]Therefore that field has been called the Field of Blood to this day. [9]Then was fulfilled what had been spoken by the prophet Jeremiah, saying, "And they took the thirty pieces of silver, the price of him on whom a price had been set by some of the sons of Israel, [10]and they gave them for the potter's field, as the Lord directed me."

Jesus before Pontius Pilate

11 Now Jesus stood before the governor; and the governor asked him, "Are you the King of the Jews?" Jesus said to him, "You have said so." [12]But when he was accused by the chief priests and elders, he made no answer. [13]Then Pilate said to him, "Do you not hear how many things they testify against you?" [14]But he gave him no answer, not even to a single charge; so that the governor wondered greatly.

15 Now at the feast the governor was accustomed to release for the crowd any one prisoner whom they wanted. [16]And they had then a notorious prisoner, called Barab-

شكل (١٠) الطبعات المقارنة تساير الخطأ الواضح وتعرض عن التصحيح

(٢)
نتائج البحث

١- إن لإنجيل متى نَصَّـًا ومتنـًا سابقـًا حُرِّف بشكل فادح، لمقاصد عقدية وجدلية، وإن النسخة الناتجة دمجت فيما بعد بالنَصِّ الأصلي لإصدار الإنجيل كما نراه اليوم، فضلاً عن أن النَصِّ الأصليَّ نفسه كان نتاجَ عمليات سابقة تَضمّنَت عدة مراحل وسلسلة من الإضافاتِ الرئيسةِ.

٢- اكتشف النقاد فصولاً كاملة لم تكن في النص الأصلي لمتى «القانوني» منها الفصلان الأول والثاني اللذان بدأ إنجيل متى «غير القانوني» بدونهما.

٣- أكد النقد النصي أن سلسلة نسب المسيح أدرجت بشكل عشوائي ومتناقض مع النصوص الأخرى.

٤- اكتشف النقد النصي أخطاء فادحة، وبالإجماع لا يمكن أن تكون من أصل الإنجيل وإنما هي إضافة عشوائية دون مراجعة.

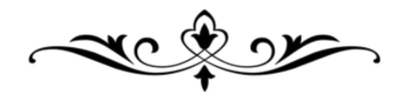
٥- اكتشف النقاد أن نهاية متى -مثل بدايته- هي إضافة عشوائية لأسباب عقدية، ولم تكن نهاية الإنجيل الحالي في المتن الأصلي.

٦- هذا البحث قدم أمثلة لما حَدثَ في الحقيقة؛ لكن نظراً إلى أن عملية تحرير الإنجيل وفقـًا لمتى استلزمت تعديلات متراكمة لَمْ تعُدْ قابلة للكشف والتقصي اليوم؛ فإن المُناقشة كانت واسعة ومعبرة، لكنها لَيسَت شاملة؛ لأنّ حقيقةَ المسألةِ أنّنا لا نَعْرف المدى الكاملَ للتحريف الذي تعرض له الإنجيل.

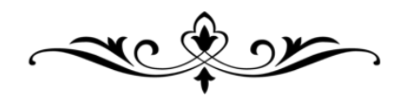
المراجع

- Bullinger E. W.1979. Word Studies on the Holy Spirit, Kregel Academic & Professional
- Ehrman B. D 1993. The Orthodox Corruption of Scripture Oxford University press
- Ehrman B. D. 2003. The lost Scriptures, Oxford University press. U.S.A
- Ehrman B. D. 1991. A BRIFE INTRODUCYION TO THE NEW TESTAMENT, 2TH, Oxford university press.
- Enoch P. J.1994. The Evolution of the Gospel, Yale University press, new Haven and London.
- Fred. C. C. 1902. A Doctrinal Modification of a Text OF the Gospel, Oxford, the Hebert Journal, Vol. I. No. 1 OCTOBER 1902
- Henry B.1969. (Translator) the Early Christian Fathers: A Selection from the Writings of the Fathers from St. Clement of Rome to St. Athanasius
- Irenaeus.2014. Against Heresies. Beloved puplishing LLC U.S.A.
- Koester, H. 1990 "Ancient Christian Gospels: Their History and Development. London / Philadelphia: SCM Press Ltd / Trinity Press International.

- Metzger B. M.1971. A Textual Commentary on the Greek New Testament Stuttgart: United Bible Societies.
- Metzger B. M.1987. The Canon of the New Testament: Its Origin, Development, and Significance. Oxford: Clarendon.
- Metzger B. M.1991. The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration, 3ed. New York: Oxford.
- Perrin N.1982. The New Testament: An Introduction. Thomson Learning; 2nd edition (July 1982)



فهرس الموضوعات



Contents

Material published in the Journal expresses the opinions of its author(s).

JOURNAL OF
THEOLOGICAL STUDIES

G. Header: size 12 font bold
H. Title: size 18 font bold
I. Subtitles: size 16 font bold

13. *Three copies of the final draft must be submitted: two on separate CDs in addition to one hard copy.*
14. *The Journal does not guarantee that any manuscript, accepted for publication or not, will be returned to its author.*
15. *The author shall be given three copies of the issue in which his research is published as well as fifteen offprints.*

Publishing Guidelines:

Material submitted for publication in the Journal must adhere to the following guidelines:

1. *It cannot have been published or submitted for publication elsewhere.*
2. *The material must be exclusively for the Journal.*
3. *It must be original, unique, and contribute to knowledge.*
4. *It must adhere to the standards and methodology of academic research and be written in Arabic.*
5. *The research must be within the scope of the Journal's specialty.*
6. *The material submitted cannot be part of prior published research, or a section of one's thesis or dissertation.*
7. *The manuscript must be typed and submitted on a CD.*
8. *The manuscript should not be more than one hundred (100) pages or less than ten (10). However, the editorial board reserves the right to make exceptions where necessary.*
9. *An abstract not exceeding half a page should precede the article.*
10. *The manuscript should be accompanied by a brief biography of the author, stating his or her occupation, contact information, and most important academic works.*
11. *The author must submit five copies of the manuscript.*
12. *Manuscripts should be submitted using the following format:*
    - A. *Microsoft Word XP or a similar program*
    - B. *Lotus Linotype font*
    - C. *Quranic verses should be written as follows:*

      ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]

    - D. *Page size: 12 x 20cm*
    - E. *Text: size 16 font*
    - F. *Footnotes: size 12 font*

About the Journal

The Journal of Theological Studies is a refereed, academic periodical published by the Saudi Academic Association for the Study of Theology, Religions, Sects, and Ideologies, which is under the supervision of the Islamic University of Madinah. The journal aims to publish research and academic studies specific to the fields of Islamic creed, comparative religion, heresiology, and ideological trends.

An expert board comprising several university professors is responsible for editing the journal. Manuscripts are accepted for publication following approval by two specialists. The journal was first published in Muharram 1430 (January 2009) with subsequent issues being published semiannually.

Correspondence

All correspondence should be addressed to the managing editor:

Mobile: +966.55.253.4282

Phone: +966.14.847.1155

Fax: +966.14.847.3076

Email: aqeedaamm@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

ISSN: 1658-516X



Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Education
Islamic University of Madinah
Faculty of Islamic Preaching and Theology
Saudi Academic Association
for the Study of
Theology, Religions, Sects & Ideologies



JOURNAL OF
THEOLOGICAL STUDIES

A Refereed Academic Journal

Volume 10 • Number 20

Muharram 1439 – September 2017